

جامعة اليرموك

كلية الآداب

قسم التاريخ

أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني

١٨٧٦ - ١٩٠٩

إعداد الطالب :

يوسف حسين يوسف عمر

إشراف الدكتور :

وليد العريض

قدمت هذه الرسالة إكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير
في التاريخ الحديث والمعاصر

١٤٢١ هـ / ٢٠٠٠ م

الإهداء

إلى أبي وأمي وأسرة أسدي الحظاء بالمزيب من كعائليما .
إلى أخوتي زهير، سعيد، محمدا، عبد الفتاح، زايكا، علاوين الكاعر
الماتية والمعنوة .
إلى زوجتي الحبيبة زنا وفائدا وصبرها .
إلى ابنه أسلم الكاية رأة النور حلال إجازة كالك .

بسم الله الرحمن الرحيم

مناقشة رسالة ماجستير بعنوان:

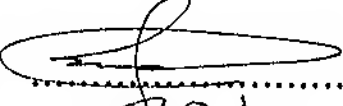

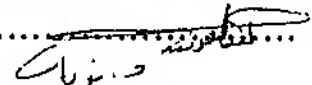
أسباب خلع السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦-١٩٠٩

إعداد الطالب : يوسف حسين يوسف عمر

إشراف الدكتور: وليد العريض

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

لجنة المناقشة:

مشرقا ورئيسا		الدكتور: وليد العريض
عضوا		الدكتور: ممدوح الروسان
عضوا		الدكتور: نوفان الحمود السواريه

الأردن

١٤٤٢هـ - ٢٠٠٠م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكراً وتقدير

الى كل من ساهم في إنجاز هذا الجهد، و أخص بالذكر: أسرة قسم التاريخ بجامعة اليرموك وفي مقدمتهم الدكتور وليد العريض الذي أشرف على هذه الرسالة بجهد وإسهاماته لإخراجها على هذه الصورة.

كما أتقدم بالشكر والامتنان إلى العاملين في مكتبة جامعة اليرموك ، والعاملين في مكتبة الجامعة الأردنية ، وخصوصا العاملين في قسم التصوير (الميكرو فيلم) ، كذلك العاملين في مكتبة جامعة آل البيت، ومؤسسة شومان

كما ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الاخوة الأتراك:

Ali Mehmet Demir

علي محمد دمير

Osman Kasim Gökçen عثمان قاسم كوكجان

على ما بذلاه من جهد في هذه الرسالة خلال الترجمة من اللغة التركية إلى اللغة

العربية.

قائمة الاختصارات

المختصرات العربية	المختصرات الأجنبية
م. مجلد	Ency. Encyclopaedia دائرة معارف
ك. كراس	Kisim قسم (بالتركية)
ج. جزء	Cilt مجلد (بالتركية)
ق. قسم	Vol. مجلد
ط. طبعة	Loc. cit., المصدر أو المرجع والصفحة نفسها
ص. صفحة	Ibid., المصدر أو المرجع نفسه

الفهرس

الصفحة

الموضوع

الإهداء

شكر وتقدير

المقدمة

١

٦٢-١

الفصل الأول: أحوال الدولة العثمانية الداخلية والخارجية.

أ- أحوال الدولة العثمانية الداخلية.

١

١- شخصية السلطان عبد الحميد.

١٥

٢- مؤسسة القصر.

١٧

٣- الإصلاحات الداخلية

٢٢

٤- الأقليات.

٣٠

٥- مشكلة القروض.

ب- أحوال الدولة العثمانية الخارجية.

٣٤

١- الامتيازات الأجنبية.

٣٧

٢- التنافس الدولي وظهور المسألة الشرقية

٥٤

٣- حروب الدولة العثمانية.

٩٤-٦٣

الفصل الثاني: نشأة جمعية الاتحاد والترقي ونشاطها.

٦٣

١- جذور تركيا الفتاة.

٦٧

٢- نشأة جمعية الاتحاد والترقي ونشاطها.

الصفحة

الموضوع

١٤٩-٩٥

الفصل الثالث : الدولة العثمانية واليهود.

أ- يهود الدونمة والدولة العثمانية.

٩٥

١- ماهية يهود الدونمة والتعريف بهم.

١٠٣

٢- علاقة جمعية الاتحاد والترقي بيهود الدونمة.

ب- الماسونية والدولة العثمانية

١٠٦

١- ماهية الماسونية والتعريف بها.

١١٢

٢- علاقة جمعية الاتحاد والترقي بالماسونية .

ج- الصهيونية والدولة العثمانية.

١٢٤

١- ماهية الصهيونية .

١٣٢

٢- السلطان عبد الحميد والصهيونية.

١٤٧

٣- جمعية الاتحاد والترقي والصهيونية.

٢١٠-١٥٠

الفصل الرابع: ثورة ١٩٠٨.

١٥٠

١- مجريات ثورة ١٩٠٨.

١٦٤

٢- أحداث مارس وخلع السلطان عبد الحميد ١٩٠٩.

١٨٩

٣- النتائج المباشرة لثورة ١٩٠٨ وخلع السلطان عبد الحميد ١٩٠٩ .

٢١١

الخاتمة.

٢١٣

الملاحق.

٢٣٠

قائمة المصادر و المراجع.

المقدمة.

حظيت الدولة العثمانية باهتمام بالغ من قبل الدول الأوروبية الغربية في عدة نواح منها : السياسية والاقتصادية والعسكرية والاستراتيجية، وذلك بسبب ما تمثله هذه الدولة من تصور أوروبي بأنه في حالة ضعفها ، فإنهم سيفوتون عليها فرصة ازدهارها. كذلك الأمر من الناحية الاقتصادية حيث كان الأمر يوجب عليهم عدم التهاون في المسائل الهامة التي يمكن جنيها من وجود شعب كبير وأرض واسعة ، كثيرة الخيرات ، متنوعة التضاريس والموارد. ومن الناحية العسكرية والاستراتيجية، فقد كانت الدول الأوروبية تنظر إليها على أنها تمثل موقعا جغرافيا يمتاز بملازمته لحدودها. وفيما بعد أصبحت الدولة العثمانية تمثل العقبة التي تقف أمام أطماع أوروبا. ولقد كان عهد السلطان عبد الحميد نموذجا واضحا لتلك العلاقة بين الدول الأوروبية والدولة العثمانية، حيث يعتبر عهد هذا السلطان من أهم العهود التي عاشتها الدولة العثمانية وأشدّها خطورة ،ذلك أن عهده شهد تغيرات داخلية وخارجية ،كان أثرها واضحا عليه وعلى دولة العثمانية، خصوصا بعد توليه الحكم من ١٨٧٦-١٩٠٩م وهي الفترة التي كان فيها السعي الحثيث لخلع السلطان عبد الحميد عن العرش.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في أنها محاولة جادة لدراسة فترة حكم السلطان عبد الحميد ،ومعرفة الظروف السياسية المحيطة به داخليا وخارجيا، وخصوصاً منذ ظهور جمعية الاتحاد والترقي، ونشاطها الداخلي والخارجي، وعلاقتها بالقوى الأوروبية واليهودية العالمية بجميع مؤسساتها والأشكال التي عبروا فيها عن أنفسهم من ماسونية ودونمة وصهيونية.

أما الهدف من اختيار هذه الدراسة ،فيكمن في إضافة رسالة الى مجموعة الكتب عن السلطان عبد الحميد ،التي إن قورنت بالكتب الأجنبية تعتبر قليلة ،وذلك في محاولة لتوضيح أهم الأحداث التي أدت إلى ثورة ١٩٠٨ ضد السلطان عبد الحميد، ومن ثم خلعها عن العرش سنة ١٩٠٩، كما وتأتي هذه الدراسة للإجابة على عدة أسئلة منها:

- ما هي الظروف الداخلية والخارجية التي وجد فيها السلطان عبد الحميد وأدت إلى خلعها؟
- ما هي العوامل التي أدت إلى خلع السلطان عبد الحميد؟
- هل كانت جمعية الاتحاد والترقي تعبر عن الأمن القومي التركية أو العثمانية؟
- هل كانت قرارات جمعية الاتحاد والترقي قرارات تركية أو عثمانية؟
- ما مدى مساهمة القوى الأجنبية المختلفة مع جمعية الاتحاد والترقي في خلع السلطان عبد الحميد ؟

- ما هي نتائج ثورة ١٩٠٨ وخلع السلطان عبد الحميد عن العرش ١٩٠٩؟

وأما الدافع على كتابة هذه الدراسة، فيمكن في توفر مؤلفات كثيرة كتبت باللغات الأجنبية عن السلطان عبد الحميد، لكن هذه المؤلفات قد غزاها التعصب الديني و القومي في كثير من الأحيان، ومن أمثلتها كتاب: ألما وثلن (Alma wittlin) في مؤلفها. عبد الحميد الثاني ظل الله على الأرض، السذي احتوى في كثير من صفحاته على مغالطات تاريخية واضحة، أوجبت الحذر في استقاء المعلومات منه . كذلك كتاب ماري ملز باتريك في مؤلفها: سلاطين بني عثمان الخمسة، الذي يحتوي كذلك على أخطاء تاريخية واضحة، وتحامل على الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد، باعتباره حاكماً رجعياً يعمل جل جهوده ويكرس كافة إمكانياته لمنع الشعب من التعلم . ومن المؤلفات العثمانية .خواطر نيازي أو صحيفة من تاريخ الانقلاب العثماني الكبير، مؤلفه : أحمد نيازي الرسة لي ، الذي كان منوئاً للسلطان ، بل وقائد الثورة التي قامت بها جمعية الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨ ضد السلطان عبد الحميد ، وهذا يكفي ليكون مؤلفه من المجموعة التي يجب الحذر منها. كذلك كتاب أحمد صائب في مؤلفه :عبد الحميدك أوائل سلطنتي ، الذي يعتبر من جماعة تركيا الفتاة ، التي رفعت لواء المعارضة لسنوات عديدة .

وأما المصادر العربية التي تتحدث عن السلطان عبد الحميد، فلا تخلو من اتهامه بالظلم والاستبداد وسفك الدماء، ومحاربته لكل كلمة حرة ،وهؤلاء كانوا من المناوئين للسلطان عبد الحميد، بل وينتمون إلى أحزاب سياسية كان لها الدور الريادي في مناهضته ،ومن هؤلاء ولي الدين يكن في مؤلفه: المعلوم والمجهول ،الذي كان من المنتمين إلى جمعية الاتحاد والترقي ،كما كان مناصراً للإنجليز وسياستهم في مصر، والتي عبر عنها صراحة في مؤلفه الذي احتوى المديح لهم والذم للسلطان عبد الحميد. ولم يخطر ببال أحد من هؤلاء الذين عاصروا السلطان عبد الحميد أن يقوموا بتسجيل الأحداث بشكل حيادي لرسم صورة صادقة نسياً عنه.

وأما المؤلفات العربية الحديثة عن السلطان عبد الحميد فهي قليلة نسبياً، دون الدخول في كثير من التفاصيل عنه .وكانت هذه المؤلفات في كثير منها غير محايدة على الإطلاق، حيث غزاها التعصب القومي والحزبي، بشكل جعل الحيادية فيها أمراً ثانوياً، ورغم ذلك فقد وجدت مؤلفات تتناول السلطان عبد الحميد بنوع من التوسع في محاولة للدفاع عنه وإعادة الاعتبار له، وتفسير بعض المواقف الخلافية، ومن ذلك أورخان محمد علي، في مؤلفه: السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده. ومحمد حرب في مؤلفه: عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار ١٨٤٢-١٩٠٩ .وعبد العزيز الشناوي في مؤلفه: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها. وحسان حلاق في مؤلفه: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧-١٩٠٩ . لكن هذه المؤلفات في كثير من الأحيان لا تتناول بعض الأمور الهامة، مثل نشأة ونشاط جمعية الاتحاد والترقي بنوع من التوسع وخصوصاً نشاطها في أوروبا والأقطار العربية وعلاقتها باليهودية. كما أن اعتماد هذه المؤلفات قليل على المصادر الأساسية والهامة سواء كانت عربية أو أجنبية .

وسيتم خلال هذه الدراسة اتباع الطريقة الوصفية في معالجة الموضوعات مما يساعد على فهم الأمور بشكل أسهل، وجعلها أكثر مرونة ووضوحاً.

ومما شجعني على الكتابة في هذا الموضوع، هو الرغبة الذاتية في البحث عن هذه الشخصية، التي أثارت جدلاً قوياً على المستوى العثماني المحلي والعربي والأوروبي، والوقوف على الظروف السياسية التي تولى فيها حكم الدولة العثمانية وعلاقاتها الداخلية والخارجية سواء كانت مع شعوب دولته، أو مع القوى الأوروبية، وتعامله مع المعارضة السياسية والعسكرية بأشكالها حتى خلعه من منصبه. كذلك توفر العديد من المصادر الأساسية لهذه الدراسة، سواء كانت أجنبية أو عربية، الأمر الذي ساعد على إثراء الدراسة بالمعلومات.

ومن الصعوبات التي واجهتني خلال هذه الدراسة، قلة توفر المصادر والمراجع الحيادية أو التي تنصف السلطان عبد الحميد، سواء كانت باللغة العربية أو الأجنبية، بل إن تعصب العديد من المؤلفات ضده، وعدم اتفاق كثير منها حول نقاط معينة كان يوقع الإرباك في اختيار المادة العلمية التي يمكنها خدمة هذا الموضوع.

وتنقسم هذه الدراسة إلى أربعة فصول.

الفصل الأول بعنوان : أحوال الدولة العثمانية الداخلية والخارجية .

يتناول هذا الفصل هذه الأحوال قبل وبعد تولي السلطان عبد الحميد حكم الدولة العثمانية، حيث تم التركيز على المواضيع ذات التأثير المباشر على الدولة وعلاقاتها الداخلية، مثل شخصية السلطان عبد الحميد، وظروف توليه حكم الدولة العثمانية والأحداث التي كانت خلال هذه الفترة والتي أثرت على حكمه. كذلك مؤسسة القصر، والإصلاحات الداخلية، ومسألة الأقليات ودورها في السياسة العثمانية، مثل المسألة البلغارية والمسألة الأرمنية. ثم مشكلة القروض، التي كانت بين الدولة العثمانية والدول الأوروبية، وأثرها على نمط العلاقة بينهما.

أما الأحوال الخارجية : فقد تعرضت فيها للامتيازات الأجنبية ومراحلها وأثرها على الاقتصاد العثماني. والتنافس الدولي وظهور المسألة الشرقية، حيث تم البحث في أصل هذه المسألة والمراحل التي مرت بها، وسياسة السلطان عبد الحميد المضادة التي تمثلت بسياسة الجامعة الإسلامية، وأهدافها والطرق التي اتبعها السلطان من أجل هذه السياسة، خصوصاً فيما يتعلق بالسكك الحديدية، مثل خط سكة حديد بغداد وخط سكة حديد الحجاز، وفوائد هذه الخطوط، وأثرها على الشعوب الإسلامية وعلى الدولة العثمانية، وما أثارته من عداوة. كذلك تم التطرق إلى حروب الدولة العثمانية خصوصاً الحرب مع روسيا، ابتداء من أسباب الحرب مروراً بمعاهدة سان ستيفانو، حتى مؤتمر برلين، وذيول هذه الحروب على الدولة العثمانية، والموقف منها وازدياد التنافس الأوروبي عليها بعد اختلاف مصالحهم، بالإضافة لذلك فقد تم البحث في الحرب اليونانية العثمانية ونتائجها وأثرها على الدولة العثمانية وعلى الشعوب الإسلامية.

الفصل الثاني بعنوان : نشأة جمعية الاتحاد والترقي ونشاطها.

تم البحث في بداية هذا الفصل في نشأة جمعية الاتحاد والترقي ونشاطها، حيث تم التطرق إلى جذور جمعية الاتحاد والترقي، التي كانت على يد شناسي ومصطفى فاضل ونامق كمال، ثم النشأة الحقيقية لهذه الجمعية، التي كانت على يد إبراهيم تيمو مع العديد من زملائه في المدارس والكلية

الحربية، وموقف الدولة من هذه الجمعية، والمراحل والأطوار التي مرت بها، وكيفية تعامل السلطان عبد الحميد معهم من حيث السياسة التي اتبعها ضدهم، وصولاً إلى تجدد نشاطهم في مناطق عدة، والمحاولات الانقلابية التي حاولوا القيام بها، ونشاطها المكثف في عدة عواصم عالمية مثل باريس وجنيف والقاهرة، والحوافز والمعوقات التي اعترضتها هناك، وموقف هذه الدول من هذا النشاط، كذلك الخلافات التي نشأت داخل الجمعية وعودة العديد من زعمائها إلى استانبول، والالتزام بسياسة الدولة. ثم هروب داماد محمود باشا، صهر السلطان عبد الحميد الذي أعطى قوة استثنائية لجمعية الاتحاد والترقي، ودور ابنه البرنس صباح الدين ولطف الله في هذه الجمعية من حيث ترتيبهم لعقد مؤتمرات عامة لها، ثم قيادتهما حركة الانشقاق داخل هذه الجمعية.

الفصل الثالث بعنوان : الدولة العثمانية واليهود.

تم في هذا الفصل البحث في حقيقة يهود الدولة، حيث تم التعريف بهم وبماهيته وأصولهم وعاداتهم وتقاليدهم، وصولاً إلى موقف الدولة منهم، وما حققوه من نفوذ داخل الدولة، ثم علاقتهم بجمعية الاتحاد والترقي، والحجم القيادي الذي مثله داخل هذه الجمعية. كما تم البحث كذلك في المأسونية، حيث تم تعريفها والبحث في نشأتها، وموقفها من الدين والسياسة، وموقف السلطان عبد الحميد منها، ثم علاقتها بجمعية الاتحاد والترقي، والطرق التي اتبعتها معاً لتحقيق أهدافها، كذلك الأمر بالنسبة للحركة الصهيونية، حيث تم التعريف بها، ونشاطها لدى السلطان عبد الحميد، وموقفه منها ومن قراراتها وتصوراتها التي أقرت في المؤتمرات الصهيونية، ثم علاقة هذه الحركة بجمعية الاتحاد والترقي حتى قبل ثورة ١٩٠٨.

الفصل الرابع بعنوان : ثورة ١٩٠٨.

تم التطرق في هذا الفصل إلى قيام جمعية الاتحاد والترقي بثورة ١٩٠٨، والتحديات والظروف التي أدت بها إلى القيام بهذه الثورة، وقادة هذه الثورة، وموقف السلطان عبد الحميد تجاهها، وتصرفه نحوها، وموقف الدول الأوروبية والولايات العربية منها، وصولاً إلى نجاحهم في السيطرة على زمام الأمور في الدولة العثمانية، وتسلمهم مقاليد الأمور، كما تم البحث في سبب خلع السلطان عبد الحميد بعد ثورة ١٩٠٨ مباشرة رغم نجاح الجمعية الكبير في تحييده عن أعمال الإدارة السياسية للدولة، ثم مدى تحقيق جمعية الاتحاد والترقي لوعودها وبرامجها ونداءاتها التي طالما طالبت السلطان عبد الحميد بتطبيقها، والتي من أجلها رفعت لواء المعارضة السياسية والعسكرية. وصولاً إلى الثورة المضادة، التي عرفت باسم أحداث ٣١ مارس، والأسباب التي أدت إلى قيامها، والتي كان نهايتها زحف جيش الجمعية الذي عرف باسم جيش الحركة من سلانيك إلى استانبول وخلعهم السلطان عبد الحميد بفتوى من شيخ الاسلام.

ثم بعد ذلك تم البحث في النتائج المباشرة لثورة ١٩٠٨ وخلع السلطان ١٩٠٩، وموقف الدول الأوروبية من ذلك وازدياد النشاط والنفوذ الصهيوني والماسوني داخل الدولة العثمانية وفي فلسطين، من حيث إقامة الجمعيات والمؤسسات المختلفة والصحف والمجلات، وانعكاس تولي جمعية الاتحاد والترقي الحكم على

ازدياد هجرة اليهود الى فلسطين بدون قيود، واستملاكهم الأراضي، والتهاون في تطبيق القوانين الخاصة بذلك، بل ومجاهرة بعضهم بتأييده للهجرة الى غير ذلك من الأحداث التي سيتم مناقشتها خلال هذه الدراسة .

ثم يأتي بعد ذلك دور السلطان عبد الحميد الثاني ليفسر لنا سبب خلعه، وتتبع ذلك الامر حتى عزله في سلانيك وأماكن أخرى وصولاً الى مرضه ووفاته.

المفصل الأول

٦٢-١

أحوال الدولة العثمانية الداخلية والخارجية.

أ- أحوال الدولة العثمانية الداخلية.

- ١ - شخصية السلطان عبد الحميد.
- ١٥ - مؤسسة القصر.
- ١٧ - الإصلاحات الداخلية.
- ٢٢ - الأقليات.
- ٣٠ - مشكلة القروض.

ب- أحوال الدولة العثمانية الخارجية.

- ٣٤ - الامتيازات الأجنبية.
- ٣٧ - التنافس الدولي وظهور المسألة الشرقية.
- ٥٤ - حروب الدولة العثمانية.

الفصل الأول

أحوال الدولة العثمانية الداخلية والخارجية

أ- أحوال الدولة العثمانية الداخلية.

١- شخصية السلطان عبد الحميد الثاني.

ميلاده ١

ولد السلطان 'عبد الحميد' في الساعة الخامسة من يوم ١٦ شعبان ١٢٥٨هـ / ٢٢ أيلول ١٨٤٢م، وهو الولد الثاني للسلطان 'عبد المجيد' (١) بعد السلطان 'مراد الخامس' (٢)، وأمه هي 'تيريموجكان قلدين' (٣) (Tirimüjgan) وكعادة السلاطين أقيمت كافة مظاهر البهجة والفرح في كافة أرجاء الدولة لمدة سبعة أيام 'البشارة' احتفالاً بهذه المناسبة (٤).

(١) السلطان عبد المجيد، هو السلطان الحادي والثلاثون في سلسلة سلاطين بني عثمان، ولد في ١٤ شعبان ١٢٣٧/٦ أيار ١٨٢٢، تولى أمر السلطنة وعمره سبعة عشرة سنة، شهد مؤتمر لندن ومعاهدة ١٥ تموز ١٨٤٠ بين محمد علي باشا والدول الأوروبية من أجل عودته إلى حدوده الأولى. وفي عهده اندلعت المذابح بين الكاثوليك الموارنة والدروز في لبنان، كما نشبت حرب القرم عام ١٨٥٣. وقد وقعت للدولة العثمانية في عهده على معاهدة باريس بخصوص حقوق الأقليات عام ١٨٥٦، وتوفي في ٦ حزيران ١٨٦١.

لمزيد من التفاصيل عن السلطان عبد المجيد أنظر -

محمد فريد بك المحامي. تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق، إحسان حقي، (ط ٦، بيروت: دار النفائس، ١٩٨٨) ص ٤٥٥-٥٢٩.

(٢) عائشة عثمان أوزلي. والدي السلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة، صالح سعداوي صالح، (عمان: دار البشير للنشر، ١٩٩١)، ص ١١. - لمزيد من التفاصيل عن السلطان مراد الخامس أنظر الفصل الثاني والثالث.

(٣) تيريموجكان: (١٨١٩/٨/١٦-١٨٥٢/١٠/٣)، هي الزوجة الرابعة للسلطان عبد المجيد، شركسية الأصل كزوجات أكثرية سلاطين بني عثمان المتأخرين. من قبيلة الشابسوغ. رفعت عام ١٨٤٩ إلى رتبة الزوجة الثالثة. توفيت ابنها نعيمة قبل ولادتها للسلطان عبد الحميد وعمرها عامين ونصف بمرض الجدري (١٨٤٠/١٠/١١-١٨٤٣/٥/١). عاش ابنها عابد الذي ولدته بعد ذلك ١٥ يوما (١٨٤٨/٤/٢٢-١٨٤٨/٥/٧). كانت تيريموجكان نحيفة البنية، خضراء العينين، ذات شعر أصفر فاتح. ماتت بمرض السل وسنها ٣٣ عاماً، ودفنت في مقبرة مراد الخامس في بني جامع. لمزيد من التفاصيل أنظر: يلماز أوزتونا. تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة، عدنان محمود سلمان (ط ١)، استانبول: منشورات فيصل للتمويل، ١٩٩٠، ج ٢، ص ٩٥.

(٤) عثمان أوزلي. والدي، ص ١١.

ولقد أطلق أعداء السلطان 'عبد الحميد' كثيراً من الشائعات والأكاذيب حول نسب أمه، تحذوهم الرغبة في إظهاره بمظهر الوريث غير الشرعي لعرش السلطنة، حيث ادعوا أن والدته جارية أرمنية، وما إلى ذلك من التشكيك^(١).

ومن هؤلاء كان المؤرخ 'أحمد صائب' الذي قال: " أنها دخلت خدمة القصر دون حاجة لذلك وأتخذت لقب جارية غير مرغوب فيها"^(٢)، ولكن 'محمود كمال اينال' وصف إدعاء 'أحمد صائب' هذا بأنه بعيد عن الصحة وهذيان، وقد اتهم 'أحمد صائب' بأنه من جماعة 'تركيا الفتاة'، وإن ما ورد في مؤلفه من أقوال يعتبر ثيء ليس له قيمة^(٣).

ويعتبر كتاب 'أحمد صائب' هذا مصدراً مهماً للباحثين في فترة السلطان 'عبد الحميد'، والحقيقة أن والدته السلطان 'عبد الحميد' كانت شركسية من فرع قبيلة 'الشابسوغ'، ولدت في قفقاسيا ودخلت بين جوارى السلطان 'عبد المجيد'^(٤).

نشأته وطفولته .

كان السلطان 'عبد الحميد' يتميز بذكاء وفطنة ، كما كان ماهراً في إخفاء مقاصده وأفكاره عن الآخرين، ولا يتوانى أبداً في أداء الواجبات الدينية، حذراً ،كتوماً جداً ،قليل الكلام كثير الإصغاء ،ولوعاً جداً بتمحيص أخلاق البشر والنفوذ الى نقاط ضعفهم .من الصعب جداً أن يغشه أحد . كان أبوه يقول له عند تودده إليه: " ابني الشكاك الصامت"^(٥) .وكان في طفولته يحب العزلة، ولقد توفيت أمه في ١٨٥٢/١٠/٣ على أثر أصابتها بمرض السل وهو في سن العاشرة من عمره^(٦) . ولقد قام السلطان 'عبد المجيد' بإخفاء هذا الخبر عن ابنه، إلا أن هذا الأمر لم يكن يستمر طويلاً حيث استدعاه السلطان 'عبد

(١) أنظر: أورخان محمد علي . السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده، (ط١، العراق: دار الآثار، ١٩٨٧)

ص ٨٣.

(٢) أحمد صائب . عبد الحميدك أوائل سلطنتي، (إيكنجي طبعي، القاهرة: هندية مطبعة مندة طبع أولنمشدر، ١٣٢٦هـ)،

ص ٤-٥.

(٣) Mahmut Kemal İnal. *Son Sadrazamlar* (İstanbul, 1982) C.III, p.1266.

(٤) Loc. cit.

- ومن المؤلفات التي تتحدث عن أصول والدته السلطان وتؤكد أنها شركسية من جورجيا وليست أرمنية

- Elizabeth Norneley Latimer . *Russia and Turkey in the Nineteenth Century* (Chicago: AC Mac Clurg & C.O., 1967), p.341.

- Süleyman Kacabaş . *Sultan II Abdülhamid Şahsiyeti ve Politikası* (İstanbul: 1995) p.15.

(٥) أوزتونا . تاريخ ، ج ٢ ، ص ٩٥ .

(٦) İsmail Hami Danişmand . *Osmanlı Tarihi Kronolojisi* (İstanbul: 1972), Vol. IV, p.285.

المجيد' وقام بتقبيله من خديه قائلاً له: " لا تبك يا بني، فلا اعتراض على أمر الله، وأنا أبوك وأمك في آن واحد" ^(١).

وكان السلطان 'عبد الحميد' يتحدث عن أمه بقوله "أمي المسكينة تركتنا وهي في سن الشباب، خيالها أمام عيني دائماً، لن أنساها ما حبيت، فقد كانت تحبني كثيراً، وكانت تجعلني اجلس أمامها طوال مرضها، وحسبها أن تنظر إلى ولم تكن ترضى لنفسها أن تقبلي رحمة الله عليها" ^(٢). وذلك بسبب مرضها المعدي.

وبعد وفاة والده السلطان 'عبد الحميد' تولت 'برستو قادين أفندي (Pristo Kadin Efendi) الزوجة الرابعة للسلطان 'عبد المجيد' تربيته، حيث أنها لم تكن قد رزقت بولد، فقامت بتربيته تربية حسنة ^(٣). وعندما تولى السلطان 'عبد الحميد' عرش الدولة كان مؤمناً بضرورة عدم تدخل نساء القصر في شؤون الدولة لأنه من شأن ذلك أن يسفر عن نتائج غير طيبة، فكان أول ما فعله في اليوم التالي أن قام بتقبيل يد مربيته 'برستو قادين' قائلاً لها: "إنني لم أشعر في يوم من الأيام بحرمانني من والدتي، وأنت بنظري مثلها تماماً، لا فرق بينكما، إن مكانتك هي مكانة 'والدة سلطان' ^(٤). وسوف يكون من حقلك استخدام كل صلاحيات والدة في السراي، غير أنني أرجو منك بصورة خاصة أن تتجنبي أبداً التدخل في شؤون الدولة، فتسعين لحماية هذا أو ذاك، وتساعدي الطامعين في الرتب" ^(٥). كما قال: "لو كانت أمي على قيد الحياة ما كان بوسعها أن ترعاني أكثر مما رعيتي هي" ^(٦). ولقد ظلت 'برستو قادين' حتى وفاتها وفيه لطلب السلطان 'عبد الحميد'.

ويعتقد أن سياسة السلطان 'عبد الحميد' تجاه نساء القصر كانت ردة فعل بسبب إحساسه بأن والدته لم تأخذ حقها بين نساء القصر الأخريات، ومعاملة والده السيئة له، وتفضيل أخيه 'مراد' عليه، مما دفعه إلى عدم الثقة بأحد وبمركزية الحكم.

شباب السلطان عبد الحميد .

كان السلطان 'عبد الحميد' متوسط القامة، يميل شعر رأسه ولحيته إلى اللون الكستنائي الغامق، كثيف شعر الرأس إلا في قمته، وكان محدب الأنف بالشكل الذي يحمل سمته بني عثمان، وعينه شهباء و بين الزرقة والخضرة تحيط بهما بعض الحلقات، وكانت نظراته تتم عن الذكاء والحساسية، كما كان

(١) عثمان أوغلي. والدي، ص ٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٦؛ محمد علي. السلطان، ص ٨٥.

(٣) عثمان أوغلي. والدي، ص ٦٨-٧٣.

(٤) أي والدة السلطان - أو السلطانة والدة.

(٥) المصدر نفسه، ص ٦٨-٦٩.

(٦) المصدر نفسه، ص ٧٦-٧٧؛ أوزتونا. تاريخ، ج ٢، ص ٩٥.

صوته جهورياً قوياً، قادراً على شرح أفكاره ومراميه بأفصح العبارة^(١) كما كان من عاداته النوم والاستيقاظ مبكراً، حيث ينهض قبل طلوع الشمس، ويدخل الحمام للاغتسال^(٢) إلى جانب العديد من الأعمال الاعتيادية.

وكان السلطان 'عبد الحميد' يحب بطبعه حياة الانزواء، وكان يحس فيها بطعم الراحة ويعود ذلك إلى نشأته في ظروف خاصة، مثل التعليم الذي يلعب دوراً هاماً وخصوصاً في هذه التربية^(٣). ويقول في ذلك السلطان 'عبد الحميد': 'علمهم ينسون الظروف التي نشأت وترعرعت فيها، لقد عاش اخوتي من بنين وبنات حياة مليئة بالعطف والدلال بينما كان أبي يعاملني معاملة سيئة وقاسية، لأسباب أجهلها. لم يعطف علي سوى أخي 'مراد' المسكين، كانت حياتي منذ بدايتها متسمة بالجدية ما أحببت اللعب أبداً، بدأت أفكر بالكون والوجود وأنا في مقتبل العمر، وكان حبي للخيال سبباً في تعرضي لجزر اساتذتي، وتكدير والذي وقد أدى عدم تفهم الناس لأفكاري إلى انطوائي على نفسي انطواءً كاملاً^(٤). وهذا يدل على أن السلطان 'عبد الحميد' حرم من أبيه، وهو الشيء الذي كان يتمتع به اخوته، الأمر الذي استطاعت تعويضه به مربيته 'برستوقادين أفندي'، كما توضح أن السلطان كان له شخصيته المميزة وعقليته التي لا تعرف إلا الجدية منذ الصغر، والابتعاد بشكل كلي عن اللعب واللهو، الأمر الذي سيكون له انعكاسه على السلطان 'عبد الحميد' بعد توليه الحكم.

ولم يتلق السلطان 'عبد الحميد' القدر الكافي من التعليم في القصر^(٥)، ولهذا السبب لم يكن تحصيله العلمي جيداً ولذلك حاول تنقيف نفسه بنفسه، ويقول في ذلك: 'لم يكن والذي مهتماً بتربية أولاده، وإن حياته كأمير داخل القفص^(٦) كانت مسألة صعبة، ومن سوء الطالع، ولهذا أفقدته إحساسه بالإنسانية، ولم استطع إضافة شيء على ما علمني إياه أساتذتي من الموسيقى والتاريخ وجودة الخط والفارسية والعربية والآداب العثمانية والمعلومات الدينية والدروس عن الاجداد، ولم يعلمني أساتذتي شيئاً عن الغرب، ولم يتقننا أحد في هذا الموضوع، ولهذا السبب قررت أن أعلم نفسي بنفسي'^(٧).

(١) عثمان أوغلي. والذي، ص ٦٣.

(٢) المصدر نفسه، ص ٧٧.

(٣) السلطان عبد الحميد الثاني. مذكراتي السياسية ١٨٩١ - ١٩٠٨ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٧)، ص ٢٠٩.

ومذكرات السلطان عبد الحميد الثاني هي الترجمة الحرفية للأصل التركي بعنوان:

Sultan Abdülhamit. Siyasi Hatıratım (İstanbul: Hareket Yayınları, 1974)

(٤) المصدر والصفحة نفسها.

(٥) İnal. Son Sadrazamlar, p.1264.

(٦) القفص: استعمل هذا المصطلح كتعديل كفي لقانون قتل الأخوة الذي اختطه السلطان بايزيد الأول وتحول إلى قانون ثابت في عهد السلطان محمد الفاتح، حيث تم التخلي عن القتل، ويقوم السلاطين بدلا من ذلك بوضع جميع الأمراء - عدا أبناء السلطان الحاكم - في القصور السلطانية مع تشديد الحراسة عليهم، وذلك خوفاً من أن يستهويهم الحكم فيقومون بما لا يرضاه السلاطين القابضين على زمام الأمور.

حسن الضيقة. للدولة العثمانية الثقافة المجتمع السلطة (ط١، بيروت: دار المنتخب العربي للدراسات والنشر، ١٩٩٢)،

ص ٧٦-٧٧.

(٧) Michel de Grece. II Abdülhamid Yıldız Sürgünü (İstanbul: Bayladi, 1995), p.27.

وقد تكون للعزلة التي أوجد فيها للسلطان 'عبد الحميد' نفسه أثراً في حب القراءة، حيث كان يقرأ بانتظام جريدة 'حوادث' و 'تصوير أفكار' و 'بصيرت' كما كان يطلع على الصحف الغربية وكان يذهب ويستعير الكتب ويدعو بعض الكتاب إلى القصر ويناقش معهم بعض الموضوعات^(١). وبالإضافة إلى ذلك كان السلطان 'عبد الحميد' يحضر دورساً مع أخيه السلطان 'مراد' الذي يكبره بسنتين في مواضيع مختلفة، فعلى سبيل المثال: تعلم الأبحان الموسيقية الشرقية التركية على يد 'عمر أفندي' واللغة الفارسية من 'علي حجوي أفندي' وعلوم أخرى مع العربية من 'فريد أفندي' و 'شريف أفندي' والتاريخ العثماني من المؤرخ 'لطف أفندي'^(٢) والفرنسية من 'أدهم أفندي' ومن 'الرمينيوس فامبري'^(٣) (Arminius Vambery) والموسيقى الفرنسية من شخص يدعى 'جاردي' (Gardet) كما تعلم الموسيقى أيضاً من موسيقيين إيطاليين يدعيان 'جواتيلي' (Guatelli) و 'لومباردي' (Lombardi)^(٤). وكان السلطان 'عبد الحميد' يقول: "كنت قد شغفت بالعزف على البيانو في شبابي، وكان أبي قد احضر من أوروبا آلة بيانو لكل أمير من الأمراء ودعا إلى السراي مدرسي الموسيقى من الإيطاليين والفرنسيين، وكان المعلم الفرنسي 'الكساندر أفندي' (Alexander Efendi) قد عينوه لي مدرساً، وقد عملت على العزف مدة طويلة، ولكن الحياة للأسف لم تدع لي الفرصة حتى اخصص للموسيقى وقتاً، على الرغم من حبي الشديد لها"^(٥)، كما شغف السلطان بالنجارة منذ أيام والده، حيث كان والده السلطان 'عبد المجيد' شغوفاً هو الآخر بهذه الصنعة، وكانت أدوات النجارة الخاصة به في حوزة السلطان 'عبد

(١) أنظر - عثمان أوغلي، والدي، ص ٩٠-٩١. Orhan kologlu. *Abdülhamid Gerçeği* (İstanbul, 1987), p.43.

(٢) أحمد لطف أفندي : مؤرخ مشهور. من كتاب الوقائع ومؤرخي الدولة العثمانية الرسميين ، له كتاب مشهور عرف بتاريخ لطف . لمزيد من التفاصيل، أنظر - وليد العريض . "كتاب الوقائع في الدولة العثمانية في القرنين الثامن و التاسع عشر" . بحث غير منشور .

(٣) ارمنيوس فامبري . ١٨٣٢ - ١٩١٣ ، مستشرق ورحالة يهودي مجري ، عمل في استانبول سكرتيراً لفؤاد باشا وأسلم منذ ١٨٥٧ ، تجول في أواسط آسيا ١٨٦١ - ١٨٦٤، ثم ذهب إلى بودابست وعمل أستاذاً للغات الشرقية في جامعتها إلى أن تقاعد عام ١٩٠٥ . صديق شخصي للسلطان عبد الحميد والملك إدوارد السابع . لمزيد من التفاصيل Mim Kemal Öke. *Gizli Belgelerle II Abdülhamid Devri ve İngiliz Ajani Yahudi Vambery Saraydaki Casus* (Istanbul: 1983) p.84.

ولقد ترجم الدكتور "وليد العريض" هذا الكتاب بعنوان "جاسوس في قصر السلطان" وهي ترجمه مخطوطة لم تطبع بعد. أنظر كذلك Encyclopaedia Judaica (Jerusalem :Keter Publishing House , 1978) Vol. 1, P.65-66.

(٤) Danişmand. *Osmanlı*, p.285.

(٥) عثمان أوغلي، والدي، ص ٨٥.

الحميد' فيما بعد، ثم أضاف عليها آلات حديثة استحضرها من أوروبا، وكثيرا من الأثاث والمصنوعات المطعمة بالصدف من عمله كانت محفوظة في قصر 'يِلدز' (١).

وهذا يدل على اعتماد السلطان على نفسه لعلمه أن أساس الأزمات في الدولة العثمانية نابع من قعود الرجل العثماني عن العمل والابداع، حيث تعود ان يبقى سيّدا يأمر غيره بقضاء حاجاته (٢)، وبالإضافة لذلك كان مهتما بركوب البحر والسباحة وركوب الخيل، واستخدام العربية كما كان يهوى التجديف واستخدام المراكب الشراعية، وإطلاق النار، والخروج للصيد واللعب بالسيف وكان من شدة حبه للتجديف وقيادة المراكب الشراعية، أن قام السلطان 'عبد العزيز' بمنعه من الذهاب إلى قصر 'طارابيا' وذلك عندما أخبر بنزول ابن أخيه 'عبد الحميد' كل يوم إلى البحر، وقام بإعطائه بدلا من ذلك قصر 'ماصلاك'، حيث اهتم هناك بأمور الزراعة (٣). وإلى جانب الزراعة اهتم بتربية الأغنام والأبقار، وجلب الزهور المختلفة من أوروبا، وجعل قسما من الحديقة لتربية الزهور والاهتمام بها، كما كان محبا للمطالعة (٤).

ويمكن القول ان السلطان 'عبد الحميد' كان يختلف في حياته الخاصة في الطعام والشراب والنوم وطرز الادارة، وخصوصا فيما يتعلق بميزانيته، فقد كان مقتصدا في مصاريفه لإيمانه باستمرارية الحياة والمستقبل، لذلك فقد كان وضعه المالي جيدا على عكس باقي الأمراء، لذلك اتهم بالبخل، كما كان يفضل وضعه المالي وحرصه يقوم بإقراض أخيه السلطان 'مراد'، وعندما كان يريد الترفيه عن نفسه يفعل ذلك بأقل التكاليف، وكان يستشير باستمرار 'زريف الصراف' في كيفية تنظيم ميزانيته، ولقد قام بدفع ٦٠ ألف ليرة من مصاريف جلوسه على العرش من جيبه الخاص، وهذا يدل على ان السلطان 'عبد الحميد' كان له سياسة وفكر اقتصادي منظم منذ شبابه (٥).

ويقول السلطان 'عبد الحميد' في ذلك: "أعلم ان بعض الناس ينعتونني بالشح فلا احتد لهذا النعت، بل اعتبره مدحا لي، أعرف كيف أنظم حساباتي، ولا احب ان القي مالي هنا وهناك إسرافا، تعلمت الأرقام وأنا في السنوات الأولى من عمري، وشهدت حياة البذخ التي كان يعيشها عمي، وشهدت عن قرب النتائج المؤسفة لهذا التبذير ... لم يحدث ان صرفت أموالا على لهو ... إنني مدين بحالتي المادية الجيدة للمحاسبة الدقيقة والاستثمار المعقول" (٦).

(١) عثمان أوغلي، والدي، ص ٨٥-٨٧.

(٢) عبد الحميد الثاني، مذكراتي، ص ٢٠٣.

(٣) عثمان أوغلي، والدي، ص ٨٧-٨٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٨٩-٩٠.

(٥) Talisn Paşa, *Abdülhamid ve Yıldız hatıraları*, (İstanbul. 1933), p.10-11.

(٦) عبد الحميد الثاني، مذكراتي، ص ٢١٦.

ظروف تولي السلطان عبد الحميد حكم الدولة العثمانية.

يتطلب البحث في ظروف تولي السلطان عبد الحميد حكم الدولة العثمانية معرفة مسبقة بالأحداث التي كانت في عهد السلطان 'عبد العزيز' حيث كان 'مدحت باشا'^(١) دور هام في سياسة الدولة العثمانية. وهناك اختلاف في أصل 'مدحت باشا'^(٢)، ويعتقد أنه يهودي الأصل وابن لحاخام مجري، وإلى ذلك ذهب الكاتب الغربي 'بين هيس' (Ben Hess)^(٣)، وكان مدحت باشا قد تمكن من إقناع السلطان 'عبد العزيز' بعزل الصدر الأعظم 'محمود نديم' ليُشغله هو نفسه في ١٨٧٢/٧/٣١، وكان ذلك لأول مرة، وكان 'مدحت باشا' معجباً بإنجلترا ونظامها، وكانت 'إنجلترا' تبادله الشعور نفسه^(٤).

ويعتبر 'مدحت باشا' من الذين جذبهم الماسونية إلى صفوفها بعد أن نفشت في الدولة العثمانية، لذلك فقد أخذ يبحث عن أولئك الذين كانوا يوماً ماسون، وبمساعدهم افتتح مدحت باشا محفلاً ماسونياً برعايته^(٥)، ومن هناك كان التخطيط الفعلي لخلع السلطان 'عبد العزيز' بمشاركة العديد من زملائه وكان على رأسهم 'حسين عوني باشا'^(٦) الذي كانت ثقته بمدحت باشا ضعيفة.

ويبين الضابط الفرنسي 'شارل مسمير' (Charles Mismer) في كتاب 'مذكرات عن العالم الإسلامي' سبب ضعف ثقة 'حسين عوني' بمدحت باشا، وذلك لأن الأخير كان يسكر كل ليلة وعندما يسكر لا يستطيع أن يسيطر على نفسه، ولا يستطيع ضبط لسانه^(٧). حيث كان 'مدحت باشا' قد أدمن على ذلك منذ شبابه، وأشتهر عليه هذا الأمر^(٨) وقد يكون للتفافس على منصب الصدر الأعظم سبب لفقدان الثقة هذه، وقد يكون سبب اتفاقهما هو المصالح المشتركة التي تعود على كليهما بخلع السلطان 'عبد العزيز'.

عندما استقر الرأي على خلع السلطان 'عبد العزيز' عقدت اتصالات سرية مع المسؤولين الفرنسيين لترتيب ذلك، ويقول المؤرخ 'نظام الدين نظيف': "... وفي باريس عقد حسين عوني بعض

(١) أحمد مدحت باشا: (١٨٢٢-١٨٨٥)، ولد في استانبول، تولى العديد من المناصب الإدارية المختلفة إلى أن أصبح وهو في الأربعين من عمره والياً على ولاية بلغاريا، ثم والياً على الدانوب، كما عين عام ١٨٦٨ والياً على بغداد، إلى جانب العديد من المناصب الأخرى. أحمد نوري النعيمي. اليهود والدولة العثمانية: (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧)، ص ١٠٣.

(٢) محمد حرب. السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار (ط١، دمشق: دار الطباعة للنشر، ١٩٩٠)، ص ٥٠.

(٣) أنور الجندي. نقطة الفكر الإسلامي في مواجهة الاستعمار، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧١)، ص ١٢٩.

(٤) محمد حرب. مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني (ط٣، دمشق: دار القلم، ١٩٩١)، ص ٢٨٣.

(٥) حسين عمر حمادة. الأنبياء الماسونية وصلتها بالمعتقد اليهودية والمسيحية (ط١، بيروت: دار الوثائق، ١٩٩٥)، ص ٣٢٣.

(٦) حسين عوني باشا. ١٨٢٠-١٨٧٦ تخرج من المدرسة الحربية ١٨٤٨ برتبة نقيب أركان حرب، وعمل مدرساً بالمدرسة الحربية، واشترك في حرب القرم، كما عمل ناظراً للمدرسة الحربية السلطانية، وعمل قائداً للجيش إلا أنه عزل ونفى إلى إسبرطة ١٨٧١ لمدة ١١ شهر، ثم صدر عنه العفو فتولى العديد من المناصب من جديد، وفي عام ١٨٧٤ عين صدرأ أعظماً لكنه عزل بعد ذلك، ثم عُيِّن والياً على أزمير، ثم اغتيل عام ١٨٧٦م. انظر حرب. مذكرات، ص ٢٧٤.

(٧) محمد علي. السلطان، ص ٦٦.

(٨) حرب. مذكرات، ص ٧٧.

الاتصالات السرية إذ ذهب مع الضابط 'شارل مسمير' إلى فرساي، واجتمع هناك مع رئيس الجمهورية المارشال 'ماكماهون' على إنفراد، وهذه الزيارة كانت خارج البروتوكول، وكانت زيارة سرية، إذ كيف يمكن لمارشال في الإمبراطورية العثمانية قد شغل منصب الصدر الأعظم أن يزور رئيس الجمهورية الفرنسية دون أن يأخذ موعداً للزيارة عن طريق السفير العثماني في باريس، ودون أن يحضر السفير ذلك الاجتماع، إلا أن يكون ذلك الاجتماع سرياً...^(١) كما أجريت كذلك اتصالات مع إنجلترا وألمانيا وكانت النتيجة الاتفاق على خلع السلطان 'عبد العزيز'.

واستطاع 'مدحت باشا' و'حسين عوني باشا' جمع عدد كاف من القيادات العسكرية والسياسية الكافية لخلع السلطان 'عبد العزيز'^(٢) حيث تمت مهاجمة قصره في 'دولمة باغجه' بعد حصولهم على فتوى من شيخ الإسلام، وقاموا بمحاصرته برا وبحرا على ظهر بارجة حربية، ثم صعدوا إليه وأبلغوه الفتوى، ومن هناك نقل إلى قصره في 'أورطه كوي'، ولم تمض ثلاثة أيام على خلع حتى أعلن عن انتحاره في ٤ حزيران ١٨٧٦، وذلك بقص شرايين يديه، بواسطة مقص، ولكن أغلب الاعتقاد أن السلطان لم ينتحر بل قتل وهذا ما ذهب إليه العديد من المؤرخين ومنهم 'نظام الدين نظيف'^(٣).

وهناك اختلاف في سبب خلع السلطان 'عبد العزيز'، إلا أن كثيراً منهم يذهب إلى أن السبب يعود إلى 'مدحت باشا' الذي قدم مطالبه الدستورية، ولما عزل السلطان 'مدحت باشا' عمل الأخير مع المعارضة السياسية في الخفاء، واستصعدوا فتوى بخلع السلطان 'عبد العزيز' من شيخ الإسلام في ١٧ جمادي الأول سنة ١٢٩٣ الموافق ٣٠ أيار ١٨٧٦^(٤).

وكان قادة الانقلاب على السلطان عبدالعزیز هم:

- ١- مدحت باشا.
- ٢- سر عسكر 'ناظر الحربية' حسين عوني باشا.
- ٣- الصدر الأعظم أي 'رئيس الوزراء' رشدي باشا المعروف 'بالمترجم'.
- ٤- ناظر البحرية أحمد باشا.
- ٥- ناظر المدارس العسكرية، سليمان باشا.
- ٦- قائد حامية استانبول مصطفى سيفي باشا^(٥).

(١) محمد علي. السلطان، ص ٦٨.

(٢) يوسف بك أصف. تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تقديم محمد زينهم محمد عزب، (ط ١، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٥)، ص ١٢٥؛ فتحية النبراوي - محمد نصر مهنا. قضايا العالم الإسلامي، مشكلاته السياسية بين الماضي والحاضر، (ط ١، الإسكندرية: منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٣)، ص ١٤٤.

(٣) محمد علي. السلطان، ص ٧٢.

(٤) النبراوي. مهنا. قضايا، ص ١٤٤؛ أصف. تاريخ، ص ١٢٥.

(٥) محمد علي. السلطان، ص ٦٣.

وبعد هذه الوفاة المريبة، ظلت عملية البحث عن أسباب الوفاة مجمدة، وعلى الاثر نصّب 'مراد الخامس' سلطاناً، الذي كان متأثراً جداً من الأحوال التي رآها قبل جلوسه، مما لا يليق حصوله لعمه السلطان 'عبد العزيز' وطريقة موته ١٨٧٦، ودخول 'حسين عوني' عليه دون استئذان، وورود الاخبار عن عصيان أهل 'البوسنة والهرسك' الذي امتد الى منطقة 'الصرب' و'الجبل الأسود' و'بلغاريا' في نفس الفترة، وغيرهما من المناطق، حيث أعلنوا العصيان المسلح على الدولة العثمانية^(١)، كذلك حادثة 'حسن جركس' أفندي في ١٦ حزيران ١٨٧٦^(٢) ذلك أن الوكلاء أي النظار عقدوا ليلاً اجتماعاً في استانبول في سرايا 'مدحت باشا' رئيس مجلس للشورى في 'طوشان طاش' وهو حي في العاصمة، فذهب 'حسن جركس' وأراد الدخول على الوكلاء فمنعه الحجاب، إلا أنه تذرّع بأهمية الموضوع الذي من أجله قدم إليهم، فذهب أحد الحجاب يستأذن، فدخل خلفه وقام بإطلاق النار بغزارة، حيث أصاب وزير الحربية 'حسين عوني' باشا برصاصتين، ثم 'راشد باشا' ناظر الخارجية فقتل، ثم أصاب بعض الوزراء المتواجدين، أما 'مدحت باشا' وبقية الوزراء فقد هربوا إلى غرفة مجاورة، وأغلقوا أبوابها^(٣). فلحقهم 'حسن جركس' قائلاً: والله لا أريد منكم غير 'مدحت باشا' ثم تكاثر عليه الحرس فأثخنوه بالجراح، واعتقلوه، وحكم عليه بالإعدام ونفذ فيه فيما بعد^(٤).

كل تلك الأحداث أوجبت حصول خلل في شعور 'السلطان مراد'، وأهتم الأطباء بعلاجه مدة فلم ينجحوا، فنتشاور الوزراء، وعلى رأسهم 'مدحت باشا'، واتفقوا على خلعه بفتوى من شيخ الإسلام الذي أفتى بأنه مخلوع شرعاً^(٥).

لقد كان 'مدحت باشا' معجباً بالحضارة الغربية، حيث درس سماتير كل من فيينا ولندن وباريس وبروكسل قبل أن يضع دستوره، كما كان على علاقة مع 'دزرائيلي' رئيس وزراء بريطانيا حيث كان قد احتك به وتأثر بمبوله وأفكاره^(٦). ومن هنا قام 'مدحت باشا' بوضع دستوره، لكن خلع السلطان 'عبد العزيز' ومرض السلطان مراد وخلعه فيما بعد حالاً دون إعلانه^(٧).

(١) Noel Barber, *The Sultans* (New York: Simon and Schuster, 1973) P. 168.

(٢) حسن جركس أفندي. هو ضابط شرطي برتبة صاع قول أغاسي كان ياورا للسلطان عبد العزيز، وقيل أن شقيقته إحدى سيدات السرايا.

(٣) Enver Ziya Karal. *Osmanlı Tarihi, İslahat Fermanı Devri 1861-1876*, (Ankara: Türk Tarih Kurumu Basımevi, 1988) Vol.7, p.360.

(٤) إبراهيم بك حليم. *التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية*، (ط١، مطبعة ديوان عموم الأوقاف، ١٩٠٥)، ص ٢١١.

(٥) انظر فتوى خلع السلطان مراد الخامس في -عثمان نوري. عبد الحميد ثاني ودور سلطنتي، حيات خصوصية وسياسة سي. (استانبول: كئانجانة إسلام وعسكري، إبراهيم حليم، ١٣٢٧هـ-)، ص ٩٩؛ صائب. عبد الحميد، ص ١١٢ حليم. *التحفة*، ص ٢١١.

(٦) ماري ملز باتريك. *سلاطين بني عثمان الخمسة*، تعريب، حنا غصن - كامل مروة - كامل صموئيل مسيحة، (بيروت: مجلة اللطائف العصرية، مطبعة صادر ١٩٢٣)، ص ١١٧.

(٧) مدحت باشا. *مذكرات مدحت باشا*، تعريب، كمال بك حتاتة (ط١، مصر: مطبعة هندية، دت١)، ص ٣٢.

ظلت أمور الدولة متردية بسبب مرض السلطان 'مراد' ، ولقد قام 'مدحت باشا' ولمدة شهرين كاملين بإدارة الأمور، ولذلك لم تقدم أوراق اعتماد سفراء الدول الأجنبية، وظلت الأمور غاية في السوء^(١) ولقد تم الاتفاق فيما بعد بين 'مدحت باشا' وأنصاره على اختيار 'عبد الحميد' سلطانا على الدولة، واشترط 'مدحت باشا' عليه أن يقبل بالدستور، واخذ عليه عهدا بخطه بأن لا يحدد عن أسلوب وطريق الدستور وأن لا يستبد برأيه^(٢).

وفي ظل هذه الأحداث - من وفاة السلطان 'عبد العزيز' في ٤ حزيران ١٨٧٦ وتنصيب السلطان 'مراد الخامس' الذي استمر حكمه قرابة ثلاثة أشهر حتى أنهم بالجنون وخلعه - تمت المناداة بعبد الحميد سلطانا على الدولة العثمانية في ٣١ آب ١٨٧٦ الساعة ١٢ . وفي ٧ أيلول ١٨٧٦ جرت مراسم تتويجه بتقليد السيف في مسجد أبي أيوب الأنصاري كما جرت عليه العادة^(٣). وهنا برزت أولى المصاعب التي واجهت السلطان 'عبد الحميد' ، وهي ضبط الأمور داخل الدولة والحد من الفتن والنزعات الفردية للحكم عند بعض الوزراء، وكبار رجال الدولة، ولكن الظروف كانت صعبة، إذ دخلت روسيا في حربها ضد الدولة العثمانية في ظل حالة من الضعف والتشرذم والانقسامات عام ١٨٧٧م.

فيما بعد وفي بعض الاجتماعات في الباب العالي للتشاور في الأحوال الداخلية والخارجية، أخرج 'مدحت باشا' قانونه الأساسي من جيبه وقام بعرضه عليهم، حيث قرروا باتفاق الآراء تبديل بعض مواد، وجعلها موافقة لروح العصر، وإناطة أمر تبديل هذه البنود بلجنة تحت رئاسة 'مدحت باشا'، وكان أعضاء الأسرة السلطانية حاضرين في هذا الاجتماع، فأعطى كل منهم نسخة من هذا القانون^(٤). واستكمل تعديل مواد القانون الأساسي الموضوع على بساط النقد حتى اجتمع المجلس العمومي المركب من الوكلاء والعلماء والأعيان، وصودق عليه بعد قراءته، وأرسل إلى السلطان لتصدر به الإرادة السنية^(٥).

وكان 'عبد الحميد' قد قرأ نسخة من هذا القانون، وقال: إن الدولة لا تخلص من مشاكلها الحاضرة إلا إذا عملت حكومتها به ، ولما جلس على العرش ، جلس وهو مصمم على إعلانه^(٦) ، حيث صدرت به إرادة سنية وأعلن في ٧ ذي الحجة ١٢٩٣ هـ / ٢٤ تشرين ثاني ١٨٧٦ ، وكخطوة أخيرة ، الفت لجنة من ستة عشر موظفا مدنيا وعشرة علماء ، وقائدين عسكريين ، وبعد مداولات صعبة ، أقرت اللجنة القانون الأساسي ، والحقيقة أن هذا القانون كان مستوحى من الدستور البلجيكي^(٧) ، ولقد صرح 'مدحت

(١) مدحت باشا، مذكرات، ص ٢٣.

(٢) ولي الدين يكن. المعلوم والمجهول، (مصر: مطبعة الشعب، ١٩٠٩)، ج ١، ص ٤٠؛ نوري. عبد الحميد، ص ٩٧.

(٣) أوزتونا، تاريخ، ج ٢، ص ١٠١؛ المحامي. تاريخ، ص ٥٨٧. أنظر كذلك .

Sir Edward S. Greasy M.A. History of the Ottoman Turks from the beginning of their Empire to the present time, (London: Richard Bently and Son, 1877), P.548.

(٤) مدحت باشا، مذكرات، ص ٢٢.

(٥) المصدر والصفحة نفسها.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٣ .

(٧) المصدر والصفحة نفسها .

باشا' حينها بأن هذا القانون يرتكز على الحرية والعدالة والمساواة^(١)، ثم أمر السلطان 'عبد الحميد' بتشكيل البرلمان، وتم افتتاحه في ١٩ آذار ١٨٧٧، وكان يؤلف من مجلس أعلى يعرف بمجلس 'الأعيان ويعين أعضاؤه مدى الحياة، ومن مجلس أدنى ينتخب أعضاؤه لمدة خمسة سنوات ويسمى 'مجلس المبعوثان'^(٢).

ورغم التضيق والحصار الذي كان يلاقيه السلطان 'عبد الحميد' من 'مدحت باشا' ورفاقه، إلا أنه عمل فوراً على إحياء الشعور الإسلامي في العالم، بحيث أوجد بفضل رعايته مبدأ التضامن بين المسلمين^(٣). كما قام بإيجاد الثقة في النفوس، واستطاع حثهم على بناء المدارس والثكنات العسكرية (القشلات) وحث الناس على التبرع لشراء القطع البحرية، واستطاع فعلاً تطوير الأسطول والمدارس وتنظيم الإدارة وغيرها من الأعمال^(٤). ولا ينكر على السلطان 'عبد الحميد' عنايته بالصحة العامة، فقد نظم أمورهما، واتخذت التدابير الكاملة التي تحول دون انتشار الأوبئة ولا سيما الكوليرا، كذلك قام بافتتاح المدرسة الطبية في 'حيدر باشا'، أحد أحياء إستانبول، حتى أن أطباء الحرم السلطاني توافدوا عليها للاستفادة من علومها^(٥).

هذا من جانب، وفي الجانب الآخر كانت السفارات والقناصل الأجنبية لا تزال تعمل على جمع المعلومات الواقية عن السلطان الجديد، وكانت أغلب التقارير البريطانية تتحدث عن مرض السلطان، بأمراض عدة مثل مرض العظام، وأن السلطان عبد الحميد لن يدوم مدة طويلة. أما التقارير الروسية فقد وصفته بأن صحته ليست على ما يرام^(٦) وأنه ربما يكون مصاباً بمرض السل، لأن والدته توفيت به^(٧) ويمكن القول أن مرسلتي التقارير معذورون في تقاريرهم هذه، حيث كان السلطان يجري كثيراً من الاتصالات عن طريق طبيبه الخاص الذي كان يتردد كثيراً على قصر السلطان^(٨).

(١) باتريك. سلاطين، ص ٨٧.

(٢) الهدى. نيويورك، العدد ١٣١، السنة ١١، الاثنين ٢٧ تموز ١٩٠٨، ص ١.

(٣) العمران. دمشق، العدد ٤٠٨، ج ٣١، م ٢، السنة ١٣، ١ مايو ١٩٠٩، ص ٥٤٢.

(٤) احسان النمر. نظرات وتحقيقات في التاريخ العثماني (بيروت: دنا.دنا)، ص ١٦٩-١٧٠.

(٥) باتريك. سلاطين، ص ٧٩.

(٦) محمد علي. السلطان، ص ٨٩-٩٠.

(٧) سليم سرقيس. سر مملكة، (مصر: دنا، ١٨٩٥)، ج ١، ص ١٤٢.

(٨) محمد علي. السلطان، ص ٨٩-٩٠.

حادثة قصر جراغان Çırağan ١٨٧٨.

كان من أهم الأحداث الخطيرة والهامة في بداية تولي السلطان 'عبد الحميد' لمقاليذ الأمور، حادثة قصر جراغان ، والتي تزعمها 'علي سعاوي' (Ali Suavi) ^(١) ، الذي كان ميالا للفتن والثورات فنفي سنة ١٢٨٧هـ/١٨٦٩م ومكث خارج البلاد تسع سنوات ، ثم عاد بمسعى من 'مدحت باشا' ، وعين لظرا على المكتب السلطاني ، الذي يتعلم فيه أبناء السلطان 'عبد الحميد' ، لكنه عزل من منصبه بسبب عدم تحسن سلوكه ، وتدخله في الأمور السياسية^(٢).

ولقد استغل 'علي سعاوي' الأحوال السيئة في دولته بعد الحرب الروسية العثمانية ، وتدفق ١٥٠ ألف مسلم إلى العاصمة هربا من أذى الروس ، بعد أن وطأت أقدامهم قراهم ومدنهم. وفي يوم ٢٠ أيار ١٨٧٨ اجتمع 'علي سعاوي' الذي كان من زعماء الشبان الأتراك مع العديد من مناصريه ، واتفقوا فيما بينهم على عزل السلطان 'عبد الحميد' ، وإعادة السلطان 'مراد الخامس' المخلوع إلى العرش من جديد^(٣)، وذلك بعد أن انتشرت إشاعة مفادها أن 'مراد الخامس' تعافى من مرضه ، وأنه لا بد من توليه شؤون الدولة ، ولقد ساعدت المحافل الماسونية 'علي سعاوي' في ذلك^(٤).

وفي اليوم المحدد قسم المهاجمون إلى قسمين: الأول، أراد مهاجمة قصر 'جراغان' من جهة البحر تحت رئاسة أحدهم ويدعى 'صالح بك' والقسم الثاني تحت رئاسة 'علي سعاوي' نفسه من جهة البر ، وكانوا جميعا يرتدون زي المهاجرين ، ثم اجتمع القسمان البري والبحري عند بوابة القصر ، وحاولوا الدخول فمنعهم أحد الحراس ، فقتلوه ، ودخلوا القصر عنوة ، وصاروا يقتشون عن السلطان المخلوع 'مراد' ، حتى وجدوه في إحدى الغرف ، وقام 'علي سعاوي' بتسليمه مسدسا^(٥) ، وسرعان ما جاء الحرس السلطاني من قصر يلدر حيث يقيم السلطان 'عبد الحميد' ، وقاموا بمحاصرة قصر 'جراغان' برا وبحرا ، وقتل في هذا الحادث 'علي سعاوي' نفسه مع عشرين من المتآمرين ، وجرح أكثر من ثلاثين آخرين ، وقدمت لوائح اتهام بحقهم إلى المحكمة^(٦) ، ويعتقد أن المخابرات الإنجليزية كانت خلف هذه العملية ،

(١) علي سعاوي . (١٨٣٨-١٨٧٨) تاجر وكاتب ، كتب في جريدة 'مخير' عام ١٨٦٦ ، ذهب إلى أوروبا عام ١٨٦٩ ، واصدر هناك صحيفة 'علوم' ، في باريس ، ثم عاد إلى الدولة العثمانية وكتب في صحيفة 'بصيرت' ، أي البصيرة ، انظر -حرب . مذكرات ، ص ٢٧٩ .

(٢) المحامي . تاريخ ، ص ٦٤٨ ؛ الشناوي . الدولة ، ج ٢ ، ص ١٠٠٩ .

(٣) Charles Swallow , *The Sick Man of Europe, Ottoman Empire to Turkish Republic 1789-1923* (London : Ernest Benn, 1973) P.87; Palmer. *The Decline* , P.157.

(٤) Erik J. Zürcher. *The Unionist Factor , The Role of the Committee of Union and Progress in the Turkish National Movement 1905-1926* (Leiden: E.J.Brill, 1984) P.12.

(٥) Zürcher . *Turkey* , P.90-91.

(٦) المحامي . تاريخ ، ص ٦٤٨ ، الشناوي . الدولة ، ج ٢ ، ص ١٠١٠-١٠٠٩ ، Zürcher . *The Unionist* , p.12.

حيث كانت تريد وبصورة مطلقة أن تكون إدارة هذه الدولة في يد الأشخاص المقربين لها، واختير لهذه المهمة 'علي سعاوي' ، الذي كان متزوجاً من امرأة إنجليزية اسمها 'ماري' التي يعتقد أنها من المخابرات الإنجليزية^(١) .

بعد حادثة 'جراغان' هذه بثلاثة أيام أي في ٢٢ أيار ١٨٧٨ التهمت النيران أجزاء كبيرة من مقو الباب العالي ، وأحرقت بالكامل دائرة شورى الدولة ، وتوابعها ، ودائرة الأحكام العدلية ، والتشريفات والداخلية ، والكثير من الأمتعة ، والأثاث ، والمفروشات ، والأوراق الرسمية ، وكان هذا الحريق في الغالب متعمداً من قبل أصحاب حادثة قصر جراغان انتقاماً لفشلهم^(٢) .

أما 'مدحت باشا' الذي كان يتمتع بنفوذ قوي فقد ساءت العلاقة بينه وبين السلطان 'عبد الحميد' ، حيث عزل من منصب الصدارة في ٥ شباط ١٨٧٧ ، بعد أن تولاه في ١٩ كانون ثاني ١٨٧٧ ، أي بعد أقل من شهر على توليه هذا المنصب، وزدادت الأمور سوءاً بعد حادثة 'جراغان' حيث اتهم 'مدحت باشا' بأنه خلف هذا الحادث ، كما نسب إلى 'مدحت باشا' أنه يسعى لفصل السلطة الدينية عن السلطة الدنيوية ، أي الدعوة للعثمانية^(٣) . كما ويعتقد أن 'مدحت باشا' نادى بوصاية وانتداب غربي على الشعوب العثمانية^(٤) ، وأنه كان يشارك 'الشبان الأتراك' (Jön Türk) معظم أفكارهم الغربية^(٥) ، وأنه ورفاقه من اليهود دبّروا خضوع الدولة العثمانية وسياستها إلى حكومات أوروبا بحجة الاصطلاح ، والتركيز على حماية الرعايا غير المسلمين^(٦) كما أن 'مدحت باشا' من أوائل الذين رأوا في الإنجليز صديقاً لهم ، حيث اعتقد بصداقتها ، وأنها أفضل الدول في معاملة الإسلام والمسلمين^(٧) .

ومهما يكن من أمر فإن السلطان 'عبد الحميد' كان فاقداً للثقة بشكل مطلق بمدحت باشا ، حيث يقول : "كيف يمكنني أن اعتمد على رجال أمثال مدحت باشا ورشدي ونوري؟! إن الأخيرين هما صهرا عمي عبد العزيز ، وهؤلاء يصرون على تسميتي بصاحب الشوكة من جهة ، ويدعون أنهم بهذا الدستور سيكسبون الإمبراطورية العثمانية منجزات حضارية ، أليس ذلك بالأمر المضحك؟! "^(٨) .

(١) أوزتونا ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ١١٨ - ١٢٠ .

(٢) المحامي . تاريخ ، ص ٦٤٩ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٩٣ ، مدحت باشا . مذكراتي ، ص ٢٥ .

(٤) عبد الله التل . الأفعى لليهودية في معقل الإسلام ، (ط ٢ ، بيروت : المكتب الإسلامي) ص ٨٣ .

(٥) ألبرت حوراني . الفكر العربي في عصر النهضة ، ١٧٩٨-١٩٣٩ ، (ط ٣ ، بيروت : دار النهار للنشر ، ١٩٧٧) ،

ص ١٣٣ .

(٦) التل . الأفعى ، ص ٨٣ .

(٧) إسماعيل أفندي الصفايحي . ليقاظ الإخوان للعنّاس الأعداء وما يقتضيه حال الزمان (استانبول : مطبعة عسكرية

سليمانية ، ١٣٣١ هـ) ، ص ٢١ ؛ أوزتونا . تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٢٨ .

(٨) Abdülhamit . Siyasi , P.58 .

كما ويذكر السلطان 'عبد الحميد' أن 'مدحت باشا' عمل على اغتياله فيقول: "أما مدحت فكان يعمل في الخفاء ليغتالني رجاله ، ويتخلص مني، أني مدين بحياتي ليقظة رجالي المخلصين ، ما جرى لي كان كاف لأن يهز من يملك أقوى الأعصاب، إذا فلا عجب بعد هذه الأمور أن أكون محتاطاً"^(١) .

وظلت كل هذه الأمور في جانب واتهام 'مدحت باشا' في وفاة السلطان 'عبد العزيز' في جانب آخر، حيث أثارت المسألة من جديد بعد حوالي خمس سنوات، وقدم مدحت باشا وبعض أعيانه للمحكمة ، وشهد عليه بعض المرتكبين لعملية القتل ، لذلك فقد عقد مجلس من علماء الشرع على هيئة محكمة عليا وأدانت 'مدحت باشا' وزملائه باغتيال السلطان 'عبد العزيز'^(٢)، وحكمت عليه هذه المحكمة التي سميت 'بمحكمة يلدر' في ٢٧ حزيران ١٨٨١ بالإعدام ، وقد أحدث هذا الحكم ضجة في كبرى الأندية الأوروبية ، واحتج مندوبو الدول الأوروبية على الحكم ، وكانت إنجلترا أكثر الدول احتجاجا ودفاعا عن رجلها ، حيث تناولت الحكم باستنكار شديد^(٣) .

ولوجود الضغوط الأوروبية وحالة الاستهجان هذه فقد خفف الحكم بالسجن ، ثم نفى فيما بعد إلى السجن العسكري في الطائف على ظهر السفينة 'عز الدين' ، واستمر حبسه هناك^(٤) ، وقد يكون السلطان 'عبد الحميد' قد استند في نفيه 'مدحت باشا' على المادة التي ادخلها الأخير إلى الدستور ، والتي تمنح الحاكم حق نفي الأشخاص الذين يرى بقاءهم مضر من الناحية السياسية رغم أن الدستور كان معطلا^(٥) . وأثناء هذه الفترة حاولت إنجلترا تهريب 'مدحت باشا' من سجنه إلى مصر ، إلا أن الشريف 'أمير مكة' منع هذا التدخل ، وكان ما لاقاه 'مدحت باشا' فيما بعد من معاملة سيئة وتشديد ، إنما بسبب هذه المحاولة الفاشلة^(٦) والتي تمت بمساعدة بارجة عسكرية إنجليزية في البحر الأحمر^(٧) ، وبعد هذه المحاولة الفاشلة لإنقاذ 'مدحت باشا' ، اقتحم الجنود غرفته وقاموا بقتله مع 'محمود جلال الدين باشا' خنقا في ٦ أيار ١٨٨٤^(٨) . والصقت التهمة بالسلطان 'عبد الحميد' الذي ينفي ذلك بقوله: "بعد وفاة مدحت باشا بعشر سنوات تقريبا نشرت في أوروبا رسالة باللغة التركية ، وردت فيها مجموعة من التفاصيل والأسماء المشتركة في قتله ، وإذا كان ما ورد في هذه الرسالة صحيحا ، فيتضح منها انه ليس بين المشتركين في الحادثة من ينتمون لي ، وانه ليس لي علاقة بهما ، والحقيقة أني كنت دائم التخوف من مدحت باشا ،

(١) Abdülhamit . *Siyasi* , P. 72

(٢) باتريك . سلاطين ، ص ٩٠-٩١ ؛ لمزيد من التفاصيل عن محاكمة مدحت باشا أنظر :

İsmail Hakki Uzunçarşılı . *Midhat Paşa ve Taif Mahkumları* (Ankara: Türk Tarih Kurumu Basınevi , 1992).

(٣) حرب . العثمانيون ، ص ٣٢ ، أنظر ، باتريك . سلاطين ، ص ٩١ .

(٤) Halide Edib. *Conflict of East and west in Turkey* (Lahore: Shaikh Muhammad Ashraf) P. 76

(٥) أوزتونا ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٠٤ .

(٦) İsmet Bozdağ . *Abdülhamid in Hatıra Defteri Belgeler ve resimlerle*, (İstanbul: Kervan kitapçılık, 1975), p. 28 .

(٧) حرب . العثمانيون ، ص ٣٢ .

(٨) أوزتونا . تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٢٨ .

ولكن ... وبكل تأكيد أنني لن أفيد شيئا إذا وضعت عدوي في مصاف الشهداء^(١) .
كل تلك الأحداث أوجبت اليقظة والحذر في تعامل السلطان 'عبد الحميد' مع رجال قصره .

٢- مؤسسة القصر .

كان السلطان 'عبد الحميد' دائم التخوف من المستقبل، بسبب معرفته بالدور الأوروبي في السياسة الداخلية والخارجية لدولته، لذلك فقد كان يستغل كافة الإمكانيات التي في يده ويتهرب من الوقوع في أي مواجهة حقيقية بينه وبين هذه الدول، بل ويعمل كل طاقته لتحقيق هذا الهدف^(٢) ولقد أزعجت السلطان 'عبد الحميد' الصداقات المشبوهة مع جيرانه الأوروبيين في بداية توليه الحكم لذلك فقد طبق سياسة 'الاعتماد على النفس' وهذا يدل على أنه ليس بحاجة إلى نصائح وقروض هؤلاء، ولأن الاعتماد على النفس جعل السلطان يتنوق فيه طعم الاستقلال^(٣) .

وغالبا ما كان السلطان 'عبد الحميد' يسأل كثيرا، ويسمع باهتمام، لكنه كما في كل وقت كان يخفي آراءه الخاصة بحذر شديد عن جميع المحيطين به، سواء عن الأشخاص الذين يعتقدون أنهم يؤثرون عليه ، أو أولئك الذين يعتقدون أنهم أخذوا الأفكار عنه^(٤) .

ومن مميزاته الفكرية، فقد كان نكيا يظن ، ورغم حضور ذهنه إلا أنه يفكر بهدوء وروية، ولا يدلي برأيه إلا بعد أن يقلب أفكاره ويأخذ رأي مستشاريه^(٥) ، حتى أشاع المعادون له أنه بذلك وقع تحت سيطرة مستشاريه، ويقول في ذلك السلطان 'عبد الحميد' : " يمكنني أن أقول بأنني لم أقع تحت تأثير أي رجل استشارته، إنني بطبيعة الحال أستشير أحد الكتاب، وأحيانا أحد أمناء السر، وحيثما أخرج أحد الوزراء، إذا اقتضى الأمر، لكن القرار دائما هو القرار الذي أتخذه بمفردي"^(٦) ، ثم يقول : " يشكو المعارضون من أنني أخضع لتأثيرات بعض المستشارين من حين لآخر، إنه خطأ فادح...والحقيقة أنني أستمع إلى كل المستشارين، وأقيس آراءهم بأعصاب باردة ثم أتخذ قراري على بصيرة دون أي ارتباك، فلا أرجع عنه، وأضعه قيد التنفيذ"^(٧) هذا من جانب ومن جانب آخر فقد كان السلطان عبد الحميد يحذر الناس ولا يثق بمن حوله، لذلك فقد كان يبتعد عن أقرب المقربين له، ويمكن تفهم ذلك الأمر بسبب محاولات الاغتيال العديدة والفاشلة التي تعرض لها خصوصا في السنوات الأولى لتوليه الحكم^(٨) وفيما بعد عمد السلطان

(١) حرب . مذكرات ، ص ٧٨-٧٩ .

(٢) أوكه . جاسوس ، ص ٧٧ .

(٣) المرجع نفسه، ص ٧٩ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٧٧ .

(٥) المرجع نفسه ، ص ٣٥ .

(٦) عبد الحميد الثاني . مذكراتي، ص ٢١١ .

(٧) المصدر نفسه، ص ٧٩ .

(٨) المصدر والصفحة نفسها .

'عبد الحميد' الى إحلال موظفين مسلمين عثمانيين بدلا من الموظفين غير المسلمين ، حتى أصبح من النادر وجود غير المسلمين في وظائف وزارة الخارجية، والمؤسسات العسكرية والمدنية إلا في حالات استثنائية^(١).

أما كبار الموظفين الذين يشكلون حاشية السلطان، فقد كانوا حسودين ولا ينفكون عن تدبير المكائد والدسائس لكل من يحظى بقبول السلطان وتقريبه منه ^(٢). ورغم ذلك فليس هناك شخص واحد من الطبقة العليا التي تكونت حول السلطان 'عبد الحميد' تشككي من إدارته، فقد كانت هذه الحاشية في الماضي أكثر ارتباطا بالقوى الأوروبية - في عهد والده عبد المجيد وعمره عبد العزيز -، بل يمكن القول أنهم كانوا خادمين مطيعين لهذه القوى، لكن ومع تولي السلطان عبد الحميد مقاليد الأمور، أصبح هؤلاء أكثر استقلالية عن القوى الأوروبية كأنهم أنقذوا أنفسهم من وصاية أصدقائهم، بل وأصبحوا أكثر تحكما فيما يخص شؤونهم الداخلية والخارجية^(٣) وكان هؤلاء من جانب آخر يميلون إلى الرفاهية وعدم البساطة في حياتهم، بل ويقبضون رواتب ضخمة وهؤلاء شكلوا نسبة كبيرة منهم: أربعون مشيرا وستون وزيرا، وثلاثة عشر ناظرا، ومائة وثمانون موظفا من الدرجة الممتازة، وثلاثمائة وتسعون من الدرجة الأولى، وواحد وعشرون مرافقا برتبة باشا، ومائة وخمسة وعشرون مرافقا فخريا وواحد وعشرون مرافقا فعلياً، وهذا العدد الضخم كان النتيجة المباشرة للوساطة والتودد والنفعية التي كانت متفشية بين موظفي القصر. وهؤلاء كانوا يكلفون الخزينة أموالا طائلة^(٤) في حين كان صغار الموظفين في الدولة يعانون من أوضاع مالية صعبة، حيث كانت رواتبهم تتأخر باستمرار، ورغم أن السلطان 'عبد الحميد' أمر بدفع رواتبهم بانتظام، إلا أن الشكاوى كانت لا تزال تصله من حين لآخر^(٥).

أما فيما يتعلق بمنصب الصدر الأعظم، فقد كان هؤلاء أكثر ارتباطا بالدول الأوروبية من غيرهم، وكان السلطان 'عبد الحميد' كلما شعر بأن إحدى الدول تريد الضغط عليه وتسعى لمعاداة الدولة العثمانية، يقوم بإبداء الليونة، ويظهر التقرب لهذه الدولة بتعيين الصدر الأعظم من الذين يوالونها، حيث كان يعي جيدا ميول هؤلاء، فكان 'كامل باشا' يرى تأييد السياسة الإنجليزية و'سعيد باشا' يرغب في التقرب من 'فرنسا'، و'خليل باشا' يود مسايرة 'روسيا' و'توفيق باشا' يحب زيادة النفوذ الألماني، أو يرى فيه أقل أطماعا من غيرها وهذا الأخير كان يتطابق تصوره مع توجه وسياسة السلطان 'عبد الحميد' الذي كان يعين الصدر الأعظم الذي يراه ملائما للسياسة التي يريد إتباعها مع الدول الأوروبية^(٦) ويقول في ذلك السلطان 'عبد الحميد': "ومن الطبيعي أن أضطر أحيانا إلى إجراء تغيير عندما أحس بالحاجة إلى ضحية

(١) أوكه. جاسوس، ص ١٠٧.

(٢) عبد الحميد الثاني. مذكراتي، ص ٢١٢.

(٣) أوكه. جاسوس، ص ٣٣.

(٤) عبد الحميد الثاني. مذكراتي، ص ٥٢-٥٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ٥٣.

(٦) محمود شاكر. التاريخ الإسلامي، العهد العثماني (ط ٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٧) ص ١٨٦.

سياسية فأعين أحيانا 'كامل باشا' إرضاء لإنجلترا وثارة أعين الذئب العجوز 'سعيد باشا الصغير' وفقا للمصلحة العامة ... وإبعاد الصدر الأعظم واستبداله بآخر لا يستوجب كل هذا الضجيج فما الفرق بين 'كامل' 'وسعيد' إذا كان الرئيس الفعلي للوزراء هو السلطان المقيم في قصر يلدز" (١) وكان السلطان 'عبد الحميد' يعي جيدا خطر هؤلاء على الدولة، وقد علم توجهاتهم السياسية لكنه في نفس الوقت كان يعاني من قلة من تتوفر فيهم القدرة على شغل منصب الصدر الأعظم، وفيما بعد تدارك السلطان هذا الأمر، واستطاع علاجه حيث قام بتضخيم دائرة ما بين القصر والوزارة (Mabayn) ، فصار يحول إليها الأشغال تدريجيا، وصار الولاة يتصلون بهذه الدائرة وأخيرا أصبح المايين كل شيء في الدولة، ولهذا وصفوا السلطان 'عبد الحميد' بأنه مستبد ، ولقد ضجت الصحف الأوروبية على هذا الأمر، لأنه قضى على نفوذ دولهم في الوزارات ، وبالتالي على العديد من دسائسها داخل دولته (٢). لقد كان السلطان 'عبد الحميد' يرى أنه على رأس دولة ينفرط عقدها في اللحظة التي تضعف فيها إدارتها المركزية (٣).

٣- الإصلاحات الداخلية .

تختلف كل إمبراطورية أو دولة كبرى في مدة بقائها وفقا للظروف الداخلية والخارجية، لكن استحالة وقف التأثير الزماني والمكاني عليها، يؤدي إلى ضعف عام تكون نتيجته السقوط الطبيعي، والدولة العثمانية شأنها في ذلك شأن هذه الإمبراطوريات والدول، عاشت عصور القوة وشدة البأس، حتى أثرت عليها هذه العوامل. ولقد أدرك سلاطين بنى عثمان هذا الأمر في وقت متأخر، حيث شهدت الدولة حالة من الانحطاط السياسي العسكري والاجتماعي والعلمي والإقتصادي، الأمر الذي حدا بهؤلاء السلاطين للعمل من أجل النهوض بالدولة وللحاق بركب الحضارة مثلما عليه الأمر في أوروبا، ولقد كتبت المئات من الكتب وآلاف المقالات عن التنظيمات ولكن التنظيمات (Tanzimat) لا يمكن أن تفهم بمعزل عن العلاقة بين الدولة العثمانية والقوى الأوروبية (٤).

(١) عبد الحميد الثاني. مذكراتي، ص ١٠٠.

(٢) النمر. نظرات، ص ١٧٠-١٧١.

(٣) عبد الحميد الثاني. مذكراتي، ص ٥٦.

(٤) Güllüane Hatt-i Hümayunu. 150 Yılında Tanzimat, Hakkı Dursun yıldız, (Yayına Hazırlayan) . (Ankara: Türk Tarih Kurumu Basımevi 1992), P.524.

كان من أوائل السلاطين الذين عملوا على إصلاح الدولة السلطان 'محمود الثاني' ^(١) الذي رأى ما وصلت إليه فرق 'الإنكشارية' ^(٢) من الضعف والانتحاط وعدم الانقياد، لذلك فقد طلب منهم الانقياد العسكري بالقوانين، وتسليحهم بالأسلحة النارية الحديثة، وتمرينهم على الأصول العسكرية الجديدة المتبعة في أوروبا ^(٣).

ولقد سار السلطان 'عبد المجيد' على نفس المنهج الإصلاحى الذي سار عليه السلطان 'محمود' لذلك فقد أصدر عقب توليه حكم الدولة إعلاناً في ٢٦ شعبان ١٢٥٥هـ/ ٤ تشرين ثانى ١٨٣٩ سمي بإعلان خط شريف كلخانه 'خطي شريفى كلخانه' ^(٤). وفيما بعد أعلن السلطان 'عبد المجيد' عن إصلاحات خيرية عرفت باسم خط همايون 'خطي همايونى' الذي صدر في ١١ جمادى الآخرة ١٢٧٢هـ/ ١٨ شباط ١٨٥٦.

ولقد استمرت العمليات الإصلاحية في عهد السلطان 'عبد العزيز' حيث أنشأ سنة ١٨٧٦ 'شوراي دولت' التي يطلق عليها الأوروبيون 'مجلس الدولة' (Council of State)، ولكن هذه الإصلاحات ظلت إصلاحات ورقية (Paper Reforms) بسبب التواني في تطبيق قراراتها ^(٥).

واستمر السلطان 'عبد الحميد' بإجراء إصلاحات كان أهمها إعلان الدستور-المشروطية أو القانون الأساسى- وذلك في ١٣ كانون أول ١٨٧٦، وذلك بسبب الضغوط التي تعرض لها من جانب 'مدحت باشا' ^(٦)، وكان هذا الدستور ينص على تشكيل مجلس برلمانى يسمى مجلس المبعوثان، تم إجراء الانتخابات له وشارك في ذلك الولايات البعيدة مثل 'اليمن' و'ليبيا'، وقد جاء الأعضاء الذين تم انتخابهم الى 'استانبول' للمشاركة في أعمال المجلس الذي افتتح رسمياً في ١٩ آذار ١٨٧٧ وكان بعض الأعضاء يجيد التحدث باللغة التركية والبعض الآخر لا يجيد فعل ذلك. وكانت اللغة التركية هي لغة المناقشة في

(١) محمود خان الثاني: هو ابن السلطان عبد الحميد الأول، ولد في ١٣ رمضان ١١٩٩هـ/ ٢٠ تموز ١٧٨٥، ظهر في عهده الوهابيون وكلف محمد على باشا بمحاربتهم، ولقد ثار أهل اليونان مطالبين بالاستقلال حيث أرسل إليهم محمد على باشا للقتاء على ثورتهم، وشنت روسيا في عهده حربها على الدولة وانتهت بتوقيع معاهدة أدنة ١٢٤٥هـ/ ١٧٢٩ وفي عهده احتلت فرنسا الجزائر، وتمرد محمد على باشا على الدولة العثمانية - انظر، المحامى، تاريخ، ص ٣٩٨-٤٥٤.

(٢) الإنكشارية: هي مجموعة من الشبان يؤخذون من أسرى الحرب، بحيث يفصلون عن كل من يذكرهم بجنسيتهم أو ديانتهم أو أصولهم والعمل على تربيته تربية إسلامية، بحيث لا يعرفون أباً إلا السلطان، ولا حرفة إلا الجهاد في سبيل الله، ولقد أسس هذه الفرق السلطان أورخان الأول ثاني سلاطين بنى عثمان، وبعد تكوين فرقهم يتم السير بهم إلى الحاج بكناشي شيخ الطريقة البكتاشية يدعو لهم بالخير والبركة وتم تسميتهم بعد ذلك 'بنى قشاري' أي الجيش الجديد - المحامى، تاريخ، ص ١٢٢-١٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٩٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٨٣-٣٨٤، انظر. Gülhan-i Hatt-i Hümayunu p.525.

(٥) William Miller. *The Ottoman Empire and its Successors 1801-1927*, (London: Frank Cass C.O-L.T.D. 1966), p.298.

(٦) أوزتونا، تاريخ، ج ٢، ص ١٠٢.

المجلس ،ولما كانت مهمة النظام البرلماني غير معروفة جيداً لأعضاء المجلس ،فقد كانت الأصوات تعلق من كل جانب أثناء المناقشات^(١) وذلك لعدم تفهم المسؤوليات والواجبات التي يلقبها عليهم النظام البرلماني ،بالإضافة الى أن نواب الأقليات كانت لهم علاقات مع الدول الأوروبية، بل وحصلوا على تأييدها ،وتقاضوا الأموال منها ،لذلك فقد ظهر من هؤلاء النواب من يدافع عن التخلي عن جزيرة 'كريت' الى 'اليونان' ، ونواب آخريين طالبوا بتأسيس إمارة أرمنية في 'الأناضول الشرقية'^(٢).

كان السلطان 'عبد الحميد' يعي جيداً أن هذه السياسة قد تجر البلاد الى الهاوية لأنه يعلم أن الشعوب العثمانية ليست ناضجة لخوض مثل هذه التجربة البرلمانية؛ وأن مثل هذه التجربة في دولة تضم العديد من المذاهب والأعراق قد تؤدي الى ارتفاع حدة الخلافات والتباينات والنزاعات الانفصالية^(٣)، لذلك فقد أمر السلطان 'عبد الحميد' بتعطيل مجلس المبعوثان ،وتعطيل الدستور بقرار الحكومة الموشح بالإرادة السنوية السلطانية لأجل غير معلوم في ١٣ شباط ١٨٧٨ .ولم يكن السلطان قد ألغى الدستور رسمياً ودل على ذلك أن الدستور كان ينشر في النشرة السنوية الرسمية للدولة العثمانية (السالنامه) مدة تزيد عن ٣١ سنة دون انقطاع^(٤) .

قام السلطان 'عبد الحميد' ،بإلقاء خطاب يوم الثلاثاء ٢٢ أيلول ١٩٠٨ -بعد ثورة ١٩٠٨- جاء فيه أسباب تعليقه للدستور أمام المايين فقال : "إنني لم اقدر على إيقاف مجلس المبعوثان منذ ثلاث وثلاثين سنة إلا بعد التردد الكثير ، لأن بلادي لم تكن إذ ذاك مستعدة للحكم الدستوري ، فقد كان الجيش غير منظم ، والبحرية بالغة أخط درجة من الضعف والإنحطاط، وكان التهذيب سائراً الى الوراء ومالية الدولة في أتعس حالة من العجز ، ولم تكن وسائط النقل موفرة بين النقط المأهولة في البلاد ، أما الشعب فكان منقسماً متضعضع القوة ،فاقداً كل مزايا التفاهم والاتحاد . ففي تلك الظروف، رأيت في استمرار مجلس المبعوثان داعياً الى الخراب والدمار من نشوب الحروب الأهلية بين العناصر والأحزاب المختلفة فكان أول واجب علي تنظيم للجيش، ثم للنظر في تهذيب وترقية للشعب وإيجاد وسائط وتسهيلات النقل المؤدية الى العمران مثل إنشاء سكك حديدية وغيرها"^(٥) .

كان السلطان 'عبد الحميد' يدرك أن هناك نقصاً كبيراً في عدد المثقفين المدنيين القادرين على إدارة الوظائف المدنية ، لذلك فقد سعى الى التوسع في نشر التعليم في جميع مستوياته واتجاهاته ،لذلك قام بتفعيل نشاط كلية الإدارة المدنية (ملكية مكتبي) التي أنشأها والده السلطان 'عبد المجيد' عام ١٨٥٩ ، حيث أدخل عليها مناهج حديثة، وفتح أبوابها للوافدين من شتى أنحاء الدولة ،حتى أصبحت مركزاً ثقافياً.

(١) أوزتونا. تاريخ، ج٢، ص١٠٥.

(٢) المصدر نفسه، ص١١٨.

(٣) روبير مانتوران (محرر). تاريخ الدولة العثمانية مترجمة ببشير السباعي(القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر، ١٩٩٣)

، ج٢ ، ص٨٣.

(٤) أوزتونا. تاريخ، ج٢، ص١١٦.

(٥) الهدى . نيويورك العدد ١٨١ السنة ١١، الخميس ٢٤ أيلول ١٩٠٨، ص١.

كان من المدارس العليا التي أمر السلطان بإنشائها .. المدرسة السلطانية للشؤون المالية ١٨٧٨ ومدرسة الحقوق الشاهانية ١٨٧٨، ومدرسة الفنون الجميلة ١٨٧٩، ومدرسة التجارة ١٨٨٢، ومدرسة الهندسة المدنية ١٨٨٤، ومدرسة الطب البيطري ١٨٨٩، ومدرسة الشرطة ١٨٩١، ومدرسة الجمارك ١٨٩٢، ومدرسة الطب ١٨٩٨، ومدراس للصم والبكم والعمي، وغيرها من المدارس العليا الأخرى التي بلغ عددها آنذاك ١٨ مدرسة^(١)، إلى جانب العديد من الكليات والمعاهد الأخرى كان أهمها . إنشاء جامعة استانبول سنة ١٩٠٠^(٢) من أجل الطلاب العثمانيين، بحيث لا يضطروا إلى الذهاب إلى أوروبا وحفاظا على عاداتهم وتقاليدهم.

أما المدارس الدينية فقد تركت تؤدي رسالتها الدينية باللغة العربية ، التي كانت تدرس إجباريا مع الفارسية دون استثناء ، وإلى جانب ذلك أنشأ السلطان عبد الحميد العديد من المدارس الرشدية (الإعدادية المتوسطة، وبلغ عددها في ولايات الدولة العثمانية ٢٩ مدرسة ،بالإضافة إلى عدد من المدارس الثانوية، كان أشهرها المدرسة السلطانية في 'غلاطة سراي' (Galata Saray) في 'استانبول'^(٣)، وكانت تدرس اللغة العربية وآدابها إجباريا في هذه المدارس على أوسع نطاق^(٤). وإلى جانب ذلك تم تأسيس المكتبات والمتاحف ومكاتب البريد ومعامل عديدة والمستشفيات ودار النفوس العامة والغرف التجارية والزراعية والصناعية^(٥) .

يقول السلطان 'عبد الحميد' في ذلك الأمر : " لقد ارتفع عدد المدارس منذ اعتليت العرش إلى عشرة أضعاف ما كانت عليه، ومع ذلك فلا تفي هذه المدارس بالحاجة. والمدارس الثانوية عندنا على مستوى عال من المناهج تعترف به الأوساط العلمية ،ونحن بحاجة إلى فتح مدارس إعدادية تهيب الطلاب لدخول مؤسسات علمية، ليتخرج منها مهندسون ومعماريون وفنيون"^(٦) .

ولقد أدخل السلطان 'عبد الحميد' إلى جانب ذلك إصلاحات عسكرية خصوصا فيما يتعلق بالجيش ، كانت على قدر من الأهمية، ومن ذلك أنه استقدم عددا من الجنرالات الألمان المختصين ...، حيث قام هؤلاء بتدريب الجيش العثماني وفق متطلبات العصر، كما قام بإرسال بعثات عسكرية للتدريب في الجيش الألماني^(٧)، حتى أن الجنرال 'فون در غورت' (Von der Gotte) قال: بأن الجيش العثماني يحتل المرتبة الأولى بين الجيوش، وأنه لا يوجد من يتفوق عليهم^(٨) . كما أثبت الإمبراطور الألماني على

(١) عثمان أوغلي. والدي، ص ٢٢-٢٣.

(٢) مانقران. تاريخ، ص ١٧٣.

(٣) المرجع نفسه، ص ٢٣.

(٤) أوزتونا. تاريخ، ج ٢، ص ١٥٢.

(٥) محمد علي. السلطان، ص ١٦٨.

(٦) عبد الحميد الثاني. مذكراتي، ص ١٨٧.

(٧) مصطفى طوران. أسرار الانقلاب العثماني ، ترجمة، كمال خوجه ، (ط ٣، بيروت : دار السلام، ١٩٨٠) ص ٣٨.

(٨) عبد الحميد الثاني. مذكراتي، ص ٥٤.

الضباط العثمانيين الذين كانوا يتلقون التدريبات و العلوم العسكرية، ووصفهم بأنهم في تقدم مستمر. ويقول السلطان 'عبد الحميد' في ذلك: "وأغلب ظني أن الإمبراطور مخطئ في حكمه هذا، لأن تقرير سفيرنا في 'برلين' يفيد بأن القليل من هؤلاء الضباط يركز اهتمامه على الدراسة، وتفيد المصادر الوثيقة أن القادة العسكريين البروسيين (الألمان) يمدحون ضباطنا، لا لأنهم يستحقون المديح، بل يفضون النظر على الكثير من سقطاتهم كي يكونوا صالحين لهذا المديح، إن تلقى أولاد الباشوات العلوم العسكرية في 'بروسيا' يكلفنا كثيرا، لكنه يولد انطبعا حسنا في الخارج، فعلى هذا النحو نبرهن على أننا لم نبخل بشيء في سبيل إبقاء جيشنا في المستوى المطلوب، ونزكي من تفاخر أصدقائنا الألمان، ولكن أكثر شبابنا الموفدين إلى 'ألمانيا' ويا للأسف يفقدون في أنفسهم فضيلة الاعتدال والبساطة اللتين يتميز بهما العثمانيون، وما تعلمونه هناك عبارة عن شرب الخمر، وعادات منافية للخلق، وما شابهها، ثم يعودون وهم منتفخون بالعظمة والكبرياء"^(١).

كان هناك عدم رضا من قبل الموظفين والضباط والجنود تجاه سياسة السلطان، ذلك أن هؤلاء أصبحوا يتقاضون ٦ رواتب بدلا من ١٢ راتباً، وبهذه الحالة خفضت معيشتهم إلى النصف، ويمكن القول أنه بالإمكان العيش بالرواتب الستة، لكن هؤلاء أخذوا يشعرون بأنهم دائنون للدولة، وأن الدولة مدينة لهم^(٢)، بالإضافة إلى ذلك كان يوجد فرق بين الحد الأدنى والحد الأعلى للرواتب، إذ كانت الدولة تجزل العطاء لكبار موظفيها، فمثلاً نجد راتب الصدر الأعظم أعلى خمسا وعشرين مرة من راتب سكرتير الوزارة^(٣)، كذلك نجد راتب المشير (المارشال) في السنوات الأخيرة للسلطان 'عبد الحميد' هو ٣٠٠ قطعة ذهبية، وراتب اللواء ٦٠، والعقيد ٢٥، والرائد ١٢، واللقب المتقدم ١٠، واللقب ٥، والملازم أول ٣، والملازم ٢ ليرة ذهبية^(٤)، ورغم ذلك فلا يمكن الإدعاء أن الفاقة أو المجاعة كانت موجودة في الدولة العثمانية. لم يكن هناك شخص جائع أو بلا مأوى، وكانت مشكلة البطالة في حدها الأدنى^(٥).

لقد كان هناك العديد من المعوقات التي اعترضت السلطان 'عبد الحميد' وأثرت على سياسته؛ ومن ذلك الانحطاط الذي أصاب العثمانيين، حيث عم الكسل وعدم الاكتراث، ولم تعد الطبقة المثقفة تهتم بالأمور، ولم يعد الموظفون والعسكريون يتقون بأنفسهم، ولا يوجد هناك من يريد أن يعمل، ولا أن يعلم، ولم يستطيع الخبراء الأوروبيون أن يعملوا شيئا حيال هذه الظواهر، وأبنا حلوا وجدوا هذه التصرفات اللامسؤولة التي حطت من عزيمتهم، فأخذوا أيضا إلى الدعة والراحة كباقي الناس^(٦).

(١) عبد الحميد الثاني. مذكراتي، ص ٥٤.

(٢) أوزتونا. تاريخ، ج ٢، ص ١٤٧.

(٣) مانتران. تاريخ، ج ٢، ص ١٧١.

(٤) أوزتونا. تاريخ، ج ٢، ص ١٤٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٤٩.

(٦) عبد الحميد الثاني. مذكراتي، ص ٥٦.

هكذا ترسخت اللامبالاة وعدم الاكتراث في كافة طبقات الشعب ، "وأصبحت عادة من عاداته، وقد تكون هذه العادة سبب جميع مصائب الدولة العثمانية ، لذلك وجب على رجال البلاد لاسيما الأساتذة والعلماء والطبقة المثقفة عموما ، أن يعمدوا إلى الناشئة لحضنها على العمل من أجل الدولة والأمة، وإلا فكيف يمكن إنقاذ الدولة إذا لم يتم التغلب على الارتخاء" (١) . لذلك قام السلطان 'عبد الحميد' بالعمل على رفع مستوى العلوم والثقافة، فأنشأ المدارس المختلفة في تخصصاتها، وأدخل المناهج العلمية (٢). وكان السلطان لا يريد من الغرب الحضارة لأنه كان يرى ان للشرق حضارته الإسلامية الخاصة، لذلك فقد كلن جل اهتمامه منصب على العلوم الحديثة ، فالإسلام عنده لم يكن ضد التقدم، وكان يعتقد ان الأمور القيمة يجب أن تكون طبيعية وأن تأتي من الداخل وحسب الحاجة إليها ولا يمكن أن يكتب لها النجاح إذا كانت على شكل تطعيم من الخارج (٣).

ومن نتائج الإصلاحات في عهد السلطان 'عبد الحميد' :

١- أن المدارس والكليات والمعاهد التي تم افتتاحها كلفت خزانة الدولة أموالا طائلة زادت من الأعباء المالية للدولة .

٢- أدت زيادة المدارس والكليات والمعاهد الى زيادة الخريجين الذين يحتاجون الى وظائف في مؤسسات الدولة المختلفة؛ وبالتالي فإن الدولة بحاجة الى الأموال كي توفر لهم المرتبات الشهرية، الأمر الذي أدى بالدولة الى تخفيض مرتبات الموظفين والجيش، وعدم القدرة في أحيان كثيرة على دفع كامل مرتباتهم الشهرية بانتظام، الأمر الذي سيكون له مردود سلبي على حكم السلطان 'عبد الحميد' .

٣- هذه الأمور أدت الى قيام الدولة بالبحث عن الأموال، الأمر الذي لم توفره إلا عن طريق القروض الأجنبية، مما أدى إلى زيادة نفوذ الدول المقرضة في سياسة الدولة وبالتالي إلى وجود معارضة عثمانية ضد هذا التدخل .

٤ - الأقليات .

كانت مسألة الأقليات من أهم المسائل التي أثرت على الأحوال الداخلية للدولة العثمانية، فقد شككت مسألة الأقليات عناصر غير مستقرة في توجهها، كما تم استغلالها من قبل القوى الأوروبية ضد الدولة العثمانية، وكان من بين أكثر هذه المسائل إلحاحا في عهد السلطان 'عبد الحميد' المسألة البلغارية والمسألة الأرمنية.

(١) عبد الحميد الثاني، مذكراتي، ص ٥٦.

(٢) طوران، أسرار، ص ٣٧-٣٨.

(٣) أحمد عبد الرحيم مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، (ط ١، القاهرة : دار الشروق، ١٩٨٢) ص ٢٤٢.

أ- المسألة البلغارية:

ظل البلغار داخل الدولة العثمانية يشكلون مشكلة قومية، رغم ما عرف عن الدولة العثمانية من تسامح ديني، وذلك منذ خضوع البلغار للسيطرة العثمانية، حيث قاموا بالعديد من الثورات بين الحين والآخر، واستمرت أعمالهم هذه حتى وقت متأخر، ولقد قام السلطان 'عبد العزيز' بمحاولات عديدة لاحتواء البلغار، ومن ذلك أنه قام بإصدار فرمان سلطاني مؤرخ في ١١ آذار ١٨٧٠ بإنشاء كنيسة خاصة بالبلغار مستقلة عن الكنيسة الشرقية (اليونانية) في 'استانبول' ^(١)، حيث كانت الكنيسة اليونانية تمارس العنف تجاه المعلمين البلغار، ومنع نشر الكتب البلغارية، كما عملت بكل الوسائل لوقف الحركة القومية والتربوية للبلغار ^(٢). ونص قرار فرمان على حرية البلغار في إدارة شؤونهم الدينية وتحرير الأرثوذكس من نفوذ البطريرك اليوناني الذي تمتع بزعامة دينية في بلاد البلقان مثل 'البلغار' و'الصرب'، ولقد نص كذلك على أن يكون بطريرك الكنيسة الجديدة من أهل 'بلغاريا'، وكان يطلق على شاغل هذا المنصب لقب 'إكسارك' (Exarch) ومن هذه الكلمة اشتقت عبارة 'الإكساركية البلغارية' (The Bulgarian Exarchate) وهي تعني الكنيسة التي يرأسها البطريرك البلغاري ^(٣).

وإلى جانب ذلك وجد هناك سببان دفعا الدولة العثمانية إلى إعلان هذا فرمان هما :

- ١- نعمة الدولة العثمانية على اليونان لاشتراكهم في الثورات التي قام بها سكان جزيرة 'كريت' المسيحيين ضد الحكم العثماني، وإمدادهم بالأسلحة والذخائر والمتطوعين ، وإسهامهم في المذابح التي قام بها سكان 'كريت' ضد مسلمي الجزيرة.
- ٢- الضغط الشديد الذي كانت تمارسه 'روسيا' لإنشاء هذه الكنيسة، وكان الهدف من ذلك دعم فكرة 'الجامعة السلافية' (Pan- Slavism) التي نادت بها واستهدفت ضم جميع السلاف الأرثوذكس في أوروبا تحت زعامتها وسيطرتها ^(٤). كما أرادت الدولة العثمانية كذلك زيادة الخلافات والانقسامات بين العناصر المسيحية، لا سيما 'اليونان' و'البلغار' و'الصرب' الذين كانوا ضالعين في كثير من الاضطرابات والثورات داخل الدولة، في نفس الوقت الذي كانت الدولة تجد صعوبات شتى بخصوص دعم نفوذها بين هذه العناصر ^(٥).

رغم محاولات البطريرك اليوناني ثني السلطان عن رأيه، وعندما تأكد من عزمه على ذلك قام البطريرك بإصدار قرار الحرمان (ex-Communication) ضد الإكسارك البلغاري ورجال الدين

(١) عبد العزيز الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مقترى عليها (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦) ج ٢،

ص ٨٤٢-٨٤٣.

(٢) نيكولاي تودوروف، موجز تاريخ بلغاريا ، ترجمة، احمد سليمان الأحمد، (دمشق: مطبوعات دار الثقافة، ١٩٨١)،

ص ٩٤.

(٣) الشناوي، الدولة، ج ٢، ص ٨٤٣.

(٤) المرجع والصفحة نفسها.

(٥) Miller. The Ottoman, P. 344-346.

وأتباعهم، وهذا بدوره أدى إلى صراع ديني بين اليونانيين 'البطريركيين' (Patriarchists)، وبين البلغاريين 'الاكساركيين' (Exarchists) حيث قام كل فريق بتكوين العصابات، واستخدام الأسلحة، وأخذ كل فريق يسعى لإثبات صحة موقفه بالضربات القاتلة^(١). لكن هذا الأمر لم يكن يعني على الإطلاق وقف 'البلغار' للاضطرابات، حيث قام 'البلغار' في نيسان ١٨٧٦ بانتفاضة الأمر الذي شجع الشعوب السلافية الأخرى في البلقان^(٢).

لم تسارع الدولة العثمانية إلى وقف هذه الاضطرابات الأمر الذي أدى إلى انتشارها في عدة مدن، في الوقت الذي ركزت فيه أوروبا على 'البلغار' لأنها وجدت في مسائلهم مادة خصبة للتشهير بالدولة العثمانية، ابتغاء استمرارية الرأي العام الأوروبي المعادي للدولة العثمانية، وإعادة فتح ملف المسألة الشرقية من جديد^(٣).

كان من أسباب تذمر 'البلغار'، أن الدولة العثمانية كانت قد أنزلت في 'بلغاريا' عائلات شركسية، كانوا قد هربوا من الحكم الروسي، وقام العملاء الروس باستغلال هذه السهجات، فأدخلوا في روع 'البلغار' أن الدولة تهدف إلى إقطاع أراضيهم لهؤلاء الشركس ومن ثم استبعاد أصحاب البلاد الأصليين^(٤). هذه الأمور أدت إلى انتقال 'البلغار' من مرحلة الاضطرابات إلى إعلان الثورة في أيار وحزيران ١٨٧٦، حيث تسال العملاء الروس إلى هذه المناطق، وقاموا بالتخطيط لهذه الثورة التي سيقوم بها السلاف الأرثوذكس الذين تجمعهم بالروس وحدة الجنس والعقيدة والمذهب، وكان المخطط يقوم على تحريك الثوار للقيام بمذابح عامة ضد المسلمين، في الوقت نفسه الذي يقوم فيه الثوار بإشعال الحرائق في عدة مدن، على أن تقوم 'روسيا' بالتدخل عسكرياً، لذلك فقد تدفقت الأسلحة والمعدات والأموال إلى الثوار^(٥).

بدأ الثوار 'البلغار' عملياتهم بإجراء مذابح عامة بين المسلمين المجريدين من السلاح، فكانت خسائرهم فادحة في الأرواح والممتلكات، وعجز قائد القوات العثمانية غير النظامية عن مواجهة الموقف، لذلك فقد استجد بوالي 'إستانبول' ليرسل إليه النجيدات العسكرية من القوات النظامية، وكإجراء وقائي قام الوالي بتوزيع الأسلحة المتواجدة في حوزته على السكان المسلمين الذين ردوا في فورة غضبهم على 'البلغار' بالمثل وكانت خسائر المسلمين عموماً أكبر باستثناء قرية 'باتاق' (Batak) وهي تقع شمال جبل 'رودوب' (Rhodope)، حيث أن أهلها كانوا قد انضموا إلى الثوار البلغار، فهاجمتها القوات العثمانية، واصلت القتل في سكانها^(٦).

(١) Miller. The Ottoman, P.346

(٢) تودوروف. موجز، ص ١٠٩.

(٣) الثناوي. الدولة، ج ٢، ص ٨٤١-٨٤٢.

(٤) المرجع نفسه، ج ٢، ص ٨٤٢.

(٥) المرجع نفسه، ج ٢، ص ٨٤٣.

(٦) المرجع والصفحة نفسهما.

وقد أثارت مذابح 'البلغار' بحق المسلمين الرأي العام الإسلامي، حيث قام طلاب المدارس الدينية في العاصمة 'استانبول' وأتباع الطرق الصوفية بمظاهرات صاخبة واعتبروا السلطان 'عبد العزيز' مسؤولاً عن تلك المذابح، كما اتهموا الصدر الأعظم بأنه ذو ميول واتجاهات 'روسية' (١) ولما خلع السلطان 'عبد العزيز' تولى السلطان 'مراد الخامس' ومن ثم عزله وتولية السلطان 'عبد الحميد الثاني' الحكم، قام البلغار باستغلال هذه الهزات العنيفة في العرش العثماني فقاموا بتوسيع هجماتهم بحيث شملت الأطفال والنساء (٢) ولما وصلت القوات النظامية العثمانية إلى 'بلغاريا' سيطرت على الموقف مستخدمة العنف لإخماد هذه الثورة، وإزاء ذلك نشط الإعلام الأوروبي كدأبه على التنديد بوحشية القوات العثمانية، ومذابحهم بحق 'البلغار' (٣).

ويؤكد السلطان 'عبد الحميد' حقه في حماية شعبه من 'البلغار' فيقول: "إن حماية شعبنا من المنظمات الإرهابية هي حقنا بل هي واجبة علينا" (٤) كما يوضح أن سبب فشل البلغار وغيرهم نابع من عدائهم لبعضهم البعض فيقول: "فالصربيون يبغضون البلغار، و'البلغار' يشتمزون من الرومانيين والبلغار واليونانيين يعادى بعضهم بعضاً، والبلغار يؤمنون بأنهم متفوقون على باقي الأقوام في مكدونية، واليونان يدعون أن البلغار يكرهون اليونانيين على التخلي عن قوميتهم" (٥)، وكانت سياسة السلطان 'عبد الحميد' عدم السماح بانتصار أي من هذه الأقليات وجعلهم يستمرون في عدم تفاهمهم، وبهذه الطريقة حال دون تفاهمهم ضد المسلمين. لقد كانت سياسة التفريق سياسة واقعية في ذلك العصر (٦).

ب- المسألة الأرمنية.

كان للأرمن في العصور القديمة دولة واستقلال وكانت مملكتهم واقعة في شرقي الأناضول بين الإمبراطورية البيزنطية والفارسية، فيخضعون تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء، ولما استولى الأتراك السلجقة على تلك البلاد رحل قسم إلى غرب الأناضول. وبذلك أصبح الأرمن ينتشرون في الشرق والغرب ولا يشكلون أكثرية عديدة بالنسبة للسكان المسلمين.

ولما ظهر ضعف الدولة العثمانية أصبح الأرمن ينظرون إلى تجديد ملكهم القديم (٧) ولقد حمل مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ حلولاً لهذه المسألة، حيث نصت على إجراء إصلاحات في المنطقة التي تسكنها الأقلية الأرمنية، لكن تجاهل الدولة العثمانية لبنود هذه المعاهدة ودعم أوروبا للأرمن أدى لتكوين لجان

(١) الشناوي. الدولة، ج ٢، ص ٨٤٥.

(٢) المرجع والصفحة نفسها.

(٣) تودوروف. موجز. ص ١١٣.

(٤) عبد الحميد الثاني. مذكراتي، ص ١٤٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٥٦ - ١٥٧.

(٦) أوزتونا. تاريخ، ج ٢، ص ١٦٠.

(٧) عبد الحميد الثاني. مذكراتي، ص ٤٥.

أرمنية ثورية داخلية، حيث شكلت في منطقة 'ولن' (Van) منظمة 'الصليب الأسود' أي 'قوة هاج' و 'ارمنة قان'. وفي 'أرضروم' تم تأسيس قيادة 'حماة الوطن' أي 'وطن قرويو جولاري'، إلا أن هذه المنظمات ظلت على الصعيد المحلي فقط ولم تجد لها رواجاً^(١)، واقتصرت نشاطها على مهاجمة جامعي الضرائب وعمال البريد والقضاة، وادرك الأرمن فشلهم في تحقيق شيء فنقلوا نشاطهم إلى الخارج، حيث تم تكوين منظمات عدة منها منظمة 'الهنشاك' 'الناقوس' (Hunchak) التي تكونت سنة ١٨٨٧ من الطلبة الأرمن الذين يستكملون دراستهم في 'سويسرا' و'فرنسا'^(٢).

ولقد أصدرت منظمة 'الناقوس' صحيفة تحمل اسمها وصحيفة أخرى تحمل اسم 'أرمينيا' التي عهد بإدارتها إلى 'نزاريك' (Nezarek) الذي تم تكليفه بالإقامة في 'جنيف' بسويسرا حيث بدأ هناك في إصدار هذه الصحف، ثم انتقل مقر الصحيفة إلى 'أثينا'، بحيث يسهل إرسال أعداد من هذه الصحيفة إلى الأقاليم العثمانية، لكن الحكومة اليونانية رفضت بقاء إصدارها في عاصمتهم^(٣). ولقد نشرت صحيفة 'الهنشاك' في لندن سنة ١٨٨٩ رسالة جاء فيها: "من الواضح قبل كل شيء أننا فوضيون، ولنا رغبة وطيدة منصوب عليها في لوائحنا ألا وهي نشر مبادئ الفوضى في الأناضول، بإحداث الاضطرابات، وأن هدفنا الأساسي هو إنشاء حكومة وطنية مستقلة في تلك البلاد، والحصول على الحرية السياسية في أوسع نطاق"^(٤).

أما المنظمة الأرمنية الثانية، فهي 'الداشناك' (Dashnak) أو 'داشناكتسوتيون' (Daschnagtzyoun – Dashnaksutyun) وهي 'الإتحاد الثوري الأرمني' (The Armenian Revolutionary Federation) وهي منظمة تأسست في 'روسيا' سنة ١٨٩٠، واستطاعت ضم الكثير من الأرمن الروس بعد أن تعرضوا لشتى أنواع الظلم والاضطهاد في 'روسيا'، وكان برنامج هذه المنظمة هو العمل على تكوين أفراد ثوريين وتسهيل تسلمهم إلى داخل الأراضي العثمانية لإثارة الذعر في نفوس الموظفين العثمانيين المسلمين والأرمن على حد سواء، وارتكاب مذابح عامة ضد المسلمين لاعتقادهم أن هذه الجرائم ستعمل على تصعيد الأوضاع، الأمر الذي سيؤدي في النهاية حسب تصورهم إلى إنشاء 'جمهورية أرمنية اشتراكية مستقلة' (An Independent Socialist Armenian Republic)^(٥).

ولقد أقامت منظمة 'الداشناك' العديد من الخلايا الثورية في العاصمة 'استانبول'، وفي مدن أخرى كما أقامت لها برنامجاً لكن نشاطها عموماً كان محدوداً، في الوقت الذي أصابت فيه منظمة 'الهنشاك'

(١) معهد السياسة الخارجية. الأزمة الأرمنية في تسع أسئلة وأجوبة (انقرة: جامعة حاجته، ١٩٩٣)، ص ٢٩-٣٠.

(٢) Salahi Ramsdan Sonyel. *The Ottoman Armenian, Victims of Great power Diplomacy* (London: K. Rustem & Brother, 1987) p.112.

(٣) Kâmurân Gürlün. *The Armenian File, The Meth of Innocence Exposed*, (London: K. Rustem & Brother, 1985) P.122.

(٤) الشناوي، الدولة، ج ٣، ص ١٥٦٥.

(٥) Stanford. J. shaw & Ezel Kural shaw. *History of the Ottoman Empire and Modern Turkey* (Cambridge: Cambridge University Press, 1977) Vol. 2, p.203; Sonyel. *The Ottoman*, p. 123; Gürlün. *The Armenian*, p. 124.

نجاحاً تاماً حيث أسست مراكز لها في 'أرضروم' و'خاربوت' و'أزمير' و'حلب' ^(١) وغيرها من المدن، كما قامت 'الهنشاك' بالتعاون مع المنظمات القومية البلقانية الدائرة على الحكم العثماني في 'مكدونية' في الوقت الذي كانوا يغمرون فيه للمدن العثمانية بمنشورات ثورية، قام الثوار الأرمن بإرسالها عن طريق البريد الأجنبي، كما عهد لأعضاء هذه المنظمة القيام بعمليات تفجير فسي الأماكن العامة والمكاتب الحكومية، حيث قتل العديد من الموظفين وهم جالسين على مكائهم ^(٢).

كان الثوار إلى جانب ذلك يقومون بإجبار مواطنيهم من الفلاحين والتجار على إيواء عناصرهم وإلا تعرضوا للقتل ^(٣)، ولقد استطاعت القوات العثمانية حصر عمليات هؤلاء الثوار في أضيق نطاق حيث ساعدتهم في ذلك المواطنين الأرمن الذين كانوا يرفضون التعاون مع الثوار إلا أن الثوار الأرمن قاموا فيما بعد بموجات عنيفة من المذابح والغارات ضد المسلمين، أدت إلى زيادة الظروف صعوبة، بحيث أصبح من الصعوبة أن يعيش الأرمن والمسلمين جنباً إلى جنب ^(٤).

استمرت عصابات الأرمن الثورية في تصعيد عملياتها، حيث دبرت عملية انتقامية في منطقة 'ساسون' (Sasun) التي تقع جنوب غرب 'موش' (Muş)، حيث يقطن بها قبائل من الأرمن الرحل رجالها ذوو بأس شديد، يميلون للسلب والنهب، وذلك عندما أراد الوالي المحلي أن يجمع المتأخرات من الضرائب التي كانت مقررة عليهم، حيث قام رجال 'الهنشاك' بتحرير هؤلاء الرجال لاستخدام السيوف والأسلحة النارية ضد جامعي الضرائب.

ولما أسرعت القوات العثمانية النظامية للسيطرة على الموقف هرب ثوار 'الهنشاك' إلى الجبال تقادياً لمعركة يعرفون سلفاً نتائجها وفي طريقهم اعملوا القتل والتدمير بسخان وقرى 'المسلمين' لأنهم أدركوا أن الأرمن الذين تركوا خلفهم سيلاقون نفس المصير ^(٥). وبذلك هدفت عصابات الأرمن لتحقيق هدفين:

الأول : ذبح المسلمين .

والثاني: ترك الأرمن يقتلون في قراهم حتى يتيح ذلك لوسائل الإعلام الأوروبية المعادية شن حملتها للنيل من العثمانيين ومن ثم حمل الدول الأوروبية على التدخل ^(٦).

لقد استغلت عصابات الأرمن مواطنيها لبشع استغلال في الوقت الذي استغلت فيه أوروبا قضية الأرمن لصالح تدخلها ^(٧). ولقد أرسل 'كوري' (Currie) السفير الإنجليزي لدى 'استانبول' في ٢٨/٣/ ١٨٩٤ برقية

(١) Gürün. *The Armenian*, p. 125-126 ; Shaw-shaw. *History*, p.203.

(٢) Shaw- Shaw . *History*, p.203.

(٣) Loc.cit,

(٤) Loc. cit.

(٥) Loc cit.,

(٦) انظر - معهد السياسة. *الأزمة*، ص ٢٢-٣٩.

(٧) Ibid., p.204.

إلى وزارة الخارجية يقول فيها "إن هدف الثوار الأرمن إحداث اضطرابات وقلق حتى يقوم العثمانيون
برد مماثل، وبهذا يكون الأرمن قد مهدوا السبيل للتدخل الأجنبي"^(١).

ومهما يكن من أمر فإن مذابح الأرمن بحق المسلمين أدت إلى وجود ردود فعل غاضبة من قبل
السكان المسلمين والجنود العثمانيين، لكن الدعاية الأرمنية والأوروبية نشطت رغبة في تهويل الأمور،
لذلك فقد قرر الأرمن أن القوات العثمانية قتلت ذبحا في منطقة الاضطرابات عشرين ألف أرمني ودمرت
خمسا وعشرين قرية أرمنية^(٢).

وعلى أثر هذه المذابح تدخلت أوروبا وعقدت الاجتماعات في 'لندن' لنصرة قضية الأرمن، وقامت
'إنجلترا' بالطلب من الباب العالي الموافقة على تشكيل لجنة دولية تتقصى الحقائق في مذابح 'ساسون'
(Sasun)، واستجاب لذلك الباب العالي، وتكونت لجنة دولية كان في عضويتها الدولة العثمانية
و'بريطانيا' و'فرنسا' و'روسيا'، وتجولت اللجنة للتحقيق في ٣٠ أيلول ١٨٩٥، واستمر التحقيق عدة
أسابيع، ثم قدمت تقريرها الذي جاء فيه : أن الأرمن هم الذين بدعوا الاضطرابات بسبب تحريض
المنظمات الثورية لهم ومن عملاء قدموا من الخارج وزعوا الأسلحة، وارتكبوا أقصى ما يمكن القيام به
من جرائم^(٣).

كما جاء في التقرير أن الأرمن كانوا يعتصمون في الجبال بعد قيامهم بالمذابح، حتى يتمكنوا من
التصدي للقوات العثمانية، كما أكد التقرير أن القوات العثمانية تصرفت وفق القانون، وأن الأرقام التي
ذكرت عن الضحايا الأرمن كان مبالغ فيها إلى حد بعيد^(٤).

لم يرض هذا التقرير الأرمن ، لذلك فقد قاموا بمظاهرات صاخبة احتجاجا على ما ورد في
التقرير، في حين ظل الرأي العام الأوروبي داعما لهم. وفي أيار ١٨٩٥ قدم كل من سفراء 'بريطانيا'
'روسيا' و'فرنسا' في العاصمة العثمانية خطة مصالحة بين الدولة العثمانية والأرمن، تتضمن إصدار
العفو عن المتهمين الذين صدر بحقهم أحكام بالسجن أو النفي، وإنشاء لجنة مراقبة دولية تطبق بعض
الإصلاحات وتعمل على عدم تجدد الاضطرابات والمذابح ، وأشار هؤلاء بضرورة قبول السلطان 'عبد
الحميد' بذلك، حيث قبل هذا الأمر بشكل جزئي في ١٧ تشرين أول ١٨٩٥، حيث رفض إنشاء لجنة
دولية، لكنه وافق على إصدار العفو، وإدخال بعض الإصلاحات ، وكان يهدف من ذلك تهدئة الرأي العام
الأوروبي وحكوماتها وهذا ما كان^(٥).

ويوضح السلطان 'عبد الحميد' موقفه من الأزمة الأرمنية محلا بعض أسبابها بقوله: "في الحقيقة
إن الأرمن قد اندمجوا في العادات الشرقية، وعاشوا معنا في سلام خلال خمسمائة عام، وهم عرق شرقي

(١) معهد السياسة. الأزمة، ص ٣٢-٣٣.

(٢) Shaw- Shaw . History, P.204-205.

(٣) Miller. The Ottoman , p.429.

(٤) Loc.cit., ; ص ١٠٩ ، أوكه. جاسوس ، ص ١٠٩ .

(٥) الشناوي . الدولة، ج ٣، ص ١٥٧٠.

غير محارب ولا معتد، فإذا تصادف وأن تعرضوا إلى بعض الحوادث المؤسفة، فإن سبب ذلك يعود إلى العملاء الذين حرضوا السياسيين الأوروبيين، الذين لا يعرفون شيئاً عن صفات الأمة الأرمنية ... تعرفون حق المعرفة إنني لست متعصباً، فجميع العثمانيين بالنسبة لي واحد مهما اختلفت دياناتهم ومذاهبهم وأصولهم، لست أنا من يعمل على التفرقة الدينية، بل القوى الأوروبية^(١).

لم يكن هذا يعني على الإطلاق وقف الأرمن لعملياتهم، حيث استمروا بمهاجمة الموظفين و المواطنين العثمانيين، وتصدى لهم المسلمون مما زاد من خطورة الأوضاع، ولما رأى السفراء الأجانب أن الأمور خرجت عن مسارها على اثر ازدياد مذابح الأرمن بحق المسلمين، طالبوا السلطان 'عبد الحميد' بإعلان الأحكام العرفية، وعلى أثر ذلك نقلت عصابات الأرمن نشاطها إلى 'الأناضول'، وطوال هذه المدة قابلت القوات العسكرية العنف بالعنف، وبلغ من سخط الجماهير المسلمة أن ردوا على المذابح بحقهم بمذابح مماثلة ضد الأرمن^(٢)، وظلت العصابات الأرمنية تقوم بين الفينة والأخرى بعمليات مماثلة في الوقت الذي تناسوا تماماً ما كان يتمتع به الأرمن من نفوذ داخل الدولة العثمانية، حيث يقول السلطان 'عبد الحميد': "ان الذين يعرفون حقائق الأمور يؤكدون تفوق الأرمن مالياً علينا، لقد تقلد الأرمن أعلى المناصب الوظيفية في الدولة بما فيها منصب الصدارة العظمى، ولا أكون مبالغاً أبداً إذا قلت أن ثلث الموظفين هم من الأرمن... إن الأرمن هم أغنى الرعايا"^(٣).

لم تكن 'روسيا' هي الوحيدة التي تساند قضية الأرمن، حيث برزت 'إنجلترا' وبقوة على مسرح هذه الأحداث، حيث أرادت تكرار ما تسميته 'بالمظالم البلغارية' داخل الدولة العثمانية، أي انفصال الأرمن عن الدولة العثمانية، وإنشاء دولة مستقلة لهم في شرق 'الأناضول'، كما حدث انفصال البلغار من قبل، ويمكن القول ان الحل الذي تريده 'إنجلترا' لقضية الأرمن يكمن في تخلي الدولة العثمانية عن منطقة ثلثها من المسيحيين والباقي من المسلمين^(٤)، لذلك فإن السلطان 'عبد الحميد' يقول موجهاً كلامه إلى 'أرمينيوس فامبري': "قولوا لأصدقائكم الإنجليز بالحرف الواحد وبصفة شخصية إلى اللورد 'سالزبوري' (Salisbury)^(٥) الذي اكن له كل احترام، إنني جاهز لاصلاح الأوضاع السيئة في أرمينيا، أما ان تقام دولة مستقلة - وهنا انفع السلطان - فإن قطع رأسي هذا يكون أحسن"^(٦)، ذلك أن قضية الأرمن تختلف اختلافاً كلياً عن كل قضايا الشعوب البلقانية، لأن الأرمن كانوا يقيمون في قلب الدولة العثمانية^(٧).

(١) أو.ك.ه. جاسوس، ص ٤٤.

(٢) الشناوي. الدولة، ج ٣، ص ١٥٧٣.

(٣) عبد الحميد الثاني. مذكراتي، ص ٢٧.

(٤) أو.ك.ه. جاسوس، ص ٣١-٣٢.

(٥) سالزبوري : ١٨٣٠-١٩٠٣ هو السيد روبرت آرثر تالبوت جاسكوين سبيل ، مركز سالزبوري الثالث ، سياسي بريطاني ،

تولى رئاسة الوزراء ثلاث مرات ١٨٨٥ - ١٨٨٦ ، ١٨٨٦ - ١٨٩٢ ، ١٨٩٥ - ١٩٠٢ .

Encyclopaedia Britannica (U.S.A. : International Copyright Union, 1971) Vol. 10, P. 356.

(٦) أو.ك.ه. جاسوس، ص ٤٥.

(٧) Bernard Lewis. The Emergence of Modern Turkey (Oxford : Oxford University, 1961), p. 356.

ومن نتائج هذه الأزمات :

- تلاقي وجهات النظر بين القوى الأوروبية تجاه المسألة البلغارية والمسألة الأرمنية، وكل ما يخص خراب الدولة العثمانية .

- وجود تحالفات دولية تعمل على زيادة النفوذ الأجنبي وإضعاف الدولة العثمانية.

- تدخل دولي لإجراء إصلاحات في 'بلغاريا' و'أرمينيا' وهذا شكل تدخلاً سافراً في شؤون الدولة العثمانية الداخلية.

- تأثير الثورات الداخلية على الأوضاع الاقتصادية والعسكرية للدولة العثمانية، ذلك أن هذه الثورات كلفت الدولة أموالاً طائلة، الأمر الذي لم تستطع الدولة تعويضه إلا عن طريق القروض

الأجنبية .

- تشويه صورة السلطان عبد الحميد في الإعلام الأوروبي، ونشر دعاية معارضة للدولة العثمانية.

٥- مشكلة القروض .

بالكاد يذكر التاريخ سلطاناً تسلم زمام الحكم بمثل الظروف التي تولى بها السلطان 'عبد الحميد' حكم الدولة العثمانية^(١)، حيث كانت الدولة تعاني من العديد من المشكلات المزمنة، وكان من هذه المشكلات الملحة 'مشكلة القروض' أو (الديون). حيث تحولت الدولة العثمانية إلى سوق للصرافة، ثم إلى شبه مستعمرة للدول الأوروبية الرأسمالية، وقد مهدت مرحلة التنظيمات العثمانية الثانية التي بدأت 'بخط همايون' السبيل لرأس المال الأجنبي، حيث فتحت له المزيد من الحقوق والامتيازات التجارية، وتسهيلات لم تكن في السابق^(٢). ويمكن القول أن القروض بدأت في عهد السلطان 'عبد المجيد' سنة ١٨٥٣ واستمرت في عهد السلطان 'عبد العزيز'، ولقد صرفت هذه القروض في سداد تعويضات حرب القرم، وبناء قصر 'دولمة باغجة' وتغطية تكاليف الثورات في 'البوسنة والهرسك' (Bosnia. Herzegovina)^(٣).

(١) باتريك. سلاطين، ص ٨٥.

(٢) فلاديمير بوريسوفيتش لوتسكي. تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة: عفيفة البستاني (ط٧، بيروت: دار الفارابي، ١٩٨٠).

ص ٣٧٤.

(٣) Ziya Karamursel, *Osmanlı Mali Tarihi, Hakkında Teşvikler* (Ankara: Türk Tarih Kurumu Basımevi, 1989), p. 102.

*بوسنة، وهرمك . هي إحدى الجمهوريات المكونة لجمهورية يوغسلافيا الاتحادية (سابقاً) تقع ما بين جمهورية كرواتيا، والجبل الأسود، ويحدها من الشمال مجرى نهر السافاو وتبلغ مساحتها ٥١,١٢٩ ميل^٢، وعدد سكانها ٣,٣ مليون نسمة، أي بكثافة ٦٤,١ للميل الواحد، وعاصمتها هي سراييفو، التي يبلغ عدد سكانها ١٧٥ ألف نسمة، وتتجمع الجالية الإسلامية في يوغسلافيا (سابقاً) في سراييفو التي تعتبر مركزاً للثقافة الإسلامية. انظر - احمد عطية الله. القاموس السياسي، (ط ٣، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٨)، ص ٢٣٤.

ويمكن القول ان هذه المشكلة ظهرت أيضا عقب انهيار الصناعات العثمانية أمام الصناعات الأوروبية وقيام رأس المال الأجنبي باستغلال المواد الخام، وأهمها الفحم الحجري والرصاص والفضة والنحاس، والتي نقلت إلى أوروبا لتصنيعها، بدلا من قيام الدولة باستغلال هذه الموارد لتطوير صناعاتها^(١) وإلى جانب ذلك كان لإسراف السلاطين العثمانيين وبذخهم دور كبير في وضع الدولة المالي المحرج بل ان السلطان 'عبد الحميد' يرى أن الإسراف والتبذير الذي قام به السلاطين ، لا سيما عمه السلطان 'عبد العزيز' هو الذي أوصل الدولة العثمانية إلى الإفلاس^(٢)، الأمر الذي أدى بالدولة الى البحث عن الأموال لسد عجزها المالي.

ولقد ازداد تدهور المركز المالي للدولة فيما بعد، وكانت النتيجة النهائية إعلان الدولة إفلاسها في ٦ تشرين أول ١٨٧٥م بعد عجزها عن تسديد فوائد ديونها، وتأجيل تسديدها إلى خمسة سنوات أخرى، الأمر الذي أساء إلى سمعة الدولة المالية^(٣). ولقد أثار إعلان الدولة العثمانية إفلاسها ضجة كبيرة في الأوساط المالية الأوروبية، وانهالت التهديدات صريحة بأنها ستستخدم القوة من أجل استرداد حقوق مؤسساتها ومواطنيها من حملة السندات^(٤).

وعندما تولى السلطان 'عبد الحميد' عرش السلطنة، كانت مشكلة القروض من أهم المشكلات التي تهدد بها أوروبا بالتدخل، لذلك فقد حمل دستور عام ١٨٧٦ حلول لهذه المسألة، وقد طلب من 'مجلس النواب' المصادقة على الميزانيات الجديدة، حيث خفضت رواتب الموظفين والمتقاعدين من منتسبي الخدمة المدنية، كما تم تشكيل 'لجنة الميزانية الخاصة' لتمحيص طلبات الميزانية الحكومية بانتظام في المستقبل مع تجنب الحديث عن الضرائب، لأن هذا الأمر من شأنه إضعاف الاقتصاد^(٥).

كما حثت الحكومة على توسيع الأعمال الزراعية والصناعية والتجارية وتحسين طرق استغلال الموارد الطبيعية^(٦)، وتأكيدا للمبدأ القائم بالعمل على تحسين الأوضاع المالية، فقد أمر السلطان بتخفيض مخصصاته الشخصية فيقول: "أمرت بتخفيض مخصصاتي الشخصية كي أكون قدوة حسنة ومثلا للتضحية عند وزرائي"^(٧) كما قام بالقضاء على الإسراف داخل القصر ، لاسيما نفقات المطبخ السلطاني، وألغى

(١) سيار الجميل . العرب والأترك ، الأبحاث والتحديث من العثمانية إلى الملمنة ، (ط١، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٧) ، ص ٧٥ .

(٢) عبد الحميد الثاني . مذكراتي ، ص ٢١٦

(٣) Lewis. The Emergence, P. 446-447 ; Karamursali, Osmanli, p.102 . انظر

(٤) Şevket Pamuk. The Ottoman Empire and European Capitalism 1820-1913 Trade Investment and production,

(Cambridge: Cambridge University press, 1987) P.61-62

(٥) الجميل . العرب ، ص ٧٧ .

(٦) المرجع نفسه، ص ٧٨ .

(٧) عبد الحميد الثاني . مذكراتي ، ص ٩٧

الامتيازات التي تتمتع بها والدة السلطان وبذلك وفر الكثير من الأموال^(١). كما قام بالزام الأمراء وأفراد الأسرة السلطانية والصدور العظام والوزراء على تقليل نفقاتهم، في الوقت الذي أزيلت فيه نفقات القصر السلطاني من خزانة الدولة، ودفعت من الخزانة السلطانية التي كانت تحت إدارة رجل يمتاز بالكفاءة وهو 'هاكوب باشا' (Hagop Paşa)، كما أن ميزانية الدولة قد خضعت لتدقيق خبير 'لجنة الإصلاح المالي' (Islahati Maliye Komisyonu) قبل أن تصل إلى 'الصدارة العظمى'^(٢). ولقد وصلت الديون العمومية قبيل تولى السلطان 'عبد الحميد' ثلاثمائة مليون ليرة^(٣). لذلك فقد استقدم الخبراء الماليين من أوروبا، حيث أعدوا له التقارير بإمكانية الوفاء بهذه الديون^(٤) أما الفوائد فكانت أربعة عشر مليوناً^(٥).

كان السلطان 'عبد الحميد' يعمل على تحاشي عقد مثل هذه القروض، لكن إصلاحاته المالية لم تحقق نجاحاً كاملاً، وذلك يعود إلى افتقار الدولة العثمانية إلى السياسة المالية، وإلى الإدارة المدروسة والمراقبة القوية^(٦).

إلى جانب ذلك كانت لحروب الدولة الخاسرة التي دامت طويلاً، وكلفت أموالاً طائلة أثرها على سياسة السلطان المالية، فضلاً عن خسارة الدولة للعديد من الأقاليم الهامة، كما أن كثيراً من الأموال ذهبت خلال سياسة الدولة الإصلاحية وخططها التنظيمية وإعادة تنظيم الجيش^(٧). الأمر الذي جعل هذه القروض سبباً هاماً في استفحال الأزمات المالية للدولة العثمانية^(٨).

رغم ذلك قام السلطان 'عبد الحميد' بتخفيض الديون العمومية من ثلاثمائة مليون ليرة إلى ثلاثين مليون ليرة بعد دفع ما تطلبته حروب الدولة^(٩). لكن هذه الأمور لم تكف حيث اضطر السلطان 'عبد الحميد' للجوء إلى المقرضين الأجانب، وذلك لجلب استثماراتهم داخل الدولة بعد ما رأى هؤلاء الإصلاحات والأساليب التحديثية التي قام بها السلطان 'عبد الحميد'، لذلك فقد قام بعقد قرض قيمته ١٢ بليون قرش (12 Billion Kuruş) بين عامي ١٨٨٦-١٩٠٨ ثم استلام ١٠,٨ بليون قرش منها^(١٠).

كانت هذه القروض في ظل وجود 'مصلحة الديون العمومية العثمانية' التي صدر بها مرسوم سلطاني في ٨ كانون أول ١٨٨١ وذلك من أجل وضع آلية للإشراف على الخطوات اللازمة لإيفاء الدولة

(١) محمد كرد علي، خطط الشام، (ط٢، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٠) ج ٣، ص ٩٩.

(٣) Shaw-Shaw. History, P.222.

(٤) İsmet Bozdağ. Abdülhamid in Hatıra Defteri, Belgeler ve resimleri, (İstanbul: Kervan Kitapçılık, 1975), p.11.

(٥) طوران، أسرار، ص ٣٥.

(٥) حرب، السلطان، ص ٥١.

(٧) عبد الحميد الثاني، مذكراتي، ص ٩٤.

(٨) الجميل، العرب، ص ٨٣-٨٤.

(٩) Shaw-Shaw. History, p.222.

(١٠) Bozdağ. Abdülhamid, p.11.

(١١) Shaw-Shaw. History, p.226.

بتعهداتها وقد ترأست هذه المصلحة فرنسا وإنجلترا بالتناوب^(١) في حين عملت هذه المصلحة كوسيط مع الشركات الأوروبية التي تبحث عن فرص للاستثمار داخل الدولة العثمانية^(٢). وكانت القروض قد أدت إلى زيادة التنافس الأوروبي، كون كل دولة ترغب في أن تكون مصدر للقروض، مما يساعد في سياستها تجاه الدولة العثمانية، وهذا أدى إلى اهتزاز العلاقات الأوروبية في موقفها تجاه الدولة العثمانية؛ وانعكس ذلك تماما على قدرة كل دولة في تحصيل امتيازات جديدة داخل هذه الدولة، مما مكن السلطان 'عبد الحميد' من استغلال ذلك الأمر في إدامة الصراع الأوروبي لصالح دولته.

ومن نتائج مشكلة القروض :

- ١- أنها كانت امتدادا للأحوال المالية السيئة التي كانت تمر بها الدولة العثمانية، وأن الإصلاحات المالية التي أدخلها السلطان 'عبد الحميد' كانت تتم وقد سبقتها قروض إضافية متراكمة، الأمر الذي أدى إلى زيادة الأعباء المالية للدولة.
- ٢- أن القروض كانت مرتفعة، يوثيق ذلك أثناء إعلان الدولة العثمانية إفلاسها عام ١٨٧٥، حين عجزت حتى عن تسديد الفوائد، الأمر الذي فتح المجال للتدخل الأوروبي بالسياسة الداخلية والخارجية للدولة العثمانية، وخصوصا فيما يتعلق بالأمور الاقتصادية.
- ٣- كانت القروض تؤدي إلى زيادة الامتيازات الممنوحة للدول المقرضة في شتى المجالات داخل الدولة العثمانية.
- ٤- لم تستفيد الدولة العثمانية من القروض، كونها كانت تستخدم كمصاريف للقضاء على الفتن والثورات والنزعات الاستقلالية داخل الدولة، بدلا من استخدامها في أعمال التنمية الاقتصادية للدولة.
- ٥- أدت مشكلة القروض إلى ظهور آراء تعتبر السلطان 'عبد الحميد' هو السبب في استفحال الأزمات المالية للدولة، إلى جانب الأزمات الأخرى. وبالتالي إلى ظهور المعارضة لحكمه.

(١) Pamuk. *The Ottomans*, p.62.

(٢) Roderic. H. Davison. *Reform in the Ottoman Empire 1856-1876* (Princeton : Princeton University press, 1963). p.93.

ب- أحوال الدولة العثمانية الخارجية .

تعرضت الدولة العثمانية للعديد من المؤثرات الخارجية أثرت على سياسة الدولة، والتي على أساسها كانت الدولة في كثير من الأحيان ترسم سياستها وفق متطلباتها ومن ذلك .

١- الامتيازات الأجنبية:

تعرف كلمة الامتيازات اصطلاحاً : بأنها مجموعة الحقوق التي تمنح للدول الأجنبية من قبل دول أخرى بناء على اتفاق أو معاهدة مبرمة بينهما^(١).

وتاريخ الامتيازات قديم جداً ، وكانت أحد الشروط الرئيسية لتبادل التجارة الدولية ، وكانت إحدى الوسائل الضرورية للإمبراطوريات القوية لتحقيق مصالحها في شتى المجالات ، وقد تنوعت الامتيازات، فمنها الامتيازات التجارية والدينية والسياسية وغيرها^(٢).

ولقد مرت الامتيازات في أربعة مراحل كان أهمها المرحلة الرابعة التي امتدت من سنة ١٨٣٩- ١٩١٤م. وتميزت هذه المرحلة من الامتيازات عن سابقتها باتخاذ معاهداتها سمة الدولية المشتركة، ويقصد بها تحالف عدة دول واشترائها معا في طرف واحد في معاهدة ما مقابل الطرف الثاني الذي تمثله الدولة العثمانية، بعد أن كانت هذه المعاهدات ثنائية الأطراف في السابق، كما تميزت هذه المرحلة بالشمولية في تحقيق الأهداف الاقتصادية والسياسية والدينية والعسكرية وحقوق الملكية الخاصة والحريات العامة والنواحي الاقتصادية والعلمية وأخذت الامتيازات تتناسب العصر الجديد والمصالح الأوروبية^(٣).

اثر الامتيازات على اقتصاد الدولة العثمانية .

أثرت الامتيازات تأثيراً سلبياً على الاقتصاد العثماني بشكل خاص، وعلى الدولة العثمانية بشكل عام ، حيث شهدت الدولة ضعفا واضحا على المستوى السياسي والعسكري والاقتصادي، في الوقت الذي قررت فيه الامتيازات للدول الأوروبية الكثير من الحقوق، منها الإعفاء الكامل من الضرائب الجمركية الداخلية ، الأمر الذي أدى الى خفض أسعار البضائع واستهلاكها بسرعة، كما أدى إلى أضعاف التجارة الداخلية والخارجية، في الوقت الذي وجدت فيه أسواق أوروبية داخل الدولة ، الأمر الذي جعل الصناعات العثمانية غير قادرة على منافسة نظيرتها الأوروبية، وفي الوقت نفسه الذي قامت فيه أوروبا باستغلال

(١) وليد العريض . " تاريخ الامتيازات في الدولة العثمانية وأثارها " ، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ، الجامعة

الأردنية ، عدد ١ ، ٢٤م ، ١٩٩٧ ، ص ١٤٥ .

(٢) المرجع والصفحة نفسهما.

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٥١ . - أنظر عن مراحل الامتيازات بتوسع في: العريض. تاريخ، ص ١٤٨-١٥١.

المواد الخام واستخراجها بأسعار زهيدة ، وهذا أدى في كثير من الأحيان إلى صعوبة إيجاد العثمانيين لهذه المواد لصناعاتها الوطنية ، مما أدى إلى اختفاء الصناعات الصغيرة من الأسواق^(١)، ولقد تركزت الأسواق الأوروبية في قلب الدولة العثمانية، دون مناطق أخرى في شرق الدولة والمناطق العربية^(٢).

ويوضح 'جب - بوون' مدى ما كانت تمنحه الامتيازات للأجانب ومدى استغلالها من قبلهم بقوله: "ولما كان تحت تصرف كل سفير خمسون براءة ولما كانت المنحة تتجدد عند كل تعيين جديد، لا يدعو للعجب ان تزداد بسرعة أعداد أولئك الذين كانوا ينعمون بالرعاية الفرنسية والنمساوية والسويدية والبريطانية، وغيرها من الجنسيات الأوروبية ممن كانوا يندمجون في هذه الجنسيات و يشاركون في نفس القضاء القنصلي، ويمكن أن نتيبن مدى سوء استعمال هذا الحق ما وصل إلينا من أن باشا 'حلب' شكّا إلى الباب العالي في عام ١٧٩٣ من أن عدد تراجمة القناصل في 'حلب' زاد حتى بلغ حوالي ألف وخمسمائة وكلهم معفون من الضرائب ويعملون في التجارة"^(٣).

الحقيقة أن الامتيازات وجدت في ظل خلل واضح في النشاط التجاري للدولة العثمانية، حيث اعتبر هذا النشاط محطاً لقدر حضارتهم التي تقوم على الفروسية والشهامة، إلا أن الأمور بدأت تخرج من كونها مجرد امتيازات تجارية إلى اكتساب مميزات قانونية أصبحت حقوقاً في أيدي الدول العظمى تؤثر إما في تعزيز أهدافها القومية، وإما لإجبار الدولة على إدخال الإصلاحات التي وعدت بها في عدة مؤتمرات وقرارات إصلاحية^(٤).

ومن وجهة النظر العثمانية كان من الاعتراضات على نظام الامتيازات الأجنبية هو الطريقة التي أدت إلى ظهور نظام الحماية التي أعطت نوعاً من التنظيم الذي يخول الرعايا العثمانيين إما الحصول على الجنسية الأجنبية، وإما طلب الحماية من أية دولة أجنبية دون أن يتطلب هذا الإقامة في هذه الدول التي تعطيه الحماية، بالتالي يصبح له حق التمتع بالامتيازات الأجنبية سواء كانت سياسة أو تجارية أو دينية، كما يتمتع بها رعايا الدول الأخرى الذين يعيشون في الدولة العثمانية^(٥).

هذا الأمر أدى بالكثير من هؤلاء الرعايا للتهرب من عبء الضرائب والتمتع بالامتيازات، بل وصل الأمر إلى أن الصناديق البريدية للدول الأوروبية كانت وفق الامتيازات معفاة تماماً من التفتيش والمراقبة من وإلى الدولة العثمانية^(٦).

(١) المريض، تاريخ ، ص ١٥٨.

(٢) سيار الجميل، تكوين العرب الحديث ١٥١٦-١٩١٦ (الموصل : جامعة الموصل ، ١٩٩١) ص ٣٣٩.

(٣) هاملتون جب - هارولد بوون، المجتمع الإسلامي والغرب ، ترجمة ، احمد عبد الرحيم مصطفى، (مصر: دار

المعارف، ١٩٧١)، ج٢، ص ١٦٢.

(٤) ميم كمال أوكه، السلطان عبد الحميد الثاني، بين الصهيونية المالية والمشكلة الفلسطينية ، ترجمة، إسماعيل صادق،

(ط١، القاهرة : الزهراء للأعلام العربي، ١٩٩٢)، ص ٥٤-٥٥.

(٥) المرجع نفسه ، ص ٥٥.

(٦) باتريك. سلاطين ، ص ٩٦.

تعدى أمر الامتيازات إلى قيام الدول الأوروبية بأعمال المراقبة داخل ولايات الدولة العثمانية ففي
مكدونية^(١) (Macedonia) - التي تتألف من ولايات 'مناستير'^(٢) (Monastir) و'كوسوفو' و'سلانيك'-
تأسست أواخر القرن التاسع عشر إدارة خاصة تحت مراقبة خمس دول أوربية هي 'إنجلترا' و'فرنسا'
و'روسيا' و'النمسا' و'إيطاليا'، وكانت المراقبة تشمل بوجه خاص الشؤون المالية وأموال الأمن، وكانت كل
منهما تحت مراقبة دولة من هذه الدول الخمس، على أن يكون مركز كل ولاية هيئة مراقبة تشرف على
أعمال مراقبي الاقضية، على أن تكون في 'سلانيك' هيئة للمراقبة الدولية مع مفتش عام عثماني يعين لمدة
خمس سنوات، فلا يتم عزله طوال هذه المدة ويتمتع بسلطات تنفيذية هامة^(٣) الأمر الذي كان يتنقص من
سيادة الدولة العثمانية على أراضيها.

"ومع أن المقصود أصلاً من هذه للمعاهدات أنها امتيازات منحها حاكم ذو سلطان، لا أنها حقوق
انترعت من سيد ضعيف، فقد منح الأجانب امتيازات إقليمية كانت شيئاً مذكراً للترك حتى انحلال
الإمبراطورية"^(٤).

كانت حصيلة الامتيازات أنها وفرت للكوروبيين تشكيل حكومة دخل الحكومة العثمانية مما حال
دون قيام الدولة حقاً بتنفيذ مشروعاتها، لذلك فقد اعتبرت الامتيازات الأجنبية بمثابة مواثيق مذلة

(١) مكدونية : هي إقليم جنوب شرق أوروبا ، تمتد شمالاً من بحر إيجة بين ألبانوس وترافيا ، وينقسم الإقليم من الناحية
السياسية الى مكدونية اليونانية وعاصمتها سلانيك ، وجمهورية مكدونية اليوغسلافية المتمتعة بالحكم الذاتي وعاصمتها
سكوبي ، ومكدونية البلغارية . ولقد صارت مكدونية رقعة خليطة من الأديان والقوميات من المسيحيين والمسلمين واليهود
والبغار واليونان . وحينما أخذت الدولة العثمانية تتفكك في القرن التاسع عشر ، أدعت كل من اليونان وصربيا وبلغاريا
حقها في تملكها ، وأعطت معاهدة سان ستيفانو الجانب الأكبر منها الى بلغاريا ، لكن مؤتمر برلين أعاد الحكم العثماني
المباشر عليها من جديد . انظر - عبد الغني العريسي . مختارات المفيد ، (ط ٤ ، بيروت : دار النهار للنشر ، ١٩٩١) ،
ص ٢٩٧ .

(٢) مناستير . أو بيتولا Bitola في السلافية ، وهناك من يرى أن هذا الاسم من Butelion اليونانية أو Obitel السلافية ، أو
بيت الله بالعربية ، ومن هنا تبدو الصلة بين تسمية بيت الله والتسمية العثمانية مناستير أي الدبر ، وذلك عندما سقطت في
يد العثمانيين خلال ١٣٨٣ - ١٣٨٧ ، حيث تطورت بسرعة لتصبح من اعظم للمراكز الاقتصادية والثقافية في البلقان ،
وفي القرن الخامس عشر ، استوطنت فيها ٢٠٠ عائلة يهودية ، مما جعل لليهود حضور مميز فيها منذ ذلك الحين . انظر
حسن كلشي . الوجه الآخر للاتحاد والترقي، تقديم وترجمة محمد الارناؤوط ، (اربد : قدسية للطباعة والنشر ١٩٩٠) ،
ص ٣٨ .

(٣) ساطع الحمصري . البلاد العربية والدولة العثمانية ، (ط ٢ ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٦٠) ، ص ١٠٧ .

(٤) فيليب حتي . تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة ، كمال اليازجي ، (بيروت : دار الثقافة ، ١٩٥٩) ، ج ٢ ، ص ٣١٣ .

١ الشناوي . الدولة ، ج ٢ ، ص ٧٥٠ .

للعثمانيين^(١) خصوصا وأن مبدأ التبادلية والتعامل بالمثل على سبيل التكافؤ أمر لم يعد قائما مثلما كان عليه الأمر في السابق^(٢).

ويوضح السلطان 'عبد الحميد' أنه لما أراد إلغاء الامتيازات قامت الصحف الأوروبية بالصياح والعيول، حيث اظهروا الدولة العثمانية بمظهر المعتدي على حقوق الآخرين في حين يدرك المحايدين أن هذه الامتيازات هي التي هضمت حقوق الدولة العثمانية وألحقت بها الحيف^(٣).

٢- التنافس الدولي وظهور المسألة الشرقية.

ظهرت العديد من الدراسات الأوروبية التي تحدثت حول تقسيم الدولة العثمانية في الثلث الأول من القرن التاسع عشر^(٤). ومن هنا ظهر مصطلح 'المسألة الشرقية' الذي أرادوا به حال الدولة العثمانية بالنظر إلى مصالحهم وأطماعهم، حيث اعتقدت أوروبا أن الدولة العثمانية تجاوزت الشيخوخة، وأن انحلالها، وكل دولة تطالب حقها من تلك الغنيمة، ويتذرعون إلى ذلك غالبا بأسباب دينية، فيزعمون أنهم يريدون حماية المسيحية في الشرق، أو القصاص من بعض الحكام العثمانيين، لأنهم تعدوا على مصالحهم التجارية، وكان الغرض الأساسي من هذا التحرش هو القضاء على الدولة العثمانية كليا^(٥).

ومن الصعب حصر للمسألة الشرقية في إطار واحد من التعريف، ولكن يمكن القول بوجه عام بأن المسألة الشرقية تتناول المصالح المتضاربة، والتنافس العنيف الذي وقع بين الدول الأوروبية في مجالات السياسة والاقتصاد والدين، وعلى وجه التحديد، فهي المسألة التي تتناول في الدرجة الأولى الدولة العثمانية، منذ أن ظهر العثمانيون في آسيا الصغرى، وفي جنوب أوروبا، ومنطقة الشرق الأدنى، وبذلك شاع القول السائد: "منذ أن ظهر الأتراك في أوروبا نشأت مسألة شرقية"^(٦).

كما اصطلح على تسمية الدولة العثمانية باسم 'رجل أوروبا المريض' (The Sick Man of Europe)، وقد صدرت هذه التسمية عن القيصر الروسي 'نيكولا الأول' (Nikolas I) في حديث جرى سنة ١٨٤٤ بينه وبين 'ابردين' (Aberdeen) رئيس وزراء بريطانيا وذلك في 'وندسور' (Windsor)، في إنجلترا، حيث كانت تجمع الاثنان صداقة وثيقة، لكن هذا المصطلح أو التصريح لم يكن الأول من

(١) الحصري . البلاد ، ص ٧٥١.

(٢) قيس المزاري، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط (ط١، فلوريدا: مركز دراسات الإسلام والعالم، ١٩٨٤)، ص ٢٠.

(٣) عبد الحميد الثاني، مذكراتي، ص ٧٠.

(٤) رفيق شاعر النثشة، السلطان عبد الحميد وفلسطين، السلطان الذي خسر عرشه من أجل فلسطين، (ط١، الرياض:

شركة مطابع لجد التجارية، ١٩٨٤) ص ٦٢ .

(٥) حسين ليبب، تاريخ المسألة الشرقية، (مصر: مطبعة الهلال، ١٩٢١)، ص ٤ .

(٦) زين نور الدين زين- الصراع الدولي في الشرق الأوسط، ولادة دولتي سوريا ولبنان، (بيروت: دار النهار للنشر،

١٩٧٠)، ص ٢٢ - انظر، وديع تلحوق. الصليبية الجديدة في فلسطين، (دمشق: مطبعة النضال، ١٩٨٤)، ص ١٩.

نوعه لقيصر روسيا ، بل سبقه تصريح يتفق في مضمونه على ذلك ، حين صرح في عام ١٨٣٣

بالقول : "I have no power to give life to the dead, and the Turkish Empire, is: dead, I have no confidence in this old body, preserving life, it is dissolution from all sides" ليس في استطاعتي ان ابعث الحياة في الموتى، ان الإمبراطورية العثمانية دولة ميتة ، وليس لدي ثقة في ان يستمر هذا الجسم العجوز محافظا على الحياة ، انه في حالة انحلال في جميع النواحي^(١).

ولهذا فقد سعت الدول الأوروبية لحل هذه المشكلة، وقد وضعوا لذلك الخرائط ، وكانت 'إنجلترا' اقل الدول رغبة في إنهاء المسألة الشرقية ، باقتسام أملاك الدولة العثمانية^(٢)، في حين كانت 'روسيا' أشد رغبة من غيرها في إنهاء هذه المسألة ، حيث كانت 'روسيا' في سياستها تجاه الدولة العثمانية تقوم على التطبيق العملي للتعليمات التي وضعها القيصر 'بطرس الأكبر' - مؤسس روسيا الحديثة - بالإضافة إلى تطبيق وصايا القيصر 'اسكندر الأول' (Alexander I) الذي طلب في ١٩ نيسان م ١٨١٢ من رجال السياسة وموظفي الدولة ان يفرسوا في قلوب الأمم البلقانية حب الروس، وتحريض الناس على تأسيس ممالك داخل الدولة العثمانية، وظلت 'روسيا' ورجال سياستها الى وقت بعيد يطبقون هذه التعليمات والوصايا بحذافيرها^(٣).

ولم تترك الدول الأوروبية حركات التحرر الذاتي تسير بنفسها داخل القوميات التي تخضع للدولة العثمانية، بل أسرع وقامت بصبغها بالصبغة الدينية العامة لدمجها مع أهدافها الخاصة ، ذلك لأن مبدأ التوسع الاستعماري الحديث كان قد انتشر بينها ، وكانت هذه الدول تتنافس فيما بينها في هذا الميدان ، وكل منها تسعى للظفر بحصة الأسد ، وتسعى للسبق في السيطرة ، وانتزاع أجزاء مما تطمح إليه قبل سواها من الدول ، ولما كانت الدولة العثمانية تسيطر فعليا على منافذ بعض المضائق ، وعلى كثير من البلاد التي تتنازعها مطامع الدول الاستعمارية، لذا أصبح لا بد من إزالتها عن الطريق بأية وسيلة كانت واقتسام تركتها، وتوزيع ممتلكاتها غنائم وأسلاها على تلك الدول الطامحة^(٤).

لذلك فقد قال قيصر روسيا 'نقولا الأول' حين كان يبذل جهده لاقتناع 'بريطانيا' على اقتسام الدولة العثمانية : "يوجد بين وزرائي رأيان بشأن تركيا ، فبعضهم يصرح بأنها في حالة الاحتضار، وبعضهم يعلن انها لقيت حتفها ، وعلى كل حال فلا شيء يحول دون مماتها العاجل"^(٥). وكانت 'إنجلترا' تسعى في

(١) الشناوي، الدولة ، ج ٢ ، ص ٨٢١ .

(٢) ليبب. تاريخ ، ص ٥ .

(٣) عبد الحميد الثاني . مذكراتي ، ص ١٤٥ .

(٤) تلحوق. الصليبية، ص ٢٠ .

(٥) النمر. نظرات، ص ١٦٩ .

هذه المرحلة إلى إدامة للصدقة بينها وبين الدولة العثمانية بسبب ما تمثله الأخيرة من نفوذ لدى مسلمي 'الهند' (١).

مما يذكر في هذا المجال أن اللورد 'سالزبوري' رئيس الوزراء البريطاني في حديث له عام ١٨٩٥ مع 'دي كورسيل' (de Courcel) السفير الفرنسي في 'لندن' صرح بأنه آسف أشد الأسف لأن الحكومة البريطانية رفضت مشروع تقسيم الدولة العثمانية الذي عرضه عليها 'نقولا الأول' عام ١٨٥٣ ، وقال بأن الحكومة البريطانية قد راهنت على ما اسماء 'بالحصان الخاسر' ، وبهذا بدأ التوجه البريطاني يتجه إلى ما كانت تتجه إليه العديد من الدول الأوروبية ، خصوصاً 'روسيا' و'النمسا' لإنهاء وجود الدولة العثمانية (٢). وكانت 'إنجلترا' رغم ذلك أكثر الدول حذراً في تعاملها مع السلطان 'عبد الحميد'؛ فإلى جانب كونه غير محبوب ، إلا أنه رجل دولة لديه الملايين من المسيحيين ، وبصفة خلافته له نفوذ على رعايا الدول الأوروبية المسلمين، في الوقت الذي كانت فيه ممتلكات 'إنجلترا' تشمل على أكبر عدد من المسلمين في العالم ، أما الدولة العثمانية فكانت الثانية (٣).

يمكن القول أن السلطان 'عبد الحميد' لم يكن يتهرب من المشاكل التي تواجهه داخلياً وخارجياً بسبب معرفته بأنه أستاذ في تدبير المكائد (٤)، ولما كان يعلم تفاصيل السياسة الأوروبية، فقد كان يأخذ رأي مستشاريه قبل إصدار أي قرار، ويوزن أفكاره بعد أن يوزن أفكارهم (٥).

كل تلك الأخطار حذت بالدولة العثمانية وعلي رأسها السلطان 'عبد الحميد' للوصول إلى توازن القوى، وكانت الجهة المؤهلة لإحداث ذلك التوازن هي 'ألمانيا' ، التي وصلت علاقاتها الذروة مع الدول العثمانية في العقد التاسع من القرن التاسع عشر، الأمر الذي كان يتمشى مع سياسة 'ألمانيا' العليا، التي بدأت بالظهور على مسرح الأحداث، بعد أن شهدت بحريتها نمواً كبيراً، وتقدمت صناعيتها، وازداد عدد سكانها زيادة دعته إلى إيجاد أسواق لصناعاتها ، وكان هذا الأمر يفرض عليها القيام بسياسة نشطة في كل بقعة من بقاع العالم ، وبذلك بدأت 'ألمانيا' تتجه إلى الطريق الخارجي متذعرة بأن للضرورة أحكامها (٦)، وأصبحت 'ألمانيا' بذلك إحدى الدول المنافسة لإنجلترا الدولة الأكثر تطوراً من الناحية الصناعية، وبدأت بسياستها العالمية (Welt Politik) لسد فجوة التنافس الاستعماري بينها وبين 'إنجلترا'، وبدأت بذلك تهدد 'إنجلترا' المتفوقة منذ زمن يوماً بعد يوم (٧)، ورغم ذلك كانت سياسة السلطان

(١) مصطفى كامل . المسألة الشرقية ، (مصر : د.نا ، ١٨٩٨)، ج ١، ص ٢١ .

(٢) الشناوي . الدولة ، ج ٢ ، ص ٨٣٢-٨٣٣ .

(٣) أوزتونا . تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٤٩ .

(٤) أوكه . جاسوس ، ص ٣٥ .

(٥) المرجع نفسه، ص ٣٦ .

(٦) الشناوي . الدولة ، ج ٣ ، ص ١٣٤٤ .

(٧) أوكه . جاسوس ، ص ١٨١ .

'عبد الحميد' تقوم على مبدأ 'الحياد المطلق' ويقصد بذلك الابتعاد كلياً عن السياسة الأوروبية والتأكيد على أنه من الأهمية الابتعاد عن الدول الأوروبية في أي مجابهة عسكرية^(١). لقد كان السلطان 'عبد الحميد' يخطط سياسته بأداء يتميز بالثقة والميطرة على الأوضاع المتناقضة سواء ما انتهى منها أو لم ينته^(٢).

بذلك دخلت 'ألمانيا' السياسة الخارجية من أوسع أبوابها ، وأصبحت السياسة الخارجية لها تتجه نحو عدم تحكم 'روسيا' في مضائق 'البسفور' و 'الدردنيل' ، يشاركها في ذلك إمبراطورية 'النمسا - المجر' ، بعد أن كانت لا تهتم بذلك مطلقاً، وكان هذا الاهتمام واضحاً بعد النزاع السياسي الذي وقع بين 'روسيا' و'بروسيا' ، وبعد أن أصبحت لألمانيا مصالح في مد خط حديد 'الأناضول' و'بغداد'، إذ أن مضيق 'استانبول' هو نقطة البداية لكثير من هذه الخطوط ، لا سيما خط حديد 'الأناضول'^(٣).

من أجل هذه العلاقة الجديدة بين 'ألمانيا' والدولة العثمانية ، قام القيصر الألماني 'وليام الثاني' (Kaiser William II) ، بثاني زيارة للسلطان 'عبد الحميد' في ٣٠ أيلول ١٨٩٨ ، ليؤكد موقف 'ألمانيا' من الحرب ضد اليونان عام ١٨٩٧^(٤) حيث أبدى القيصر اهتماماً بهذه الحرب، لذلك فقد أرسل القيصر الألماني ضابطاً عسكرياً كبيراً ليساعد صديقه السلطان^(٥). وكان للقيصر إلى جانب ذلك يسعى لتتمة العلاقات الثنائية بين الدولتين في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والعمرانية والعلمية، بما فيها تنشيط البعثات الألمانية للكشف عن الآثار في المناطق العثمانية، وقد عرفت سياسة التقارب نحو الدولة العثمانية باسم 'الاتجاه نحو الشرق' (Drang Nach Osten)^(٦).

بعد زيارة للقيصر الألماني إلى العاصمة العثمانية، قام بزيارة إلى الأراضي المقدسة - فلسطين - و'سوريا' و'لبنان'، كما زار قبر 'صلاح الدين الأيوبي'، فخطب مشيداً بالخليفة 'عبد الحميد' وبـ ٣٠٠ مليون مسلم الذين يقودهم مؤكداً على صداقة إمبراطور ألمانيا للمسلمين^(٧).

وقد شجعت 'ألمانيا' تدفق رؤوس الأموال الألمانية على الدولة العثمانية ، وزيادة حجم التبادل التجاري بين الدولتين، حيث أوفدت مندوبين للشركات التجارية الألمانية إلى 'استانبول' ، وأسست بنوكاً كبرى، كما أنشأت جماعة من أصحاب رؤوس الأموال الألمانية خطاً للملاحة البحرية بين 'هامبورج' و'استانبول' سنة ١٨٨٩ ، عقب الزيارة الأولى للقيصر الألماني 'وليام الثاني' للدولة العثمانية ، وقد أطلق على هذا الخط اسم 'خط الليفانت'^(٨) (Deutsche levante linie) وذلك لدعم تجارة 'ألمانيا' في الدولة، واحتل بذلك رأس المال

(١) أوكه . جاسوس، ص ٣٤.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٤ .

(٣) عبد الحميد الثاني . مذكراتي ، ص ١١٨

(٤) Alan Palmer. *The Decline and fall of the Ottoman Empire*, (London: John Murray, 1992), p. 189.

(٥) باتريك . سلاطين ، ص ١٠٢-١٠٣ .

(٦) الشفاوي . الدولة ، ج ٣ ، ص ١٣٤٦ .

(٧) Ibid., p. 191-192.

(٨) ليفانت . تاريخياً: هي الأقطار الشرقية على طول ساحل البحر المتوسط. وقد ارتبط هذا المصطلح عموماً بإقامة علاقات تجارية بين الدول، ولقد استعمل هذا المصطلح خلال التعامل التجاري مع سوريا، وأحياناً بين اليونان ومصر، كما =

الألماني المكانة الأولى ، وأقصيت عن مركز الصدارة رؤوس أموال كل من 'إنجلترا' و'فرنسا' (١).

رغم ذلك كان السلطان 'عبد الحميد' أدهى من أن ينحصر بصره ببطولات حاميه الجديد، لكنه كان يدرك جيداً أهمية هذا الحليف القوي في المحافل الأوروبية ، لذلك فقد رحب السلطان أشد الترحيب بما أعلنه القيصر من صداقته له ولجميع المسلمين ، ومباهاته بذلك، ويمكن القول إن السلطان 'عبد الحميد' لم يكن ليرحب بمثل هذه الصداقة من أجل الصداقة نفسها، بل من أجل المنافع التي تعود عليه وعلى دولته منها، وأما من حيث مطامع 'ألمانيا' في الدولة العثمانية ، فقد كان 'عبد الحميد' يميل إلى أن يساوم فيها ما دامت هذه المطامع لا تتطوي على سيطرة سياسية ، بل وكان شديد الحرص على الظهور بمظهر الكريم في مساومته (٢) . ولم يكن بد من ذلك ، إذ لا يمكن للدولة العثمانية أن تبقى وحيدة.

ويوضح السلطان 'عبد الحميد' سبب توجهه نحو 'ألمانيا' فيقول: "أنى كنت أرى بوضوح أن ظهور 'ألمانيا' كفيل بإخلال التوازن الأوروبي ، وإن هذا سيوقع الدول الأوروبية بعضها في بعض ، كانت قوة الألمان تزداد عاماً بعد عام، وكنت ألاحظ اضطراب كل من الفرنسيين والإنجليز والروس لهذا النمو الألماني ، ونهاية هذا الأمر سيكون صدامهم" (٣). في نفس الوقت الذي خفت 'فرنسا' من حدة تنافسها مع 'إنجلترا' وإن لم تتركه ، وبدأت تسلك طريقاً للبحث عن تفاهم مع الروس لضمان أمنها، لذلك فقد تراجعت سياستها تجاه الدولة العثمانية، وأخذت في التأييد المتصل للروس في خلافاتهم مع الدولة العثمانية، في الوقت نفسه الذي بدأ فيه الروس يعملون حساباً للألمان، جيرانهم الأقوياء في الغرب، أما النمسا فقد أقامت سياستها من جديد دون الفصل بين العدو والصديق (٤) .

إلى جانب هذا التوازن الذي قام به السلطان 'عبد الحميد' بصداقته لألمانيا كان يقوم على المستوى الداخلي بسياسة لا تقل في أهميتها عن إحداث التوازن الخارجي ، وهذا الأمر كان في مساندة سفراء الدول الأوروبية، واكتساب ثقتهم ، وفي كثير من الأحيان شراء ذمتهم، حيث كان هؤلاء السفراء يقومون بإرسال تقاريرهم بما يصغر أمر الدولة العثمانية (٥)، وكانت مهمة السفراء الأوروبيين سهلة ينفذون كافة أعمالهم بسهولة ويسر في عهد السلطانين 'عبد المجيد' و'عبد العزيز' لأن مهمتهما كانت مقتصرة على تسيير السلطنة فقط وليس الحكم حسب مقدرات الدولة، أما في عهد السلطان 'عبد الحميد' فقد اختلف الأمر كلياً، حيث ربط كل شيء في الدولة به شخصياً، وكان يتدخل في كل صغيرة وكبيرة (٦)، لذلك فهو لم يكن

"استعمل بين الأناضول والشرق الأوسط والأدنى، ثم أصبح إلى حد بعيد يعني الولايات التي وضعت تحت الانتداب الفرنسي في سوريا ولبنان، ثم أصبحت تعني هاتين المنطقتين فقط حتى استقلالهما.

The New Encyclopaedia Britannica (U.S.A: International Copyright Union, 1992) , Vol. 7.p.304.

(١) الشناوي. الدولة، ج٣، ص ١٣٤٦.

(٢) جورج الطوبس . بقطة العرب، تاريخ حركة العرب القومية ، ترجمة ، ناصر الدين أسد - (إحسان عباس)، ط ٦، بيروت: دار

العلم للملايين، (١٩٨٠)، ص ١٤٧ .

(٣) Bozdog, Abdülhamid, p. 71.

(٤) Ibid., p.140-141 .

(٥) النمر. نظريات ، ص ١٧٥ .

(٦) أوكه . جاسوس ، ص ٣٨.

يقبل بسهولة استقبال سفراء الدول الأجنبية، وفي حالة موافقته على مقابلتهم كانوا لا يحصلون إلا على أجوبة محددة وواضحة، إضافة إلى السرية التي كانت تتسم بها هذه المقابلات في كثير من الأحيان^(١). وإلى جانب ذلك كان لجهل سفراء هذه الدول باللغة العثمانية أثره أيضاً، مما جعلهم عاجزين على فهم الشرقيين، ولهذا ظل السلطان 'عبد الحميد' بالنسبة لهم لغزاً صعب الحل، بل وعاجزين عن اكتشاف أسرار سياسته رغم متابعتهم الحثيثة لأعماله^(٢)، وفي حالة اكتساب أحد هؤلاء الدبلوماسيين حب السلطان أكثر من غيره نجد الأمور تختلط عليه ما بين الاحترام والخوف، ذلك أن السلطان كان يوزن ابتساماته ونظراته وجتى مكرماته عليهم، كما اتبع أسلوب المساواة بين الجميع في المعاملات، وذلك حتى يستطيع أن يفهم بوضوح ما يفعله كل دبلوماسي، ثم تقدير أعمالهم. ونادراً ما كان هؤلاء يذكرون تأثيرهم على السلطان 'عبد الحميد' أو عن منزلتهم عنده^(٣).

هذه الصفات التي تمتع بها السلطان جعلت هؤلاء الدبلوماسيين الذين كانوا دائماً يحاولون خداعه يختارون كثيراً، كما أن اللطف والمحبة والصدقة تجاه كل واحد منهم كانت تجعلهم يختارون في فهم أسس سياسته ونواياه، التي كانوا يبحثونها من كل جانب. ومن الطبيعي جداً أن يشعر هؤلاء الدبلوماسيون بأنهم فقدوا أعصابهم وانهارت آمالهم بعد عجزهم على الوقوف على أسرارهم^(٤).

ويقول في ذلك السلطان 'عبد الحميد': 'يتصدر السفراء كراسيهم في قصورهم وكأنهم حكام البلاد. لا تتعدى صلاتهم بعض كبار الموظفين. انهم يصدرون حكمهم من علي. لا يعرفون من البلاد سوى 'استانبول' والجزر. ليست لديهم أية فكرة عن التركيب الداخلي لمجتمعنا، لا يعرفون ديننا ولا يفهموننا، ومع ذلك فهم ذائبون على جعلنا نقبل بنصائحهم. ومن حسن الحظ انهم لا يتفقون فيما بينهم'^(٥).

ولقد اشتهر عن السلطان 'عبد الحميد' دهائه السياسي، حيث تحدثت صحيفة 'الكون' (Al-Kawn) - التي كثيراً ما كانت تتحدث عن طغيان السلطان عبد الحميد واستبداده - عن هذه الخصلة فقالت: "ليس 'بسمارك' (Bismarck) في زمانه بأعظم سياسة من 'عبد الحميد' في هذه الأوان، وليس 'عمرو بن العاص' بأعظم منه في دهائه، فقد حير العالم بأسره من توغله في الدهاء

(١) أوكه . جاسوس ، ص ٢٢.

(٢) المرجع نفسه ، ص ٨٠.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٦.

(٤) المرجع نفسه، ص ٥٦.

(٥) عبد الحميد الثاني . مذكراتي، ص ٨٩.

(١) بسمارك: ولد عام ١٨١٥ ، وهو أول مستشار للإمبراطورية الألمانية بعد إعلانها سنة ١٨٧١ ، وقد عرف الثلاث الأخير من القرن التاسع عشر في أوروبا بأنه عصر بسمارك ، للدور القيادي الذي قام به ، حيث عمل على بسط سلطات بروسيا على الإمارات الألمانية ، وترأس مؤتمر برلين ١٨٧٨ عقب الحرب الروسية العثمانية ، و أعاد تنظيم حدود البلقان ، غير أن وليام الثاني الذي كان يقود النشاط الاشتراكي ضده أدت به إلى الإقالة في ١٨٩٠ وتوفي في ١٨٩٩ - العريسي . مختارات، ص ٢٧٥ .

والمكر، حتى انه يلعب بدولة برمتها على إصبعه و يداعبها كما يداعب الهر الفارة ، ويروغ عنها تخيلاً واستتباطاً لبلوغه غاياته منها كما يروغ الثعلب»^(١).

إن بقاء الدولة العثمانية لا يعود فقط الى ما تمتع به السلطان 'عبد الحميد' من دهاء، وساعده فسي ذلك التنافس بين الدول الأوروبية، وعدم اتفاق مصالحهم ، حيث يقول البارون 'فون مارشال' (Von Marshall)، السفير الألماني في استانبول في ٣٠ أيار ١٩١٠ "ان الإمبراطورية العثمانية استطاعت في القرن الماضي ان تحافظ على بقائها ، ليس بفضل قوتها ، بل بفضل تضارب مصالح الدول العظمى ، لقد كان الوارثون المتنافسون على ارث الرجل المريض من القوة والعدد ، بحيث لم يجرؤ وارث واحد بمفرده ، ان يلجأ الى القوة كي يجعل في موت الموروث لينال نصيبه من الإرث"^(٢) .

ولما كان السلطان 'عبد الحميد' لا يتق باستمراية اللوفاق الأوروبي حول الدولة العثمانية ، والذي طالما عمل على إذكائه فيهم فقد سعى الى إدخال إصلاحات والعمل على تجميع كلمة المسلمين ، لذلك نجد ان معظم إصلاحاته قد انبثقت بموجب قرارات سلطانية تم توجيهها نحو برنامج طوره بنفسه ، وأوصله إلى وزرائه عام ١٨٧٩ مباشرة بعد أن قام بإلغاء الدستور وحل البرلمان ، وبذلك انشطر الاصلاحيون العثمانيون منذ البداية الى قسمين: قسم معه وآخر ضده ، فسبب ذلك الانشقاق مشاكل عديدة أثرت مباشرة على تنفيذ برنامجه^(٣). لذلك كله فقد اتجهت أوروبا نحو إثارة الأقليات العرقية والمذهبية، كما عملت على دعم الجمعيات العثمانية السرية ماديا ومعنويا من أجل خلع السلطان 'عبد الحميد'.

الجامعة الإسلامية .

برز في المجال الإصلاحي داخل الدولة العثمانية ثلاثة اتجاهات فكرية هامة:

الاتجاه الأول: نادى بضرورة الإصلاح عن طريق الاقتباس المباشر من النظم والأساليب الأوروبية في مجالات الحياة المختلفة كالإدارة والاجتماع والثقافة والاقتصاد دون قيد أو شرط، ودون أي اعتبارات خاصة بماضي الدولة العثمانية الإسلامي. وكان من اشهر المنادين بهذا الاتجاه 'فؤاد باشا' (١٨١٥-١٨٦٩) و 'مدحت باشا' (١٨٢٢-١٨٨٥).

الاتجاه الثاني: كان يمثل الاتجاه الإسلامي الصرف، مؤكدين ان العثمانيين مدينون أكثر من غيرهم للإسلام لاعتباره البوابة التي دخلوا منها التاريخ، فالإسلام عندهم اساس دولتهم وحضارتهم واليه يرجع كل ما يفخرون به، وقد تزعم هذا الاتجاه المؤرخ 'احمد جودت' (١٨٢٢-١٨٩٥)، و 'محمد عاكف ارسوي' و 'بديع الزمان سعيد النورسي' ، وكان السلطان 'عبد الحميد' يميل الى هذا الاتجاه، لذلك فقد قام بتنفيذه.

(١) الكرن. نيويورك، العدد ١١٩ ، السنة الثالثة ، الخميس ، ٢٩ نيسان ١٩٠٩ ، ص ١ .

(٢) زين ، الصراع ، ص ٥٥ .

(٣) Shaw-Shaw. History, p 221.

الاتجاه الثالث: وهو الاتجاه التوفيقي في الإصلاح ، الذي نادى بضرورة العودة الى الجذور الإسلامية وتطبيق ما يتعلق بالإسلام من مبادئ وأفكار في الحياة العملية داخل الدولة العثمانية، وفي نفس الوقت الأخذ بأسباب الحضارة الغربية، ومن أعلام هذا الاتجاه 'نامق كمال' (١) (١٨٤٠-١٨٨٨) (٢).

كان من ضمن سياسة السلطان 'عبد الحميد' لدرء المخاطر التي تجابه الدولة العثمانية من قبل الدول الأوروبية سياسة 'الجامعة الإسلامية' .

كانت سياسة الجامعة الإسلامية عند السلطان 'عبد الحميد' فكانت تهدف الى تجميع كلمة المسلمين ورص صفوفهم من اجل مواجهة التحدي الذي تفرضه عليهم الدول الأوروبية، والتي اخذ ضغطها يشتد يوما بعد يوم، وبدأ يتحول بعد ذلك الى نفوذ فعلي واحتلال عسكري ، حيث قامت القوات الإنجليزية باحتلال 'قبرص' سنة ١٨٧٨ ، واستولت 'فرنسا' على 'تونس' سنة ١٨٨١ كما احتلت القوات الإنجليزية 'مصر' سنة ١٨٨٢ ، وأضحت أوروبا تهدد قلب العالم الإسلامي، في الوقت الذي رأت فيه شعوبها هذا الخطر الذي يهدد كيائها ، ورأت كل منها مصيرها المحتوم ، وكان من الطبيعي ان تتجه هذه الشعوب جميعا نحو الدعوة الى التضامن ضد هذا الخطر المشترك (٣).

لذلك فقد أعتبرت الجامعة الإسلامية من أهم الحركات السياسية والدينية التي ظهرت في العالم الإسلامي خلال القرن التاسع عشر ، إذ أحدثت فيه نتائج بعيدة المدى ، وكان لها اكبر الأثر في نمو الوعي السياسي وازدياد اليقظة الدينية في مختلف أرجائه (٤).

ومن مقاصد الجامعة الإسلامية :

- ١- العمل على التصدي للأطماع الأوروبية المتزايدة في العالم الإسلامي .
- ٢- إيجاد حسن التفاهم بين جميع مسلمي العالم في المسائل الاجتماعية .
- ٣- ترقية العالم الإسلامي في شؤونه الدينية والاجتماعية والأدبية .
- ٤- تنمية شعور الإخاء بين المسلمين وتبادل مصالحهم .
- ٥- إزالة سوء التفاهم الحاصل بين المسلمين وغير المسلمين .

(١) انظر عن نامق كمال في الفصل الثاني.

(٢) احمد فهد بركات الشوابكة . حركة الجامعة الإسلامية، (ط١، الأردن: مكتبة المنار، ١٩٨٤)، ص ٣٣.

(٣) عبد الباسط محمد حسن . جمال الدين الأفغاني وأثره في العالم الإسلامي الحديث ، (ط١، القاهرة: مكتبة وهبة ،

١٩٨٢)، ص ٢٣٩-٢٤٠ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٦٥ .

- ٦- مساعدة المسلمين بقدر المستطاع في سائر أنحاء العالم .
- ٧- إيجاد معاهد علمية إسلامية في غير الأقطار الإسلامية .
- ٨- تعضيد الخلافة في آل عثمان^(١) .

ولقد ارتبط اسم الجامعة الإسلامية بشخص المصلح الإسلامي ، 'جمال الدين الأفغاني'^(٢) المتهم في نسبه ومذهبه وربما يكون 'الأفغاني' قد انتسب للأفغان لأمر هام يتعلق برسالته الإصلاحية الكبرى ، فليس أمرا سهلا ان تنتشر أفكاره في أقطار سنية المذهب إذا علم انه شيعي ، ولان درجة تقبله ستكون اقل^(٣) .

وكانت دعوة 'جمال الدين الأفغاني' تهدف الى بلوغ غايتين هما:

- ١- إصلاح أحوال المسلمين ، ولا يتأتى ذلك إلا بمسيرة المدنية الحديثة، والأخذ بأسباب التقدم . . .
- ٢- السعي الى تحرير الشرق من سيطرة الغرب ، ولا يكون ذلك إلا باتحاد المسلمين وجمع كلمتهم حتى يستطيعوا تحقيق استقلالهم وحريتهم^(٤) .

وقد قام 'جمال الدين' بزيارة العديد من المناطق ، حتى أصبح السفر والتنقل صفتين متلازميتين له واثناء تواجده في 'فرنسا' قام بإصدار صحيفة 'العروة الوثقى' مع العديد من المصلحين في الفترة ما بين

(١) المنار . مصر ، "الخلافة الإسلامية والجامعة العثمانية" ، ج ١١ ، ص ١٢ ، ص ٦٨٢ .

(٢) جمال الدين الأفغاني: هو ابن السيد صفتي، ولد في قرية أسد أباد قرب همدان سنة ١٢٥٤هـ / ١٨٣٨ م ، ولقد اختلف المؤرخون في أمر نسبه ومذهبه حتى ان عبد القادر المغربي وهو على علاقة بجمال الدين الأفغاني ، تساءل كيف يكون الاختلاف في أمر جمال الدين وهو قريب العهد بهم ، ويذكر محمد حسن خان المللق باعتماد الدين وأحد المقربين إلى ملك إيران ناصر الدين شاه في كتبه المعروف باسم "المآثر والآثار" أن جمال الدين نشأ في قرية أسد أباد من أعمال إيران، وأن أهل إيران يفتخرون به كثيرا ، في حين ان كثير من أهل السنة يعتبرونه أفغاني النسب والأصل سني المذهب، كما يؤكد ذلك كبير تلامذته محمد عبده، لكن أغلب الظن ان جمال الدين الأفغاني ينحدر من اصل إيراني وانه شيعي المذهب ، انظر:

- محمد أبو رية. جمال الدين الأفغاني، (القاهرة: دار المعارف للطباعة ، ١٩٦١)، ص ١٥-١٦ .
- محمود قاسم. جمال الدين الأفغاني، حياته وفلسفته، (القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية)، ص ٩-١٠ .
- ميرزا لطف الله خان الأسد آبادي. حقيقة جمال الدين الأفغاني، ترجمة ، عبد المنعم حسين، (المصورة: دار الوفاء للطباعة، ١٩٨٦)، ص ٣٨ .
- محمد سلام مذكور. جمال الدين الأفغاني، باعث النهضة الفكرية في الشرق، (ط١، القاهرة: مطبعة الهواري، ١٩٣٧)، ص ٢٥ .

- انظر - أوكه. جاسوس، ص ٩٦ .

(٣) قدري قلنجي. جمال الدين الأفغاني، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٤٧)، ص ١٠؛ انظر - محمد محمد حسين.

الإسلام والحضارة الغربية، (ط٤، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨١)، ص ٦١ .

(٤) حلمي محروس إسماعيل. تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني الى نهاية الحرب العالمية الأولى، (الإسكندرية:

مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٧)، ص ٣٢٨-٣٢٩ .

١٣ آذار ١٨٨٤ وهو اليوم الذي صدر فيه العدد الأول حتى آخر عدد منها في ٦ تشرين أول ١٨٨٤ ، وكانت هذه الصحيفة تدعو الى إعادة الأمل والنجاح في النفوس، والعودة للتمسك بالأصول التي كان عليها الآباء الأوائل ، والدفاع عن الإسلام ، وتقوية الصلات بين المسلمين^(١).

ولما ذهب 'جمال الدين الأفغاني' الى استانبول سنة ١٨٩٢، أستقبل إستقبالا حافلا حيث قربه السلطان 'عبد الحميد' ، واخذ يتباحث معه في شؤون الدولة وحال الإسلام ، وكان لذلك أثره في 'جمال الدين' الذي عزم على البقاء^(٢). وفي إحدى اجتماعاتهما الخاصة ، خاطب السلطان 'عبد الحميد' 'جمال الدين' بقوله: "أني ملتزم من حضرتك ان تبذل غاية الجهد ، حتى تستطيع توحيد آرائنا وبمساعدة حضرتكم أن ننشئ ونؤسس اتحادا واتفاقا قويا ثابت الأركان ، لا يقبل الخلل بين الشعوب الإسلامية ، حتى يمكن بفضل تلك الوحدة التي تمد أجمع الجامعة الإسلامية يد المودة والإخاء ، بعضها الى بعض ، وتنهض بالصناعة والعلوم في ظل الاستقلال والاتحاد الاسلامي، ولكي يحصل لها التوفيق بعون الله تعالى، لاسترجاع القوة العظيمة السابقة ، ولا تتأخر عن ركب السعادة والرفق^(٣) .

من هنا يتضح ان السلطان 'عبد الحميد' كان هو صاحب الفكرة بالدعوة الى الجامعة الإسلامية ، وليس 'جمال الدين' كما يتناقل ذلك العديد من المؤرخين. ورغم الشبهات التي حامت حول شخصية 'جمال الدين' - بخصوص انتسابه للمحافل الماسونية وتدرجه فيها، حتى وصل الى درجة غاية في الأهمية، وحول موقفه المعادي من الاستعمار، ومن ثم لجوئه إليهم ضد خصومه المسلمين^(٤)- إلا أنه كان يؤيد قيام حكومة إسلامية واحدة تأتم بالإسلام وتعاليمه وتعمل على مقاومة الدول الاستعمارية، حيث قام بالتحريض ضد الإنجليز في 'الهند' وفي مناطق وسط آسيا^(٥).

ومن اجل الجامعة الإسلامية قام السلطان 'عبد الحميد' بإرسال أعداد كبيرة من خريجي مدارس استانبول الدينية للدعاية للجامعة الإسلامية في 'الهند' و'تركستان' و'إيران' و'الصين' و'سنغافورة' و'ماليزيا' و'الحبشة' ، واقطار المغرب العربي^(٦) لينشروا الأنباء الحسنة عن الخليفة والدولة العثمانية ، ويشيدوا بوعده، ويبشروا بحركة الجامعة الإسلامية ، واعادة أمجاد الدولة الإسلامية في صدر الإسلام، كما كلنوا يسعون الى توثيق الروابط بينها وبين الدولة تحت زعامته كخليفة للمسلمين ، وقد سخر لذلك الصحف وأنشأ المجلات ، والنشرات الدورية ، كما كان يدعو رجال الفكر الإسلامي لزيارة 'استانبول'

(١) قلمجي . جمال الدين ، ص ٦٥ : انظر عن العروة الوثقى واسباب إيقافها في

- محمد عمارة . جمال الدين الأفغاني موقف الشرق وفيلسوف الإسلام ، (ط١، بيروت: دار الوحدة ، ١٩٨٤)، ص ٦٩ .

(٢) مذكور. جمال الدين ، ص ١٨٧-١٨٨ : قاسم . جمال الدين ، ص ٨٠ .

(٣) الاسد ابادي . حقيقة، ص ١٧٩ .

(٤) انظر - نجدة فتحي صفوة . الماسونية في الوطن العربي ، (لندن: مركز الدراسات المربية، ١٩٨٠)، ص ٢٢-٢٤ .

(٥) أوكه . جاسوس، ص ٩٦ .

(٦) أوزتونا. تاريخ ج ٢، ص ١٥٦ ؛ إبراهيم خليل احمد . تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٥١٦-١٩١٦ (الموصل:

جامعة الموصل، د.ت)، ص ٣٦٨ .

واستضافتهم رغبة منه في إيجاد صلات معهم ، لدعم نفوذه في الأوساط الإسلامية ، وكان يحرص على ان يقترن لقب الخليفة مع كلمة السلطان^(١) .

قام السلطان 'عبد الحميد' بتخصيص مبالغ وفيرة جدا لاصلاح المساجد ، وأقيمت معاهد ومدراس إسلامية جديدة ، لتقوم بعملها على تنقيف الجيل العثماني الشاب ، كما اصدر أوامره بضرورة الاهتمام بالأعياد والمناسبات الإسلامية على مدار السنة ، وادخل العلوم الدينية واللغة العربية في المجالات الثقافية والإدارية ، كما منع الحكومة من إطلاق الترجمات الأوروبية للأسماء العربية والتركية على أسماء الشوارع والمباني العامة ، في الوقت الذي استعاد فيه السلطان 'عبد الحميد' حقه في تعيين الموظفين الدينيين في الولايات العثمانية السابقة التي دخلت تحت استعمار وحكم الدول الأوروبية، في الوقت نفسه الذي كان الباب العالي يحتج ويتدخل بشكل رسمي فيما لو وردت أنباء عن وقوع مظالم على المسلمين . في هذه الأقاليم^(٢).

لقد حظيت سياسة الجامعة الإسلامية بردود فعل طيبة ، حيث وصلت الردود التي تعبر عن قبول حسن وسرور عظيم من قبل مختلف طبقات المجتمع الإسلامي، سواء كانوا علماء أو غير ذلك ، بل ان كثير منهم قد أرسل تحفا وهدايا ورسائل كتعبير عن رضاهم ، ودعمهم لهذه الفكرة^(٣) .

وربما يقاس مدى نجاح الجامعة الإسلامية في العالم الإسلامي أثناء الحرب العثمانية -اليونانية سنة ١٨٩٧، حيث كاد هذا الحدث ان يمر طبيعيا كغيره من الاحداث قبل الجامعة الإسلامية ، دون أن يثير اهتماما لدى الشعوب الإسلامية، لكن في أعقاب الحرب أقيمت احتفالات واسعة في الأقطار الإسلامية خارج نطاق الدولة العثمانية ، ابتهاجا بالانتصارات التي حققها العثمانيون على 'اليونان' ، وبالتالي شحنت هذه الحرب سكان هذه البلاد بكثير من الثقة والاعتداد بالنفس ، والقدرة على التخلص من السيطرة الأوروبية^(٤) .

السكك الحديدية في العالم الإسلامي .

- خط سكة حديد بغداد .

كان من أهم الخطوط الحديدية التي قام بها السلطان 'عبد الحميد' ، خط 'سكة حديد بغداد' ذلك المشروع الذي استحوذ على اهتمام 'ألمانيا' ، لانه كان يشكل ركنا أساسيا في السياسة العليا لها ، المتجهة نحو الشرق ، وكان هذا المشروع يقوم على مد خط حديدي يربط 'ألمانيا' ب'استانبول' و'أنقرة' في آسيا

(١) Shaw - Shaw . History, p. 260 .

(٢) Loc. cit.

(٣) الأسديادي. حقيقة، ص ٨٣ .

(٤) الشناوي. الدولة، ج ٣، ص ١٢١٩ .

الصغرى، ثم الى الشمال ، ثم يتجه شرقاً الى 'الموصل' في 'العراق' ثم جنوباً الى 'بغداد'، على أن يمتد الى 'البصرة' ، ثم يتجه الى موقع ما على الخليج تتفق عليه الدولتان فيما بعد^(١) .

وقد أطلق على مشروع هذا الخط من قبل الاختصار طريق 'ب.ب.ب' (B.B.B) ، لأنه يبدأ من برلين ثم بيزنطة ثم بغداد ، وبذلك تبدأ هذه المحطات الثلاث بحرف الباء^(٢)، في حين يطلق اغلب المؤرخين على هذا الخط اسم 'سكة حديد بغداد' (The Baghdad Railway) ، وقد بلغ من اهتمام إمبراطور 'ألمانيا' بهذا المشروع انه زار العاصمة العثمانية للمرة الثانية ٣٠ أيلول ١٨٩٨ ، استطاع خلالها الحصول على الامتياز المنشود، إذ اصدر السلطان 'عبد الحميد' فرماناً بذلك تمهيداً للموافقة على تنفيذ هذا المشروع، وكان الإمبراطور الألماني قد ضغط على 'البنك العثماني' (Deutsche Bank) ، لتمويل المشروع على أساس ان هذا الخط الحديث يمثل مصلحة قومية علياً لألمانيا^(٣)، لأنه يهدد بالخطر مركز 'بريطانيا' في الشرق ومطامع 'روسيا' في 'فارس'، ومع ان رجال السياسة الألمان بعيدي النظر حذروا من مخاطر هذا المشروع ، وما قد يخلفه من عدااء واضح لاكثر من دولة أوروبية، إلا أن الشخصيات المسيطرة التي كانت في المحل الأول تعمل على خدمة مصالحها وافقت على هذا المشروع^(٤) .

ويوضح السلطان 'عبد الحميد' ما أثارته فكرة مد خط 'سكة حديد بغداد' من ردود فعل ، فيقول : "ان التنافس الشديد بين الدول الكبرى حول إنشاء الخطوط الحديدية في إمبراطوريتنا أمر مستغرب يدعو الى الشك ، ان أهمية الخطوط الحديدية ليست حصراً على الناحية الاقتصادية ، بل تمتد الى الناحية السياسية أيضاً ، وان تنافس الدول الكبرى هذا الامر، والتنافس حول 'خط سكة حديد بغداد' بدأ يأخذ شكلاً بشعاً ، أربع دول كبرى تشترك في هذه الحلبة، ولا يتورع سفراؤهم عن استخدام كل الوسائل في سبيل استمرار الصراع غير المعلن بينهم ، انه منظر يمتع ناظره"^(٥). 'إنجلترا' و'فرنسا' مزقتا ثوب وقارهما ، أما 'ألمانيا' فقد سلكت مسلكاً حسناً، والصحافة الإنجليزية والفرنسية بل والروسية ايضاً تخطلق الأكاذيب، دون أي حرج، لنبث الشكوك بيننا وبين الألمان"^(٦) .

وكانت 'إنجلترا' اكثر الدول التي عملت جل جهدها للحيلولة دون تنفيذ هذا المشروع^(٧) وظل هذا

(١) الشناوي. الدولة ، ج ٣، ص ١٣٤٨ .

(٢) المرجع والصفحة نفسها .

(٣) المرجع والصفحة نفسها .

(٤) كارل بروكلمان . تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة، نبيه أمين فارس و منير بعلبكي، (ط ١) ، بيروت: دار العلم

للملايين، ١٩٥٠، ج ٤ ، ص ٧٣ .

(٥) عبد الحميد الثاني . مذكراتي ، ص ٨١ .

(٦) المصدر والصفحة نفسها .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٦٧ .

الخط الحديدي مثيرا للحساسية بين القوى الأوروبية للعظمى لسنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى^(١) .
- سكة حديد الحجاز .

لم تكن 'سكة حديد بغداد' هي الأولى داخل الدولة العثمانية، حيث يعود أول خط سكة حديد في الدولة الى عام ١٨٧٣ ، الذي أنشئ بواسطة 'فرنسا' وشركات بريطانية ، وكان يمر في 'الزميت' ثم 'حيدر باشا' في الجانب الآسيوي من 'استانبول' على 'البسفور'^(٢) . كما لم تكن الأخيرة، حيث ظهرت بعدها فكرة مد خط سكة حديد 'الحجاز'.

إن فكرة ربط 'الشام' بإقليم 'الحجاز' لم تكن وليدة عهد السلطان 'عبد الحميد الثاني' ، وليست بنت وقتها، بل ترجع الفكرة الى عام ١٨٦٤، وذلك عندما اقترح الأمريكي 'زاميل' (Zamill) الذي ينحدر من اصل ألماني على الحكومة العثمانية فكرة إنشاء خط حديد يربط بين 'دمشق' وساحل البحر الأحمر، لكن الحكومة العثمانية لم تكن قد سيطرت بعد على كافة الأمور في لواء 'الكرك'، الذي كان من المقرر ان يمر فيه الخط الحديدي، حيث كانت الاضطرابات التي تقوم بها العشائر البدوية هناك^(٣) .

وهناك اختلاف بواضع فكرة إنشاء خط سكة حديد 'الحجاز' ، حيث كثر المدعون لها بعد نجاحها، إلا أن هناك آراء تقول أن 'جمال الدين الأفغاني' هو صاحب هذه الفكرة، وقد أراد بذلك تقوية علاقة الدولة بالمسلمين، وجمع شملهم حول الخلافة، وأنه صرح بذلك 'عزت باشا العابد'^(٤) المقرب من السلطان^(٥).

ومهما يكن من أمر، فقد وصل هذا الأمر للسلطان 'عبد الحميد' الذي استدعى إليه 'أبو الهدى الصيادي'^(٦) وعرض عليه الفكرة، فصادق 'أبو الهدى' على ما قاله السلطان ، ثم قام باستدعاء أشرف

(١) Erik J. Zürcher. *Turkey A modern History*, (London: I.B Tauris, 1993), P. 82

(٢) Ibid., P. 81.

(٣) السيد محمد الدفن . سكة حديد الحجاز الحميدية، دراسة وثائقية، (ط ١، القاهرة: د.نا)، ١٩٨٥ ، ص ٧٥ .

(٤) عزت باشا العابد : سياسي عربي من دمشق، استطاع ان يشق طريقه الى السلطان عبد الحميد بعد ان سطع نجمه ، وقضى ثلاثة عشر عاما في منصب السكرتير الثاني للسلطان عبد الحميد حتى خلعه عام ١٩٠٨ ، وكان عزت باشا من اقوى موظفي الدولة ، لا يفوقه في النفوذ والدهاء إلا سيده السلطان عبد الحميد ، وتوفي في ١٩٢٤ . انظر - انطونيوس . نقطة ، ١٤١ .

(٥) العمران . دمشق ، عدد ٣٨١ ، ج ٤ ، م ٢ ، سنة ١٢ ، ٢٦ سبتمبر ١٩٠٨ ، ص ٧٧ .

(٦) أبو الهدى الصيادي: (١٨٤٩-١٩٠٩) من اشهر علماء الدين في عصره ، ومن مناصبه تولى منصب لقيب أشرف عموم ولاية حلب ، وكان حينها في الرابعة والعشرين من عمره ١٨٧٣ زمن السلطان عبد العزيز ، وقام السلطان عبد الحميد بتقريبه منه ، وقلده مشيخة المشايخ في دار الخلافة ، واصبح يلقب ب'مستشار الملك' ، وقد قضى عمره في خدمة الدولة ، يدافع عن الخلافة العثمانية ويؤكد واجب المسلمين في الاعتراف والتمسك بها ، والوقوف السي جسائب سلطانها ، في الوقت الذي كان يسدي النصائح مخلصا للسلطان عبد الحميد ، وذلك وفق الوثائق والأوراق التي ضبطها رجال الاتحاد والترقي بعد خلعهم للسلطان عبد الحميد ، انظر - حرب . السلطان ، ص ١٨٩-١٩٠ .

مكة وأشرف الحجاز واليمن ، وعرض عليهم الأمر فوافقوه ، كذلك فعل مع 'جمال الدين الأفغاني' فكان رأيهم كما ذهب إلى آراء الجميع^(١). لهذا فقد عزم السلطان على المضي قدماً نحو تطبيق المشروع فاستعان بالأمناء من رجال الدولة حيث ألف منهم لجنة لإدارة الخط ، وجعل من نفسه رئيس شرف لها ، والصدر الأعظم رئيس أول ، و'عزت باشا العابد' رئيس ثان ، كما أنشأ لها إدارة منتظمة مستقلة ، وجعلت هذه اللجنة تعمل على طباعة المنشورات لطلب المعونة من الخيرين ، وتقوم بنشر أسماء المتبرعين في الصحف العامة ، كما أصدر السلطان 'عبد الحميد' أنواطاً باسم الخط الحجازي ، من ذهب وفضة ونيكل ، وجعل ينعم بها على المتبرعين بالأموال ، وفوق ذلك كان ينعم بالرتب والأوسمة على الذين تزيد تبرعاتهم عن المبالغ المعينة لنيل الأنواط الحجازية^(٢). إلى جانب ذلك ، فرضت في جميع أنحاء الدولة ضريبة خاصة على شكل طابع بريد ووجهت الدعوى إلى الموظفين في الحجاز ليتبرعوا بنسبة معينة من مرتباتهم^(٣). ولأجل تشجيع جانب التبرعات لدى المسلمين ، افتتح السلطان 'عبد الحميد' باب التبرعات بمبلغ ٣٢٠ ألف ليرة عثمانية من ماله الخاص ، وعلى الأثر تبرع شاه 'فارس' بخمسين ألف ليرة ، وأرسل عباس حلمي الثاني خديوي مصر كميات من مواد البناء ، ونقلت مخصصات دائرة الحج ومقدارها ١٥٠ ألف ليرة في السنة إلى ميزانية للخط^(٤) .

ويمكن إجمال حصيلة التبرعات بأنها فاقت الرقم المأمول^(٥) ، حيث يذكر بروكلمان أن حصيلة التبرعات كانت مليون ليرة عثمانية ، وهو يساوي ثلث نفقات الخط البالغة ثلاثة ملايين ليرة عثمانية^(٦). وما إن صدرت الإرادة السنية بإنشاء هذا الخط أواخر سنة ١٨٩٩ ، حتى انبثرت الصحف الأوروبية في معارضتها ، فبحثت بعضها الفكرة سياسياً ، فأظهرت مخاوفها ، وبحثتها فنياً ، فحكمت عليها باستحالة تحقيقه ، لعدم وجود المياه الكافية في الطريق ولمعارضة العربان ، وبحثتها من ناحية إدارية ، فتوقعت بناءً على الخلل الإداري الواضح في الدولة العثمانية أن تذهب الأموال التي جمعت لهذا الخط إلى جيوب رجال الدولة ، وأجمعت الصحف الأوروبية على استحالة إتمام هذا الخط^(٧). في الوقت الذي تسابقت فيه الدول الأوروبية خصوصاً 'فرنسا' و'إنجلترا'

(١) العمران. دمشق ، عدد ٣٨١ ، ج ٤ ، م ٢ ، سنة ١٢ ، ٢٦ سبتمبر ١٩٠٨ ، ص ٧٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٧٩ .

(٣) انطوليوس . بؤفة ، ص ١٤٢ .

(٤) فردريك . ج . بيك . تاريخ شرقي الأردن وقبائلها ، ترجمة ، بهاء الدين طوقان ، (ط١ ، عمان : دار العربية ، ١٩٣٥) ، ص ٢٦٤-٢٦٥ ؛ عبد العزيز محمد عوض . الإدارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٢٤-١٩١٤ ، (القاهرة : دار

المعارف بمصر ، ١٩٦٧) ، ص ٢٨٣ .

(٥) العمران. دمشق ، العدد ٣٨١ ، ج ٤ ، م ٢ ، سنة ١٢ ، ٢٦ سبتمبر ١٩٠٨ ، ص ٧٩ .

(٦) بروكلمان . تاريخ ، ص ٧٤ .

(٧) العمران. دمشق ، العدد ٣٨١ ، ج ٤ ، م ٢ سنة ١٢ ، ٢٦ سبتمبر ١٩٠٨ ، ص ٧٨-٧٩ .

من أجل الفوز بامتياز هذا الخط. لكن السلطان 'عبد الحميد' سَفَه توقعاتهم، حيث اخذ على عاتقه مراقبة سير العمل وشدد مراقبته، حيث كان يعزل لكبر مأمور إذا ثبت أنه اختلس من أموال الخط الحجازي، ولو بخمسة قروش أو نهاون في جبايتها^(١). وبمساعدة عدد من المهندسين الألمان بدأ العمل في هذا المشروع في ٣١ آب سنة ١٩٠٠، وما أن وافى ٣١ آب سنة ١٩٠٨ حتى كانت السكة قد مدت الى 'المدينة المنورة'، وهي مسلفة تبلغ حوالي ٩٠٠ ميل^(٢).

قوائد سكة حديد الحجاز.

كانت خدمة حجاج بيت الله وتوفير وسيلة سفر عصرية مريحة يتوفر فيها الأمن والسرعة والراحة من أهم أولويات مد هذا الخط، حيث كان الحجاج يتعرضون الى الكثير من الأخطار منها هجوم عشائر البدو عليهم حيث يسلبون أموالهم وأمتعتهم^(٣) وكان هذا الأمر من شأنه زيادة الاخوة الإسلامية بين المسلمين، كمل يستطيع من خلالها دوام حشد الجنود من ابعد جهات السلطنة لاسيما بعد ارتباطها بخطوط سكك حديدية أخرى، حيث يعمل الجنود ويدربون، كما أنها تعمل على تنظيم البلاد، وتعمير الجهات، واقامة الأسواق التجارية، وتعميم وسائل الحضارة، ونقل الثروات بأنواعها^(٤)، وكل هذه الأهداف نجدها منسجمة تماما مع ما يسعى إليه السلطان 'عبد الحميد' بخصوص الجامعة الإسلامية التي تدعو الى تكتل جميع القوى الإسلامية، وتوحيد صفوفها لمقاومة الأطماع الأوروبية في العالم الإسلامي.

ويؤكد النجاح في مد خط سكة حديد الحجاز ما يلي:

- ١- خدمة حركة الجامعة الإسلامية من خلال جمع الحجاج المسلمين من المناطق النائية 'كالصين' و'الهند' و'طهران'
- ٢- دل المشروع على تأكيد حيوية الدولة وقابليتها وقدرتها على التطور والتجديد.
- ٣- تعادل أهمية هذا المشروع أهمية قناة السويس، بسبب أهميته في تجميع كلمة المسلمين.
- ٤- كان هناك اهتماماً اعلامياً على مستوى الصحف بهذا المشروع، سواء على المستوى الداخلي او الخارجي.
- ٥- عبر هذا المشروع عن سياسة ماهرة للسلطان 'عبد الحميد' وبأنه الزعيم لـ ٣٠٠ مليون مسلم.
- ٦- تنبه السلطات الاستعمارية في ديار العالم الإسلامي إلى خطورة الحج وتأثير نتائجه على مصالحها الاستعمارية فحاولت السلطات البريطانية تعطيل قافلة للحج، أو التقليل من عدد المشاركين فيها على الأقل باسم الاحتياطات الصحية تارة، و برفع الضرائب على المشاركين في الحج تارة أخرى، ولقد

(١) العمران. دمشق، العدد ٣٨١، ج ٤، م ٢ سنة ١٢، ٢٦ سبتمبر ١٩٠٨، ص ٧٨-٧٩.

(٢) باتريك. سلاطين، ص ١٠٩؛ انظر - بروكلمان. تاريخ، ص ٧٤.

(٣) الدفن. سكة، ص ٧٧.

(٤) ليبب. تاريخ، ص ٨٨.

عظمت السلطات الفرنسية في شمال أفريقيا الحج في الأعوام ١٨٩٩-١٩٠١، كما منعت روسيا رعاياها من المسلمين عام ١٩٠٢ من أداء هذه الفريضة.

٧- استغناء السلطان 'عبد الحميد' عن القروض الأجنبية لهذا المشروع، وجعل تكاليفه جميعاً من تبرعات المسلمين، وهذا الأمر لم يرق لأوروبا التي اعتادت الضغط على السلاطين من خلال القروض.

٨- ازدياد المعارضة الأوروبية خصوصاً من 'إنجلترا' و'فرنسا' للمشروع كونه يهدد مصالحها السياسية والاقتصادية والعسكرية في المنطقة التي يمر فيها هذا الخط أو في المناطق المجاورة لها، كما أن هذا الخط سيعطي حضوراً أقوى للدولة العثمانية في البحر الأحمر والخليج العربي.

٩- أدى هذا المشروع إلى زيادة سيطرة السلطان 'عبد الحميد' على بلاد الشام والحجاز، وهذا الأمر يتعارض مع سياسة الدول الأوروبية الساعية لزعزعة هذه السيطرة^(١).

ويمكن القول أن وجهة نظر المعارضة السياسية للجامعة الإسلامية تمثلت فيما يلي:

١- الدعوة إلى إحياء الرابطة القومية والوطنية بدلاً من الرابطة الإسلامية.

٢- الاعتماد على النظم السياسية الغربية في الحكم، وتطبيق تلك النماذج داخل الدولة العثمانية.

٣- الدعوة لاعتماد الثقافة الغربية كبديل عن الثقافة والمفهوم الإسلامي للحياة.

٤- أن الدعوة للجامعة الإسلامية سيعمل على زيادة شعور الطوائف المسيحية، بأنهم أدنى درجة من المسلمين، وهذا ما تسعى الدول الأوروبية لتفعيله، خصوصاً وأن العناصر المسيحية مؤهلة تماماً لذلك. ولقد كانت أوروبا تعمل على تعزيز النهج الوطني والقومي داخل الدولة العثمانية وخارجها، والداعي إلى عزل الدين عن شتى مجالات الحياة، لذلك فقد سهلت أوروبا مهمة الأحزاب العثمانية المعارضة، كما عملت على دعم الأحزاب والحركات القومية للأقليات العرقية والمذهبية داخل الدولة العثمانية وخارجها كرد على سياسة الجامعة الإسلامية.

وظلت هذه الخطوات الحثيثة التي يقوم بها السلطان 'عبد الحميد' لأجل دعم حركة الجامعة الإسلامية تقابل بالهجوم الأوروبي، لا سيما عن طريق الصحافة، وقام 'مجلس العموم البريطاني' بمهاجمة الدولة العثمانية، وكانت الدول الأوروبية تنتظر إلى كل زائر عثماني للمسلمين في ممثلكاتها كجاسوس، يسعى لتهديد سلامة هذه الأملاك^(٢). بل إن حركة الجامعة الإسلامية حذت بالحكومة الإنجليزية بمراقبة الحجاج اليهود والأفغان وحجاج آسيا الوسطى المائدين من مكة إلى بلادهم، باعتبارهم وظفوا من قبل السلطان 'عبد الحميد' 'خليفة المسلمين'، وزودوا بالتعليمات اللازمة من قبل رجال الحكومة التابعين له لنصرة الجامعة الإسلامية بكل ما تحمله من أهداف^(٣).

(١) الشوابكة . حركة ، ص ١٧٩-١٩٧ ، بتصرف .

(٢) Shaw-Shaw . History , p. 260 .

(٣) أوكه . جاسوس ، ص ١٣٢ .

ويقول 'ارمينيوس فامبري' عن مدى نجاح السلطان في هذه الحركة: "يجب علي ان اعترف بأنني مندهش من قدرة السلطان 'عبد الحميد' على بسط نفوذه على جميع زوايا المسلمين في جميع أنحاء العالم، تحت اسم الجامعة الإسلامية ... إنني لا أبالغ إذا قلت أن فكرة الجامعة الإسلامية لم تكن قوية في أي وقت من الأوقات كما هو الحال في عهد السلطان 'عبد الحميد' ^(١)."

ولقد أشاعت أوروبا أن حركة الجامعة الإسلامية هي حركة رجعية تنظر الى الوراء وتستلهم الأفكار من القرون الوسطى ، وإنها تنطوي على خطر كبير بالنسبة لأوروبا عامة وللمسيحية خاصة، فهي تدعو من وجهة نظرهم الى التعصب المذهبي ، والتفرقة بين العناصر ، وإسها صبغت بروح التعصب الديني، وتغذي العناصر بالحقد والكراهية بين المسلمين والمسيحيين على السواء، وساد الاعتقاد في الأوساط الأوروبية أن الجامعة الإسلامية تحرض الطبقات العامة وتهيجها، وأن العالم المتمدن سيبرى من أخطار الجامعة الإسلامية ومصائبها اشد مما رأته أوروبا من المتبربرين في القرون الوسطى ^(٢)، وقد ثبت أن الدول الأوروبية في موقفها السياسي من الدولة العثمانية كانت تأخذ في حسابها مسألة الجامعة الإسلامية وخطرها على سياستها داخل الدولة العثمانية والولايات الإسلامية الأخرى ^(٣).

ومن النتائج التي ترتبت على سياسة الجامعة الإسلامية :

- ١- أدت إلى تعزيز السلطان عبد الحميد لحكمه داخل الدولة العثمانية وخارجها.
 - ٢- إضعاف جذوة المسألة الشرقية المتمثلة بتهديدات أوروبا بتقسيم أملاك الدولة العثمانية.
 - ٣- إضعاف موقف المعارضة السياسية لكثير من الوقت، كونها أنهت العديد من الذرائع التي تذرعت بها لفترة طويلة.
 - ٤- أن الدين هو وسيلة تهذيب سياسي واجتماعي وخلقى لدى المسلمين .
 - ٥- أثبتت هذه السياسة أنها عامل وحدة بين فئات المجتمع الإسلامي وعامل تجمع سياسي وديني.
 - ٦- أن الدولة العثمانية مؤهلة أكثر من غيرها لقيادة العالم الإسلامي .
 - ٧- أن الدولة العثمانية صالحة لأن تكون موطن الخلافة الإسلامية.
 - ٨- قدرة هذه السياسة على إيجاد نوع من التوازن بين الدولة العثمانية وأوروبا.
- ورغم ما حققه السلطان عبد الحميد من توحيد كلمة المسلمين تحت اسم الجامعة الإسلامية ، إلا انه فشل في التخلص من الاحتلال الأوروبي لأجزاء من دولته ، أو مساعدة الشعوب الإسلامية خارج الدولة العثمانية من التخلص من الاحتلال الأوروبي لها ، ويمكن القول أن السلطان عبد الحميد فشل إلى حد ما في جني ثمار الجامعة الإسلامية.

(١) أو كيه . جاسوس ، ص ١٣٢.

(٢) حسن . جمال الدين ، ص ٦٥ .

(٣) محسن عبد الحميد . جمال الدين الأفغاني المصلح المفترى عليه ، (ط ٢ ، بيروت : مؤسسة الرسالة للنشر ، ١٩٨٥)،

٣- حروب الدولة العثمانية.

خاضت الدولة العثمانية العديد من الحروب في بداية عهدها لأنها بالأساس كانت دولة عسكرية من الدرجة الأولى، والتي غالباً ما كانت هي الطرف المنتصر فيها، لكن هذه الأمور اختلفت كلياً في النصف الثاني من حياتها، حيث تعرضت الدولة للعديد من الحروب كانت هي في الغالب الجانب الخاسر. وفي عهد السلطان 'عبد الحميد' استمرت هذه الحروب ، وكان أهمها الحرب الروسية العثمانية .

الحرب الروسية العثمانية (١٨٧٧-١٨٧٨).

كانت روسيا دائماً تسعى للوصول الى المياه الدافئة ، حيث ظلت تشعر بإهانة إغلاق المضائق ، ومع ذلك فإن موقفها سيكون أسوأ ، فيما لو فتحت المضائق ، وهم بدون أسطول في البحر الأسود ، في الوقت الذي ظلت النمسا تعتمد على الملاحة على نهر الدانوب ، باعتباره أهم حلقة وصل مع العالم الخارجي ، كما ظل الإنجليز بحاجة للدولة العثمانية كحاجز محايد ، لضمان شرق البحر المتوسط ، والشرق الأدنى ، واحتاجوا إليه أكثر من السابق منذ افتتاح قناة السويس سنة ١٨٦٩ ، في حين ظل الفرنسيون والألمان ممولين أساسيين للدولة العثمانية^(١). ولقد كانت 'روسيا' في عهد السلطان 'عبد الحميد' تتذرع بالدين والعنصر الأرثوذكسي في الشرق، والصقالبة في البلقان من أجل التدخل في شؤون الدولة العثمانية .

والحرب الروسية العثمانية لم تنشأ بشكل عفوي شأنها في ذلك شأن بقية الحروب الأخرى، ذلك أن 'روسيا' كانت تعمل على إثارة القلاقل ، والفتن داخل الدولة العثمانية ، بتحريض الأقليات العرقية و المذهبية ، واستخدمت لذلك الصحف لإثارة الخواطر^(٢). وفي سنة ١٨٧٥ هاجت الخواطر في 'البوسنة والهرسك' بناء على تحريض جيرانها 'الصرب' و 'الجبل الأسود' اللذين تدعمهما 'روسيا' ، طلباً للاستقلال الإداري ، وربما كانت 'النمسا' لها يدا في ذلك كون أنظارها تتجه لضم إمارتي 'البوسنة والهرسك' المطالبتين بمظاهر استقلالية ، ولما رفض الباب العالي مطالبهم، اظهر هؤلاء العصيان ، واشهروا السلاح ضد عساكر الدولة ، فصدرت الإرادة للقضاء على تمردهم ، الأمر الذي أثار غضب أوروبا المسيحية^(٣).

كانت جميع الحركات التي تقوم بها الأقليات، تدعمها 'روسيا' بشكل مباشر، حيث أرادت من خلال ذلك تفويض الدولة العثمانية دون تدخل عسكري مباشر منها، إلا أن هذه المحاولات كانت تبوء بالفشل، لذلك فإن 'روسيا' عازمت على إعلان الحرب مستغلة أي حدث جديد من أجل هذا الهدف، ولقد صادف في

(١) A.J.P. Taylor . *The Struggle for Mastery in Europe, 1848-1918* (Oxford: At the Clarendon press, 1957) P.228.

(٢) مدحت باشا ، مذكرات ، ص ٢٢ .

(٣) كارلتون ميز . *التاريخ الأوروبي الحديث ١٧٨٩-١٩١٤* ، ترجمة ، فاضل حسين ، (الموصل: جامعة الموصل ،

١٩٨٧) ، ص ٤١٠ ؛ انظر - صائب . *عبد الحميد* ، ص ١٧ .

ذلك الوقت خطف فتاة بلغارية أعلنت إسلامها ، الأمر الذي أثار مشاعر المسلمين ، حيث قتل كل من قنصلي 'فرنسا' و'ألمانيا'، لتواتر الإشاعة ان الفتاة تم إختافها في بيت قنصل 'ألمانيا' ، الأمر الذي دعا أوروبا لتبادل المخابرات، حيث اجتمع كل من البرنس 'غورشاكوف' رئيس وزراء 'روسيا' ، والكونت 'اندراسي' (Count Andrassy) ^(١) رئيس وزراء 'النمسا' مع 'بسمارك' ، لإيجاد سبب للتدخل، وقاموا بتحرير لائحة للسلطان سميت بـ'لائحة برلين' وهي مذكرة لأصلاح أحوال المسيحية في الولايات العثمانية ، خصوصا فيما يتعلق بالعصابات العرقية والمذهبية ، وإلا فان الدول الأوروبية ستتدخل إذا لم تصل الحكومة العثمانية لهدنة معهم خلال شهرين أو ستة أسابيع ^(٢) .

مؤتمر الآستانة .

في ٥ تشرين أول ١٨٧٦ عرض وزير خارجية إنجلترا على باقي الدول التي تدعي حق التدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية ، عقد مؤتمر في العاصمة استانبول (الآستانة) لتسوية حالة مسيحيي الدولة لمنع حرب محتملة بين الدولة العثمانية وروسيا التي تؤكد على حقها في حماية المسيحيين داخل الدولة العثمانية، حيث كانت روسيا في حالة إعداد وتجهيز لجيوشها استعدادا للحرب .

ولقد تم عقد اجتماعات ابتدائية من ١١-١٧ كانون أول في سفارة 'روسيا' ، ولم يتم قبول الدولة العثمانية في هذه الاجتماعات ، مما يدل على تحيز واضح من قبل دول أوروبا لصالح 'روسيا' ^(٣) مؤكدين على ما جاءت به 'لائحة برلين' ، ومؤكدين على الدولة العثمانية ضرورة القبول لكثير من الالتزامات المخلة بسيادتها .

وفي ٢٣ كانون أول ١٨٧٦ ، اجتمع المؤتمر في 'استانبول' بصفة رسمية في سراي البحرية تحت رئاسة 'صفوت باشا' ناظر خارجية الدولة ، حيث انتخب رئيسا للمؤتمر ، واشترك العديد من ممثلي الدول الأوروبية ^(٤)، وعقدت ٩ جلسات من ٢٣ كانون أول ١٨٧٦ وحتى ٢٠ كانون ثاني ١٨٧٧ ، بينما كان عصيان 'البوسنة والهرسك' والاضطرابات في جزيرة 'كريت' مستمرة ^(٥) .

(١) الكونت اندراسي: هو سياسي مجري شهير ، ولد سنة ١٨٢٢ ، تربى في مدرسة بودابست ، واشتغل بالسياسة ، وفي سنة ١٨٤٨ كان من أهم دعاة الثورة ، وساعد المسيو 'كسوت' على طلب الحرية ، والمشاركة للحصول عليها ، واثناء الثورة سافر الى استانبول للحصول على المساعدة كذلك فعل في إنجلترا ، وهناك وصله خبر الحكم عليه بالإعدام لكنه عاد فيما بعد ، بعد صدور العفو بحقه ١٨٥٩ ، حيث اشغل عدة مناصب هامة ، وتوفي سنة ١٨٩٠ - المحامي .

تاريخ ، ص ٦١٠ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٠٤ .

(٣) المصدر نفسه، ص ٦١٥-٦١٦ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٦١٦-٦١٧ ؛ أوزتونا. تاريخ، ج ٢، ص ١٠١ .

(٥) أوزتونا. تاريخ، ج ٢، ص ١٠١ .

وإثناء انعقاد المؤتمر أطلقت المدافع من جميع القلاع ، والمراكب إيذانا بإعلان القانون الأساسي (الدستور) الذي ساوى بين جميع الرعايا في الدولة العثمانية ، الأمر الذي أثار ارتباكاً لدى مبعوثي الدول، وكانت النتيجة النهائية لهذا المؤتمر هو الفصل ، حيث غادر مندوبي الدول العاصمة ، وبذلك أخذت 'روسيا' تستعد فعلياً للحرب^(١). في الوقت الذي شكل 'مدحت باشا' في الباب العالي مجلساً فوق العادة يتألف من ٢٤٠ شخصاً ، ٦٠ منهم مسيحيون ، دعا فيه إلى الحرب وهاجم الذين لا يصوتون لها ، واتهمهم بأنهم غير محبين لوطنهم ، بل واتهمهم بالخيانة ، وقام فيما بعد بتوزيع النقود على طلاب المدارس الدينية ، وقاد المظاهرات المطالبة بالحرب حتى قصر السلطان. ولم تكن الصحافة أقل تحريضاً ، حيث طالبوا برفض مؤتمر الأستانة ، وأي قرارات صدرت عنه^(٢).

إعلان الحرب .

في ٢٤ نيسان ١٨٧٧ أرسل إلى 'توفيق باشا' المكلف بمصالح الباب العالي لدى 'روسيا' كتاباً من 'غورشاكوف' رئيس وزراء روسيا ، يقول فيه: ان الإمبراطور الروسي مضطر للاعتماد على القوة العسكرية لتنفيذ مطالب 'روسيا' والمحافظة على أمنها ، ومن وقتها تعتبر 'روسيا' نفسها في حالة حرب مع الدولة العثمانية ، كما عمدت 'روسيا' إلى منح موظفيها جوازات السفر اللازمة كعلامة على قطع العلاقات الدبلوماسية بسبب الحرب^(٣).

كان الروس يأملون نصراً سريعاً نظراً لما كان عليه الجيش العثماني من تجهيز سيئ ، وعدم كفاية التموين ، والخدمات الصحية^(٤) ، لكن الحرب شهدت عدة جبهات ، كان أشهرها معركة 'بلقنة'^(٥) حيث هزمت القوات الروسية هزيمة ساحقة في بداية المعارك حتى سقطها ، كذلك جبهات 'الأناضول' ، حيث تمت محاصرة مدينة 'قارص'^(٦) لمرتين ، ومن ثم فتحها عنوة في ١٨ تشرين ثاني ١٨٧٧ ، ويسقوط مدينة 'قارص' الهامة أيقن 'الصرب' أن النصر حليف القوات الروسية ، لذلك أعلنوا الحرب على الدولة العثمانية ، في نفس الوقت الذي استطاعت القوات الروسية محاصرة العاصمة 'إستانبول'^(٧).

(١) المحامي . تاريخ ، ص ٦١٧ .

(٢) أوزتونا . تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٠٢-١٠٣ .

(٣) المحامي . تاريخ ، ص ٦٢٧ ؛ أوزتونا . تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٠٦ .

(٤) نور الدين حاطوم . تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا والعالم ، (ط ١ ، دمشق : دار الفكر ، ١٩٩٥) ، ج ٢ ،

ص ٣٣٢ .

(٥) بلقنة . Plevne . تقع اليوم في شمال بلاد بلغاريا بالقرب من الحدود الرومانية ، وإلى الشمال الشرقي من صوفيا .

(٦) قارص . Kars . شمال شرق الأناضول .

(٧) أوزتونا . تاريخ ، ج ٢ ، ص ١١٥ ؛ المحامي . تاريخ ، ص ٦٢٩ - ٦٤٠ .

هدنة أدرنة .

تركت الدولة العثمانية وحدها تواجه مصيرها ، ورأى السلطان 'عبد الحميد' أن إطالة أمد الحرب أمر لا طائل منه، لأنه سيجلب على الدولة الكوارث ، لذلك فقد طالبت الدولة العثمانية بعقد هدنة عسكرية في ١٩ كانون ثاني ١٨٧٨ (١) ، واشترطت 'روسيا' لعقد هذه الهدنة أن تشمل على مبادئ أساسية منها استقلال 'الصرب' و'رومانيا' و'الجبل الأسود' ، وتنازل الدولة لهذه المناطق على بعض الأراضي، وتمنح 'بلغاريا' استقلالاً ذاتياً، وجعل الإدارة في 'البوسنة والهرمك' مستقلة، وتقرير غرامة حربية تدفعها الدولة لروسيا ، فوافقت الدولة ، وعقدت الهدنة في ٣٠ كانون ثاني ، وعلى هذا الأساس وضعت الحرب أوزارها بعد قتال استمر تسعة أشهر (٢) .

معاهدة سان استيفانو (٣) آذار ١٨٧٨ .

عقدت في ١٢ آذار ١٨٧٨ معاهدة 'سان استيفانو' كامتداد لهدنة 'أدرنة' ، وكانت هذه المعاهدة التي لم تطبق تتكون من ٢٩ بندا ، وذلك بعد عدة اجتماعات ، وأذرت الدولة العثمانية ضرورة الموافقة على الشروط المعروضة ، قبل اليوم الثالث من شهر آذار ١٨٧٨ لأن هذا اليوم يوافق عيد القيصر الروسي ، والا فإن هدنة أدرنة تعتبر لاغية ، ويحتل الجيش الروسي العاصمة 'استانبول' (٤) . كانت هذه التهديدات ملزمة للدولة العثمانية ، لذلك فقد وافقت على معاهدة 'سان استيفانو' ، وكان أهم بنودها أن توسع حدود 'بلغاريا' ، ومنحها الاستقلال ، كما منح الاستقلال لامارة 'الصرب' و'الجبل الأسود' مع زيادة مساحتهما ، وحصلت 'رومانيا' على الاستقلال وزيادة مساحتها هي الأخرى ، كما وسعت روسيا مساحة أراضيها على حساب الأراضي العثمانية التي تحت يديها (٥) بالإضافة الى غرامة حربية مقدارها "١,٤١٠,٠٠٠,٠٠٠" روبل أي "٢٤٥,٢١٧,٣٩١" ليرة عثمانية (٦) . وتعتبر هذه المعاهدة من أكثر المعاهدات ضررا بالدولة العثمانية، كما تعتبر في القانون الدولي من أنواع المعاهدات غير المتكافئة أملتها دولة منتصرة على دولة منهزمة. لقد كانت هزيمة الدولة هزيمة عسكرية لها خسائرها السياسية والمالية والمعنوية على الدولة العثمانية في علاقتها بالدول الأوروبية (٧).

(١) محمد علي . السلطان ، ص ١٣٥ .

(٢) الشناوي . الدولة ، ج ٢ ، ص ١٠٨٧ .

(٣) سان استيفانو . هي قرية صغيرة على بحر مرمرة تبعد ١٠ أميال عن استانبول .

(٤) المرجع نفسه، ص ١٠٩٠ .

(٥) أوزتونا. تاريخ ، ج ٢، ص ١٢١-١٢٢ ؛ محمد علي . السلطان ، ص ١٣٩ ؛ انظر - بيرى اندرسون ، دولة الشرق

الاستبدادية ، ترجمة، بديع عمر نظمي ، (ط ١ ، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية ، ١٩٨٣)، ص ٦١ .

(٦) انظر بنود اتفاقية سان استيفانو في - المحامي . تاريخ ، ص ٦٥٢-٦٦٤ .

(٧) الشناوي . الدولة ، ج ٢، ص ١٠٩١ .

مؤتمر برلين .

كانت 'إنجلترا' أكثر الدول تخوفا ورفضاً لنتائج معاهدة 'سان استيفانو' ، لا حفاظاً على سيادة الدولة العثمانية ، ووحدة أراضيها ، بل خوفاً من أطماع 'روسيا' ، التي تزداد وتهدد نفوذ المستعمرات البريطانية في 'الهند' ، لذلك رأت 'إنجلترا' ضرورة تعديل هذه المعاهدة رغماً عن 'روسيا' ، لتظهر أمام الهنود بمظهر القوة والبأس ، ونفوذ الكلمة ، لا سيما وأن سلطتها على بلاد 'الهند' مبنية على الوهم أكثر من قوة السلاح^(١).

كما كانت الإمبراطورية النمساوية معارضة لمعاهدة 'سان استيفانو' لأنها لم تحقق لها رغبتها في ضم ولايتي 'البوسنة والهرسك'^(٢) في حين ظلت 'فرنسا' على الحياد^(٣). لذلك تم التدخل الأوروبي وعلى رأسهم 'إنجلترا' لتعديل معاهدة 'سان استيفانو' وعدم إبقاء الأحداث محصورة بين القيصر والسلطان ، وقد رحب 'بسمارك' بذلك معلناً بأنه سيكون وسيطاً أميناً ، لذلك دعا الدول الأوروبية لعقد المؤتمر المقترح في برلين ، الأمر الذي اغضب القيصر الروسي ، لأنه يعلم علم اليقين أن مؤتمراً كهذا يحتمل أن يجرّد 'روسيا' من كثير مما حصلت عليه في معاهدة 'سان استيفانو' ، لكن 'إنجلترا' الغاضبة قامت بالتهديد بشن الحرب ضد 'روسيا' فيما لو رفضت عقد مؤتمر 'برلين' ، وقامت بمظاهرة للأسطول الإنجليزي في المياه العثمانية لاقتناع 'روسيا' بالمساهمة في المؤتمر^(٤).

أخيراً وافقت 'روسيا' على المشاركة في هذا المؤتمر ، حيث اجتمع في ١٣ حزيران ١٨٧٨ برئاسة 'بسمارك' ، فكان قبول الدول الكبرى للاجتماع في 'برلين' هو اعتراف ضمني بالمركز السياسي الممتاز الذي أصبحت تشغله 'ألمانيا' و على رأسها 'بسمارك' ، المتفوق على رجال السياسة المعاصرين له^(٥).

واستمر مؤتمر 'برلين' ٣١ يوماً ، وصيغت قراراته في ٦٤ مادة ، كان أهم بنود هذه القرارات التي وقعت يوم ٣١ تموز ١٨٧٨ ما يلي :-

- ١- أعيدت 'مكدونية' الى الدولة العثمانية بعد أن ضمت الى 'بلغاريا' في معاهدة 'سان استيفانو' .
- ٢- قسمت 'بلغاريا' الى قسمين ، القسم الشمالي (بلغاريا الأصلية) وجعلها إمارة ذات استقلال ذاتي على أن تدفع ضريبة سنوية للباب العالي . أما القسم الجنوبي ، فقد جعلت إمارة مستقلة تحت اسم 'الروملي الشرقية' على أن يكون حاكمها مسيحياً تحت سيادة الباب العالي .
- ٣- ضمت 'البوسنة والهرسك' و'إلي بازار' الى 'النمسا' .

(١) المحامي . تاريخ ، ص ٦٦٥ .

(٢) الثناوي . الدولة ، ج ٢ ، ص ١٠٩٦-١٠٩٩ .

(٣) المحامي . تاريخ ، ص ٦٦٠ .

(٤) هيز . للتاريخ ، ص ٤٠٣ .

(٥) أوزتونا . تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٢١-١٢٣ ؛ الثناوي . الدولة ، ج ٢ ، ص ١١٠٠ .

- ٤- منحت 'رومانيا' و'الصرب' و'الجبل الأسود' الاستقلال .
٥- نصت المعاهدة على إجراء الإصلاحات في المنطقة الشرقية من 'الأناضول' التي كانت تسكنها الأقلية الأرمنية .

٦- خفضت الغرامات الحربية المفروضة على الدولة العثمانية الى ٨٠٢,٥٠٠,٠٠٠ فرنك على ان تدفع على أقساط ، وكل قسط بمقدار ٣٥٠,٠٠٠ ، وفيما بعد نجح السلطان 'عبد الحميد' في تجميد العديد من بنود هذه المعاهدة^(١) ولقد عقب 'غورشاكوف' بأن 'روسيا' خسرت مائة ألف جندي، ومليون روبل، دون أي مقابل^(٢).

كان لهذه الحرب الآثار الكبيرة على جميع الأصعدة سواء كانت سياسية أو عسكرية أو اقتصادية أو اجتماعية ، أثرت على كثير من القرارات الداخلية والخارجية للدولة العثمانية فيما بعد. كما كان لهذه الحرب آثارها على المستوى الدولي بالنسبة لموقفها من الدولة العثمانية ، حيث انتهجت هذه الدول 'سياسة التعويض' (Compensation Policy) ، و'سياسة المصالحة' (Conciliation Policy) ، على حساب الدولة العثمانية في مؤتمر 'برلين' عام ١٨٧٨ ، حيث بسطت 'إنجلترا' سيطرتها على 'قبرص' وبسطت 'فرنسا' حمايتها على 'تونس' سنة ١٨٨١ ، واحتلت 'إنجلترا' 'مصر' عام ١٨٨٢ ، ومن ثم إقامة حكم ثنائي (Condominium) بريطاني مصري في 'السودان' عام ١٨٩٩ ، وكان هذا الحكم في لحمة يعتبر إستئثارا بريطانيا بحكم 'السودان'^(٣) .

الحرب اليونانية العثمانية ١٨٩٧ .

كانت هذه الحرب هي الثانية في عهد السلطان 'عبد الحميد' ، وكان من أسباب هذه الحرب ان جزيرة 'كريت' كانت قد حصلت على بعض الامتيازات الخاصة ، بحيث أصبح نصف عدد المتصرفين و القائممقاميين من المسيحيين ، كما كان للوالي معاونان ، واحد مسلم وآخر مسيحي ، وكان لها مجلس إدارة يشكل المسيحيون فيه الأكثرية ، لذا فان المشاكل بين الوالي وهذا المجلس لا تكاد تنتهي حتى تبدأ من جديد^(٤) .

بدأت القلاقل في هذه الجزيرة بعد أن طالب مسيحيوها ان يتولى مسيحي ولاية الجزيرة ، ولما استجاب السلطان ثار المسلمون على هذا التعيين ، وبدأت الصدامات ، حيث تدخلت 'اليونان' بإمداد مسيحيي الجزيرة بالعدة والعتاد والرجال ، بل تعدى الأمر الى إرسال أسطولها، وانزال جنودها في

(١) محمد علي. السلطان، ص ١٤٢-١٤٤؛ أنظر بنود معاهدة برلين في - المحامي. تاريخ، ص ٦٩٦-٦٩٩.

(٢) باتريك. سلاطين، ص ٩٣

(٣) الثناوي . الدولة ، ج ٢ ، ص ٩٥٨-٩٥٩.

(٤) محمد علي. السلطان، ص ٢٢٠.

الجزيرة حيث أراقوا دماء المسلمين ، معربة عن تحديدها للدولة العثمانية والدول الأوروبية التي طالبت 'اليونان' بسحب جيوشها خلال ستة أيام مؤكدة لها عدم رغبة أوروبا في ضم الجزيرة الى 'اليونان' (١) .

لم تكتف 'اليونان' بالتدخل في الجزيرة ، بل بدأت بالهجوم على حدود الدولة العثمانية ، وفي يوم الجمعة ٩ نيسان ١٨٩٧ بدأ الجيش اليوناني بتدمير بعض المخافر العثمانية ، وتكرر الهجوم واستخدمت اليونان مدافعها ، واحتلت جميع المخافر العثمانية على الحدود ، في الوقت نفسه الذي كان السلطان 'عبد الحميد' يراقب بشدة ما يجري بهدوء وصبر ويترك 'اليونان' للانتقاد أكثر الى ابعاد قدر ممكن ، وكان يخبر الدول الأوروبية بما يجري ، ويعلمها أولا بأول عن مجريات الاحداث حتى يعزل 'اليونان' ويظهرها بمظهر المعتدي على أراضي الغير (٢) .

وعلى الأثر قام السلطان 'عبد الحميد' بجمع وزرائه ، وحضر هو على رأسهم ، وسأل ناظر الحربية عما تحتاجه الحرب من اموال، وطلب من وزير المالية افتتاح اعتمادا بنصف مليون من خزينته الخاصة ، ثم أعلن الحرب رسميا على 'اليونان' (٣) ، بعد أن كان واقفا من النصر السريع عليهم ، بناء على التقديرات ، لا سيما تقديرات ناظر الحربية (٤) .

لقد استطاعت القوات العسكرية العثمانية إنزال الهزيمة الساحقة بالجيوش اليونانية، المتحصنة في المواقع العسكرية الجبلية، التي كانت 'اليونان' تعتمد عليها (٥) . وبذلك انفتحت الطريق أمام العاصمة أثينا، وعلى الأثر طلبت 'اليونان' مساعدة الدول الأوروبية للضغط على الدولة العثمانية لوقف الحرب، ولقد استجابت هذه الدول حيث أنذرت السلطان 'عبد الحميد' ضرورة إيقاف الحرب مؤكدة على المبدأ القائل "أنه حيث يدخل الصليب لا يدخل الهلال" (٦) .

استجابت الدولة العثمانية لهذه الضغوط، وعقدت الاجتماعات ،حتى تم التوصل الى تسوية أهم بنودها:-

- ١- ان يعطى قسم من منطقة تساليا (٧) للدولة العثمانية حيث كانت الدولة قد سيطرت عليها خلال الحرب.
- ٢- ان تدفع 'اليونان' أربعة ملايين ليرة للدولة العثمانية كتعويضات حرب ، الأمر الذي أدى الى إفلاس 'اليونان' ووضع مالىتها تحت إشراف دولي (٨) .
- ٣- ان تقدم 'اليونان' مائة ألف ليرة ذهبية للمتضررين من رعايا الدولة العثمانية أثناء الحرب .

(١) محمد علي. السلطان، ص ٢٢٠-٢٢١.

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٢١.

(٣) النمر. نظرات، ص ١٩١.

(٤) محمد علي. السلطان، ص ٢٢٢.

(٥) المرجع والصفحة نفسها.

(٦) النمر . نظرات، ص ١٩٢ .

(٧) تساليا : يقع هذا الإقليم في وسط اليونان الى الجنوب الغربي من سلانيك .

٤- ان تنهى 'اليونان' إعمال العصابات على الحدود^(١)

وتعتبر هذه الشروط لصالح 'اليونان' المهزومة ، وذلك للتعاطف الذي كانت تبديه أوروبا معها ، والتي بذلك التصرف حرمت الدولة العثمانية من جني ثمار نصرها ، إذ طبقت أوروبا مع الدولة العثمانية المقولة المشهورة: " إذا هزمت الدولة العثمانية أخذ منها الشيء الكثير ، وأما إذا انتصرت فلا تأخذ شيئاً "^(٢). لكن انتصار القوات العثمانية في هذه الحرب كانت له نتائج منها:

١- قدرة الدولة على الردع العسكري لأي اعتداء أوروبي خارجي على أراضيها بعد هزيمتها في الحرب الروسية العثمانية ١٨٧٧.

٢- تخفيف الضغط الأوروبي على الدولة العثمانية كون هذه الحرب الأخيرة كانت مفاجئة من حيث النتائج. ومدى قدرة الرجل المريض على الدفاع عن نفسه.

٣- إعادة الثقة والاعتزاز بالنفس بالنسبة لشعوب الدولة العثمانية وقدرتها على مواجهة التحديات.

٤- أدت هذه الحرب إلى إضعاف الأحزاب والجمعيات العثمانية المعارضة، التي كانت تدعي أن السلطان 'عبد الحميد' أوصل الدولة والجيش إلى حالة من الانهيار، بحيث لا تستطيع القيام بواجب الدفاع عن نفسها.

ويمكن إيجاز نتائج حروب الدولة العثمانية بما يلي :

١- إن ضعف الدولة العثمانية أدى بها إلى العديد من الهزائم التي أثرت على سياستها المالية بسبب الديون التي رصدت لسد نفقات الحرب ، وبالتالي إلى اعتماد الدولة على القروض ، مما أدى إلى زيادة وتوسع الإمتيازات الأجنبية داخل الدولة العثمانية.

٢- أدت الحروب إلى لجوء الدولة العثمانية إلى زيادة الضرائب على المواطنين، إلى جانب الضرائب الأخرى التي يؤدونها إلى الدولة، كذلك اقتطاع أجزاء من مرتبات الموظفين، وهذا أدى إلى زيادة الأعباء المالية للمواطنين، مما أدى إلى ظهور معارضة تحمل السلطان مسؤولية تدني مستوى معيشتهم.

٣- انسلاخ العديد من الولايات والمقاطعات الأوروبية عن الدولة العثمانية كنتيجة من نتائج الحروب والمعاهدات، أو بسبب تمرداتها وإعلان استقلالها استغلالاً لدخول الدولة العثمانية في هذا الحروب.

٤- زيادة تفعيل المسألة الشرقية من قبل أوروبا خصوصاً بعد الحرب مع روسيا كونها أوضحت مدى الضعف العسكري والاقتصادي للدولة العثمانية .

(١) النمر. نظرات ، ص ١٩٢ ؛ أوزتونا. تاريخ، ج ٢، ص ١٣٨-١٣٩ ؛ محمد علي . السلطان ، ص ٢٢٣ .

(٢) محمد علي . السلطان ، ص ٢٢٣ .

- ٥- تغير سياسة القصر تجاه العديد من القضايا ؛ وخصوصا مسائل الامتيازات والأقليات والعلاقات الدولية.
- ٦- أجبرت هذه الحروب الدولة العثمانية - في كثير من الأحيان - على إدخال إصلاحات هي في الغالب غير مخطط لها وغير مرغوب فيها من قبل الدول الأوروبية. س

الفصل الثاني

٩٤-٦٣

نشأة جمعية الاتحاد والترقي ونشاطها

٦٣

أ- جذور تركيا الفتاة.

٦٧

ب- نشأة جمعية الاتحاد والترقي ونشاطها.

الفصل الثاني

جمعية الاتحاد والترقي وثورة ١٩٠٨

١- نشأة جمعية الاتحاد والترقي ونشاطها.

أ- جذور تركيا الفتاة (La Jaune Turquie) .

يمكن القول أن نشأة تركيا الفتاة تعترىها الكثير من الغموض وعدم الوضوح ، وكثرة الاجتهاد في مكان وتاريخ نشأتها ، إلا أن اغلب الآراء تذهب إلى أن بداية تأسيسها غير المباشر كان في عهد السلطان 'عبد العزيز' ، وذلك في 'كلية الخدمة المدنية' (Mülkiye) والكلية الحربية' (Harbiye) ، حيث دخلت المفاهيم الليبرالية^(١).

ولقد كان كثير من الأتراك الشبان يستسيغ أفكار الثورة الفرنسية ، ومبادئها ، حتى أن كثيراً منهم كان يتهاافت على مشاهدة الفرنسيين في استانبول، بل ان الحماسة بلغت ببعضهم إلى حد تزيين صاماتهم بشعار هذه الثورة^(٢).

وكان منتصف القرن التاسع عشر قد شهد تأثيراً بأداب ولغات أوروبا في التربية والتعليم ، وان كثيراً من الأتراك الشبان قد تعلموا الفرنسية لكونها لغة سياسية وقد عشقوا آدابها واستهوتهم أفكارها ، وكانت اللغة الفرنسية من اللغات المدعاة للفخر لمن يجيد كثيراً أو قليلاً منها^(٣). وكان من هؤلاء الذين ساروا على النهج الفرنسي واعجبوا بفلسفته وأدبه 'شناسي افندي' (Şinasi) الذي تعلم وتقف في باريس، وترجم سنة ١٨٥٩ للكثير من الشعر الفرنسي إلى اللغة التركية، وانشأ في الدولة صحيفة 'تصوير أفكار' (Tasviri Efkar)^(٤) ، بعد أن كان يشارك في تحرير أول صفحة تركية غير رسمية وهي صحيفة 'ترجمان أحوال' (Tercuman-i Ahval) بعد عام ١٨٦٠، وكانت صحيفة 'تصوير أفكار' تحرر بمساعدة العديد من المثقفين ، ولقد أغلقت هذه الصحيفة أبوابها سنة ١٨٦٦ ، وقد صدر منها ما مجموعه ٨٣٠ عدد^(٥) .

وقد لعب 'نامق كمال' (Namik Kemal) فيما بعد دوراً كبيراً في هذه الصحيفة، وكان مع ذلك يزاوّل عمله كمترجم في الباب العالي ، وهنا بدأت أفكار 'نامق كمال' وأراؤه بالظهور ، وذلك عام

(١) Zürcher . Turkey, P.90 .

(٢) باسيل دقاق . تركيا بين جبارين ، (ط ١ ، بيروت: منشورات دار المكشوف ، ١٩٤٧) ، ص ١١ .

(٣) ليب . تاريخ ، ص ٩١ .

(٤) المصدر والصفحة نفسها ؛ انظر - موجز دائرة المعارف الإسلامية ، تحرير م. ت . هو تسما - و. ت أرنولد -

ر. باسيت - ر. هارتمان ، (الشارقة : مركز الشارقة للإبداع الفني، د. ت) ج ٨ ، ص ٢٣٢٨ .

(٥) Şerif Mardin. The Genesis of Young Ottoman thought a study in the Modernization of Turkish Political Idea (Princeton - New York: Princeton University Press, 1962), P.260. ، ص ٢٣٢٨ ، ج ٨ ، موجز دائرة المعارف ،

١٢٧٧هـ/١٨٦١م^(١) ، حيث بدأت أفكاره ومؤلفاته تتسلسل إلى المشتغلين بالمياسة في المدرسة الحربية حيث كانت تقرأ خلسة ، وفي الليل حرصا من مراقبة الحكومة^(٢) .

ويعتبر 'نامق كمال' بمثابة الزعيم الروحي للشبان الأتراك ، وكان هو أول من استخدم مصطلح 'الترك' (Turk) وذلك عندما تحدث عن إنجازات ومساهمات الأتراك في العلوم الإسلامية خلال القرون الوسطى^(٣) . في الوقت الذي دخل مصطلح 'الترك' ومشتقاته إلى المنشورات والمطبوعات العثمانية ، حيث استعمل بشكل واسع في العهد الحميدي في صحيفة 'الترقي' (Terakki) التي تأسست سنة ١٨٦٨ والتي حملت عنوان 'صحيفة تركية مخصصة للمصالح الشرقية والشؤون الدولية' (A Turkish Newspaper Devoted to Eastern interests and International Affairs) واقتدام (Ikdam) اللتان ظهرتتا سنة ١٨٨٦ و ١٨٩٤ على التوالي اعتبرت نفسها صحف تركية^(٤) . وإلى جانب 'نامق كمال' كان هناك 'مصطفى فاضل باشا'^(٥) ، الذي كان مثثرا ومعجبا بتنظيم 'الشبان الألمان' (Young Germany) و'الشبان الإيطاليين' (Young Italy)^(٦) .

وكان 'مصطفى فاضل' قد اختلف مع السلطان 'عبد العزيز' عندما عين 'فؤاد باشا' رئيساً لمجلس الأحكام للحكم في الخلاف بين 'مصطفى فاضل' وأخوته على تقسيم ميراث أبيهم ، فوقع بينهم العداء الشديد ، ولما تولى 'فؤاد باشا' منصب الصدارة العظمى ، عزل 'مصطفى فاضل' من نظارة المالية فشق عليه الأمر كثيراً^(٧) . ويعتقد أن 'مصطفى فاضل' قام بتأسيس المجموعة الأولى للشبان الأتراك مع 'نامق كمال' و'علي سعاوى' وغيرهم من المثقفين^(٨) . وفيما بعد قام 'مصطفى فاضل' بتقديم عريضة استتكر فيها 'الاستبداد' وظهر عورات الدولة مبيناً أسباب ضعفها وانحطاطها بعبارات لم يسمع بمثلا من قبل في بلاط السلاطين لشدها وقسوتها^(٩) ، وقد أدرك 'مصطفى فاضل' عواقب عمله هذا فقام فوراً بالسفر إلى باريس

(١) نامق كمال بك . عهد الفتح ، وقائع عصرين جرت بملئى قارتين ، ترجمة ، عبد العزيز أمين أفندي الخانجي ، (د.م : مطبعة محمود توفيق ، دنا) ، ص ٨-٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٨-٢٩ .

(٣) Kushner. The Rise, P.23; Altmur Kilic. Turkey and the world (Washington: Public Affairs press D.C, 1959) P.16-17 .

(٤) Ibid., P. 21.

(٥) مصطفى فاضل باشا: (١٨٢٩-١٨٧٥) أخ الخديوي المصري إسماعيل. ذهب إلى استانبول بسبب خلافاته مع أخوته. من المؤسسين الأوائل لتركيا الفتاة مع شناسي ونامق كمال، والتي أصبحت فيما بعد النواة الأساسية لجمعية الاتحاد والترقي. ارنست رامزور . تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨ ، ترجمة ، صالح احمد العلي ، (بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٠) ، ص ٤٠ .

(٦) Zürcher . The Unionist, P. 6 .

(٧) آصاف . تاريخ ، ص ١٢٣ ، النظر — Mardin . The Genesis, P. 28 .

(٨) Ibid., P. 44 .

(٩) المصدر والصفحة نفسها .

سنة ١٨٦٥ لينجو بنفسه معتقداً بأن عمله هذا لن يمر دون عقاب^(١) ، وهناك نبع 'مصطفى فاضل' في الأدب والكتابة والسياسة^(٢)، وكان على اتصال دائم بالشبان الأتراك .

وهناك من يرجع لشاة تركيا الفتاة ' إلى سنة ١٨٦٢ حينما تولى 'مصطفى فاضل' نظارة المعارف العثمانية^(٣) ، وقد سمي هؤلاء بـ (جون ترك) أي 'الأتراك الشبان' أو 'تركيا الفتاة'^(٤) ، كما أن آخرين يرجعون أصول هذه الحركة إلى سنة ١٨٦٥ م أو ١٨٦٨ م ، وهناك من يعتبر نشأتها قبل ذلك بسنتين^(٥) .

ومن المؤرخين من ينكر وجود رابطة فعلية بين المنظرين الأوائل للأفكار الليبرالية وجمعية تركية الفتاة ، حيث "أن الجمعية المسماة بتركيا الفتاة لم تكن مستعدة إلى تنظيم معين أو تشكيل خاص ، فاعتباراً من 'شناسي' كانت هناك مجموعة من الشباب يعارضون سياسة الباب العالي آنذاك ، أو كانوا بالأحرى يعارضون ، وينتقدون السياسة الخارجية للدولة المتصفة بالعجز والمسكنة ، فهؤلاء الشبان كانوا يجتمعون في مطبعة جريدة 'تصوير أفكار' التي أنشأها 'شناسي' والتي خلفها لتلميذه 'نامق كمال' حيث يتبادلون الأفكار في انتقاد الحكومة، ثم أخذت تطلق صفة 'جون ترك' على كل شخص ينتقد الحكومة ، ثم بدأوا بعقد الاجتماعات المتتالية في أماكن أخرى بصورة سرية"^(٦) .

وكانت هذه المجموعة قد أسست مركزين رئيسيين لها في 'باريس ولندن'^(٧) وتولى 'مصطفى فاضل' تنسيق العلاقة بينهما وبين النواة الأساسية داخل الدولة العثمانية^(٨) .

وفيما بعد سعى 'نامق كمال' لتوسيع نطاق هذه الجمعية ومضاعفة نشاطها ، لكنه اعتقل لبضعة شهور هو وزملاؤه ، وضبطت بعض المستندات ، ثم أطلق سراحه بعد تدخل ناظر مدرسته الحربية 'رضا باشا' الذي بذل جهداً في سبيل الإفراج عنه ، لكن استمرار 'نامق كمال' بتعاطي السياسة أدى إلى نفيه من قبل الدولة إلى الشام^(٩) .

ولقد قام 'نامق كمال' بالعمل على توسيع رقعة جمعيته ، فقصده 'بيروت' و'إيافا' و'القدس' بحجة القيام بتدريبات عسكرية ، وقد استطاع تأسيس فروع للجمعية في كل مدينة حل فيها ، إلا أن انتشار مبادئ الجمعية حسب رغبته في تلك المدن كان أمراً غير ممكن ، فعزم على السفر إلى 'مكدونية' حيث

(١) آصاف . تاريخ ، ص ١٢٣ .

(٢) المصدر والصفحة نفسها .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٢٤ .

(٤) يكن . المعلوم ، ص ٨٠ .

(٥) دقاق . تركيا ، ص ١١ .

(٦) محمد علي . السلطان ، ص ٦٠ .

(٧) دقاق . تركيا ، ص ١١-١٢ .

(٨) نامق كمال . عهد ، ص ٣١ .

(٩) المصدر والصفحة نفسها .

الأرض الصالحة لبذر تلك المبادئ وعلى إنباتها نباتاً حسناً ، وقام باطلاع أتباعه على ذلك^(١) لذلك فقد قام 'نامق كمال' بشد الرحال عن طريق البحر لمكدونية ، حيث اتجه إلى 'مصر' ومنها إلى 'اليونان' ثم إلى 'سلانيك' ، وذلك رغبة منه في إخفاء أهدافه عن عيون الدولة ، وأسس هناك في مدينة 'سلانيك' فرعاً للجمعية^(٢) لكن هذه الطرق لم تحول دون معرفة الأجهزة الأمنية العثمانية التي كشفت أهداف هذا المخطط ، إلا أن 'نامق كمال' اثر الابتعاد إلى 'يافا' مرة أخرى^(٣). ولقد كانت هذه الجمعية تعتمد على السرية المطلقة ، والحذر في اختيار أعضائها ، والحذر الشديد من الوقوع فيما لا تحمد عقباه من قبل السلطات العثمانية^(٤).

وفي شباط ١٨٦٧ نشرت صحيفة بلجيكية تدعى 'الشمال' (Le Nord) أنباء تتحدث على أن 'مصطفى فاضل' قد أنشأ مؤسسة مصرفية داخل الدولة العثمانية ، فقام الأخير بإرسال تكذيب لهذا النبأ إلى الصحيفة ، وأشار إلى أنه من أنصار ومؤيدي جمعية 'تركيا الفتاة' وقد أعادت نشر هذا التكذيب صحيفة أخرى تدعى 'بريد الشرق' (Courrier d'Orient) التي تصدر في 'بيرا' (Bira) ، وهي إحدى ضواحي 'استانبول' ، وكان رئيس تحرير هذه الصحيفة على علاقة طيبة بالشبان الأتراك ، ولقد ترجم هذا الخطاب إلى اللغة التركية ، حيث ورد اسم الجمعية باسم 'بني عثمانلي لر' وتعني 'العثمانيون الجدد أو الشبان'^(٥) وفي عام ١٨٦٧ انتقل نشاط الجمعية السياسي الفعلي إلى أوروبا لاسيما 'باريس' و'لندن' و'جنيف'^(٦) ولم تكن حتى هذه السنوات توجد هيئة مركزية أو مركز رسمي لهذه الجمعية ، وكان كل من يشتهبه أنه من المنتسبين لهذه الجمعية ينفى أو يقوم بالفرار ، فيعمل 'مصطفى فاضل' وأنصاره على استقطابهم^(٧).

اقتصرت نشاط هذه الجمعية تقريباً في هذه الفترة أي فترة السلطان 'عبد العزيز' على إصدار الصحف والنشرات ، فبعد صدور صحيفة 'تصوير أفكار' ظهرت صحيفة 'انقلاب' (Inkilab) وكان رئيس تحريرها أحد هؤلاء الشبان ويدعى 'أحمد مختار' ، حيث دعا إلى الانتقام بالثورة ، لكن الصحيفة لم تستمر بالصدور^(٨) وفي حوالي سنة ١٨٦٤ أنشئت في 'لندن'

(١) نامق كمال . ص ٣١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٣١-٣٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٢ .

(٤) الشناوي . الدولة ، ج ٢ ، ص ١٠٠٤-١٠٠٥ .

(٥) المرجع نفسه ، ج ٢ ، ص ١٠٠٥ .

(٦) المرجع والصفحة نفسها .

(٧) الهدى . نيويورك ، العدد ١٢١ ، السنة ١١ ، الاثنين ٢٧ تموز ١٩٠٨ ، ص ١ .

(٨) M. Şükrü Hanioğlu . The Young Turk in Opposition (Oxford: Oxford University Press, 1995) P. 159 .

أول مجلة لجمعية تركيا الفتاة سميت 'حرية' (Hürriyet - حریت) وكانت تحت إشراف أحد أعضائها ويدعى 'رفعت بك' (١).

كانت هذه الصحف والمجلات التي تصدر في الدول الأوروبية تلاقى صعوبات جمة في دخولها إلى الدولة العثمانية ، بسبب ما تفرضه الشرطة العثمانية من رقابة ، فتم إيجاد طريقة مضمونة وهي أن تصل هذه الصحف والمجلات عن طريق مكاتب بريد وزارة الخارجية للدول الأوروبية والقنوات التجارية المختلفة ، ولقد سهلت حكومات هذه الدول هذه المهمة (٢). ويقول في ذلك السلطان 'عبد الحميد' : 'بدأت هذه المشكلة عندما سمح أسلافى للفرنسيين بنقل رسائلهم بأجهزتهم ووسائلهم الخاصة، ثم تطور الأمر فافتتحت الدول الأجنبية مراكز بريد تابعة لها ، ففوتت على الخزينة مورداً سنوياً ضخماً كما أخلت بسيادة الدولة العثمانية' (٣).

ويمكن إجمال نشاط تلك الحقبة بأنه كان يفتقر إلى التنظيم والدقة والخبرة والتنسيق ولم تأخذ الصبغة السياسية بالمعنى الشامل ، بل كانت مجرد بداية للعمل، وتشجيع الآخرين الذين تأثروا بالغرب ، وغالباً ما اقتصررت هذه الفترة على إصدار الصحف والمجلات والنشرات.

ب- نشأة جمعية الاتحاد والترقي ونشاطها.

يمكن القول أن محاولات 'الشبان الأتراك' أو 'تركيا الفتاة' التي كان قادتها ومنظريها الأوائل 'شناسي' و'نامق كمال' و'مصطفى فاضل' وغيرهم إنما كانت البداية الحقيقية أو المرحلة الأولى في حياة الجمعيات السرية السياسية داخل الدولة العثمانية .

ولقد ظلت هذه الجمعية تعمل على البقاء في عهد السلطان 'عبد العزيز' حيث لم تجد المقاومة الكافية من جانبه ، لكن الأمر اختلف كلياً منذ تولي السلطان 'عبد الحميد' مقاليد الأمور ، وخصوصاً بعد إلغاء الدستور حيث انصدع شملهم ، ولم يبق منهم إلا من غلب عليه الخوف ، فأثر السكوت على مضض، أو فتنه المال فاختار النفاق' (٤).

لم تقف الأمور عند هذا الحد إذ سرعان ما نشط هؤلاء الشبان من جديد بعد مرور حوالي عقد من الزمان على محاولة 'علي سعاوي' لاعادة السلطان المخلوع 'مراد الخامس' ، وكانت هذه المرة مختلفة

(١) رامزور . تركية ، ص ٤٠ ؛ احمد نوري النعيمي . الحياة السياسية في الدولة العثمانية ، (بغداد : دار الحرية للطباعة ،

١٩٩٠) ، ص ٧٣ .

(٢) انظر صورة عن هذه الرسائل في الملحق رقم ١. Zürcher. The Unionist, P. 7.

(٣) عبد الحميد الثاني . منكراتي، ص ٩٨.

(٤) يكن . المعلوم ، ص ٤٢ .

تماماً عن البداية أو البدايات الأولى ، حيث انتقلت أفكار الحرية والدمستور والحياة البرلمانية وغيرها من الأفكار إلى الأجيال الجديدة في الكليات التخصصية في العاصمة ، ومن أهم هذه الكليات ، 'كلية الخدمة المدنية' (Mülkiye) و'الكلية الحربية' (Harbiye) و'الكلية البحرية' (Bahriye) و'الكلية الطبية العسكرية' التي شهدت توسعاً في عهد السلطان 'عبد الحميد' ، إلى أن أصبح مجموع هذه الكليات مع نهاية القرن التاسع عشر مالا يقل عن ثمانية عشر كلية^(١).

وتذهب اغلب الآراء إلى أن تأسس جمعية الاتحاد والترقي إنما كان على يد 'إبراهيم تيمو'^(٢) (Ibrahim Temo) الذي انتقل إلى المدرسة الطبية العسكرية ، وهناك ابتدأ مشواره بقراءة المؤلفات السياسية ، حيث تعرف خلال هذه المدة وفي نفس المدرسة على 'اسحق سكوتي ديساربركي' (Ishak Sükuüti) الذي بقي حتى وفاته اقرب الأصدقاء المخلصين لإبراهيم تيمو ، بالإضافة إلى آخرين ممن كان لهم يدأ في تأسيس جمعية الاتحاد والترقي^(٣) ، وقام 'تيمو' بمساعدة زملائه هؤلاء بمطالعة المؤلفات السياسية التي كانت في اغلبها تعبر عن الأفكار الغربية ومنها كتب 'شناسي' و'نامق كمال' ، كما أنه درس وتعمق في اللغة الفرنسية^(٤) ، وفي عام ١٨٨٨-١٨٨٩ تخرج 'إبراهيم تيمو' من المدرسة الإعدادية الطبية ، فالتحق 'بالكلية الطبية العسكرية' التي كانت نموذجاً للكليات الأوروبية^(٥). وهناك قضى 'إبراهيم تيمو' سنوات في هذه الكلية مما مكنه من إيجاد الفرصة المناسبة للتعرف على أنصار أفكاره ، وفيما بعد بادر في أيار ١٨٨٩ مع أربعة من طلاب هذه الكلية إلى تأسيس جمعية سرية ، وهؤلاء هم 'اسحق سكوتي' و'عبد الله جودت'^(٦) و'محمد رشيد الجركسي' و'حسين زادة علي' ، ولقد سميت

(١) Zürcher . The Unionist, P.12 .

(٢) إبراهيم تيمو: الباني الأصل ، ولد في مارس ١٨٦٥ في بلدة ستروغا Struga التي تقع في أقصى جنوب يوغسلافيا سابقاً ، وهناك من يقول انه ولد في بلدة اوهريد Ohrid ، وكان والده يدعى مراد بن مصطفى ، ويعود بأصله إلى منطقة مات mat في ألبانيا ، ولقد انتقلت أسرته من بلدة مات إلى ستروغا المجاورة ، حيث أنهى إبراهيم تيمو دراسته في المدرسة الابتدائية بالإضافة إلى صفين من المدرسة الإعدادية (الرشدية) في ستروغا ثم غادر إلى استانبول ، ولقد تمكن بمساعدة إسماعيل طوبطاني I. Tobtani ووحيد بلوشميا Bloshtmia وهما من أصدقاء والده من الوصول إلى أستاذ الجيولوجيا ، إبراهيم باشا وهو أيضاً ألباني الأصل ، حيث قام الأخير بتسجيل إبراهيم تيمو في المدرسة الإعدادية الطبية . انظر - كلشي . الوجه ، ص ٢٠-٢٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢١ .

(٤) كلشي . الوجه ، ص ٢١ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٢ .

(٦) عبد الله جودت . تخرج من المدرسة الطبية سنة ١٨٩٤ ، ثم بادر إلى نشر كتب طبية أكسبته بعض الشهرة في ذلك الميدان ، كما أصبح معروفاً كمترجم ، إذ دأب على ترجمة الكتب إلى التركية من الآداب الفرنسية والإيطالية والإنجليزية والألمانية والفارسية ، ومن اعظم إسهاماته ترجمته لعدة روايات لشكسبير إلى اللغة التركية . انظر - رامزور . تركية ، ص ٥٣ .

جمعيتهم باسم 'جمعية الاتحاد والترقي' (İttihad ve Terakki Cemiyeti) ^(١).

سرعان ما أصبح هؤلاء الأربعة النواة الأولى والصلبة في هذه الجمعية السرية ، وربما يرجع السبب في خروج هذه الجمعية من المدارس والكلليات الحربية ، إلى القطار الذي كان يأتي من 'باريس' إلى محطة 'سيركجي' (Sirkeciye) والتي تقع قرب المدرسة العسكرية ، حيث كانت الأفكار الغربية تصل للطلاب بشكل مباشر بسبب الاحتكاك بالأجانب ووصول الصحف والمجلات الغربية إليهم ^(٢) .

وبعد شهرين من تاريخ تأسيس هذه الجمعية بإدر 'إبراهيم تيمو' لعقد اجتماع سري خارج مدينة 'استانبول' في قهوة يملكها ألباني مناصر لهم يدعى 'علوش آغا' ، وشارك في هذا الاجتماع اثنا عشر عضواً ، كان من بينهم 'عبد الله جودت' ^(٣) الذي كانت علاقته مع الحكومة تأخذ طابع الملائنة أحياناً وطابع العنف أحياناً أخرى ^(٤) ، ولقد اشتهر على 'عبد الله جودت' إلحاده وعداوته الشديدة للإسلام ^(٥).

ولقد تم الاختلاف في الاجتماع الأول لهذه الجمعية في وجهات النظر حول قبول الأعضاء في الجمعية ، إذ طالب البعض بأن يقتصر الأمر على الأعضاء المسلمين ، وفي النهاية تم الاتفاق بالإجماع على رأي 'إبراهيم تيمو' بأن يكون القبول لكل عثماني يقطع النظر عن دينه أو قوميته ، وتم في هذا الاجتماع انتخاب 'علي رشدي هرسكلي' لمنصب رئيس الجمعية كونه أكبر الأعضاء سناً ، كما انتخب 'شرف الدين مغنومي' (Şerafeddin Mağmumi) أميناً للسر و'أصاف درويش' أميناً للصندوق ، أما 'إبراهيم تيمو' فلم ينتخب لإحدى هذه الوظائف ، أو ربما لم يرشح نفسه لأي منها ، أما الاجتماع الثاني لهذه الجمعية فلم يشارك فيه 'إبراهيم تيمو' واسحق سكوتي وذلك لأسباب أمنية ، ولقد تقرر التوسع

(١) Ahanet Bedevi Kuran. *Inkilâp Hareketleri ve Milli Mücadele* (İstanbul: Baha Matbaası, 1956) P.

تذكر العديد من المصادر والمراجع أن الجمعية التي أسسها إبراهيم تيمو وزملائه كان اسمها جمعية الاتحاد العثماني (Ottoman Unity Society) İttihadi Osmanlı Cemiyeti

انظر - Zürcher. *Turkey*, P.91.

Zürcher. *The Unionist*, P. 13.

Swallow. *The Sick Man*, P. 87.

(٢) Sina Akşin. *Jön Türk Hareketinin Dönemlendirilmesi, VII Türk Tarih Kongresi, Kongreye sunulan bildiriler* (Ankara: Türk Tarih Kurumu Basımevi 1988), III Cilt, P. 1789.

(٣) كلشي. الوجه ، ص ٢٣.

(٤) Metin Haper - Ayşe Öncü and, Heinz kramer. *Turkey and The West, Changing Political and cultural Identities* (London- New York : I.B. Tauris & co. L.T.D, 1993), P. 125.

(٥) محمد علي . السلطان ، ص ٢٧٩ .

وتأسيس خلايا ومجموعات منفصلة. بذلك بدأت الجمعية بالانتشار التدريجي في استانبول وخاصة بين الطلاب الضباط في مختلف المدارس والكليات الطبية والعسكرية^(١).

ولقد كانت هذه الاجتماعات تعقد بسرية تامة على طريقة 'الكاربوناري'^(٢) (Carbonari) الإيطالية التي بدأ أثرها واضحاً في هذه الجمعية والتي كان إبراهيم تيمو معجباً بها^(٣).

وبعد الاجتماع الثاني أراد 'إبراهيم تيمو' الذهاب إلى 'ستروغا' و 'أوهريد' مسقط رأسه في العطلة الصيفية لتأسيس خلايا جديدة لجمعيته ، إلا أنه سرعان ما اعتقل ، ونقل تحت الحراسة إلى استانبول ، وتم التحقيق معه لأسابيع ، ثم أطلق سراحه لقلّة الأدلة^(٤).

وفي عام ١٨٩٣ تخرج 'إبراهيم تيمو' كطبيب ، وحصل على رتبة ضابط، حيث تدرب في عدة مستشفيات وخلالها كان يمارس عمله الدعائي والسياسي في الليل ، وعندما ضرب زلزال العاصمة 'استانبول' في ١٠ تموز ١٨٩٤ كتب 'إبراهيم تيمو' قصيدة يقارن فيها بين زلزال 'استانبول' والزلزال السياسي الذي سيضرب النظام ، ولقد انتشرت هذه الأبيات بين صفوف الطلاب ، مما أدى إلى اعتقال 'إبراهيم تيمو' مرة أخرى ، ثم أطلق سراحه بعد فترة وجيزة^(٥).

لقد ازداد النشاط الاتحادي بشكل كبير في هذه السنوات، كما زادت في الوقت نفسه رقابة الأجهزة الأمنية على هذه النشاطات ، واعتقل 'تيمو' لمرات عديدة ، لكنه كما في السابق أطلق سراحه^(٦).

وحتى تلك الفترة لم تكن جمعية الاتحاد والترقي من القوة وإثبات الذات بحيث تتأثر منها الدولة أو يخاف سطوتها السلطان ، إلا أنها سرعان ما قويت واستفعل أمرها بعد مذابح الأرمن سنة ١٨٩٤ وثورات مكيدونية ، كما أن كثيراً من المثقفين غادروا الدولة لطلب العلم في أوروبا ، فتم استقطابهم للجمعية ، حيث ألفوا هناك الفروع المختلفة وأنشأوا الصحف والمجلات ، فامتدت بذلك الحركة ، وانتشرت وقويت شوكة المناهضين^(٧).

وفي 'استانبول' استطاع 'إبراهيم تيمو' و'اسحق سكوتي' وغيرهم تأمين مطبعة حجرية بعد ثورة الأرمن ، وطبعوا بياناً تم توزيعه في أنحاء 'استانبول' ، حيث عبر هؤلاء عن أسفهم للثورة ، وما أعقبها من أحداث وحملوا الدولة المسؤولية المطلقة عن هذه الأحداث ، ودعا البيان إلى التخلص من السلطة

(١) كلشي . الوجه ، ص ٢٣-٢٤ ، رامزور. تركية ، ص ٥١ .

(٢) الكاربوناري Carbonari وهي جمعية إيطالية سرية تأسست في نابولي سنة ١٨٠٧ من قبل المشتغلين بقطع الأخشاب ، وكانت تهدف إلى طرد الفرنسيين والنمساويين من إيطاليا ، حيث كانوا يسيطرون على مقاليد الأمور ، انظر - الشناوي .

الدولة ، ج ٢ ، ص ١٠٠٥ .

(٣) كلشي . الوجه ، ص ٢٢ ، انظر - Swallow. The Sick Man , P.88 ; Akşin . Jön Türk, P. 1790

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٤-٢٥ .

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٥ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٦ ؛ انظر - Kuran . Inkilâp Hareketleri, P.136

(٧) الهدى . نيويورك ، العدد ١٣١ ، السنة ١١ ، الاثنين ٢٧ تموز ١٩٠٨ ، ص ١ .

الاستبدادية ، وقد وقع البيان - غير المؤرخ - باسم 'جمعية الاتحاد والترقي للعثمانية' (عثمانلي اتحاد وترقي جمعيتي) ويبدو أن هذا البيان كان أول ظهور علني لهذه الجمعية بهذا الاسم^(١). ولقد ترك هذا البيان ردود فعل على المستوى الخاص والعام ، وتعرض 'إبراهيم تيمو' على الأثر للاعتقال ثم أطلق سراحه ، وتم تعيينه طبيباً في الأناضول بعد أن تأكدت الأجهزة الأمنية من اشتغاله بالسياسة ، وذلك في محاولة لإبعاده^(٢) .

هذا كان على الصعيد الداخلي والذي كان 'إبراهيم تيمو' على رأس نشاطه ، لكن الأمر بالنسبة لجمعية الاتحاد والترقي لم يكن ليشهد نشاطاً داخلياً فقط ، بل أن النشاط الخارجي يكاد يطغى بالكامل على النشاط الداخلي بسبب مسعته وشموله وتعددته في المناطق الأوروبية والآسيوية والأفريقية ، وكان على رأس هؤلاء جميعاً 'أحمد رضا بك'^(٣) ، الذي كان يعمل في دائرة المعارف في 'بروسه'^(٤) ، وكان يشارك في بعض المقالات فيكييل المديح للسلطان 'عبد الحميد' في محاولة للتقرب إلى القصر^(٥) وفيما بعد أصبح مناوئاً ، حيث قام بالحصول على رخصة للسفر إلى باريس بحجة زيارة معرضها الدولي العام ، لكنه بعد أن اجتاز الحدود ووصل 'باريس' أثر البقاء فيها للعمل على مناهضة السلطان^(٦) ، وقام 'ناظم سلاتينيكي'^(٧) الذي كان من أقطاب جمعية الاتحاد والترقي بالطلب من 'أحمد رضا' الانضمام إلى الجمعية ، فوافق ، وعرض عليه أن يكون مديراً للصحيفة التي أصبحت فيما بعد الناطق الرسمي للجمعية وهي صحيفة 'مشورت'^(٨) (Meşveret) حيث ترأس مع

(١) كلشي. الوجه ، ص ٢٦ ؛ انظر - Kuran . *Inkilâp Hareketleri*, P. 184-191

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٧ .

(٣) أحمد رضا بك . من أب تركي يعرف باسم "الإنجليزي علي بك" نظراً لميوله الإنجليزية ، وحبه لهم ، وأم نمساوية ، ولقد تتقن أحمد رضا ثقافة حرة ، حصل على بعضها في فرنسا ، حيث تعلم الفرنسية ، واتقنها لغة وكتابة ، وكان من حيث المظهر أبعد ما يكون عن تصور الأوروبيين للأتراك ، حيث كان طويلاً نحيفاً ، ذا لحية مثقنة التصفيف ، وملامح قاسية حادة ، تشير إلى شيء من صرامة الخلق ، وكان عنيداً لا يقبل الهوادة ، متصلياً في آرائه ، انظر - رامزور . تركية ، ص ٥٥ .

(٤) الحصري . البلاد ، ص ١٠٥ ؛ رامزور . تركية ، ص ٥٥ .

(٥) محمد علي . السلطان ، ص ٢٧٢ .

(٦) الحصري . البلاد ، ص ١٠٥ .

(٧) ناظم سلاتينيكي : ولد في سلاتينيك ، وتلقى دروسه في المكتب العسكري في اسكدار ، ولما كانت له ميول للأفكار الغربية تمت إحالته إلى مجلس حربي ، فحكم عليه بالنفي إلى اسيا الصغرى ، وفيما بعد تمكن من الفرار والالتجاء إلى باريس ، حيث أخذ يكمل دراسته هناك ، ويقضي وقته في مدرسة الطب والمستشفيات وجمعية الاتحاد والترقي ، وقد قدمت له عدة مناصب ليتولاها ، إلا أنه رفض وكان مقيماً في باريس في حي شارل ديكرت .

- المقتبس . دمشق ، عدد ١٣ ، السنة ١١ ، الأرياء ٣٠ كانون الأول ١٩٠٨ ، ص ١ .

(٨) انظر عن صحيفة مشورت في Charles Roden Buxton. *Turkey in Revolution*, (London: Fisher Unwin, 1909) P. 52

-Akşin. *Jön Türk* , P. 1790 ; Swallow. *The SickMan*, P. 88.

'خليل غانم' (١) مهمة تحريرها .

وكان 'خليل غانم' قد أنشأ في وقت سابق في جنيف صحيفة أسماها 'الهلال' ، كما كتب العديد من المقالات لعدة صحف مثل جريدة 'المناظرات' (Journal des Debats) ثم اصدر صحيفة 'تركيا الفتاة' (La Jeune Turquie) (٢) .

كانت صحيفة 'مشورت' تصدر مرتين بالشهر ، وكانت تطبع باللغة التركية فقط ، لأن هدفها بالأساس إنما كان للقراء الأتراك داخل الدولة العثمانية ، وفيما بعد قام 'احمد رضا' بإضافة ملحق خاص باللغة الفرنسية ، وبهذا أصبحت 'مشورت' الصحيفة الرسمية لجمعية الاتحاد والترقي (٣) . وكان 'احمد رضا' منذ البداية قد اعتبر هذه الصحيفة ملكاً شخصياً له إلى حد كبير (٤) .

ويمكن اعتبار أن 'إبراهيم تيمو' كان على خلاف واضح مع 'احمد رضا' زعيم جناح الجمعية في فرنسا ، وكان 'إبراهيم تيمو' يتهمه بعدم العقلانية ، وفي الوقت نفسه كان منزعجاً من محاولات 'احمد رضا' لفرض نفسه رئيساً لجمعية الاتحاد والترقي ، كما كان هناك خلاف فيما بينهم ، بخصوص كيفية التعامل مع السلطان 'عبد الحميد' والطرق التي يجب انتهاجها (٥) حيث كان 'احمد رضا' يؤيد الطسرق السلمية البعيدة عن العنف ، أما الآخرون فكثيراً ما كانوا يؤيدون استخدام القوة والعنف لتحقيق مطالبهم الإصلاحية ، باعتبارها الوسيلة الصحيحة لتحقيق ذلك (٦) .

أما صحيفة 'مشورت' فقد نشرت في ٣ كانون أول ١٨٩٥ أهداف الجمعية لقراءها وتعتبر هذه الأهداف هي أول عرض كامل لآراء الجمعية ، وجاء عنوان المقال باسم 'منهاجنا' وجاء فيه : إننا نرغب في العمل لا لخلع الأسرة الحاكمة التي نعتبرها ضرورية لحفظ النظام السليم ، ولكن لنشر فكرة التقدم التي نريد لها نصراً سليماً ، ولما كان شعارنا هو النظام والترقي ، فإننا نخشى من الامتيازات التي تحصل بالعنف (٧) . كما جاء : "إننا نطالب بالإصلاحات ، ولا نقصرها على هذه الولاية أو تلك ، بل

(١) خليل غانم . مسيحي من بيروت كان نائباً عن سورية في مجلس المبعوثان العثماني سنة ١٨٧٨ ، وقد هرب إلى جنيف بعد تعطيل مجلس المبعوثان واصدر هناك جريدة الهلال ، ثم ذهب إلى باريس وتجنس بالجنسية الفرنسية ، وكان له العديد من المقالات في الصحف والمجلات الأجنبية والعربية ، انظر - توفيق برو . العرب والترك في العهد الدستوري ١٩٠٨ - ١٩١٤ ، (ط ١ ، دمشق : دار طلاس ، ١٩٩١) ص ٦٠ ، انظر - محمد علي . السلطان ، ص ٢٧٤ ..

(٢) رامزور . تركية ، ص ٥٥ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٥-٥٦ .

(٤) Kuran. *Inklâp Hareketleri*, P.156+161 .

(٥) Loc. cit

(٦) Ibid ., P. 154 .

(٧) رامزور . تركية ، ص ٥٧ .

نطالبها للإمبراطورية كافة ، لا لمصلحة قومية واحدة ، بل لمصلحة العثمانيين كافة سواء كانوا يهوداً أو نصارى أو مسلمين^(١) .

وهذا ان دل على شيء فانه يدل على ما أكد عليه 'احمد رضا' سابقا بخصوص الخلاف في الطريقة التي ستتبع في التعامل مع السلطان 'عبد الحميد' ، وهو ان الجمعية لم تكن حتى ذلك الوقت تفكر في الانقلابات العسكرية واستبدال السلطان ، بل وتستهنج الجمعية الامتيازات التي يتم تحصيلها بالعنف ، وجاء كذلك في هذا المقال : "ان جل اهتمام الجمعية هو عظمة الدولة ، بقطع النظر عن الجنس او الدين" ، إلا ان هذا المقال قد يكون قد عبر عن رأي وأفكار 'احمد رضا' الشخصية ، وقد لا تعبر بالضرورة عن الأفكار العامة لجمعية الاتحاد والترقي بشئى فروعها المحلية والدولية .

أما الأمر فقد كان مختلفا في الدولة العثمانية فيما يخص خلايا جمعية الاتحاد والترقي ، حيث تم توقيف العديد من قادة الجمعية ضمن حملة اعتقالات سنة ١٨٩٥ ، وكان منهم 'اسحق سكوتى' و'عبد الله جودت' و'شرف الدين مغمومي' و'كريم سيباطي' (Karim Sibati) وغيرهم^(٢) . ولقد تم الاكتفاء بعقوبة النفي وتحديد الإقامة فيها^(٣) ، وقد نفي فيما بعد 'اسحق سكوتى' وآخرون إلى 'جزيرة رودس' ، ثم استطاع هو وزملاؤه السفر إلى باريس هرباً ، أما 'عبد الله جودت' فقد نفي إلى 'طرابلس الغرب' ، ثم عبر الحدود إلى تونس وانتهى به المطاف في 'باريس'^(٤) ، وقد نفي بعده ثمانية وسبعون من هذه الجمعية إلى 'طرابلس الغرب' ، حيث أسسوا هناك فرعاً جديداً لجمعية الاتحاد والترقي ، حيث كانوا على قدر كبير من حرية الحركة^(٥) . أما 'إبراهيم تيمو' فقد وصلته الأخبار السيئة بخصوص الضربات التي تلقاها الجمعية وبذلك انقطعت اتصالاته مع الجمعية ، فأثر توجيه جهوده إلى أوروبا وخصوصاً رومانيا لتشكيل خلايا هناك بعد ان اصبح نشاط الجمعية الداخلي شبه متوقف^(٦) .

(١) رامزور ، تركية ، ص ٥٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٥٨ ؛ محمد علي . السلطان ، ص ٢٧٤ .

(٣) محمد علي . السلطان ، ص ٢٧٤ .

(٤) رامزور ، تركية ، ص ٥٨ .

(٥) Ahmed Bedevi Kuran. *Inkılâp Tarihimiz ve Jön Türkler* (İstanbul: Tan Matbaası, 1945) P. 36-3.; Kuran. *Inkılâp Hareketleri*, P. 144-145 .

(٦) كلشي . الوجه ، ص ٣٠-٣١ ؛ Kuran. *Inkılâp Hareketleri*, P. 147 .

هروب مراد بك ميزانجي^(١) (Murat Bey Mizanci) .

ظهر في هذه المرحلة الحرجة رجل لا يقل في الأهمية عن 'إبراهيم تيمو' و'أحمد رضا' وهذا الرجل كان 'مراد بك' وهو من أصل داغستاني ، هاجر من بلده قاصداً العاصمة العثمانية ، وهو في مقتبل العمر ، وكان ذلك نحو عام ١٢٩٣ هـ / ١٨٧٥م حيث لزم 'مراد بك' الصدر الأعظم 'محمد رشدي باشا' حيث أقام ببابه، وعمل على طلب العلم ما استطاع إليه سبيلا ، فاصاب منه الشيء الكثير من التاريخ والأدب وفن الكتابة^(٢) . وكان يكتب في صحيفة 'ثروت فنون' (Servet-i Fünun) التي كان يصدرها 'أحمد إحسان بك'، كما كان يكتب في صحيفة 'الأدبيات الجديدة' (Edebiyat-I Cedide)^(٣) ، كما قلم بتحرير صحيفة 'ميزان'^(٤)، ثم أغلقت بعد فترة ، فعمل في نظارة المعارف ، ثم أخذ يتدرج في المناصب المختلفة حتى انتهى إلى وظيفة في لجنة 'الديون العمومية' براتب شهري لا يقل عن المائتي ليرة^(٥) .

ولقد قام الشيخ 'بنائي' بضم 'مراد بك' إلى جمعية الاتحاد والترقي بعد ما لمسه من ميول ليبرالية إصلاحية^(٦) ، وعلى الأثر قام 'مراد بك' برفع كتاب مطول إلى السلطان 'عبد الحميد' أوضح فيه ما ارتآه ضروريا لإصلاح الدولة ، وربما يكون 'مراد بك' قد اعتقد أنه سيعاقب على ذلك فأثر الابتعاد ، حيث نزل 'مصر'^(٧) في ٧ تشرين ثاني ١٣١١ (رومي / ١٨٩٥م)^(٨) .

ولقد تطرق السلطان 'عبد الحميد' لمراد بك في مذكراته فقال: محمد مراد بك كان قفقاسيا ... قابل مدحت باشا واستمع إليه ، وتدرج في مناصب الدولة حتى أصدر جريدة ميزان عام ١٨٨٦م، حيث كان ينشر فيها مدائح لي ... وأغلقت الحكومة جريدته عام ١٨٨٩م، ثم هرب إلى مصر في ٧ تشرين ثاني ١٨٩٥م، استطاع الحصول على تصريح بإصدار جريدة 'ميزان' فيها في آب ١٨٩٦م^(٩) ، حيث أصبح

(١) مراد بك: ١٨٥٣-١٩١٤، صحفي ومؤرخ، يعرف بلقب ميزانجي نسبة إلى صحيفة ميزان. ولد في تفلين، وتعلم في روسيا، وفد إلى الدولة العثمانية فعمل مدرسا للتاريخ في المدرسة الملكية في عهد السلطان عبد الحميد، حيث اشتهر أمره . كان يجيد الفرنسية والروسية إلى جانب اللغة التركية. عمل في إدارة الديون العمومية فترة طويلة. أنظر. محمد حرب، مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني (ط٣. دمشق: دار القلم، ١٩٩١)، ص ٢٨٥.

(٢) يكن . المعلوم ، ص ٧٥ .

(٣) Kuran. *Inkilâp Hareketleri*, P. 152.

(٤) Paul Fesch. *Constantinople aux derniers jours d Abdul-Hamid* (NewYork: Burt Franklin, 1971) P. 332-336 .
-Shaw – Shaw. *History*, P. 257 .Zürcher. *The Unionist*, P. 13-15 .

(٥) يكن . المعلوم ، ص ٧٥ .

(٦) رامزور . تركية ، ص ٥٩ .

(٧) يكن . المعلوم ، ص ٤٦ ؛ Kuran. *Inkilâp Hareketleri*, P. 154 .

(٨) Ibid., P. 151 , Kuran. *Inkilap Tarihimiz*, P. 40.

(٩) Bozdog , *Abdülhamid*, P. 62 ; ص ٤٧ ؛ يكن . المعلوم ، ص ٤٧ .

الفرار في ذلك الوقت 'موضه' من قبل الاتحاديين^(١). وحتى ذلك الوقت كان هناك فريقان : فريق يرى أن مراداً كافر نعمة وخائن ، وأنه مدفوع الى عمله هذا بيد عدو في ثياب صديق ، وفريق آخر يرى أن مراداً قام بما يجب عليه نحو وطنه ، وأن مثله بعيد عن أن تستهوي ليه المطامع ، وأن تستغويه الأهواء ؛ أما الأجانب فقد أعجبوا بمراد أيما إعجاب ، واعترفوا أنهم كانوا قد أساءوا الظن بالعثمانيين ، وكان أكثر الناس إعجاباً به الإنجليز. الذين قدّموا له الأموال عن طيب خاطر.

ولقد كان 'مراد بك' قوَّلاً لا فعولاً ، ولما انتظم له أمر الجمعية في 'مصر' احب الاستبداد بلأمر ، ولم يحب أن يكون لغيره كلمة مسموعة^(٢) وحتى تلك الفترة كانت لجمعية الاتحاد والترقي صحيفتان تدخلان إلى الأراضي العثمانية وهما 'مشورت' التي يصدرها 'احمد رضا' في 'فرنسا' ، وكانت ذات سمعة سيئة نظراً لأنها كانت تعبر عن وجهة نظر 'احمد رضا' نفسه ، ولفقده الكثير من أصدقائه ، وتصلبه في كثير من المواقف^(٣) ، بالإضافة إلى تصورات 'احمد رضا' الوضعية والمادية حيث كان من أنصار مذهب 'اوغست كونت' (Auguste Conte)^(٤). وإما الصحيفة الثنائية ، فكانت 'ميزان' التي كان يحررها 'مراد بك' في 'مصر'^(٥) .

وهذه الصحف والمجلات كانت تجد طريقها إلى الدولة العثمانية دائماً وكما في السابق عن طريق دوائر البريد الأجنبية ، حيث كان في عاصمة الدولة كما معظم المدن الرئيسية مكاتب للبريد الأجنبي تابعة لسفارات الدول الأوروبية وتصلياتها، وكانت جميعها مصنوعة من النقيش والمراقبة بسبب ما تمنحه لهم الامتيازات الأجنبية ، وكان يتم تسليم هذه المطبوعات المختلفة الى المجموعات السرية التي تقوم بتوزيعها سرا على عناصرها^(٦).

ولقد كان السلطان عبد الحميد يعي ذلك جيداً فيقول : " هؤلاء الذين أطلقوا على أنفسهم اسم تركيا الفتاة كانوا في الأصل ثلاثة أشخاص أو خمسة ، هؤلاء عملوا ضدي عدة سنوات في أوروبا ، تكلموا ، خططوا، كتبوا ، كل ذلك قبل أن يفكروا أن العمل ضدي معناه أيضا العمل ضد الوطن ، لقد كانت صحفهم التي يصدرونها تأتي خفية إلى البلاد عن طريق البريد الأجنبي ، وتوزع بواسطة الأجانب"^(٧).

(١) Kuran . *Inkilp Hareketleri*, P. 154 , Kuran . *Inkilâp Tarihimiz*, P. 41 .

(٢) يكن . المعلوم ص ٧٧-٧٩ .

(٣) رامزور . تركية ، ص ٦٠ .

(٤) Kuran . *Inkilâp Tarihimiz*, P. 27 . Kuran . *Inkilâp Hareketleri*, P. 136

(٥) المصدر والصفحة نفسها .

(٦) الحصري . البلاد ، ص ١٠٤ ، انظر - Kuran . *Inkilp Hareketleri*, P. 138

(٧) Bozdog . *Abdülhamid*, P. 131-132 .

ويمكن الإجمال ان جمعية الاتحاد والترقي اتخذت لها جانبين.

الأول : الجانب السري الذي تتكون منه خلايا ومجموعات الاتحاد والترقي داخل الدولة العثمانية وتتبع طرق الحذر .

الثاني : الجانب العلني والذي تتكون منه خلايا ومجموعات الاتحاد والترقي خارج الدولة العثمانية خصوصاً في أوروبا .

* محاولة انقلابية لجمعية الاتحاد والترقي.

يبدو ان 'حاجي احمد افندي'^(١) قد اصبح رئيس للجنة المركزية لجمعية الاتحاد والترقي في 'استانبول' سنة ١٨٩٦، حيث اتبعت توجيهاته العديد من الجماعات الأخرى المنتمية للجمعية ، كان منها جماعة 'الشيخ نائلي'، وهي مجموعة غالباً ما كانت تضم العلماء والقضاة، وجماعة أخرى تعمل في نظارة الحربية كان يرأسها المقدم 'شفيق بك'^(٢)، وقد اتخذت للجمعية في الداخل قرارها للقيام بانقلاب عسكري، ولا يعرف سر اختيار شهر آب سنة ١٨٩٦ ميعاداً للتنفيذ ، فقد كان الهدف الأسمى لجمعية الاتحاد والترقي دون المواقف الشخصية هو خلع السلطان 'عبد الحميد' واستبداله بمن يسير وفق سياستها وتوجهاتها ، وربما ان ثورة الأرمن الفاشلة، وما أعقبها من ردود فعل عنيفة من ناحية أوروبا وثورات الأقليات الأخرى كانت هي السبب في التخطيط لهذا الانقلاب^(٣) .

وبالفعل فقد تم التخطيط لهذه العملية داخل الدولة عن طريق الفرقة الأولى من الجيش العثماني المتمركزة في 'استانبول' ، والتي كان 'كاظم باشا' قائدها ، ولقد استطاع 'حاجي احمد' ان يكسب ود 'كاظم باشا' ويجنده داخل صفوف الجمعية ، واناطة أمر الانقلاب إليه، بحيث تقوم هذه الفرقة باحتلال الباب العالي عند اجتماع مجلس الوزراء ، ثم تستحصل على فتوى من شيخ الإسلام بخلع السلطان 'عبد الحميد' من منصبه ، واناطة أمر السلطنة بالسلطان المخلوع 'مراد الخامس' ، 'لو' محمد رشاد 'أخ السلطان 'عبد الحميد' ، وذلك لأنهما أضعف شخصية من السلطان 'عبد الحميد'^(٤) .

وعلى الرغم من بساطة التخطيط ، وضعف الإمكانيات لاسيما بالنسبة لحجم الفرقة العسكرية المناط بها عملية الانقلاب ، والى أي مدى ستجح في تنفيذ خطتها، إلا أن الجمعية استمرت في جديتها في تنفيذ الخطة لولا ان القدر شاء اكتشاف الخطة^(٥) ذلك ان 'نادر بك' ناظر مدرسة مثال الترقى 'نمونة ترقى' الذي كان عضواً في الجمعية ذهب الى مطعم 'طوقاقلان' في العاصمة ليقوم باحتساء الخمر احتفالاً وابتهاجاً بحدث لم يصبح حقيقة بعد ، وهو الانقلاب ، وخلع السلطان 'عبد الحميد' ، ولقد صادف

(١) حاجي أحمد أفندي: موظف مدني في دائرة حسابات نظارة الحربية للعثمانية، أطلق عليه لقب حاجي(حاج) لأدائه

فريضة الحج، فأصبح لقباً ملازماً لاسمه. من قادة جمعية الاتحاد والترقي. رامزور. تركية. ص ١٧٠، ٥٤.

(2) Fesch. Constantinople, P. 331

(3) رامزور. تركية ، ص ٦٢

(4) انظر - أصفاء . تاريخ ، ص ١٣٥ ؛ Fesch . Constantinople, P. 332 .

(5) المصدر نفسه ، ص ٦٢-٦٣ .

هناك شخصاً يدعى 'مظهر بك' ، وهو مدرس في مدرسة 'نادر بك' كذلك أبوه 'إسماعيل باشا' ، الذي كان مفتشاً عاماً للمدارس العسكرية ، ولقد استزاد 'نادر بك' في شرب الخمر ، فقال : " آه لو علم الباشا - السلطان - ماذا سيحدث غداً " 'باشم بلسن يارن نيلر أولجاق' (Başam bilsan yarin neler olacak) مما أثار حب الاستطلاع لدى 'إسماعيل باشا' ، فألح على 'نادر بك' الذي وافاه بالتفاصيل ، فقام 'إسماعيل باشا' من فوره بنقل هذه المعلومات إلى الأجهزة الأمنية ، فقامت من ليلتها باعتقال كل المتورطين^(١) .

والغريب في الأمر ان المتهمين اعترفوا وادينوا بتهمهم ، ولم يرقم السلطان 'عبد الحميد' بتطبيق أحكام قاسية كالإعدام ، أو مخففة كالسجن مثلاً ، بل ظل على طريقته المعتادة في التعامل مع أعدائه ، وهو إيثار النفي وإسداء النصيح والمشورة إليهم ، واستمالتهم بالمناصب والرتب العالية ، أو بدفع مبالغ كبيرة من الأموال لهم^(٢) ، وطوال حكمه الذي استمر ثلاثة وثلاثين عاماً لم ينفذ حكماً بالإعدام سوى في حادثة واحدة فقط^(٣) ، لذلك فقد فقت بيوض الأفاعي تحت جناحي رحمته^(٤) .

ظلت سياسة السلطان عبد الحميد تبتعد كلياً عن العنف طوال مدة حكمه^(٥) ، لذلك فقد نفي المتأمرين وكان منهم 'كاظم باشا' و'حاجي احمد' والشيخ 'ثايلي' مع أخويه 'حقي بك' و'عيني بك' (Ayni Bey) وعدد آخر، وتم وضعهم في السفينة ، وتوزيعهم كل حسب مكان نفيه ، أما الأخطر من بين هؤلاء ، فقد تم نفيه إلى 'ليبيا' و'سوريا' ، حيث أقام الشيخ 'ثايلي' وأقاربه في أماكن كـ 'حمص' في سوريا و'بنغازي' في ليبيا ، كما أقام 'حاجي احمد' في 'قزان'^(٦) . لكن أغلب هؤلاء المنفيين استطاعوا التملص والذهاب إلى حيث المراكز الأساسية لجمعية الاتحاد والترقي في 'باريس' و'جنيف' و'مصر' ، وعادت الجمعية إلى ما كانت عليه من ضعف ونشئت .

وتميزت هذه المرحلة بمحاولة الجمعية بالداخل القيام بانقلابات بقرارات ذاتية لا علاقة لها بمركز الجمعية في الخارج .

النشاط الاتحادي في مصر .

نشطت جمعية الاتحاد والترقي في مصر كثيراً ، وربما يرجع ذلك إلى سياسة إنجلترا مع الدولة العثمانية ، حيث كانت سياسة الدولة العثمانية تسعى إلى تعزيز التنافس الأوروبي الداخلي ، لذلك فقد فتح المجال أمام النفوذ الألماني على حساب بقية نفوذ الدول الأوروبية لا سيما روسيا وإنجلترا وفرنسا ، الذين

(١) أصناف . تاريخ ، ص ٦٣ ، انظر - Akşin, Jön Türk, P1972..

(٢) محمد علي . السلطان ، ص ٢٧٣ ، Kuran. İnkılâp Hareketleri, P. 140

(٣) طوران . اسرار ، ص ٢٨ .

(٤) محمد علي . السلطان ، ص ٢٧٣ .

(٥) رامزور . تركية ، ص ٦٤ .

(٦) Fesch. Constantinople , P. 334 .

حاولوا جاهدين استئصال أو تقليل النفوذ الألماني ، وعندما فشلوا مدوا أيديهم إلى الاتحاديين في محاولة للتأثير على السلطان 'عبد الحميد' (١) .

وكانت 'مصر' من المراكز الخطيرة بالنسبة للنشاط السياسي الذي كانت تقوم به الجمعية ، وذلك لبعدها عن العاصمة 'استانبول' ، ووقوعها تحت الإدارة البريطانية مما جعلها ملجأ ومأوى لأنصار الجمعية الذين نفوا أو خشوا وقوعهم في قبضة عبد الحميد الحديدية (٢) .

وكان من بين ما وفرتة الحكومة المصرية لجمعية الاتحاد والترقي ، حرية الكتابة ، وإصدار الصحف ، حيث قام 'مراد بك' بإصدار صحيفة 'ميزان' ، كما أفسحت صحيفة 'المقطم' المجال للاتحاديين الهاربين إلى مصر حرية الكتابة ومهاجمة السلطان 'عبد الحميد' والطعن فيه من على ظهر صفحاتها ، حيث كانت 'المقطم' على عداء شديد مع الدولة العثمانية ، ومهاجمة الدعم الذي تقدمه مصر للدولة العثمانية في أزمتها المالية كما في حروبها ، وعلى كل فقد كانت 'المقطم' صحيفة مؤيدة للسياسة الإنجليزية (٣) ، وكانت صحف جمعية الاتحاد والترقي وغيرها من الصحف المعارضة لسياسة السلطان 'عبد الحميد' قد اتخذت من 'مدحت باشا' ودمتوره وسيلة لمهاجمة السلطان باعتباره بطل الدستور وشهيد الحرية . ويقول في ذلك 'أوزتونا' : 'كان' مدحت باشا' بطل المشروطية ، وشهيد الحرية ! . كان هؤلاء الشباب لا يعلمون أي عميل إنجليزي لعين هو ، كذلك لم يكن من مصلحتهم معرفة ذلك ، لأنه كان يلزم لحصولهم على الحكم ان يرفعوا نوعا من الشعارات أو المثل ، حتى ولو كانت مفتعلة . من هو اكبر معارض لنظام عبد الحميد ؟ مدحت باشا ! إذاً هو بطل (٤) .

وكان من الاتحاديين الذين انطلقت أقلامهم في كتابة المقالات في صحيفة 'ميزان' شخص يدعى 'محمد قدرى' حيث كان يذيل مقالاته بإمضاء 'محمد قدرى العثماني' (٥) ، وإلى جانب صحيفة 'ميزان' قلم 'مراد بك' بتأسيس صحيفة أخرى اسمها 'قانون أساسي' (٦) (Kanun-I esasi) باللغة العربية وأخوى باللغة التركية ، وكان يقوم بتحرير الكثير من مقالاتها محمد قدرى (٧) ، بالإضافة إلى ذلك أنشئت صحف مثل 'حق' و'شرق' ثم بعد ذلك 'عثماني' و'اجتهاد' (٨) .

(١) العريسي . مختارات ، ص ٢٤٤ .

(٢) زين نور الدين زين . نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية ، (ط ٣ ، بيروت : دار

النهار ، ١٩٧٩) ، ص ٧٦-٧٧ .

(٣) حرب . السلطان ، ص ٢٣٧ .

(٤) أوزتونا . تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٦٨ .

(٥) يكن . المعلوم ، ص ٦٤-٦٥ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٧٨ ، Kuran. *Inkilâp Hareketleri* , P. 157 .

(٧) المصدر نفسه ، ص ٦٥ .

(٨) Loc. cit.,

ويبين من الأسماء التي جمعت أن عدد الصحف التي أصدرتها جمعية الاتحاد والترقي عموماً باللغة التركية خارج حدود الدولة العثمانية قد ناهز المائة ، ويظهر أن ما يقرب من ثلث هذا العدد كان يصدر في القاهرة^(١) ، ويذكر 'احمد بدوي كوران' (Kuran) أن عدد هذه الصحف كان ١١٦ صحيفة منها ٩٥ بالتركية و ٨ بالعربية و ١٢ بالفرنسية و ١ يهودية (كذا)^(٢) . أما المؤرخ 'يلماز أوزتونا' فيقول : "لو جمعت الصحف الدورية التي طبعت ضد السلطان 'عبد الحميد' في الخارج وأدخلت بصورة سرية الى الاقطار العثمانية في مكان واحد لشكلت مكتبة ، ونحن المؤرخين نعلم اليوم ، أن أكثر من تسعة أعشار مل كتب فيها افتراء ، وما يقارب تسعة وتسعين بالمائة منها نتيجة لتفهم خاطئ ، ونقد مبالغ فيه " .^(٣)

ولقد وقع في 'مصر' حدث هام ، ذلك أن 'صالح جمال' الذي كان يملك المطبعة العثمانية التي تصدر صحيفة 'قانون أساسي' قد عرض لسبب ما مطبعته للبيع ، حيث جاء أحد الرجال المحسوبين على السلطان عبد الحميد ، واخذ يغالي في الثمن حتى وقف عليه البيع ، فأراد أخذ المطبعة بما فيها من أوراق وكتب ودفاتر^(٤) ، وقام رجال المطبعة الجدد بجمع الدفاتر فختموها والى الرسائل فجمعوها ، ولما رأى الاتحاديون ذلك أرسلوا إلى اللورد 'كرومر' المعتمد البريطاني في مصر يعلمونه بما حدث ، فقدم اللورد 'كرومر' بقواته ، حيث اخذ تلك الأوراق إلى دار الوكالة البريطانية حيث حفظت هناك^(٥) .

ويذكر اللورد 'كرومر' هذه الحادثة فيقول : " ... ومن أسباب خلافي مع الخديوي عباس حلمي ... ومن هذا القبيل أن رجلاً جاعني ذات يوم واخبرني أن في أحد المنازل خزانة فيها أوراق تعلم منها أسماء رجال تركيا الفتاة ، ... والقصد منها ضبط تلك الخزنة ، واخذ ما فيها من الأوراق ، وإن حزب تركيا الفتاة في اشد القلق من جراء ذلك ، ... وأنه لا بد من المبادرة إلى تلاقي الخطب في الحال ، لأنه يُراد وضع اختام المحكمة على الخزنة حالاً فيصعب فتحها بعد ذلك ، فأمرت حكمدار البوليس أن يذهب حالاً ، ويفتح الخزنة ، ويأتي بما فيها من الأوراق الى الوكالة البريطانية ففعل كما أمرته^(٦) " وبهذه الصنائع تمكن اللورد 'كرومر' من قلوب 'المجاهدين للعثمانيين' وبها سيخلد له الثناء في كتبهم كما خلد للامة الإنجليزية العظيمة التي منها نشأته ومنها أخلاقه^(٧) .

(١) الحصري . البلاد ، ص ١٠٦ ؛ احمد عبد الرحيم مصطفى . في اصول التاريخ العثماني ، (ط ١ ، بيروت : القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٨٢) ، ص ٢٦٠ .

(٢) انظر صورة عن هذه الصحف والمجلات في الملحق رقم ١٦٠.٢ Kuran. *Inkılâp Tarihimiz*, P. 160.

(٣) أوزتونا . تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٧٠ .

(٤) يكن . المعلوم ، ص ١٢٥ .

(٥) المصدر والصفحة نفسها ، انظر كذلك ص ١١٠ .

(٦) اللورد كرومر . كتاب عباس حلمي ، المقطف ، مصر ، ج ١ ، م ٤٧ ، ١١ أغسطس ١٩١٥ ، الفصل الخامس ،

ص ١٢٣ .

(٧) يكن . المعلوم ، ص ١١١ .

و يمكن القول ان الصحف التركية داخل 'مصر' والبلاد الأخرى لم تدم طويلاً ، حيث لم يكن هناك أناس يقرءون التركية ، والذين يقرءونها او يفهمونها في 'مصر' كانوا من الأتراك الذين استوطنوا 'مصر' في الأزمان السالفة ، وهم لا يعيرون للسياسة وزناً^(١) ، في الوقت الذي لاقت فيه الصحف العربية رواجاً كبيراً^(٢) .

اما السلطان 'عبد الحميد' فقد ركز اهتمامه حتى ذلك الوقت على 'مصر' بسبب ازدياد نفوذ الجمعية فيها، وذلك في محاولة للقضاء على نشاطهم او إخراجهم منها^(٣) . ذلك ان مركزهم في 'مصر' كان من أقوى المراكز^(٤) .

ومهما يكن من امر فقد بدأت الحكومة المصرية تظهر عدم ارتياحها لنشاط الجمعية في 'مصر' وذلك سنة ١٨٩٦^(٥) ، وقام اللورد 'كرومر' تحت الضغط بإخراج 'مراد بك' من 'مصر' ، حيث سافر الى 'باريس'^(٦) ، وفي هذه المرحلة طرد 'الخديوي' (Khedive) اثني عشر من أعضاء الفرع الى 'استانبول' وبقي ثلاثة أعضاء فقط من أعضاء الجمعية في فرع 'القاهرة' وهم 'باهر يالي رضا' (Bahriyeli) و'علي فخري' (Ali Fahri) و'ضياء افندي' (Ziya Efendi) . وقام 'طونالي حلمي' (Tunali Hilmi) بعدة زيارات الى 'القاهرة' لتغذية وتعزيز الطموحات لعقد مؤتمر عام للمعارضة العثمانية ، الا ان وظيفته الرسمية في السفارة العثمانية في 'مديرد' وانهيار فرع الاتحاد والترقي في 'مصر' منعه من تحقيق هذه الغاية ، وتم إرسال 'علي فخري' الى 'جنيف' لتنظيم النشاط وترك 'باهر يالي رضا' وحيداً وهو شخصية ليست على وفاق مع أعضاء الجمعية الآخرين في 'القاهرة' ولم يعمل شيء باستثناء نشر صحيفة للجمعية هناك^(٧) . وبعد ان طلب 'طونالي حلمي' أحد قادة الجمعية من منظر الحركة في مصر 'علي فخري' - الذي لعب أدواراً رئيسية في فرع الاتحاد والترقي في 'مصر' - ، بالسفر الى 'جنيف' لتنظيم النشاط هناك في إطار لجنة جديدة ، وبعد مناقشات مطولة تم إنشاء 'جمعية الشباب العثماني المنتقم' . (The Committee of Avenging Young Ottomans) Intikamci . وصدرت هناك صحيفة 'انتقام' (Intikam) ، وصحيفة 'الامة' (ملت - Millet) وصحيفة 'توكماك' (Tokmak)^(٨) .

(١) يكن . المعلوم ، ص ٧٢ .

(٢) المصدر والصفحة نفسها .

(٣) Kuran . *Inkilâp Hareketleri*, P. 155 .

(٤) Loc cit; Aykut Kansu. *The Revolution of 1908 in Turkey* (Leiden: E.J. Brill, 1997), p. 50. انظر

(٥) Fesch. *Constantinople*, P. 338 .

(٦) Kuran. *Inkilâp Tarihimiz*, P.42, Kuran. *Inkilâp Hareketleri*, P. 155 .

(٧) Hanioglu. *The Young Turk*, p.158.

(٨) Ibid ., P. 159 .

ولقد قامت جمعية الاتحاد والترقي بإصدار بيان باللغة العربية بعنوان 'الحق الصريح' (Hakki Sarih) اتهمت فيه 'طونالي حلمي' (Tunali Hilmi) الذي أرسل للاستقصاء في 'مصر' ، كذلك مركز الجمعية في مصر بالفساد ، وقد سارع هذا الفرع بنفي هذه الاتهامات ، وعلى كل أدت هذه الأحداث الى التأثير السلبي على مكانة الجمعية في 'مصر' ، والتي هي في الأصل وصلت إلى الحضيض^(١). واثرت هذه التطورات الجديدة على الطرفين حيث جدد هؤلاء حملتهم ضد بعضهم البعض ، وفي حزيران ١٩٠٠ اخبر 'ادهم روجي' 'اسحق سكوتي' (Ishak Süküti) ان 'صالح جمال' كان يصدد تنظيم حركة جديدة في الخفاء ضد مركز الاتحاد والترقي وطلب مركز الاتحاد والترقي من فرعه في مصر الإعلان على انه ليس هناك جهاز رسمي للاتحاد والترقي خلاف العثماني ، وان الحق هو فرع الاتحاد في 'مصر' ، ونشر الفرع الإنكار واعلنوا ان الذين اصدروا نشرة 'الحق الصريح' لا علاقة لهم بالجمعية^(٢).

بعد هذا التوتر ذهب 'مراد بك' الى 'فرنسا' ، وهناك انضم اليه العديد من قادة الجمعية مثل 'اسحق سكوتي' و'سليمان نظيف' و'شرف الدين الدين مغمومي' وذلك لكرهيتهم 'لاحمد رضا'^(٣) ويمكن القول ان 'مراد بك' كان من البداية على خلاف واضح مع 'احمد رضا' ولم يكن يرغب في التعامل او في إقامة صداقة طيبة معه^(٤).

ولقد جرت انتخابات في 'باريس' ، وتم انتخاب 'مراد بك' رئيساً لجمعية الاتحاد والترقي ، وبذلك أصبح هناك فرعان داخل 'باريس' الأول تحت قيادة 'مراد بك' والثاني تحت قيادة 'احمد رضا' ، وأصبح الاختلاف واضحاً في الأفكار والتصورات^(٥) ، ونتيجة لذلك أصبح 'مراد بك' زعيم الجمعية . ولم يستمر الأمر هكذا ، حيث سافر 'مراد بك' الى 'جنيف' ، وذلك لتنظيم فروع الجمعية هناك ، وقام بإعادة إصدار صحيفة 'ميزان' فيها^(٦) ، وخلال هذه الفترة نحى النشاط الذين كانوا يعملون ضمن لجنة الاتحاد والترقي منحى أكثر استقلالية وأسسوا عدداً من اللجان في 'جنيف' ، مع ان غالبيتهم احتفظوا بالعضوية في الاتحاد والترقي ، ووصف 'طونالي حلمي' أحد زعمائهم منذ مدة طويلة ، الظروف التي برزوا في إطارها مع العديد من الجماعات الأخرى ، مع اضطرارهم للبقاء تابعين للاتحاد والترقي ، مع ان سياسات الجمعية غير مقبولة بالنسبة لهم ، خصوصاً بعد ضعف مركزهم ، واستطاعوا خلال ذلك بناء

(١) Hanioglu, *The Young Turk* P. 163 .

(٢) Loc.cit.,

(٣) Kuran , *Inkilâp Tarihimiz* , P. 42 , Kuran. *Inkilâp Hareketleri* , P. 155 .

(٤) Loc cit.,

(٥) Kuran , *Inkilâp Tarihimiz*. P. 43 .

(٦) رامزور . تركية ، ص ٦٨ ؛ Kuran. *Inkilâp Hareketleri*, P. 157 ; Swallow . *The Sick Man*, P. 88 ;

منظمات خاصة بهم والدفاع عن برامجها^(١)، وهناك في 'جنيف' تزعم 'مراد بك' بشكل تام الجمعية ، وكن فرع 'جنيف' اقرب كثيراً إلى 'إبراهيم تيمو' على عكس فرع 'باريس'^(٢) .

وفي أيار ١٨٩٧ انتقل المركز الرئيسي لقيادة الجمعية من العاصمة 'استانبول' الى 'جنيف' و'باريس' في الوقت الذي زادت فيه حدة الخلاف بينهما^(٣). وفي مقابلة مع صحيفة 'الوطن' (La Patrie) في شهر تموز ١٨٩٧ اقر 'احمد رضا' بوجود هذه الخلافات بين أقسام الجمعية^(٤) ، واستمرت هذه الأحوال المتردية التي تعانيتها الجمعية في أوروبا ، في حين كانت الجمعية في داخل الدولة تستفيد جزئياً من ضربتها بعد المحاولة الانقلابية الأخيرة والفاشلة ، حيث اجتمع العديد من الطلاب في المدارس والكليات الحربية ، وتم تأسيس لجان باسم 'لجنة سليمان باشا' تخليداً لاسم رجل وطني قديم ، كذلك 'لجنة حسين عوني' حيث لاقت هذه الفروع ترحيباً من فروع الجمعية في أوروبا ، بعد إقامة اتصالات بينهم ، الا ان هذه اللجان الجديدة سرعان ما تعرضت أيضاً للاعتقال^(٥) ، حيث قبض على الضابط البحري 'حيدر بك' وهو يوزع البيانات التي كانت تحتوي على بنود من 'القانون الأساسي' الذي وضعه 'مدحت باشا' ، كما اعتقل العديد من الطلاب الآخرين ، فأقروا بأسماء أعضاء التنظيم وسبق أكثرهم إلى تكتة 'طاش قشلة' وسجنوا ، وبعد محاكمة لهم برئاسة 'رشيد بك' صدر الحكم المعتاد في مثل هذه الحالات وهو النفي الجماعي^(٦) .

والحقيقة ان جمعية الاتحاد والترقي اعتادت فعلياً على تلقي الضربات المتتالية من قبل الأجهزة الأمنية في العاصمة 'استانبول' ، ولكن الأمر المفاجئ هذه المرة كانت الضربة التي تلقتها الجمعية في أوروبا .

عودة بعض قياديي الاتحاد والترقي إلى الدولة العثمانية.

أثر العديد من قياديي جمعية الاتحاد والترقي العودة الى الدولة العثمانية ، والالتزام تحت رايتها وذلك عام ١٨٩٧. ولقد علمنا سابقاً ان السلطان 'عبد الحميد' لم يكن يعتمد العنف بأشكاله المختلفة في تعامله مع جمعية الاتحاد والترقي ، وكان يحاول دائماً استقطاب العناصر عن طريق توظيفها في سلك الدولة ، او عن طريق الرواتب الكبرى ، وغيرها من الإغراءات الأخرى ، ولقد تركزت أحداث عودة

(١) Hanioglu. *The Young Turk*, p.158.

(٢) كلشي . الوجه ، ص ٣٠ .

(٣) رامزور . تركية ، ص ٦٨-٦٩ .

(٤) Pesch. *Constantinople*, P. 338 .

(٥) المصدر نفسه، ص ٧٤ .

(٦) طوران. اسرار ، ص ٣٣-٣٤ .

زعماء من جمعية الاتحاد والترقي في شخص 'احمد جلال الدين باشا' وهو من 'القوقاز' وكان السلطان 'عبد الحميد' يوليه ثقة خاصة^(١).

ولقد سافر 'احمد جلال الدين' الى 'باريس' واقام دعوى في المحكمة رفعها على 'احمد رضا' وجمعية الاتحاد والترقي ، وذلك لان صحيفة 'مشورت' هاجمت السلطان بقوة وقام بالطلب من المحكمة ان تعمل على إخراج 'احمد رضا' من 'فرنسا' واغلاق صحيفة 'مشورت' ، الا ان المحكمة لم تحكم لصالحه^(٢).

يمكن القول أن هذه القضية رفعت من شأن 'احمد رضا' وجمعية الاتحاد والترقي ، باعتبارها وصلت الى درجة من التعاطف الأوروبي وأنها حازت على اهتمامهم^(٣). وقام 'احمد جلال الدين' بالتركيز على فرع الجمعية في 'جنيف' وزعيمها 'مراد بك' على وجه الخصوص ، وذلك بسبب خلافه مع 'احمد رضا' وكون 'مراد بك' يمثل الزعامة لكثير من أنصار واتباع الجمعية في الداخل والخارج^(٤).

والغريب في الأمر ان 'مراد بك' وافق على العودة إلى العاصمة 'استانبول' مقابل اصلاحات يقوم بها السلطان 'عبد الحميد' بالإضافة إلى إصدار عفو عام عنه وعن الاتحاديين واعطائهم حق إكمال تحصيلهم العلمي ، وان يعطيهم وظائف حكومية في الدولة ، وقد تم الاتفاق بين 'مراد بك' و'احمد جلال الدين' على ذلك ، وتم توقيع هذا الاتفاق فيما بينهم ، حيث عاد 'مراد بك' إلى استانبول في ٣٠ يولييه ١٣١٣ رومي / ١٨٩٧م^(٥). ولم يقتصر الأمر على 'مراد بك' ، حيث عاد كل من 'اسحق سكوتي' الذي حصل فيما بعد على وظيفة في سفارة الدولة في 'روما' (Roma) ، كذلك عاد 'عبد الله جودت' (Abdullah Cevdet) وحصل على وظيفة في سفارة الدولة في 'فيينا' (Viyana)^(٦). كما عين 'طونالي حلمي' كاتباً في سفارة الدولة في 'مريد' ، ولم يبق لدى هؤلاء أي اثر للثورية^(٧). وقد يكون السبب في اختيار الوظائف لهؤلاء في السفارات للاستفادة منهم في توفير المعلومات عن الجمعية لصالح السلطان 'عبد الحميد'.

وربما ان موافقة هؤلاء على العودة يعود الى اقتناعهم ان الجمعية لن تستطيع تحقيق أهدافها بسبب حالة التشرذم التي تعاني منها وبسبب الضربات التي تعرضت لها ، ولقد وجد القليل من برر أعمال

(١) رامزور . تركية ، ص ٧٥-٧٦ ؛ Kuran , *Inkılâp Hareketleri* , P. 164

(٢) Kuran , *Inkılâp Tarihimiz* , P. 49 .

(٣) Kuran , *Inkılâp Tarihimiz* , P. 52 , Kuarn. *Inkılâp Hareketleri* , P. 166 .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٧٦ .

(٥) Kuran , *Inkılâp Hareketleri* , P. 169 ; Akşin . *Jön Türk* , P. 1793 .

(٦) Kuran , *Inkılâp Tarihimiz* , P 58 .

(٧) طوران . اسرار ، ص ٢٨ .

'مراد بك' ، لكن الأغلبية في الجمعية اعتبرت ذلك زلزلة ثقة ، حيث تزعزع إيمانهم بقدرتهم على تحقيق طموحاتهم .

هروب داماد محمود باشا^(١).

كانت عودة 'مراد بك' و'عبد الله جودت' و'اسحق سكوتي' وغيرهم الى الدولة وتركهم لجمعية الاتحاد والترقي ضربة قاسية ولكن كما كانت الأمور تجري عادة بعد كل ضعف يصيب الجمعية سواء في الداخل أو الخارج، يوجد القدر من البلمس الذي به تشفى الجمعية من كل جراحها ويبعث فيها الحياة والامل من جديد ، ذلك ان الجمعية أثبتت أكثر من مرة قدرتها على التجدد والاستمرارية .

لم يهتم 'احمد رضا' كثيراً بعودة 'مراد' بل ربما راق الأمر له كون 'مراد بك' منافساً شديداً له . مؤكداً على استمراره في عمله، حيث توفرت له روح الاستمرارية بسبب ما كان يتميز به من علو وجد (٢) ، وكان ما قام به السلطان من إعادة قياديي الاتحاد والترقي واستمالتهم بالمناصب يؤثر جداً كبيراً بينهم ، الأمر الذي كان يسبب لهم المشاكل ويوجد بينهم الخلاف والفرقة. مما جعل مجادلة الجمعية تتجه ضد السلطان 'عبد الحميد' من جهة وضد بعضهم البعض من جهة أخرى^(٣). ومهما يكن من أمر فإن البلمس هذه المرة جاء عن طريق 'داماد محمود باشا' (Damad Mahmut Paşa) الذي فر في شهر كانون أول ١٨٩٩ مع ابنه الأمير 'صباح الدين' (Prince Sabahaddin) و'لطف الله' (Lûtfullah)^(٤) وهناك من يذكر أن سبب الخلاف بين 'محمود باشا' وبين السلطان 'عبد الحميد' إنما كان حول مسألة منح امتياز خط سكة حديد بغداد 'لألمانيا' ، وهو الذي يفضل 'إنجلترا' ، إلا أنه عجز عن إقناع السلطان بذلك ، حيث قرر بعدها الرحيل مع ابنه^(٥).

ومهما يكن المبرر الذي بسببه غادر 'محمود باشا' ، فإن ذلك الأمر سبب ضربة مؤلمة للسلطان ، حيث يعني هذا أن المعارضة وجدت لها مناصرين من القصر السلطاني^(٦)، كما أن ذلك أعطى قوة دفع استثنائية لجمعية الاتحاد والترقي كونها تستطيع اجتذاب مثل هؤلاء الرجال الذي هم على درجة عالية من الأهمية .

(١) داماد محمود باشا . ولد سنة ١٨٥٥ ، كان أبوه الأميرال خليل باشا ، وأمه بنت السلطان محمود الثاني ، لذلك أطلق عليه لقب داماد وهي تعني بالتركية (صهر) ، وكان محمود باشا على قدر كبير من الذكاء والثقافة ، وقد اشتغل فترة من الزمن خلال شبابه في سفارة الدولة العثمانية، في باريس ثم شغل منصب وزير العدلية ، وظل يشغله زهاء ثمانية أشهر ، انظر - رامزور ، تركية ، ص ٨٣ .

(٢) Kuran. *Inkılâp Tarihimiz*, p. 60 ; Kuran. *Inkılâp Hareketleri*, P. 175.

(٣) Kuran. *Inkılâp Hareketleri*, P. 175.

(٤) Akşin. *Jön Türk*, P. 1794 ; Shaw-Shaw . *History*, p.258.

(٥) مانتران تاريخ ، ج ٢، ص ٢٣١.

(٦) المرجع والصفحة نفسها ؛ Fesch. *Constantinople*, p. 348-351.

فور مغادرة 'محمود باشا' مع ابنه إلى مصر ، وظل السلطان 'عبد الحميد' يلح على الخديوي 'عباس حلمي باشا الثاني' ^(١) لاعادتهم إلى 'إستانبول' ، أو على الأقل إخراجهم من 'مصر' ، وقد دارت بينهما مخابرات كثيرة بهذا الشأن ^(٢) ، وقام السلطان 'عبد الحميد' بإصدار العفو عن 'محمود باشا' ونجليه أكثر من مرة ، "واللازم رجوعهم في أقرب وقت إلى الأستانة ، وبما أن الخليفة بلغه أنه في العزم أن يرافقوا الجانب الخديوي عند قدومه إليها ، وهذا مالا تسمح به الظروف ، ولا يرغبه الخليفة ، فالأفضل أن يعودوا كما خرجوا بأنفسهم ، أما جماعة تركيا الفتاة ، فيخرجون من 'مصر' ويتوجهون أما إلى أوروبا أو إلى الأستانة" ^(٣) .

ولهذه الغاية أرسل الخديوي 'أحمد شفيق باشا' ^(٤) إلى 'محمود باشا' حيث أخبره بالعفو السلطاني فرفض نجله الرجوع قبل إدخال إصلاحات في إدارة الدولة ، لكن أبيهم وافق ورضي بالعودة ، لكنه كان يخشى العودة منفرداً ، وطلب من 'أحمد شفيق باشا' أن يبقى بمصر مدة شهرين حتى يسافر ولده لأوروبا ^(٥) وكان 'محمود باشا' يوصف بأنه ذو طباع سيئة ، فهو من ناحية باع نفسه للغرب كأنه بطل للحرية والدستور ومن جهة أخرى كان يقوم بمساومة السلطان من أجل الحصول على الأموال وبعض الامتيازات الخاصة به مقابل عودته إلى الدولة العثمانية ^(٦) .

وفي ١٠ نيسان ١٩٠٠ طلب 'محمود باشا' مقابلة 'أحمد شفيق باشا' ، فلما تمت المقابلة أخبر 'محمود باشا' 'أحمد شفيق' أنه لا يرغب في العودة إلى 'إستانبول' ، نظراً لما حصل له ولولديه من الإهانات من جانب الخديوي ، كما أنه لا يأمن على حياته ، إذا ما رجع بدون ضمانات أجنبية واضحة ^(٧) ، وعلى الأثر قام 'محمود باشا' ولده بالسفر إلى 'فرنسا' ، حيث تبين حقاً جدية موقفه ، لذلك فقد قام 'أحمد رضا' بتوجيه رسالة غاية في الإطراء والثناء له ، وبذلك اعتبر 'محمود باشا' ضمن النشاط المنتمين للجمعية ، ولقد عبرت الجمعية عن فرحتها هذه أيما فرحة ، بسبب صلات 'محمود باشا' بالسلطان 'عبد الحميد' وأثر انضمامه عليه ^(٨) .

(١) عباس حلمي باشا . 'عباس الثاني' ١٨٤٧-١٩٤٤ . خديوي مصر من ١٨٩٢-١٩١٤ وهو ابن الخديوي توفيق ، خلفه

الإنجليز بعد إعلانهم الحماية البريطانية على مصر في كانون أول ١٩١٤ ، أنظر - حرب . مذكرات ، ص ٢٧٧ .

(٢) أحمد شفيق باشا ، مذكراتي في نصف قرن ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤) ، ج ٢ ، ص ٣٥٣ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٣٥٧-٣٥٨ ؛ أنظر Akşin, Jon Türk, P. 1794

(٤) أحمد شفيق باشا : ولد سنة ١٨٦٠ ، وكان رئيس الديوان الخديوي ، ووكيل الجامعة المصرية سابقاً ، وقد خدم التاريخ المصري خدمة جليلة بحولياته السياسية التي صدرت تحت العنوان "حوليات مصر السياسية" التي بلغت ١٠ أجزاء ،

- شفيق باشا . مذكراتي ، ص التقديم

(٥) المصدر نفسه ، ص ٣٥٨ .

(٦) أوكه . جاسوس ، ص ١٣٩-١٤٠ .

(٧) شفيق باشا . مذكراتي ، ص ٣٥٨ .

(٨) Zürcher, Turkey, P. 92

إلى جانب ذلك شهدت الأحداث هروب أحد المقربين لحاشية السلطان 'عبد الحميد' وهو 'إسماعيل كمال الألباني' ^(١) الذي عينه السلطان حاكماً عاماً على 'طرابلس الغرب'. ولقد اعتقد 'إسماعيل كمال' أن الفرصة قد حانت للمعارضة بسبب تصورات الإصلاحية وشكوك السلطان 'عبد الحميد' به ، فقام بالتنسيق مع السير 'نيكولاس أوكنور' (Sir Nicolas O'conor) السفير البريطاني في 'إستانبول' ، فذهب إلى المدينة الراسية في 'البوسفور' ، ثم انتقل منها وهو محاط بالحراسة اللازمة إلى سفينة ترفع العلم البريطاني ، حيث أبحرت إلى 'اليونان' في أول أيار ١٩٠٠ ، وانتقل بعدها إلى 'بروكسل' ، حيث أصدر هناك صحيفة 'ألبانيا' مع ألباني آخر يدعى 'فائق بك كونيتزا' (Konetze)، وعندما لم يتفقا قام بإصدار صحيفة 'تحية ألبانيا' (La Salut de L Albanie) ^(٢) .

ولقد جرت في الحقيقة عدة محاولات للتوفيق بين أجنحة الجمعية المختلفة ، حيث كان كل فرع يتعامل بشكل مستقل ومنفصل ويعوزهم التنظيم ^(٣) ، ولا يستشيرون الفروع الأخرى ، وكانوا في كثير من الأحيان ينافقون فيما بينهم ، بل وصل الأمر لحد توجيه الشتائم لبعضهم البعض ^(٤) .

كان يفترض أن تناط عملية تنسيق المواقف هذه بشخص 'داماد محمود باشا' الذي كان يحظى بالكثير من الاحترام والتقدير لدى كافة فروع الجمعية ، لكن 'محمود باشا' توفي سنة ١٩٠٢ ، وانتقلت الزعامة إلى ابنه الأمير 'صباح الدين' الذي كان من أبرز الذين ظهروا على مسرح الأحداث السياسية داخل الجمعية من سنة ١٩٠٢م وحتى ثورة ١٩٠٨ ^(٥) .

ولقد قام الأمير 'صباح الدين' (١٨٧٧-١٩٤٨) وأخيه 'لطف الله' بتوجيه دعوة لانعقاد مؤتمر لجمعية الاتحاد والترقي من أجل تنسيق المواقف وحل المشاكل ورص الصفوف ^(٦) ، حيث لقيت دعوتهم ترحيباً حاراً من كافة فروع الجمعية ، وعقد المؤتمر فعلاً في منزل المسيو 'لوفافريو يوبتاليس' وهو أحد الفرنسيين المتعاطفين مع الجمعية ^(٧) ، وذلك في الفترة من ٤-٩ شباط ١٩٠٢ ^(٨) .

^(١) إسماعيل كمال بك . (١٨٤٤-١٩١٩) من رجال الدولة العثمانية ، ومن زعماء الحركة القومية الألبانية ، تولى عدة مناصب في المشرق كولاية سورية ، إلى جانب العديد من المناصب الأخرى ، وقد انتخب في البرلمان العثماني عام ١٩٠٨ بعد الثورة ، ورئيساً للبرلمان خلال الثورة المضادة ، (أحداث ٣١ مارس ١٩٠٩) وقد اختلف كثيراً مع جمعية الاتحاد والترقي ، وقد تزعم أخيراً حركة القومية الألبانية ، وانتخب رئيساً للحكومة الألبانية الأولى التي أعلنت استقلالها في ٢٨ تشرين ثاني ١٩١٢ ، انظر - كلشي . الوجه ، ص ٣٤ .

^(٢) رامزور . تركية ، ص ٨٨-٨٩ .

^(٣) Kuran. *Inkilâp Hareketleri*, P. 183.

^(٤) Ibid P. 194.

^(٥) المصدر نفسه ، ص ٩٢-٩٣ .

^(٦) مانتريان . تاريخ ، ص ٢٣٢ .

^(٧) رامزور . تركية ، ص ٩٣ .

^(٨) كلشي . الوجه ، ص ٣٣ ؛ Swallow. *The Sick Man*, P. 88-89 ؛ Zürich. Turkey P.92.

ولقد شارك في هذا المؤتمر ممثلين عن الأتراك والأرمن واليونان والعرب والألبان والأكراد واليهود^(١)، كما شارك في هذا المؤتمر ممثلين عن 'المنظمات الثورية الأرمنية' (Armenian Revolutionary Organization) خصوصا 'الهنشاك' (Henchak) و'الداشناك' (Dashnak)^(٢)، في الوقت الذي كان يمثل اليهود في هذا المؤتمر 'ألبرت فوا' (Albert Fuo) الذي تلقى الدعوة لحضور المؤتمر بسبب إسهاماته ومشاركته الطويلة في الجمعية^(٣)، وأما عن مشاركة العرب فقليل ان 'خليل غالم' ادعى تمثيلهم في المؤتمر^(٤).

وتتضارب المعلومات حول حضور 'إبراهيم تيمو' هذا المؤتمر^(٥)، 'فحسب كلشي' يذكر أن 'إبراهيم تيمو' لم يحضر المؤتمر ويبرهن على ذلك بأنه لو حضره لذكر ذلك في مذكراته، التي ذكر فيها أنه قد كتب لفروع الجمعية في 'باريس' و'لندن' و'جنيف' موافقته على برنامج وقرارات المؤتمر^(٦)، والنسبة يرجو من هذا المؤتمر الشيء الكثير لا سيما إيجاد مركزية لجميع جمعيات ولجان الاتحاد والترقي، وبناء جبهة عريضة للعمل^(٧).

لكن هذا المؤتمر زاد الخلافات، وعمق الهوة بين فئات ولجان الجمعية، ويمكن القول ان المؤتمر فشل إلى حد بعيد في تحقيق أهدافه، الأمر الذي أدى إلى ظهور حزيين، حزب الأمير 'صباح الدين' و'إسماعيل كمال الألباني'، اللذين يميلان إلى التدخل الأجنبي لإرساء النظام الدستوري، وتقليل مركزية السلطات، بحيث تحصل كل الشعوب غير التركية على نوع من الحكم الذاتي^(٨)، وهذا ما كان يميل إليه الأرمن الذين ينادون بتدخل الدول الأوروبية واستخدام القوة^(٩)، الأمر الذي أدى إلى ازدياد الرابطة بين الأرمن والأمير 'صباح الدين'^(١٠) بينما كان 'أحمد رضا' وتياره ضد أي تدخل أجنبي خارجي،

(١) كلشي، الوجه، ص ٣٣.

(2) Zürcher. *The Unionist*, P.17.

(3) Hanioglu. *The Young Turk*, P. 183.

(4) Loc. cit.

(5) Ibid., P. 182.

(٦) المصدر نفسه، ص ٣٣-٣٤.

(7) Sonyel, *Minorities*, P. 245.

(٨) المقتبس. دمشق، العدد ١٣، السنة الأولى، الأربعماء ٣١ كانون الأول، ١٩٠٨، ص ٤١ كلشي، الوجه، ص ٣٤؛

أنظر - لوتسكي. تاريخ، ص ٣٩٤-٣٩٥.

(9) Zürcher. *The Unionist*, P. 17

(10) Feschi. *Constantinople*, P. 374 ; Akşin. *Jön Türk*, P 1794; Kansu. *The Revolution*, p.78-79.

وضد التفريط بمركزية السلطة، في حين كانت صحيفة 'مشورت' دائماً تؤيد هذا التدخل^(١) ، وبعبارة أخرى كان تيار الأمير 'صباح الدين' يميل نحو الليبرالية بينما تيار 'احمد رضا' يميل الى التعصب^(٢) .

ولقد اصبحت الخلاف هذا فيما بعد مسألة انشقاق لكل منهم مؤيديه ، يعملون على نصرته ويحاولون إبرازه في دور الزعيم الحقيقي لجمعية الاتحاد والترقي ، وقام الأمير 'صباح الدين' بتسمية حزبه باسم 'جمعية التشبث الشخصي واللامركزية Teşebbüsü Şahsi ve Ademi Merkeziyeti' (Society of Personal Initiative and Decentralization)^(٣) . ولقد وجدت آراء الأمير 'صباح الدين' صدىً لاسيما على الصعيد الخارجي ، فإلى جانب الأرمن كان هناك أيضاً من يؤيدهم مثل اليونان الذين دخلت أفكار الأمير 'صباح الدين' أذانهم دون استئذان لأنها ضربت على أوتار اليونانية التي يتخلونها ، فنهض نوابهم ، وثار صحفهم تعضد هؤلاء الأحرار ومبادئهم ، وكان قادة هذا الحزب يعرفون كيف يستميلون الكثير من الأجانب الذين ازدحموا على العاصمة يريدون ان ينالوا شيئاً من الامتياز لاستثمار منافعها ، فكانوا يمنونهم بالوعود ، انه إذا ما انتهت السلطة إليهم أنالوهم ما يرغبون فيه ، وأغرب من هذا أن بعض هؤلاء الأحرار اظهروا أنفسهم ميالين للسياسة الإنجليزية ، فاعتر بهم بعض مراسلي الصحف البريطانية ، وشرعوا يعضدونهم بماء جهدهم^(٤) ، وعلى ما يبدو فان الأمير 'صباح الدين' آمن بان الكلام لا يحقق النتائج المرجوة ، لذلك فقد اقتنع بضرورة العمل الجدي والواقعي ، المتمثل بالسير قدماً بالكفاح العسكري ضد السلطان عبد 'الحמיד' ، حيث عمل على تدبير خطة انقلاب كانت غاية في السذاجة والبساطة في آن واحد ، ويتمثل ذلك بالاتصال بالمشير 'رجب باشا (Recep Paşa)' وهو ألباني الأصل كان قائدا للقوات العثمانية في ولاية 'طرابلس الغرب' ، وتم وضع خطة وآلية لتنفيذها ، ثم عرض الخطة على السر 'العمود مونسن' (Sir Edmund Monson) السفير البريطاني في 'باريس' عام ١٩٠٢ ، والذي بدوره زود 'إسماعيل كمال' برسالة إلى وزارة الخارجية البريطانية ، حيث وزيرها 'اللورد لانسدون' (Lansdowne) ، وجاءت الردود مشجعة ومتحفظة في آن واحد ، مما شجع على مواصلة العمل والترتيبات لهذا الانقلاب ، وتنقل إسماعيل كمال في سبيل ذلك في كل من 'طرابلس الغرب' و'لندن' و'القاهرة' و'باريس' ، ولما عاد إلى 'باريس' ليطلع الأمير 'صباح الدين' وأخيه 'لطف الله' ، وجد ان والدهما 'محمود باشا دلماد' قد توفي في ١٨ كانون ثاني ١٩٠٢ ، ومع هذا فقد استكملوا الاستعدادات في 'لندن' ، وذلك عندما قام كل من الأمير 'صباح الدين' و'إسماعيل كمال' بترتيب الأمور المالية لهذا الانقلاب ، وفي الأيام الأخيرة ابلغ الأمير 'صباح الدين' 'إسماعيل كمال' انه توجد ثلاث سفن يونانية مستعدة للعمل فوراً في 'أثينا' كي تتحرك إلى 'طرابلس الغرب' ، والتي بدورها ستوجه إلى العاصمة

(١) Fesch. Constantinople, P. 347

(٢) كلشي . الوجه ، ص ٣٤-٣٥ .

(٣) Sonyel. Minorities, P. 245 ; Zürcher. Turkey, P 92-93; Zürcher. The Unionist, P. 18 .

(٤) النبراس . نشأة الانقلاب العثماني ، ج ٦ ، م ١ ، ص ٢١٢ .

العثمانية ، ولكن عند وصول 'إسماعيل كمال' إلى أثينا ، لم يجد أي استعداد أو تفاهم على الأمور^(١) . وهناك من يذكر أن 'إسماعيل كمال' هو السبب وراء فشل هذا الانقلاب بسبب تلاعبه بالأموال التي أودعت إليه من أجل هذه العملية^(٢) ، ويذكر 'أكشن' (Akşin) أنه تم تحويل مبلغ ١٠,٠٠٠ ليرة ذهبية (Altin) من بريطانيا رصدت لهذه العملية^(٣) .

الحقيقة أن عداء السلطان لإنجلترا يعود في كثير من الأحيان إلى تشجيعهم ودعمهم لجمعية الاتحاد والترقي، حيث كانت صحفها الثورية في 'لندن' تتغذى على الأموال الإنجليزية وفي كثير من الأحيان كانت 'إنجلترا' توفر مظلة حماية لأعضاء الجمعية كما كانت توفر الملجأ الأمن لهم في 'استانبول' و'سوريا' بمساعدة بعض دبلوماسييها الموجودين هناك^(٤) . ويبدو أن الأمير 'صباح الدين' كان يعي أهمية الصحف من أجل نشر أفكار حزبه ، لذلك فقد قام بإصدار صحيفة 'ترقي' (Terakki) سنة ١٩٠٦ ، وعهد بإدارتها إلى أخيه بالتبني 'أحمد فضلي بك' (فضلي تونغ)^(٥) الذي كان سكرتيراً عاماً لجمعية التشبث الشخصي واللامركزية 'الذي أنشأه الأمير 'صباح الدين'^(٦) .

أما 'لطف الله' فقد سافر سرا إلى 'استانبول' ليقوم بواجب التعزية لأمه 'سنيحة سلطنة' لكنه فرجى بضباط من القصر في استقباله ، فعاد ووافق على الإقامة في العاصمة على ضفاف مضيق البوسفور والغني حكم الإعدام الذي صدر بحقه^(٧) .

إعادة بناء جمعية الاتحاد والترقي داخل الدولة.

كان واضحاً أن جمعية الاتحاد والترقي داخل الدولة العثمانية عانت العديد من المشكلات أدت إلى انهيار بنائها لأكثر من مرة ، لكن هذا الأمر لم يكن يعني على الإطلاق عدم تجدد هذا النشاط الذي كان في كل مرة يبدأ ويتجدد من خلال المدارس والكلية الطبية العسكرية، وغالباً ما كانت هذه الجمعيات السرية داخل الدولة تصبح امتداداً لجمعية الاتحاد والترقي الأم في المنفى . وربما يكون 'المصطفى كمال' دور هذه المرة في نشاط الجمعية، حيث تخرج من كلية الأركان في كانون ثاني ١٩٠٥ ، وكان 'مصطفى

(١) رامزور . تركية ، ص ١٠١-١٠٣ ، Akşin. Jön Türk, P 1794.

(٢) Kuran. İnkılap Tarihimiz, P. 159-164.

(٣) Akşin. Jön Türk, P 1794.

(٤) أوكه . جاسوس ، ص ١٢٥.

(٥) أحمد فضلي بك . من الطلاب القدامى في الكلية العسكرية في استانبول ، حكمت عليه المحكمة العرفية بالإعدام في طائش قنلة لاشتراكه في نشاطات معادية للدولة ، ثم أبطل حكمه بالنفي إلى طرابلس الغرب حيث غادرها إلى فرنسا ، حيث

ساهم في تنظيم الجالية العثمانية هناك ، انظر - رامزور . تركية ، ص ١١٠ .

(٦) رامزور . تركية ، ص ١١٢ ؛ Fesch. Constantinople, P. 382.

(٧) المصدر نفسه . ص ١١٢-١١٣ ؛ Ibid, P.377.

كمال' منذ صغره ثوريا ، حيث ألقى عليه القبض في نفس اليوم الذي أنهى فيه دراسته^(١) ، وربما كان ذلك وهو في سن (١٨-١٩) ، حيث ترك الأدب واستمر في هوايته الخاصة بإلقاء الخطب ، ذلك أن عدوى السياسة قد سرت إليه، في تلك الأيام التي أصبحت موضة بين طلاب المدارس والكلية الطبية المدنية والعسكرية^(٢) .

كان 'مصطفى كمال' يؤمن بالحرية السياسية ، ومبدأ الحرية للجميع^(٣) في الوقت نفسه كان لا يحترم ديناً أو إنساناً، ولا يقدر شيئاً على الإطلاق^(٤). وفي سنة ١٩٠٦ قام 'مصطفى كمال' بإنشاء جمعية 'وطن' Vatan (Father Land Society)^(٥) وقد ساعده في ذلك 'مفيد أوزداش' (Mevfid Özdaş) والطبيب 'حاجي مصطفى بك'، ولعل الأخير هو المؤسس الحقيقي للجمعية في حين كان 'مصطفى كمال' عضواً مؤسساً^(٦) .

ولقد قام 'مصطفى كمال' فيما بعد بتغيير اسم جمعيته إلى 'جمعية وطن وحرية' Vatan ve Hürriyet Cemiyeti^(٧) (Father Land and Liberty Society) عام ١٩٠٦، حيث اكتسب أعضاء في بيروت ويافا والقدس، وتذهب المصادر إلى أنه فيما كان يقضي إجازته في أزمير، غادرها سرا إلى مسقط رأسه سلانيك، حيث أسس فرعاً محلياً لجمعيته^(٨)، وربما كان السبب في ذلك الرسالة التي تلقاها مصطفى كمال من صديقه القديم فتحي أوقيار، الذي نصحه بنقل الجمعية إلى سلانيك، لأن أي ثورة لن تندلع من العاصمة ولا من الولايات الشرقية للدولة^(٩)، ولقد مكث مصطفى كمال في سلانيك أربعة أشهر^(١٠)، حتى إذا علمت السلطات العثمانية بأنه أساء استخدام إجازته نقل إلى قيادة

(١) رامزور . تركية ، ص ١١٨ .

(٢) ضابط تركي سابق . الرجل الصنم ، ترجمة ، عبد الله عبد الرحمن ، (ط ٤ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٨٢)،

ص ٥٧ .

(٣) Ali Kazan Cigil – Ergun Özbudun (ed) . *Atatürk Founder of A Modern State*, (London: C.Hurst & Company, 1981) P. 23.

(٤) حمادة . الأدبيات ، ص ٣٣٩ .

(٥) Gorge Blanco Villalta, *Atatürk* , Translated from Spanish by William Campbell, (Ankara: Türk Tarih Kurumu Basimevi , 1979) P 29; Jean – Louis Bacque – Grammont – Jean – Paul Roux . *Mustafa Kemal Atatürk , et La Turquie Nouvelle* (Paris : Maisnneuve et Larose, 1982) P,15.

(٦) رامزور . تركية ، ص ١١٨ .

(٧) Vamik. D. Volkan – Norinan Itzkowitz. *The Immortal , Atatürk Apsychobiography* (Chicago: The University of Chicago, Press, 1984), P,58.

(٨) بروكلمان. تاريخ، طبعة ١٩٧٤، ص ٥٩٨.

(٩) مصطفى الزين. ذنب الأناضول، (ط١، لندن – قبرص: رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩١)، ص ٣٧.

(١٠) رامزور . تركية ، ص ١٢٠-١٢١ .

الثغور العسكرية في العقبة، ثم نقل بعد ثلاث سنوات إلى هيئة أركان القيادة العليا للروم ايلي^(١) في سلانيك^(٢).

ومهما يكن من أمر فانه وفي نفس الوقت فقد كانت المنظمة التي سيتم على يدها تنفيذ ثورة ١٩٠٨ ، باسم جمعية الاتحاد والترقي ، قد أصبحت قائمة في الجيش، وكان الشكل الأخير لهذه الجمعية ان برز فيها فجأة أشخاص وصلوا إلى القمة في قيادة وتوجيه الجمعية ، وكان من هؤلاء 'طلعت بك'^(٣) و'رحمي بك' ، و'مدحت شكري' وآخرين ، ولقد سميت جمعيتهم بـ 'الجمعية العثمانية للحرية' (عثماني حريت جمعيتي Osmanli Hürriyet Cemiyeti) ^(٤) ويعتقد أن مؤسس هذه الجمعية هو 'طلعت بك'^(٥).

وكان من الضروري ان تكون لهذه الجمعية اتصالاتها مع الفروع الأخرى الموجودة داخل وخارج الدولة ، ولا سيما مع جمعية 'وطن وحرية' ، التي أنشأها 'مصطفى كمال' ، ويذكر 'نياز ملا': أن الجمعيتين اتفقتا على الاندماج^(٦) في ٢٧ أيلول ١٩٠٧ م في سلانيك ، إلا أن عثماني حريت جمعيتي قد احتوت واستقطبت عناصر جمعية وطن وحرية ، وجميع الجمعيات الثورية الأخرى باعتبارها الجمعية الأم^(٧) . و أما الادعاء بان الجمعيتين اندمجتا معا اثر اتفاق عقد بينهما في ٢٧ أيلول ١٩٠٧ فهو ادعاء كاذب، وقد لفق لصالح 'مصطفى كمال' الذي كان حينها برتبة -

(١) الروم ايلي . هي الولايات الأوروبية من الدولة العثمانية.

(٢) بروكلمان. تاريخ، طبعة ١٩٧٤، ص ٥٩٨ .

(٣) طلعت بك . ولد سنة ١٨٧٤ في أدرنة ، هو من زعماء الاتحاد والترقي ، تولى الصدارة من عام ١٩١٧-١٩١٨ فكان المسيطر الأول من الثائوث الحاكم آنذاك ، وكان طلعت بك ابن موظف عثماني صغير ، انضم إلى شركة الهاتف بعد أن لازم دراسة القانون فترة من الزمن في سلانيك وسرعان ما اعتقل هناك ، وفي عام ١٩٠٩ عين وزيرا للداخلية ، ثم تقلد منصب وزير البريد ثم الأمانة العامة للاتحاد والترقي ١٩١٢ ، وانحاز إلى جالب ألمانيا في الحرب العالمية الأولى ، واستقال من مناصبه سنة ١٩١٩ قبل توقيع معاهدة الصلح بين المتحاربين ، وقد قتل في ألمانيا أثناء تواجده فيها سنة ١٩٢١ ، انظر - علي حصون . العثمانيون والبلغان ، (ط ٢ بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٩٨٦) ص ١٩٢ .

(٤) رامزور . تركية ، ص ١٢١ .

(٥) طوران . أسرار ، ص ٤٩ .

(٦) محمد قربان نياز ملا . السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية (ط ١، بيروت: دار البشائر الإسلامية،

١٩٨٨) ، ص ٥٩-٦٠ .

(٧) رامزور . تركية، ص ١٢٣ .

أركان حرب قول أغاسي (نقيب ركن متقدم) - ، لأنه لو كان هناك مثل هذا الاتفاق لتبوأ 'مصطفى كمال' مكانا مهما في جمعية الاتحاد والترقي^(١) .

ولقد انتشرت هذه الجمعية الداخلية الجديدة بسرعة كبيرة ، وكونت خلاياها في كل مكان ، حيث كانت كل خلية تتكون من أربعة أو خمسة أعضاء ، وكل شخص منهم يقوم بتكوين خلية في نفس الحجم ، وذلك حفاظا على السرية ، وقد أخذت الجمعية نظام الخلايا عن تنظيم 'الكاربوناري' الذي كان أعضاء تركيا الفتاة قد استخدموه قبل حوالي عشرين سنة من تأسيس هذه الجمعية^(٢) .

ولقد قامت هذه الجمعية بالعمل على توسيع نشاطها فأقامت فروعها لها في 'مناسير' التي أصبحت مركزا لا يقل أهمية عن مركز 'سلانيك' ، كما ظهرت فروع أخرى في العديد من الولايات العثمانية ، كانت على درجة من الأهمية والخطورة في ان واحد ، ومن هذه المناطق رسة^(٣) بإشراف الرئيس الأول الركن 'نيازي بك'^(٤) ، الذي يذكر كيفية انضمامه إلى الجمعية بقوله : " وكنت اطلعت على منشورات الأحرار العثمانيين من هذا القبيل ، ومقررات مؤتمراتهم في باريس فيما يتعلق بالاتحاد من أحد إخواني بأزمير ثم 'سلانيك' ، وهو للملازم 'مجد الدين أفندي' ، فكان الموماً إليه واسطة مراسلتي فسي غرضون ذلك ، وقبله مع من هم في أوروبا ، ثم أخبرني ان في 'سلانيك' جمعية مؤلفة من أحرار المسلمين ، وأعلمني بعدها أن أحرار العثمانيين الموجودين في أوروبا عدا أنصار احمد رضا بك لا شأن لهم فيهم ، به ، وانهم كالأرمن والبلغار رأيهم أن يطلبوا من أوروبا دخولها ومعونتها ، فكان شبابنا وضباطنا الذين يتهافتون في ذلك الزمان على منشورات احمد رضا بك اشد التهافت ، اعترفوا باحتياجنا إلى انقلاب وطيد الأركان للوصول إلى الإصلاحات العامة مكان الإصلاحات الفرعية ، واتحدوا كلهم في نقطة واحدة هي استرداد القانون الأساسي^(٥) .

كما نظمت لجان في كل من 'اسكوب' - إلى الشمال من مناسير - تحت إشراف المقدم 'غالب بك' ، وفي 'أدرنة' بإشراف 'عصمت إينونو' (Ismet Onüni) الذي كان معه كل من 'كاظم قره باشا' ، و'سيفي باشا' ، و'حسين قدي بك' ، بالإضافة إلى العديد من المراكز الأخرى ، وكان اغلب

(١) ضابط تركي . الرجل ، ص ٦٧ .

(٢) رامزور . تركية ، ص ١٢٢ .

(٣) رسة . Rasna أو Resen وهي تقع على ضفة بحيرة برسبا التي تفصل بين يوغسلافيا وألبانيا ، انظر - كلشي .

الوجه ، ص ١٩ .

(٤) نيازي بك . الرسة لي : يوز باشي في الجيش العثماني ، ولد في رسة من ولاية مناسير ، ونشأ فيها ، كلفته الدولة مطاردة العصابات البلغارية ، فقام بمهمته خير قيام ، وفي سنة ١٨٩٧ كان ملازما ومشاركا في الحرب اليونانية ، حيث اثبت الصبر والشجاعة في القتال ، وفي سيطرته على بلدة فولو Volo ثم أرسل إلى العاصمة ليكون مسؤولا عن الأسرى اليونانيين - المقتطف . مصر ، ج ١٠ ، م ٣٣ ، ١ أكتوبر ١٩٠٨ ، ص ٨١٦ .

(٥) احمد نيازي الرسة لي . خواطر نيازي ، أو صحيفة من تاريخ الانقلاب العثماني الكبير ، تعريب ، ولي الدين يكن ،

(مصر : مطبعة على سكر احمد ، ١٩٠٩) ، ص ٢٩ .

هؤلاء المنتمين لهذه الجمعية من ضباط وجنود الجيش الثاني والثالث^(١). وفي هذه الأوان قامت كثير من فرق الجيش العثماني بإعلان العصيان المصغر ، وذلك لإجبار الحكومة على نفع رواتبهم المتأخرة ، ولقد استغل الضباط بساطة ومذاجة هؤلاء واستخدموهم أداة لتنفيذ توجهاتهم التي هي توجهات اتحادية^(٢) .

أما عن كيفية الاندماج بين 'الجمعية العثمانية للأحرار' في الداخل و'جمعية الاتحاد والترقي' في الخارج ، فقد كانت على يد 'عمر ناجي' ، و'خسرو سامي' المنتميين إلى 'الجمعية العثمانية للأحرار' واللذين هربا إلى 'باريس' من الاعتقال ، ومن ثم قاما بدراسة برنامجي كل من البرنس 'صباح الدين' ، و'احمد رضا' ، ووجدا أن 'احمد رضا' أقرب إلى آراء وتصورات جمعيتهم ، وبعد محادثات سجال بينهم تم الاتحاد بين الجماعتين ، واتفقا على إطلاق الاسم الأشهر والأقدم وهو 'جمعية الاتحاد والترقي' وذلك في ٢٧ أيلول ١٩٠٧ ، وجاء بيان الوحدة بين الجمعيتين وبرنامجهما في الوثيقة التالية :

"إن 'جمعية عثمانلي وترقي واتحاد' والتي مركزها 'باريس' و 'جمعية عثمانلي حرييت' والتي مركزها 'سلانيك' ، قد اتحدتا باسم 'عثمانلي وترقي واتحاد جمعيتي' من تاريخ ١٩ شعبان ١٣٢٥ هـ و ١٤ أيلول ١٣٢٢ رومي و ٢٧ أيلول ١٩٠٧ ميلادي^(٣) .

ومما جاء في بنود الاتفاق في نفس الوثيقة انه سيكون للجمعية مقران ، مقر خارجي في 'باريس' ، ومقر داخلي في 'سلانيك' ، على أن يكون للمقرين رئيسان منفصلان ، كما أكدت الوثيقة على أن الغرض هو إعادة دستور 'مدحت باشا' ١٨٧٦ إلى جانب العديد من القرارات الأخرى^(٤) .

ولقد عقد المؤتمر الثاني للجمعية في باريس من ٢٧ - ٢٩ كانون أول ١٩٠٧ ، وقد شارك فيه كل من 'احمد رضا' والأمير 'صباح الدين' ، كذلك 'مالوميان' (Maloumian) ممثل 'الاتحاد الأرمني الثوري' 'الداشنك' الذي نجح إلى حد بعيد في توحيد العديد من الجماعات الثورية الأرمنية حيث كان يعلق آمالا كبيرة على الاتحاديين ، لذلك فقد سعوا إلى الوحدة أو التمسق على الأقل في الاجتماعات ، من أجل المصالح المشتركة التي تربطهم معا ، ولقد قام المؤتمر بتقديم عدة توصيات منها :

- ١- المقاومة المسلحة لأعمال الظلم .
- ٢- المقاومة غير المسلحة وتتخذ شكل الإضرابات السياسية ، والاقتصادية بما في ذلك إضراب موظفي الحكومة والبوليس .
- ٣- المقاومة السلبية عن دفع الضرائب .
- ٤- نشر الدعاية في الجيش ، لحملهم على التصدي للسلطان وعدم محاربة الجمعيات الثورية .
- ٥- الثورة العامة إذا اقتضت الظروف ذلك^(٥) .

(١) رامزور . تركية ، ص ١٣٢ .

(٢) المصدر والصفحة نفسها .

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٣٧-١٣٨ .

(٤) انظر هذه القرارات بالتفصيل في Kuran, *İnkılâp Tarihimiz*, P. 238-239

(٥) رامزور . تركية ، ص ١٣٢ .

وبهذا شكل المؤتمر الثاني لهذه الجمعية منعطفاً خطيراً ، فلقد تم في هذا المؤتمر ما لم يتم من قبل من حيث عدم استبعاد الثورة والمقاومة المسلحة ، والعمل على استخدام الجيش ، وهذا ما لم يتم التطرق له صراحة أو الإملاء إليه في الأوقات السابقة .

ويبقى أن نقول أن الاتفاق الظاهري في المؤتمر الثاني لم يكن يعني على الإطلاق توحيد وجهات النظر بين البرنس 'صباح الدين' و'احمد رضا' لأنه ما إن جاء عام ١٩٠٨ حتى اتسعت الهوة لدرجة لا يمكن معها التوفيق بينهما^(٢).

(١) رامزور . تركية ، ص ١٣٢ .

(٢) Kuran. *Inkilâp Tarihimiz*, P. 239 .

الفصل الثالث

١٤٩-٩٥

الدولة العثمانية و اليهود.

أ- يهود الدونمة والدولة العثمانية.

٩٥

١٠٣

١- ماهية يهود الدونمة والتعريف بهم.

٢- علاقة جمعية الاتحاد والترقي بيهود الدونمة.

ب- الماسونية والدولة العثمانية

١٠٦

١١٢

١- ماهية الماسونية والتعريف بها.

٢- علاقة جمعية الاتحاد والترقي بالماسونية.

ج- الصهيونية والدولة العثمانية.

١٢٤

١٣٢

١٤٧

١- ماهية الصهيونية .

٢- السلطان عبد الحميد الصهيونية.

٣- جمعية الاتحاد والترقي بالصهيونية.

الفصل الثالث

الدولة العثمانية واليهود

أ- علاقة يهود الدونمة^(١) بالدولة العثمانية.

١- ماهية يهود الدونمة والتعريف بهم.

أ- هجرة اليهود الى الدولة العثمانية

ظلت أوروبا تكن العداء الشديد لليهود منذ العصور الاولى لميلاد السيد المسيح ، وذلك بسبب ما كان يلتصق بهم من تهمة صلب المسيح ، فكانوا قرونا يمثلون جنسا ودينا غير مرغوب فيه أوروبا، لذلك فان كثيرا من العنف والقسوة استعملت ضدهم .

فيما بعد وفي عام ١٤٩٢ أتم الملك الأرغواني 'فريدناند' (Ferdinand) ، والملكة القشتالية 'إيزابيلا' (Isabella)، استعادة العديد من المدن الهامة ومنها إمارة 'غرناطة' التي استسلمت للقوات المسيحية، وشرعت إسبانيا بحملة لطرد المسلمين واليهود معا^(٢)، وخير اليهود بين تغيير دينهم أو المغادرة، ولقد ارتضى القسم الاكبر منهم عدم المجازفة بحياتهم في المنفى واعتناق المسيحية ، أما أولئك الذين احتفظوا بدينهم سرا، فقد لاقوا من محاكم التفتيش صنوف العذاب ، ولما الذين فضلوا الهجرة على أن يعيشوا مسيحيين ، وعددهم يقارب ٣٠٠.٠٠٠ ، فقد قرروا الهجرة فرارا بدينهم رغم ما في الطريق من مخاطر ، وفي النهاية وصل عدد كبير منهم إلى إيطاليا ، اما من وصل الدولة العثمانية منهم فقد تجاوز ١٠٠ ألف يهودي^(٣). حيث قام السلطان العثماني 'بايزيد الثاني' (١٤٨١-١٥١٢) بالترحيب بهم والسماح لهم بالإقامة في شتى أنحاء الدولة ، وأعطاهم حقوقهم كاملة عقب ما كانوا يتعرضون له من مذابح^(٤).

وفي ظل حكم السلطان 'سليمان القانوني' (١٥٢٠-١٥٦٦) برز اليهود إلى حد كبير في مجالات الحياة المختلفة ، حيث عين السلطان 'سليمان' أحد اليهود في منصب المتحدث باسم الطائفة اليهودية ، كما ان معرفة اليهود باللغات الغربية ، وميلهم للتجارة وخبرتهم في شؤون المال والصرافة ، وعلاقتهم بالدول

(١) دولة. هي تستعمل كصفة مشتقة من المصدر التركي 'دومك' بمعنى العودة والرجوع، وفي هذا المعنى كذلك ما ورد أنها كلمة تركية تعني مرتدأ، ملحدأ، زنديقأ، كافرأ. أنظر - محمد قربان ليازملا. السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية، (ط١، بيروت: دار للبيانات الإسلامية، ١٩٨٨)، ص ٦٧.

(٢) Sir Edwin Pears. Life of Abdul Hamid, (New York: AnewYork Times Company, 1974). P. 298 .

(٣) صالح زهر الدين. اليهود في تركيا ٥٠٠ عاماً، (ط١، حلب: دار الصداقة للترجمة والنشر، ١٩٩٦) ص ١٠.

(٤) M.A.Ubicini. Letters on Turkey, (New York - Arno Press: Anew York Times Company, 1973) Part. 2

أتاح لهم فرصة تسلم وظائف هامة في الدولة ، في وقت كانت الدولة العثمانية تشهد ازدهاراً وانفتاحاً في علاقاتها مع أوروبا ، وفي هذا الوسط من الإيجابية بدأ اليهود حياتهم من جديد بحيث اعتبر القرن السادس عشر بمثابة 'العصر الذهبي' أو 'الحقبة الذهبية' من تاريخ اليهود في الدولة العثمانية^(١) ، حيث عاش اليهود في سلام في الوقت الذي كانوا يلاقون في أوروبا تمييزاً وكرهية قوية ، كانت تتفاقم من وقت لآخر لتنتهي بالمذابح^(٢) .

ومهما يكن من أمر فقد عرف اليهود المهاجرون إلى الدولة العثمانية باليهود السفارديم^(٣) (Sephardim) حيث استقروا في 'استانبول' (Istanbul) و'سلانيك' (Salonica) ، و'ادرنة' (Edirna) و'نيكوبولس' (Nicopolis) في المقاطعات الأوروبية؛ و'بورصة' (Bursa) و'أماسيا' (Amasya) و'توكات' (Tokat) في المقاطعات الآسيوية من الدولة العثمانية ، ومنزعمان ما أصبح في استانبول جالية يهودية كبيرة ، في حين أصبحت 'سلانيك' مدينة غالبة سكانها من اليهود ، وقد عمل كثير من اليهود في الكلية الأكاديمية الطبية في 'سلامانكا' (Salamanca) ، وأصبحوا أكثر أطباء القصر تأثيراً ، كذلك عمل اليهود ك مترجمين بسبب ارتباطهم ومعرفتهم السابقة بأوروبا قبل طردهم من أسبانيا^(٤) . ويمكن القول ان يهود الدولة العثمانية المهاجرين من 'اسبانيا' ظلوا شديدي الحرص على المحافظة على التراث اليهودي الأسباني^(٥) .

ولقد كتب مفكرون يهود عدداً من المقالات ، فسروا تجاهل مجتمعهم للغة التركية ، حيث فشل اليهود في الماضي في دراسة اللغة التركية بسبب عزلتهم في أحياء خاصة بهم ، وتخصيصهم في مهنة تحتاج تعلم لغة أجنبية ، كما ان تعليم اللغة التركية لم يكن مهماً في الماضي ، بسبب انتفاء الاختلاط بين الفئات الاجتماعية المختلفة ، ثم أن الأمر يعود الى حد ما الى تعقيد اللغة التركية ، الامر الذي جعل دراستها عملية صعبة ، وعندما امتزجت الطوائف والمجتمعات مع تطور اللغة التركية ، أصبح اليهود يتطلعون الى دراسة هذه اللغة وتعلمها ، وقد شكلوا اللجان لهذه الغاية ، واستخدموا اللغة التركية بعدها في معاملاتهم الرسمية^(٦) .

(١) زهر الدين. اليهود، ص ١٢-١٣ .

(٢) ج. هـ . جالسن. الصهيونية وإسرائيل وآسيا، ترجمة، حميد راشد، (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية - مركز

الأبحاث، ١٩٧٣)، ص ١٦.

(٣) أطلق على اليهود المطرودين من أسبانيا وهم الذين عرفوا فيما بعد باسم السفارديم نسبة الى 'سفارديم' أسبانيا بالعبرية ، ويطلق هذا الاسم على عامة اليهود الشرقيين ، انظر - صبري جريس. تاريخ الصهيونية ١٨٦٢-١٩٤٨ ، (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث، ١٩٧٧)، ج ١ ، ص ١٤.

(٤) Salahi Sonyel, *Minorities and the Destruction of the Ottoman Empire*. (Ankara: Turkish Historical Society

Parinting House, 1993) P. 50-51 .

(٥) المصدرو الصفحة نفسها .

(٦) David Kushner. *The Rise of Turkish Nationalism 1876-1908* (London : Frank Cass , 1977) P.94 .

كان للتعليم في 'سلانيك' نصيب فيما بعد ، حيث كان عند اليهود حوالي ٥٠ مدرسة يتلقى حوالي ٩٠٠٠ طالب تعليمهم الأساسي فيها ، وكان التدريس في الغالب باللغة الفرنسية^(١) ، في الوقت الذي حظي يهود سلانيك على الأمن النسبي الذي تمتعوا به في ظل الحكم العثماني، كانوا يخشون من مواجهة المصاعب والمشاق فيما لو تغير أسيادهم^(٢) .

لقد عاش اليهود في ظل الحرية التي لم يتمتعوا بها من قبل في أي قطر أوروبي من حيث الاستقلال الذاتي والإداري والطائفي ، فكان الحاخام الأكبر (الحاخام باشي)، ممثل اليهود في كل امر امام الحكومة ، فإلى جانب حرية اليهود في اختيار رؤسائهم الروحيين ، وفرض الضرائب ، وحل الخلافات فيما بينهم ، كانت لديهم المحكمة اليهودية التي تحكم بينهم حسب الشريعة اليهودية ، كما لم يحدث أدنى تدخل بالأموال التي تجمع لمؤسساتهم الخيرية او التعليمية ، وتمتعت مدارسهم الطائفية أجمالا باستقلال ثقافي ذاتي^(٣) .

ويحدثنا المؤرخ التركي 'جواد رفعت اتلخان'، ان اليهود رغم كل ما قدم لهم من خدمات ، وتوفير كل وسائل الراحة والأمان لهم، إلا أنهم لم يحفظوا الجميل الذي أسدته لهم الدولة العثمانية، ذلك أن اليهود بمجرد وصولهم إلى الدولة مهاجرين إليها من الظلم بادرُوا إلى ترويج الإشاعات وإطلاق الأضاليل والأكاذيب للتشنيع على الدولة العثمانية ، فاستبطنوا القصاص الخيالية للحط من قدر الإسلام والمسلمين ، وكانوا يرسلون تلك الأخبار إلى صحافتهم المنتفذة في أوروبا لنشرها على أوسع نطاق بغية الإساءة لمن أحسنوا إليهم^(٤) .

ب- ظهور يهود الدونمة ونشاطهم في الدولة العثمانية.

لم يعترف اليهود بالسيد المسيح ، لذلك ظلوا ينتظرون المسيح الذي ينقذ بني إسرائيل ويعيد لهم دولتهم ، ويفرض سيطرتهم ومطوتهم على العالم ، وكانوا يعتقدون ان المسيح المنتظر سيكون ملكا ونبيًا ، لذلك فإنه سيجبر الجميع على التدين باليهودية^(٥). ولقد وجد ذلك الأمر في عقائد اليهود مكانة خاصة، خلال القرن السابع عشر حيث تعرض اليهود في جميع أنحاء أوروبا، وخاصة أسبانيا إلى اوضاع سيئة

(١) Mete Tunçay - Erik , J. Zürcher (ed) . *Socialism and Nationalism in the Ottoman Empire 1876-1923* , (London: British Academic Press , 1994) P. 51 .

(٢) Ibid ., P. 52 .

(٣) خيرية قاسمية. *النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه* ، ١٩٠٨-١٩١٨ ، (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية -

مركز الأبحاث ، ١٩٧٣) ، ص ١٩ .

(٤) س . ناجي. *المفسدون في الارض ، جرائم اليهود السياسية والاجتماعية عبر التاريخ* ، (ط ٢ ، دمشق: العربي للاعلان

والنشر ، ١٩٧٣) ، ص ٣١٢ .

(٥) محمد حرب. *العثمانيون في التاريخ والحضارة* ، (القاهرة: المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي،

١٩٩٤) ، ص ٧٧ .

للغاية، وتيقظت في أوساطهم دعوى المسيح المنتظر والمخلص، وراجت في أذهان بعض أحبارهم فكرة أن المسيح سيظهر عام ١٦٦٦م على وجه التحديد^(١).

وفي هذا الجو ظهر اليهودي 'شباتاي زيفي' (Shabathai Zevi) وأعلن عن نفسه المسيح المنتظر^(٢). وكان 'شباتاي زيفي' قد ولد في ٩ تموز ١٦٢٦ بمدينة 'أزمير' التركية من أبوين مهاجرين من إسبانيا، أثر الاضطهاد الديني، وكان أبوه يدعى 'موردخاي زيفي' (Mordechai Zevi)^(٣)، وكان 'شباتاي زيفي' هو ثالث أبناء أبيه 'موردخاي'^(٤) الذي كان يعمل وكيلا لمصنع انجليزي في 'سميرنا' (Smyrna)^(٥).

ولقد أخذ شباتاي زيفي بأعداد نفسه ليصبح ذلك المسيح المنتظر الذي يدغدغ أحلام اليهود ولذلك فقد قام بتلقي علومه الدينية ودراسة التلمود على يد الحاخام المشهور 'جوزيف اسكابا' (Rabbi Joseph Escapa)^(٦)، بالإضافة إلى العديد من العلوم الأخرى إلى جانب أنه لتسم بالذكاء والطموح ومعرفة ودراية بالشؤون الدينية، كما كان لديه اهتمام بالرياضة الروحية، مما جعله قادراً على الاتيان بأمور فيها استحواذ على عقول البسطاء والسذج^(٧). ولقد تنقل 'شباتاي زيفي' في العديد من المدن ومنها 'القدس' حيث بعث برسائل إلى يهود الدولة العثمانية، وكان يوقعها باسم 'المولود الأول' (First Born) و'الابن الوحيد لله' (Only son of God) و'مُنقذ إسرائيل' (Saviour of Israel) ويدعوهم فيها للالتفاف حوله^(٨). وفي مطلع شهر أيلول ١٦٦٦ حط 'شباتاي زيفي' رحاله في أزمير وأعلن عن نفسه المسيح المنتظر، وبدأ اليهود في الدولة العثمانية يعيشون نوعاً من الاستقلال في كل شيء يقدرون عليه، حيث كانت جميع الطوائف تدعو للسلطان في معابدهم، وصار اليهود يسكنون في الكنيس عن الدعاء للسلطان، وبدلاً من ذلك كانوا يدعون لمسيحهم 'شباتاي زيفي'^(٩)، حيث انتشرت التوبة بينهم وتطلعوا إلى العودة إلى أرض الميعاد عن طريق مسيحهم، وتوقفت الأعمال التجارية، وفي بعض الأماكن قام العديد من اليهود

(١) محمد علي قطب، يهود الدولة، (ط١، بيروت: دار القلم، ١٩٨٧)، ص ١٧.

(٢) Stanford J. Shaw . *The Jews of the Ottoman Empire and the Turkish Republic* (London: Mac Millan, 1991) P.133; Ubicini. *Letters*, P. 347; Bingamin Braud – Bernard Lewis. *Christian and Jews in the Ottoman Empire, The functioning of a plural society*, (London: Holmes & Meier Publishers, INC, 1982), Vol.1, p. 25.

(٣) Walter F. Weiker . *Ottomans Turks and the Jewish Polity, A history of Jews of Turkey* (U.S.A: The Jerusalem Center for Public Affairs University Press of America, 1992) P. 102; Shaw. *The Jews*, P. 133 .

(٤) Shaw . *The Jews* , P. 133 .

(٥) Ubicini . *Letters* , P. 347 .

(٦) Weiker . *Ottomans*, P. 102.

(٧) قطب، يهود، ص ١٨، حرب. العثمانيون، ص ٧٨.

(٨) Ubicini . *Letters* , P. 347-348 .

(٩) عجاج نويهض- بروتوكولات حكماء صهيون، نصوصها رموزها، أصولها التلمودية، (ط ٤، بيروت: دار الاستقلال للدراسات - المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٩٦)، ص ٥١٩.

من التجار بالتبرع بالذخيرة والأطعمة ، لنسحب إلى الأرض الموعودة عن طريق البحر ، قام آخرين من كبار التجار بتوقيع عريضة يؤكدون فيها استعدادهم لإعانتته ، وفي 'هامبورج' بألمانيا ، أصبح اليهود يرقصون احتفالاً بظهوره واقترب العودة إلى 'أرض الميعاد' (١) ، وعلت الهتافات بحياة ملكهم ومسيحهم (Long Live The King Messiah - Long Live Sultan Zvi) (٢) .

في ظل قمة شهرة 'شباتاي زيفي' لدى يهود الدولة العثمانية ، لم تكن هذه الدولة لتكثر بما يحدث ويرجع ذلك للتسامح الديني الذي كان سائداً وحرية الرأي والاعتقاد ، واستقلالية الطوائف والمذاهب في شؤونها الداخلية ، وخصوصاً الدينية منها .

كان 'محمد الرابع' (١٦٨٧-١٦٨٨) هو سلطان الدولة العثمانية في ذلك الوقت ، وكان كثير من وزراء الدولة وأعيانها يرون أن أمر 'شباتاي زيفي' قد تعدى اتباعه من اليهود إلى غيرهم من الطوائف ، وفئات الشعب ، وأدى هذا إلى تبنيهم موقفاً تجاه 'شباتاي زيفي' ، لأنه قد يشكل خطراً على الدولة ، في الوقت الذي عرض فيه قاضي منطقة 'لزمير' على الصدر الأعظم 'فاضل أحمد باشا' اعتقاله للحد من نشاطه ، فاعتقل واقتيد عن طريق البحر إلى العاصمة 'استانبول' (٣) ، وبقي في السجن لأكثر من شهرين (٤) ، وإثناء التحقيق معه أنكر 'شباتاي' كل ما نسب إليه من اتهامات ، لكن الحقائق والمستندات والوثائق المضبوطة كانت دلمغة ، لهذا فقد تنقل بين العديد من السجون (٥) إلا أن ذلك لم يحل دون زيادة شعبيته .

كانت هذه الأمور كفيلاً بالدولة العثمانية كي تعمل على وضع حد لهذه المسألة ، ومعالجة موضوع 'شباتاي زيفي' معالجة نهائية ، لذلك فقد نقل إلى قصر 'الدرنة' للمحاكمة وهناك أدرك 'شباتاي' خطورة موقفه ، فقام بنكران كل شيء يتصل بدعوته ، إلا أن هذا لا يكفي في ذلك الوقت ، لذلك فإن المترجم الذي كان يتحدث بالأسبانية إلى 'شباتاي' أقنعه بأنه إذا أراد النجاة بنفسه فما عليه إلا أن يعلن إسلامه ، وإلا فهو هالك لا محالة (٦) .

وأصبح هناك أمران لا مفر منهما ، الأول : هو الموت جزاء ما ينادي به ، والثاني : هو أن يعلن إسلامه والنجاة بروحه ، فأثر الثاني وأعلن إسلامه ، ودخل في شخصية المسلم (٧) ، حيث أعلن إسلامه في ١٥ أيلول ١٦٦٦ ، واتخذ اسم 'محمد أفندي وزوجته 'سارة' (Sara) سميت 'فاطمة هانم' وأخواه الاثنان

(١) نوييخس ، بروتوكولات ، ص ٥١٨ .

(٢) Shaw . The Jews , P. 134 .

(٣) قطب . يهود ، ص ٢٩-٣٠ .

(٤) النعيمي . يهود ، ص ٣٥ .

(٥) قطب . يهود ، ص ٣٠ .

(٦) أحمد حمدي الطاهر . مؤامرات اليهود على العرب والمسلمين (ط١ ، عمان : مطبعة شاهين ، ١٩٦٩) ، ص ١٤٦ .

(٧) Weiker . Ottomans , P. 104 .

سميا 'احمد' و'عبد الله' وأما ابنه فقد سمي 'اسماعيل' ^(١)، وبذلك أصبح 'شباتاي زيفي' أول يهودي دونمة (Dönme) ^(٢).

لكن 'شباتاي' سرعان ما عاد لدعوته، حيث أرسل برسالة فورا إلى أتباعه قال فيها: أنه ما اسلم الا تسرا، وفيما بعد طلب 'شباتاي زيفي' من السلطات العثمانية السماح له بدعوة اليهود إلى الاسلام، فاذنت له، وكانت فرصة، حيث انطلق بين أوساط اليهود يدعوهم إلى الايمان بمسيحيته ويحثهم على ضرورة تجمعهم حوله، وطلب من جميع أتباعه إعلان إسلامهم ظاهريا وبحذر، في الوقت نفسه الذي كانوا يبطنون عقائدهم اليهودية الشباتائية ^(٣)، فجاءه أتباعه من كل مكان يلبسون الجلب والعمامة. وأمرهم بالإيمان المطلق به كمسيح يهوه الحق، وأنه لا مخلص غيره، وأنه سيدهم، وملكهم من نسل داود، كمل أمرهم بقراءة مزامير داود سرا كل يوم، كذلك جعل يوم إعلان إسلامه عيداً يجب الاحتفال به احتفالاً بالغاً ^(٤)، وكان دائما ينبه أتباعه إلى أنه ما اسلم الا خدعة، وراح يقتنعهم بأن يفعلوا ما يفعل في كل شيء، وابقاء يهوديتهم في قلوبهم، وقام اليهود بتلبية رغبته هذه ^(٥).

لم تكن الدولة العثمانية غافلة عن حقيقة أفعال 'شباتاي'، لذلك فقد استقر الرأي أخيرا على نفيه إلى منطقة 'برات' في البانيا مع بعض أتباعه المخلصين، وبقي هناك لمدة خمس سنوات ^(٦). وفي ١٦٧٥/٩/٣٠ مات المسيح المزيف 'شباتاي زيفي' في منفاه، وقد بلغ من العمر ٤٩ عاما، حيث دفن هناك على ضفة أحد الأنهار ^(٧).

كان هناك حوالي ٢٠٠ عائلة دونمة عند وفاة 'شباتاي زيفي' ^(٨) ظلوا على ما كان عليه قبل موته حتى ان أتباعه كانوا يقفون على قبره، ويدعون قائلين: 'يا شباتاي زيفي نحن بانتظارك' ^(٩)، في الوقت الذي تنبه الأتراك في وقت متأخر إلى حقيقة هؤلاء، ودل على ذلك ما نشرته صحيفة 'الدنيا المصورة' التركية سنة ١٩٣٥، حين قالت: 'دونمة سلانك الذين يعيشون بين ظهرائكم ويتكلمون بلغتنا يحسون في الظاهر باحساسنا، لكنهم في الحقيقة يأخذون الحيلة تجاه الأتراك، لا يناكحون إلا من كان منهم،

(١) Shaw . Jews , P. 135-136 .

(٢) قطب. يهود، ص ٣٥ .

(٣) محمد حرب عبد الحميد. "يهود الدولة إلى الآن يحجون ويصومون ويدخلون المساجد"، مجلة العربي، الكويت، العدد

٢٥٧ (فبراير ١٩٨٠)، ص ٤٥ .

(٤) المرجع والصفحة نفسها.

(٥) نويهض. بروتوكولات، ص ٥٢٣ .

(٦) قطب. يهود، ص ٤٢، نويهض. بروتوكولات، ص ٥٤٤ .

(٧) عبد الحميد. يهود، ص ٤٥ .

(٨) Weiker . Ottomans , P. 109 .

(٩) المرجع والصفحة نفسها .

يحيون حياة خاصة بهم ، من المهد إلى اللحد ، في أعراسهم ومآتهم ، وفي كل صفحة من صفحات عيشهم الاجتماعية منها والعائلية ، فهل تعرف حقيقتهم؟^(١).

ج- نشاط اليهود داخل الدولة العثمانية:

كان أغلب يهود الدونمة يقطنون 'سلانيك' (Salonica) ، حيث كانت تعتبر مركزا تجاريا هاما^(٢)، وسيطر اليهود فيها على القطاع التجاري ، ومعظم الصناعات ، كما وشكل اليهود كذلك جزءا من البلوريتاريا (الطبقة العاملة الكادحة) خاصة في مصانع التبغ والنقل ، والصناعات الخفيفة^(٣) ؛ وبذلك كانوا على علاقة دائمة بأوروبا، حيث أثر فيهم المجتمع الأوروبي تأثيرا واضحا، وكانت أرباحهم كثيرة و مستواهم الاقتصادي اعلى من مستوى غيرهم داخل الدولة العثمانية^(٤). وكان العمال في 'سلانيك' يمثلون مركزا للتفاوض، حيث اكتسبوا قوة اندفاع استثنائية ، وشكل هؤلاء العمال في 'سلانيك' اتحادات ونقابات عمالية للمطالبة بحقوقهم ، والتصدي لمشاكلهم^(٥)، وكان اتحاد العمال في 'سلانيك' يمثل بكل تأكيد ظاهرة ملحوظة ومهمة ، حيث كان معظم الأعضاء من اليهود^(٦).

إلى جانب ذلك كانت أغلب المصانع في 'سلانيك' مملوكة لليهود، وكانت عائلة 'اللاتيني' (Allatini Family) من اشهر العائلات الصناعية والتجارية في الولايات الأوروبية التابعة للدولة العثمانية ، حيث ركزت هذه العائلة على الصادرات الزراعية ، واستخدمت ثروتها في إنشاء مطاحن الدقيق البخارية ومصانع الطوب التي أدخلت عليها تحديثات بالاستعانة بخبرات فنية إيطالية ، وفي وقت سابق كانت عائلة اللاتيني تحتكر تجارة التبغ في كثير من المقاطعات ، وفي منتصف الثمانينات من القرن التاسع عشر بدأ تجار أجنبية من 'هنغاريا' و'أمريكا' وغيرهم يلعبون دورا اكبر من دور عائلة 'اللاتيني' ، وبدأت تحل محل البيوت المحلية عام ١٨٩٥ ، لذلك فقد ربت عائلة 'اللاتيني' على ذلك الامر بإنشاء 'الشركة التجارية' في 'سلانيك' (Commercial Company of Salonika) لتحويل تجارة التبغ ، وبهذه الطريقة ظلت عائلة 'اللاتيني' ثاني اكبر مصدر للتبغ في البلاد بعد الشركة الهنغارية^(٧) . إضافة إلى ذلك فقد كان اليهود يتمتعون عموما بكثير من المزايا ، فقد كانت اللغة الأسبانية هي الأكثر شيوعا

(١) قطب. يهود، ص ٥١.

(٢) Shaw - Shaw . History , P. 264-265 .

(٣) Tünçay - Zürcher . Socialism , P. 51.

(٤) نياز ملا. السلطان ، ص ٦٧ .

(٥) Donald Quataert - Erik J. Zürcher . Workers and the Working , Class in the Ottoman Empire and Turkish Republic 1839-1950 , (London: Tauris Academic Studies, 1995), p.73

(٦) Tünçay - Zürcher . Socialism , P. 49.

(٧) Quataert - Zürdier . Workers , P. 68.

وإستخداما لاسيما في الصحافة ، وان خفت جذوتها فيما بعد، وكانوا يديرون عددا كبيرا من المدارس^(١) كي لا يضطروا الى إرسال أبنائهم الى المدارس التركية ، حيث قاموا بتأسيس مدرستين ثانويتين ، هما 'ثانوية فيضية' ، و'ثانوية الترقى'، هذا غير المدارس الأساسية الابتدائية^(٢) ، كذلك قاموا بتأسيس وإدارة ٣٠ كنيسا ، ومستشفى كبير ، ومركز للرعاية الصحية ، ومستشفى للأمراض العقلية ، ودار للأيتام ، وكان لليهود وخصوصا الدونمة منهم سلطات كبيرة فيما يتعلق بالشؤون البلدية^(٣).

د-معاملة السلطان عبد الحميد لليهود الدولة العثمانية.

قام السلطان 'عبد الحميد' بمعاملة اليهود على اختلاف فئاتهم ، ومذاهبهم معاملة طيبة ، وهي معاملة كانت امتدادا طبيعيا للمعاملة التي كان يتحلى بها سلاطين بني عثمان تجاه اليهود ، منذ طردهم من 'اسبانيا' ، وقد تمتع هؤلاء بكل الحقوق التي تمتع بها اصحاب الاقليات الأخرى ، لذلك فقد قام السلطان 'عبد الحميد' بدفع رواتب منتظمة لكبار الحاخامات ، وبهذا حصلوا على مكانة مسؤولي أو موظفي الدولة ، كما بدأ بتحويل ٨٠٠٠ فرنك إلى الحاخام الأكبر في 'استانبول' لتوزيعها على العائلات اليهودية الفقيرة في العاصمة 'استانبول'، وفي عام ١٨٨١ عندما منع لليهود من المشاركة في الانتخابات البلدية، ألغى السلطان 'عبد الحميد' الانتخابات وعنف المسؤولين على تعديهما على حق اليهود، وفي أثناء الكارثة التي حدثت في الحي اليهودي في 'هاسكيني' (Haskeni) عام ١٨٨٢ بعد مقتل القيصر الروسي 'الاسكندر الثاني' (Alexander II)، والتي خلفت ٦ الاف عائلة يهودية بلا مأوى ، قام السلطان 'عبد الحميد' بكل ما في وسعه للتخفيف عنهم ، كما قام في عام ١٨٨٣ بمنح الومام العثماني الكبير لكبير حاخامي 'استانبول' ، 'موشي ليفي' (Moses Levi) ، عبر خلالها عن تعاطفه مع اليهود ، وحزنه عما اصابهما من الاضطهاد الذي يلاقونه في العديد من الدول الأوروبية ، مؤكدا انه مسرور جدا بالمسؤولين اليهود وبنشاطهم ، وغيرتهم ، وانه سوف يعمل في المستقبل على زيادة عددهم^(٤).

كما ان اليهود تمتعوا خلال هذه الفترة بسهولة دخولهم الى السلك الرسمي في الدولة ، وأصبح هذا الأمر أقل صعوبة من ذي قبل ، حيث كان في السلك الدبلوماسي قرابة ١٥ قنصلا ومستشارا ، ونائب مستشار يمثلون الدولة العثمانية في الداخل والخارج من اليهود سواء الدونمة أو السفارديم، كما كان العديد من هؤلاء على رأس الحكومات الإقليمية، في حين حصل العديد منهم على لقب 'باشا' ، وهو لقب لم يكن اليهود يحصلون عليه في السابق^(٥). ولقد أجمل أحد مثقفي يهود الدونمة ويدعى 'محمد رشدي قره قاشي

(١) Tünçay - Zürcher . *Socialism*, P. 51.

(٢) نياز ملا. السلطان ، ص ٦٧ .

(٣) Loc.cit .

(٤) The Jewish Encyclopedia (U.S.A Ktav Publishing House INC, 1990) vol I . P.47 ..

(٥) Loc.cit .

زادة' (Mehmet Rüştü Kara Kaşı Zade) أحوال اليهود الدونمة عبر جريدة 'الوقت' فقال: "أيها السادة منذ أكثر من ثلاثة قرون عشنا نحن الدونمة في كنف الشعب التركي العريق الكريم وتحت جناح رحمته وبقينا على حالة شديدة من التعصب لمذهبنا باطننا يخالف ظاهرنا في كل أفعالنا وحركاتنا. لقد اصدر مجلس الامة قانونا يمنع الخنازير البرية من الاضرار بالمرزوعات ، فهل تظنون ان امة تفكر بمثل هذه الدقة في الامور ان تبقى في بيتها عنصراً غريباً يمتص خيراتها؟ ليس لنا إلا اتباع أحد سبيلين ، اما ان نلتحم بموجب قانون خاص بالشعب التركي التحاماً تاماً ، نشاركهم في الأفراح والمصائب ، واما ان نبحث عن إمكانيات مادية ومعنوية خارج حدود هذا الوطن نصنع فيه كيانا خاصاً بنا"^(١) .

٢ - علاقة جمعية الاتحاد والترقي بيهود الدونمة.

لعب يهود الدونمة دورا كبيرا في تأسيس ونشاط جمعية الاتحاد والترقي ، فهذه الجمعية لم تكن مقتصرة على الإطلاق على العنصر التركي ، بقدر ما كانت تضم خليطا من القوميات والأجناس والمذاهب المختلفة ، وإجمالا فزعماء الاتحاد والترقي كانوا بشكل عام من أصول اجتماعية متواضعة ، إذ كانوا من أبناء صغار الموظفين ، وصغار تجار المدن ، فقد كان 'طلعت بك' موظفا في أحد مكاتب البرق 'التلغراف'^(٢) ، وكان بلغاريا من اصل غجري اعتنق الإسلام، وكان 'احمد رضا' نفسه شركسيا والآخر مجريا ، و'أنور بك' هو ابن رجل بولندي^(٣) ، وكان 'إبراهيم تيمو' المؤسس الحقيقي ألبانيا ، وبذلك يتضح جليا انه ليس من بين هذه الطبقة القيادية الهامة من هو تركي القومية .

وهناك مجال للحديث عن اليهود وتأثيرهم على الجمعية خصوصا في 'سلانيك' التي ربما تم اختيارها لرضاء لرغبات اليهود والماسونية بالإضافة إلى كثرة أعضائها في 'مكدونية' التي يشكلون عناصر فعالة في جمعية الاتحاد والترقي^(٤)؛ بالإضافة إلى أن 'البلقان' كانت واقعة تحت تأثير القومية و الثورات المختلفة التي تقوم بها الاقليات العرقية و المذهبية .

ولقد عمل يهود الدونمة وفق منهجية واستراتيجية على قدر من التخطيط والمتابعة ، وكان من هؤلاء 'جاويد' (Cavid) الذي اصبح فيما بعد وزيرا للمالية ، حيث اثبت جدارة كبيرة في الشؤون المالية

(١) موقف بني المرجة. صهوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية (الكويت: مؤسسة صقر

الخليج، ١٩٨٤)، ص ٢٤٩ .

(٢) لوبار هوفسبيان (محرر). تركيا بين الصفوة البيروقراطية والحكم العسكري ، ترجمة ، سامي الرزاز وآخرون ،

(بيروت : مؤسسة الأبحاث العربية ، ١٩٨٥) ص ١٥-١٦ .

(٣) حسان على حلاق . موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧-١٩٠٩ (ط٢ ، بيروت: الدار الجامعية

للطباعة والنشر ، ١٩٨٠)، ص ٣١١ .

(٤) Pears. Life, P. 298; Miller. The Ottoman, P.135-136.

والاقتصادية، كذلك نُزهت فائق بك'، ومصطفى عارف بك^(١)، وحسين جاهد بك' و'رحمي بك'، كما كان 'فتحي أوقيار' صديق 'مصطفى كمال' أيضا من الدونمة .
ولقد اتهمت صحيفة عربية تصدر في باريس باسم 'يقظة العرب' جماعة الاتحاد والترقي بأنهم على ارتباط مع اليهود ، ومع الحركة الماسونية ، وذهبت الصحيفة إلى أبعد من ذلك ، فاتهمت اليهود بأنهم يسيطرون على جمعية الاتحاد والترقي^(٢) .

ويقول 'سيتون واتسون' (Seton Watson) في كتابه 'نشأة القومية في البلقان' (Rise of Nationality in the Balkan) ما يلي : " أن أعضاء تركية الفتاة الذين كان غرب أوروبا على اتصال دائم بهم ، كانوا رجالاً منقطعين وبعيدين عن الحياة التركية ، وطرز تفكيرها ، لكونهم قضوا رداً طويلاً من الزمن في المنفى ، كانوا متأثرين وبشكل سطحي بالحضارة الغربية ، وبالنظريات غير المتوازنة للروح الوحشية للثورة الفرنسية ، وكان كثير منهم أشخاص مشبوهين ، ولكنهم كانوا دون استثناء رجال مؤامرات لا رجال سياسة ، ومدفوعين بدافع الكراهية والحقن الشخصي ، لا بدافع الوطنية [وكل أعمالهم] كانت نتاج عمل مدينة واحدة ، وهي مدينة سلانيك ، إذ تمت وترعرعت فيها تحت حماية الماسونية . إن العقول الحقيقية للحركة كانت عقول يهودية أو يهودية مسلمة"^(٣) .

ولقد تلقت جمعية الاتحاد والترقي مساعدات مالية من يهود الدونمة الذين كانوا يمتازون بامتلاكهم الكثير من الثروات ، خصوصاً امتلاكهم لتجارة سلانيك^(٤) وبهذا أحكم يهود الدونمة سيطرتهم على الجمعية ، وحتى يحافظوا على هذه السيطرة كان لا بد لهم أن يتظاهروا على الأقل ، بأنهم يوافقون على تحقيق جمعية الاتحاد والترقي لأحلامها القومية ، وكانت السرية والطرق الملتوية أمرين رئيسيين لكليهما^(٥) وبهذا أوقع لليهود جمعية الاتحاد والترقي في شركهم^(٦) .

(١) محمد إبراهيم زغروت . نور يهود الدونمة في إسقاط الخلافة العثمانية ، بحث ضمن كتاب "الحياة الإدارية وبرزور القوميات ، ودور الاقليات في الولايات العربية أثناء العهد العثماني" (تونس : منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والمريسيكية ، ١٩٩٢) ص ٨٢ .

(٢) نيفيل مندل "مواقف العرب والأتراك من الهجرة اليهودية إلى فلسطين بين عامي ١٨٨٢-١٩١٤" ، مجلة الدراسات الفلسطينية ، بغداد : ترجمة مكي حبيب المؤمن ، عدد ٢٨ ، (أيار - حزيران ١٩٧٨) ص ٣١ .

(٣) محمد علي . السلطان ، ص ٢٨٦ .

(٤) المرجع والصفحة نفسها ، مصطفى . في أصول ، ص ٢٦٤ ؛ بروكلمان . تاريخ ، ص ٨٠ .

(٥) محمد توفيق حسين . "نور لليهود والماسونيين في الانقلاب العثماني ١٩٠٨" مجلة افاق عربية ، بغداد ، العدد ٩ ، السنة ٣ ، (أيار ١٩٧٨) ص ٥٩ ، وهذه هي الترجمة الحرفية لرسالة 'لوثر' (Sir . G . Lowther) سفير إنجلترا في استانبول إلى وزير خارجية إنجلترا 'هاردنج' (Sir . C . Hardinge) بتاريخ ١٩١٠/٥/٢٩ وهي رسالة مطولة حول نشاط اليهود في الدولة العثمانية ودورهم في ثورة عام ١٩٠٨م ، وتحمل هذه الرسالة رقم F.O 800/139A في وثائق وزارة الخارجية البريطانية . ولقد نشرت هذه الرسالة حرفياً في :

Elie Kedourie . Arab Political Memoirs and other studies, (London: Frank Cass, 1974, P258.

(٦) Loc.cit.

ولقد كان بعض الأتراك يرون أن الجمعية هي يهودية أكثر منها تركية ، في حين قال آخرون :
أن جمعية الاتحاد والترقي هي في جوهرها وأساسها يهودية تركية تعارض كل العناصر الأخرى^(١) وهذا
لا يمنع من محاولة يهود الدونمة تتسيق المواقف مع الجهات الأخرى ، حيث قاموا بالتنسيق مع الجماعات
الثورية الأرمنية ، وجمعية الاتحاد والترقي^(٢) ، ومن هنا يتضح التدخل في العلاقات التي تربط الماسونية
التي هي مؤسسة يهودية وبين يهود الدونمة وجمعية الاتحاد والترقي ، ومدى العلاقة التي تربطهم
ببعضهم البعض ، وينوع من التأمل والتدقيق يتضح أن اليهود المنتسبين لجمعية الاتحاد والترقي أصبحوا
هم أصحاب الكلمة العليا والنفوذ فيها .

ولقد هاجمت صحيفة 'سبيل الرشاد' التركية فيما بعد طائفة يهود الدونمة حيث نشرت مقالا
مطولا ، هاجمت فيه يهود الدونمة فقالت : " فمن هؤلاء من هو مفتقر للعفة والحياء ومنهم من تقطعت
صلاته بأهله وأسرته ، فمن الطبيعي أن يناصرك هؤلاء العداء لأنهم غرباء عن مجتمعك ... فيفتشون عن
سبل الراحة منك ... أنهم يظهرون الإسلام كي يضمنوا بقاءهم بين المسلمين ويحصلوا على مكاسب
ضخمة ، ويلقبون أولادهم ألقابا إسلامية ، وليس لهم أي علاقة بالإسلام ، بل ملأت قلوبهم الأحقاد ،
ويتخذون كافة التدابير الخفية لهدم الشعائر الإسلامية ، فان وجدوا فرصة سانحة انتقموا من الإسلام ،
وفعلوا كل شيء من شأنه إفساد الحياة الإسلامية"^(٣) .

ورغم ذلك فقد وجد من يدافع عنهم ، فهذا 'رؤوف ليسكوفيلكي' الذي كان عضوا في جمعية
الاتحاد والترقي يقول : " والغريب أن الدونمة يقيمون حصرا في تلك المدينة -أي سلانيك- ويتهمون
بالطمع الشديد ، لاشتغال أكثرهم بالتجارة ، هؤلاء كانوا أشد صراعا من أجل الحرية من غيرهم من
المسلمين ... ، فإننا لقينا أثناء صراعنا من أجل الحرية مساعدات وتضحيات جساما من الدونمة ، أن
حبهم الشديد للحرية الذي مع حرص هذه الجماعة على جمع المال والثروة ، أوقع الشبهة في قلوب بعض
أعضاء الجمعية فترة من الوقت ، والواقع أن بعض الجهلة من المسلمين في سلانيك كانوا لا يحسنون
الظن بإخوانهم في الدين - أي الدونمة - بناء على بعض المضان الباطلة التي تدور حولهم منذ أزمان
بعيدة "^(٤) .

(١) Kedourie . Arab., P.250

(٢) النمر . نظرات ، ص ٢٠٩ .

(٣) بني المرجة . صحوة ، ص ٢٥٢-٢٥٣ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٥٤-٢٥٥ .

ب- الماسونية والدولة العثمانية.

١- ماهية الماسونية والتعريف بها.

انتشرت الماسونية السرية التنظيم في بقاع العالم المختلفة ، تحت أسماء وعناوين مختلفة ، واثارت الكثير من التساؤلات لدى العامة ، باختلاف دياناتهم وقومياتهم ، وكان الجدل الحقيقي يكمن في ماهية الماسونية وتعريفها ، وأهدافها ونشاطها ، وظلت الى عهد قريب تثير الفضول ، لدى كثير من الباحثين الذين عملوا بحثا وتقصيا من اجل التوصل للحقيقة ، التي طالما طلبها الجميع .

والماسونية هي تحريف للفظ 'فرمسون' وهو اسم مركب من لفظين فرنسيين هما 'فوان' (Franc) ومعناها الصنادق و 'ماسون' (Macon) أي الباني ، هم بذلك يريدون القول البهم 'بناؤون صادقون' (١). كذلك تقريبا قام 'يوسف الحاج' (٢) بتعريف الماسونية ، حيث أكد "أن اصلها بالفرنسية 'فرنماسوري' وبالإنكليزية 'فرمايسن' أي البناء الحر او البناؤون الأحرار" (٣) .

والذي يبحث في موضوع الماسونية ، يجد أن هناك فئتين: فئة تمدح ، وفئة تقدر ، خصوصا فيما يتعلق بموضوع موقف الماسونية من الدين والسياسة (٤).

وللماسونية طابعان: ظاهري وباطني ، فالطابع الظاهري هو الذي تظهر فيه للسذج كما يوضح ذلك الماسوني المخضرم 'شاهين مكاربوس' بقوله: " الماسونية جمعية أدبية خيرية ، تحوي نخبة افاضل الرجال على اختلاف نحلهم وملهم ، وتباين نزعاتهم ، وآرائهم ، وكانت في بادئ امرها عملية منحصرة في جماعة البنائين ثم اتسع نطاقها" (٥) "حيث تتور الازدهان وتنتشر الاخاء ، وتوطد الحب بين الاعضاء ، وتحثهم على فعل الخير والاحسان لإخوتهم المحتاجين" (٦) . وأما الطابع الباطني فهو كما عرفه العلامة الهولندي 'دوزي' (Doze) بقوله : " هي جمهور عظيم من مذاهب مختلفة، ويعملون لغاية واحدة ، لا يعلمها الا القليلون منهم ، الا ان الغاية هي رفع راية اسرائيل في سماء ارض كنعان" (٧).

(١) لويس شيخو اليموعي. السر المصون في شيمة الفرسمون، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية للكتاب اليسوعيين، ١٩١٠)،

ك ١ ، ص ١٤ .

(٢) يوسف الحاج. ماسوني من اصل لبناني نال من الماسونية ألقابا تدش العقول لسموها، فأصبح نائب أستاذ اعظم إقليمي فلسطين، ومدوبا ساميا عاما، وخطيبا اعظم شرف ورئيس محفل "الحاج" تحت نظامات المحفل الاكبر الوطني المصري، انظر - لويس شيخو اليموعي. "الكذب بضاعة الفرسمون"، المشرق ، بيروت ، العدد ٧ ، السنة ٢١ ، ١٩٢٣ ، ص ٥٣٢ .

(٣) يوسف الحاج. هيكل سليمان او الوطن القومي لليهود ، (دب ، دنا : دتا)، ص ١٣٢ .

(٤) علي شلش. اليهود والماسون في مصر ، (ط ١ ، القاهرة: الزهراء للإعلام العربي ، ١٩٨٦) ، ص ١٩٣ .

(٥) شاهين مكاربوس. الأسرار الخفية في الجمعية الماسونية، (بيروت : دار مارون عبود ، ١٩٨٥) ، ص ١١ .

(٦) محمد احمد ذياب. المخططات الماسونية العالمية، (ط ١ ، القاهرة: دار المنار ، ١٩٨٩) ، ص ١٢ .

(٧) محمد علي الزعبي. الماسونية مشنة ملك اسرائيل، (بيروت: مؤسسة مطابع معنوق ، ١٩٧٨) ، ص ١١ .

نشأة الماسونية.

هناك اختلاف واضح في تاريخ نشأة الماسونية ، والسبب في ذلك يعود الى ان الماسونية جمعية سرية نظرا لما كان يتهدها من اضطهادات متلاحقة في الأجيال السابقة، ولا يزالون رغم ذلك على تضارب^(١). ويوجد قول أنها شيدت يوم بنى سليمان هيكله سنة ١٠١٢ ق.م^(٢).

وهناك من اشتط في ادعائه بأن آدم هو مؤسسها، والاكثر شططا في الزعم، ادعاء بعضهم ان الله سبحانه وتعالى هو مؤسسها في جنة عدن ، وان الجنة كانت أول محفل ماسوني^(٣). وتقول 'دائرة المعارف البريطانية' في تحرير مادة الماسونية: "بأنها التعاليم والممارسات الخاصة بالطريقة الأخوية السرية للهنلائين الأحرار والمقبولين، وهي اكبر جمعية سرية في العالم"^(٤).

ويمكن القول ان الماسونية كجمعية لم يتجاوز عمرها العصور الوسطى على أبعد تقدير، وتم تجديد نشاطها أو بدأت عملها لأول مرة منذ القرن السابع عشر أو الثامن عشر^(٥) عندما عقد مؤتمر في 'لندن' برئاسة 'أندرسون' (Anderson) في ٢٤ حزيران ١٧١٧ واتخاذ اسم الماسونية لجمعيتهم^(٦)

أقسام الماسونية

كانت الماسونية في كل وقت منذ نشأتها ، وفي كل بلد حلت به تظهر مقنعة تخفي غاية جهدها في نوادي اجتماعاتها، وما يدور بين أعضائها من الأبحاث ، وتلزم نوبها بالأقسام المحرجة الغليظة ، وتحت تهديد العقاب الصارم ، ان كشفوا شيئا من أسرارها^(٧) .
وتنقسم الماسونية الى ثلاث فئات أو درجات هي :-

أ- الماسونية الرمزية :

وهي تعطى درجة ٣٣ ، وهي أرقى الدرجات الماسونية الرمزية^(٨)، وهم لا يعرفون من أهداف الماسونية الحقيقية شيئا^(٩).

(١) جرجى زيدان. تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها الى اليوم ، (ط ١، بيروت: دار الجيل ، ١٩٨٢)، ص ١٤-١٥ .

(٢) شاهين مكاريوس. تاريخ الماسونية العملية، (د.ب : د.خا، ١٩٨٤)، ص ١٥-١٦ .

(٣) فتحي يكن. حركات ومذاهب في ميزان الاسلام ، (ط ٣ ، بيروت: مؤسسة الرسالة ، ١٩٧٩) ، ص ٥٤ .

(٤) The Encyclopaedia Britannica. (U.S.A: International Copyright Union, 1971) Vol. 4 , p1017-1018.

(٥) محمود عبد الحكيم عثمان. اليهود والحركات والمذاهب الهدامة في العصر الحديث ، (المنصورة: الدار الاسلامية للطباعة، ١٩٨٧)، ص ٣٧ .

(٦) محمد علي الزعبي. الماسونية في العراق ، (بيروت: دار الجيل ، ١٩٨٣)، ص ١٥ .

(٧) شيخو. السر ، ك ١ ، ص ١٥ .

(٨) احمد غلوش. الجمعية الماسونية ، حقائقها وخفاياها ، (القاهرة : الدار القومية للنشر ، ١٩٦٦) ، ص ١٤ .

(٩) الزعبي. الماسونية منشئة ملك اسرائيل ، ص ١١ .

ب- الماسونية الملوكية :

وهي الفرقة الثانية، وقد يعرف أعضاؤها بعض الأهداف البعيدة للماسونية، لكنهم لا يرون إلا بعين مصالحهم الخاصة التي كلفتها بهم الماسونية (١) .

ج- الماسونية الكونية :

وهي فرقة غير معروفة إلا لعدد قليل جدا من اليهود أنفسهم ، أي أبناء الماسونية الكونية، وغاية أهداف اعضاء هذه الفرقة استخدام الماسونيين السالفي الذكر لإنشاء الفوضى في العالم دائما على قاعدة 'فرق تسد' ، وليس لهذه الفرقة غير محفل واحد في 'نيويورك'، وهو مجهول المكان (٢)، حيث يتكون أعضاؤها من ١٢ عضوا ، بالإضافة إلى رئيس يرأسهم ، وجميع هؤلاء يجب ان يكونوا من نسل يهودا مباشرة (٣) .

موقف الماسونية من الدولة.

كانت الماسونية دوما تدعى عدم عملها بالسياسة ، ويفند ذلك الماسوني السابق ، وأحد جنرالات الجيش التركي سابقا 'جواد رفعت أتلخان' بقوله : "كنا ندعي بأنه لا علاقة لنا مع الدين والسياسة، هل كلن هذا خداعا منا ؟! ، لا أظن ، ولكننا خشية من مطاردة قوى البوليس والقوانين، كنا نضطر الى إخفاء مقاصدنا، وغاياتنا ، نعم نحن نشغل بالسياسة ، وبالسياسة فقط في محافلنا ، لا بل بالسياسة العليا" (٤) ، حيث ان الماسونية "في باطن محافلها تعمل على تدبير الأمور العمومية ، وإدارة شؤون البلاد على حسب غاياتها ، ووفقا لاهوائها" (٥).

يقول الكونت 'دي توغنس' (de Taugwitz) احد اعيان الماسونية الالمانية في مقالة له سنة ١٨٨٢ : "قد تأكدت ، وعرفت حق المعرفة ان المأساة العظيمة التي ابتدأت سنة ١٧٨٨ و ١٧٨٩ مع قتل الملك [لويس السادس عشر] والفضائع التي رافقته، انما كانت نتيجة المحافل الماسونية" (٦)، ويعتقد أن الثورة الفرنسية إنما هي من تدبير المحافل الماسونية ، لاجل تحقيق اهدافها الخاصة، كما انها لعبت أهم الأدوار في إشعالها (٧) .

(١) الزعبي. الماسونية منشئة ملك اسرائيل ، ص ١١ ..

(٢) الحاج. ميكس، ص ٣٣-٣٤ .

(٣) داود عبد العفو سنقرط. القوى الخفية لليهودية العالمية "الماسونية" ، (عمان : دار الفرقان ، ١٩٨٣)، ص ١٨

؛ شلوش. الجمعية ، ص ١٦ .

(٤) جواد رفعت أتلخان. اسرار الماسونية ، ترجمة ، نور الدين رضا الواعظ ، سليمان محمد أمين القابلي ، (الدوحة : دار

العلوم ، ١٩٥٦) ، ص ٢٥ .

(٥) شيخو. السر ، ك ١ ، ص ٣٣ .

(٦) المصدر والصفحة نفسها.

(٧) أتلخان. اسرار ، ص ٢٤ .

ولقد صرح رئيس الماسونية في 'فرنسا' في خطاب تلاه سنة ١٧٩٤ مهنئاً 'فرنسا' لسبقها الأمم في طريق الثورات ، وختم كلامه بهذه الألفاظ : "ان جماعتنا الماسونية قد أضربت بالشعوب الأوروبية نار الثورات، فمهبات أن يخبر لظاها قبل أجيال متعددة".

وقال 'بلات' (Belat) الماسوني في محفل سنة ١٨٨١ ما تعريبه الحرفي : " نعم انه لأمر ثابت ومقرر بأن الماسونية مشروع سياسي ، وانما هذا فخرنا" ، وقال 'غونار' (Gonnard) الماسوني الفرنسي في محفل سنة ١٨٨٦ : " اننا في محافظتنا نسعى بأعمال السياسة ، وسياستنا هي نعم السياسة، فإن الأبحاث السياسية والاجتماعية غايتنا الخاصة التي نجاهر بها علناً^(١). كذلك يقول أحد رؤساء الماسونية السابقين 'ليمي' (Lemmi) : " ان الرجال الذين يكونون الحكومات ، يجب ضمهم الى الماسونية او يحرمون من وظائفهم"^(٢).

وكان من عادة الماسونية إذا ضاقوا نقمة الدولة ، ومعارضة أرباب الحكم فيها ، أن ينكروا كل صلة باشتغالهم بالسياسة حتى تتغير الظروف ، فيعترفوا بعملهم^(٣). كذلك قول محرر مجلة الماسون المعروفة بـ 'الجمهورية الماسونية' (Republique Maconique) : " انه من الواجب اللزب ان تكون الماسونية زعيمة كل الأحزاب السياسية فتقودها ولا تنقاد لأوامرها"^(٤). ولأجل هذه الغاية يقاتل الماسونيون في الصفوف الاولى ، لأنها هي المنظمة الوحيدة التي تناهض الأديان والقوميات والتقاليد ، وذلك وفقاً لما جاء في نشرة المشرق الاعظم الفرنسي سنة ١٨٩٠^(٥).

٢- علاقة الماسونية باليهود.

كانت الجمعيات الخطيرة ولا تزال من أهم المؤسسات التي اعتمد عليها اليهود لتنفيذ أغراضهم، و الوصول إلى هدفهم، وقد ينشئ اليهود جمعيات لهذا الغرض، أو يوعزون بإنشائها، وقد يجد اليهود جمعيات ما أنشئت لهدف ما، فيندسجون فيها، ويسعون إلى السيطرة عليها وتوجيهها وجهتهم التي يريدونها ولا تكاد توجد جمعية سرية وخطيرة إلا وكان اليهود يعيشون فيها من خلف الستار^(٦). والماسونية تخدم مخططات اليهود، بدليل ان الأعضاء المتقدمين فيها يقسمون عند التكريس للدرجات الماسونية العليا على التوراة، بعد أن يختفى القرآن والإنجيل، كما يقسمون على العمل لبناء

(١) صابر عبد الرحمن طعيمة. الماسونية ذلك العالم المجهول، دراسة في الأسرار التنظيمية لليهودية العالمية (ط٢)، بيروت: دار الجيل، ١٩٨١، ص ٢٣٩.

(٢) اتلخان. أسرار ، ص ٣٧ .

(٣) طعيمة. الماسونية ، ص ٢٣٨ .

(٤) المرجع والصفحة نفسها.

(٥) اتلخان. أسرار ، ص ٣٠ .

(٦) احمد شلبي . اليهودية، (ط٨، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٨)، ص ٢٢.

الهيكل، وقيام إسرائيل وحمايتها بكل الوسائل عند قيامها^(١). ويذكر "جواد رفعت أتلخان" أن اليهود استطاعوا نقت الروح اليهودية في المحافل الماسونية وسخروها لأغراضهم^(٢) فالماسونية التي هاجمت الأديان لا سيما المسيحية، لم تقم في أي وقت من الأوقات بهجمات ضد اليهود^(٣).

ولقد قالت 'النشرة الإسرائيلية' (Laverite Israelite) سنة ١٨٦١: "إن روح الماسونية الأوروبية هي روح اليهودية، ومعتقداتها الأساسية لها نفس المثل واللغة، وفي الأغلب نفس التنظيم والآمال التي تتبر طريق الماسونية، وهي الآمال التي تتبر طريق إسرائيل، وتدعمه، ومكان تتويجها هو بيت العبادة البديع، حيث تصبح القدس رمزا وقلبا منتصرا^(٤)."

كما أن اللغة الفنية والرموز والطقوس التي تمارسها الماسونية الأوروبية ملأى بالمثل والاصطلاحات اليهودية، ففي محفل 'امكتندا' نجد التواريخ الموضوعنة على المراسلات الماسونية، ووثائقها الرسمية، كلها بحسب تقويم الأيام والأشهر اليهودية، كما تستعمل فيها أيضا الأبجدية العبرية^(٥).

ولقد كتب محرر إنجليزي موضحا العلاقة الوثيدة بين الماسونية واليهود بقوله: "إن الماسوني وإن لم يكن يهوديا بالولاء، إلا أنه رجل 'متهود'. وقال 'هولت زنكر' (Holt Zinger)، رئيس محاكم فينا عن هذه العلاقة بسخرية: "إن من بين الماسونيين المائة في فينا، مائة واثنان من اليهود" وقال 'جول ليمتر' (Jul Lemter) : "إن التساند والاتحاد الملحوظين بين ماسونيين العالم، يرجع إلى كثرة العناصر اليهودية بينهم"، وقد علق 'ر. كوجن' (R. Kojen) على رأي 'ليمتر' قائلا: "إنه ليس بمخدوع^(٦)". وقالت المجلة اليهودية سنة (La Synbolisme) سنة ١٩٢٨م عدد تموز: "إن أعظم واجب للماسوني الأوروبي هو تمجيد الجنس اليهودي"^(٧).

في حين عقب 'يوسف الحاج'، ما عرفه بنفسه، وخبره بشخصه من أسرار الماسونية ما نصه حرفيا "ولما كان غرضنا من هذا البيان، أسمى من أن يكون لمجرد فضح أسرار الماسونية التي هي في نظرنا ليست بشيء يذكر أمام التعاليم التي تبثها في الأذهان، منسوبة إلى صلب التاريخ والوقائع، بل أن غرضنا في الحقيقة، إنما هو التدليل التاريخي والعلمي، على أن الماسونية إنما هي جمعية يسيرها بالفعل في العالم أبناء إسرائيل الصهيونيون، لأغراض يهودية خالصة"^(٨).

(١) منقرد. القوى، ص ٩؛ ذياب. المخططات، ص ١٠.

(٢) أتلخان. أسرار، ص ٥٥-٥٦.

(٣) نياز ملا. السلطان، ص ٦٦.

(٤) عبد الله التل. جذور البلاء (ط٢)، بيروت: المكتب الإسلامي، (١٩٧٨)، ق ١، ص ١٢٧.

(٥) عبد الله التل. خطر اليهودية على الإسلام و المسيحية (ط٢)، بيروت: المكتب الإسلامي، (١٩٧٩)، ص ١٤٩.

(٦) أتلخان. أسرار، ص ٥٦.

(٧) التل. خطر، ص ١٤٨-١٤٩.

(٨) الحاج. ميكس، ص ٢٣-٣٣.

أما الحاخام 'إسحق وايز' (Iassac wise) (١٨١٩-١٩٠٠) فقد قال في مجلة 'الإسرائيلي' الإنجليزي بتاريخ ١٩٦٥/٤/٣٠: "إن الماسونية مؤسسة يهودية، كل ما فيها من ألفها إلى يائها يهودي، تاريخها، فرائضها، حياتها، مراسمها، كلمات المرور، وكلمات السر فيها، وفي توضيحاتها، إنها يهودية من البداية للنهاية"^(١). ويتضح ذلك الأمر في الفرقة الثانية من الماسونية، وهي الماسونية الملوكية، حيث يقسموا أيماناً مغلظة على أن يعملوا مع العاملين على تحقيق الأغراض السامية المقدسة، التي ترمى إلى إعادة دولة إسرائيل المشتتة، وإعادة بناء هيكل سليمان، رمز اليهودية الصهيونية^(٢).

لذلك فقد جاء في كتاب 'العقد الملوكي'، ص ٢٣: "إن درجة العقد الملوكي، قد تهبّت إلى درجة تجعلها تستحق هذا الحب، فهي تشعر أعضائها بانهم يجمعون فيها بين المحافظة على واجباتهم الوطنية، وبين مسابقة إسرائيل الأصلية، التي تعمل على إعادة دولتها، وإعادة بناء هيكل سليمان المقدس"^(٣).

ويوضح 'أحمد غلوش' أنه لم يسمع في المحافل الماسونية أية واحدة مما ورد في الإنجيل أو القرآن، بل كل ما كان يقال وتنقله الألسنة تحت سقفها، هو ما جاء في التوراة، ولا سيما مزامير داود الحالية وهي التي تتباكى على ملك بني إسرائيل الضائع، والحض على الجهاد لإعادة هذا الملك لا بالنسبة إلى أورشليم وحدها، بل للاستيلاء على أرض الله كلها^(٤).

أما مجلة 'ذي جويش تريبيون' ١٩٢١ فقد قالت: "إن الماسونية قائمة على اليهودية، فإذا ما استأصلت اليهودية من شعائر الماسونية ومصطلحاتها فما الذي يبقى بعد ذلك"^(٥).

ويؤكد هذا الأمر - أي يهودية الماسونية - الرسالة التي بعثها الماسونيون الأمريكيان 'غرايدي تيري' (Grady Terry) و'أودي مورفي' (Aude Murphi) العضوان في محفل قنماء الماسونية الأحرار المقبولين 'إلى السيد' 'روحي الخطيب' أمين القدس في ٣٠ أيار ١٩٦٨ لشراء الأرض التي يقوم عليها المسجد الأقصى لبناء هيكل سليمان باعتباره المحفل الماسوني الأول^(٦).

(١) حلاق، مرقف، ص ٢٩٢؛ السامرائي، الماسونية، ص ٣٢.

(٢) غلوش، الجمعية، ص ١٥؛ الحاج، هيكل، ص ٣٣.

(٣) غلوش، الجمعية، ص ١٥-١٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٠.

(٥) السامرائي، الماسونية، ص ٥٣.

(٦) حسين عمر حمادة، شهادات ماسونية، (ط١، دمشق: دار كتبية للنشر، ١٩٨٠) ص ٤٢-٤٧. - أنظر صورة عن الوثيقة

وترجمتها في الملحق رقم ٣.

٢ - علاقة جمعية الاتحاد والترقي بالماسونية.

نشطت الماسونية داخل الدولة العثمانية مثلما نشطت في دول شتى ، ولقد اختلف في نشأتها داخل الدولة العثمانية ، حيث يذكر 'جرجي زيدان' ان الماسونية الرمزية ظهرت في الدولة العثمانية سنة ١٧٣٨ في منطقة 'كورفو' ، تحت رعاية المحفل الأعظم الإنجليزي^(١) ، في حين يذكر 'لويس شيخو' ان الماسونية كانت لها محافلها سنة ١٧٤٨ ، حيث أمر الباب العالي أن تحاصر الشرطة في 'استانبول' محفل ماسوني من اجل طرد أصحابه وتخريب محفلهم ، إلا أن ذويه التجأوا إلى سفير 'إنجلترا' ، فأوقف عن العمل على شرط ان لا تؤازر الدول الأجنبية الجمعيات السرية وعلى الأخص الماسونية^(٢) .

وقد طمست هذه المحافل مدة تقارب المائة عام حتى تأسس في جزيرة 'كورفو' محفلا ماسونيا آخر سنة ١٨٣٧ عرف باسم محفل 'فيثاغورث' وهذا هو المحفل الذي تم التعويل عليه^(٣) ، ثم تأسست فيما بعد محافل في العاصمة 'استانبول' وفي 'ازمير' وغيرهما ، وكان بعضها تابع للشرق الأعظم الإنجليزي ، وبعضها للفرنسي او الإيطالي^(٤) .

وظل الأمر متارجحا حتى انشأ الأمير 'حليم باشا' حاكم مصر أول محفل ماسوني فعلي سنة ١٨١٩ تحت اسم 'شوراي عالي عثمانلي' غير ان هذا المحفل - وبسبب الخلاف بين الدولة العثمانية وحكام مصر - قد اغلق بعد وقت قصير^(٥) ، إلا أن هذا لم يمنع من وجود محافل ماسونية فرعية في استانبول وهي :

- ١- المحفل الشرقي نمرة ٦٨٧ والذي تأسس سنة ١٨٥٦ .
 - ٢- محفل البلور نمرة ٨٩١ والذي تأسس سنة ١٨٦١ .
 - ٣- محفل الفضيلة نمرة ١٠٤١ والذي تأسس سنة ١٨٦٤^(٦) .
- وفيما بعد تم تأسيس ٩ محافل في 'استانبول' ، ثلاثة منها تابعة للمحفل الأعظم الإنجليزي المتحد ، وثلاثة أخرى تابعة للشرق الأعظم الفرنسي ، واثنان تابعان للشرق الإيطالي الأعظم ، وواحد تابع لمحفل ايرلندا الأعظم^(٧) .
- أما 'ازمير' فقد وجد فيها ستة محافل تابعة للمحفل الأعظم الإنجليزي ، وفي جزيرة 'رأنطة' ، وهي من جزر 'اليونان' ، وجد محفل واحد تابع للمحفل الأعظم الإنجليزي المتحد ، ويدعى 'كوكب

(١) زيدان . تاريخ ، ص ١٤٤ .

(٢) شيخو . السر ، ك ٤ ، ص ٣٦ .

(٣) زيدان . تاريخ ، ص ١٤٤ ؛ انظر - شيخو . السر ، ك ٦ ، ص ٣٢ .

(٤) شيخو . السر ، ك ٦ ، ص ٣٢ .

(٥) زهر الدين . اليهود ، ص ٣٥ ، انظر - شيخو . السر ، ك ٦ ، ص ٣٢ .

(٦) زيدان . تاريخ ، ص ١٤٥ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٤٥-١٤٦ .

الشرق' نمرة ٨٢٠ الذي تأسس سنة ١٨٦١ ، أما منطقة 'افس' فقد وجد محفل واحد إنجليزي يقال له محفل 'الوسنيان' نمرة ٩٧٨ الذي تأسس سنة ١٨٦٣^(١) .

ويمكن الإجمال ان هذه المحافل كانت تشهد اضطرابا في عملها ، حيث تفتح ثم تغلق ، ولم تكن بأي شكل من الأشكال منتظمة العمل ، وقد خضع هذا الأمر لموقف الدولة العام منها ، إضافة إلى تنافس المحافل فيما بينها ، والصعوبات الذاتية التي كانت تواجهها .

ونلاحظ ان نشأة المحافل الحقيقية في الدولة العثمانية كان في الفترة من ١٨٦٠-١٨٦٩ وهي الفترة التي كان فيها السلطان 'عبد العزيز' سلطانا على الدولة^(٢) ، الأمر الذي يؤكد مدى التوسع الذي حققته هذه المحافل في عهد هذا السلطان .

بعد خلع السلطان 'عبد العزيز' وتولية 'مراد الخامس' استمرت الماسونية في نشاطها ، ومحاولاتها ضم ذوي النفوذ من الامراء وقادة الجيش والمتقنين ، ويذكر التاريخ حادثة مشاركة 'مراد الخامس' قبل توليه السلطة مع أخيه السلطان 'عبد الحميد' في رحلة الى إنجلترا مع عمهما السلطان 'عبد العزيز' ، حيث كانت تصرفات وسلوك السلطان 'عبد الحميد' تتسم بالهدوء والوقار ، في حين كانت تصرفات ولي العهد السلطان 'مراد' عكس ذلك تماما ، حيث كان 'مراد' يتناول ويجرب كل أنواع المسكرات في الحفلات الخاصة التي كانت تقام لهم^(٣) ، وفي نفس هذه الرحلة حظي 'مراد' باهتمام خاص من قبل ولي عهد 'إنجلترا' آنذاك 'الأمير إدوارد' (Prince Edward) ، حيث نشأت صداقة حميمة بينهما بسرعة كبيرة ، واستطاع 'الأمير إدوارد' فيما بعد ضم مراد إلى المحفل الماسوني الاسكتلندي بعد إلحاحه عليه ، لكن المؤرخ 'نظام الدين نظيف' يرى أن 'مرادا' كان ماسونيا حتى قبل زيارته هذه إلى 'إنجلترا'^(٤) .

أما بعد تولي السلطان 'عبد الحميد' مقاليد الأمور فقد اتخذ موقفا حاسما جدا من الماسونية حيث أبدى معارضة شديدة لها ، لأنه كان يرى فيها جمعية سرية سياسية وخطرة في آن واحد^(٥) . لكن 'جرجي زيدان' له رأي آخر حيث يقول : " واما من قبل الدولة ، فلم تصادف مقاومة رسمية مطلقا ، وان تكن من الجهة الثانية لم تصادف تنشيطا كبيرا ، على أن مولانا أمير المؤمنين [السلطان عبد الحميد] كان في رغبة من أمرها ، لكنه علم مؤخرا صحة مبادئنا ، وخلصها لجلالته ، ولسائر الأمة والوطن"^(٦) . وبذلك اتجه 'جرجي زيدان' اتجاها لم يوافقه عليه أحد ، حيث أن معارضة السلطان 'عبد الحميد' الصريحة للماسونية كانت واضحة ، وإلا فكيف نفسر تشجيع الماسونية للأحزاب الثورية داخل الدولة ، وإثارة دعاية

(١) زيدان . تاريخ ، ص ١٤٦-١٤٧ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٤٥-١٤٨ .

(٣) محمد علي . السلطان ، ص ٧٠-٧١ .

(٤) Nizamettin Nazif Tepedelenlioğlu. *Sultan İkinci Abdülhamid ve Osmanlı İmparatorluğunda Komiteler* , (İstanbul: Toker Yayınları, 1972), p 378-380.

(٥) Kedourie. *Arabic* , p.249.

(٦) شيخو . السير لك ٦ ، ص ٣١ .

عالمية ضد الطبقة الحاكمة المتمثلة بشخصه ، متخذة من الاقتراءات والأكاذيب سلاحا ، بحيث لا يمكن للإنسان الوقوف أمام تيارها الجارف ، وكانت تتضمن شعارات مثل 'لا حرية في الدولة العثمانية' 'الاستبداد المخيم عليها' 'السلطان يفتك بالعناصر المثقفة' 'السلطان الأحمر' (Kizil Sultan)، وما إلى ذلك من هذه الشعارات ، التي وجدت لها أذانا صاغية فيما بعد^(١) .

ويذكر 'نظام الدين نظيف' المؤرخ التركي أن السلطان 'عبد الحميد' كان عدوا للماسونية ، ولم تترك أبواق الماسونية عيبا من عيوب الحكم إلا ألصقته بحكمه ، حتى أصبح رمزا للظلم والاستبداد والقسوة^(٢) .

لقد أوضحنا في وقت سابق أن 'مدحت باشا' كان ماسونيا ، ولا نستغرب إصرار الجمعيات الثورية العثمانية على التغني بمدحت باشا ، فإلى جانب كونه صاحب القانون الأساسي (الدستور) الذي ألزم السلطان عبد الحميد بإعلانه قبيل توليه الحكم؛ كانت الاخوة الماسونية تدفعهم إلى احترامه وتقديره .

ولقد نشطت الماسونية في بداية عهد السلطان 'عبد الحميد' رغم موقفه الواضح منها ، ولقد استطاع السلطان 'مراد' المخلوع تهريب رسالة من سجن 'مالطا' (Malta) إلى أحد أصدقائه وهو يوناني يقيم في 'استانبول' يدعى 'كلينث سكاليري' (Cleanthe Scalieri) ، وهو احد قادة المحافل الماسونية ، وعلى هذا كانت الصداقة والمعرفة بينهما ، وكانت الرسالة تحتوي على طلب من 'مراد' إلى صديقه يطلب منه العمل على إطلاق سراحه ، واستطاع 'سكاليري' من خلال منصبه الماسوني إيجاد صلات مع كبار الماسون الأوروبيين في 'استانبول' ، حيث عمل فور تلقيه هذه الرسالة على التحرك وكتب خطابا الى السلطان 'عبد الحميد' ، وارسل الى صحيفة إنجليزية تصدر في العاصمة 'استانبول' اسمها 'عبر الشرق' (Eastern Express) وأرفقه بطلب لنشره في الصحيفة ، ولما نشر هذا الخطاب كان له وقع سيئ على السلطان 'عبد الحميد' وامر بنقل السلطان المخلوع مراد إلى قصر 'جراغان'^(٣) .

لم يكتف 'سكاليري' بذلك بل قام وأصدقائه الماسون بتكوين لجنة عرفت باسم لجنة 'سكاليري - عزيز بك' - وكان 'عزيز بك' (Aziz Bey) أحد الموظفين الكبار في 'الأوقاف' (Avkâf) - وضمت اللجنة العديد من خصوم السلطان ، وهدفت الى تدبير انقلاب ضد السلطان ومن ثم خلعه ، لكن السلطان 'عبد الحميد' وأجهزته الأمنية استطاعوا الوقوف على هذه المؤامرة ، حيث قامت الأجهزة الأمنية بمداومة مقر اللجنة في منزل 'عزيز بك' وألقت القبض على أعضائها الموجودين ، وتمكن 'سكاليري' من الفرار ، وقد حكم على من ضبط بالسجن لفترات مختلفة أو النفي^(٤) .

(١) اتلخان . أسرار ، ص ٦١-٦٢ .

(٢) التل . الأعمى ، ص ٧٨ ؛ ذياب . المخططات ، ص ٨٦ .

(٣) الشناوي . الدولة ، ج ٢ ، ص ١٠١٠ ، Lewis . The Emergence, P. 172.

(٤) Lewis . The Emergence, P.173

وكان من نشاطات الماسونية ضد السلطان 'عبد الحميد' محاولة اغتياله ، وذلك عن طريق المنظمات الثورية الأرمنية السرية ، حيث قام 'كارل إدوارد' (Karl Edward) ملك إنجلترا والمنتسب للمحفل الماسوني والصديق الحميم لليهود بتقديم مبلغ ١٣ ألف ليرة ذهبية لهذه المنظمات للقيام بعمليات ضد الدولة ، وكان أول عمل هو الهجوم على الباب العالي، في حين هاجمت مجموعة أخرى 'البنك العثماني' ، إلا أن الصدر الأعظم 'سعيد بك' ، أمر بمحاصرة البنك ، واستطاعت قواته إجبار المهاجمين الأرمن على الاستسلام ، بعد أن قُتل منهم من قتل ، وأما من بقي منهم حيا فقد طالبت بهم روسيا بحجة أنهم يحملون الجنسيات الروسية ، وتم لهم ما أرادوا تحت وطأة نظام الامتيازات^(١) .

ظلت الماسونية والأرمن على إصرارهم في قتل السلطان ، لكن هذه المرة في مؤامرة أشد أحكاما وأقوى تدبيراً ، وقد ساهم فيها اليهود في سويسرا ، حيث كلف بأمر هذه العملية رجل يدعى 'إدوارد جورس' ، وهو يهودي مجري ، فرنسي الجنسية ، تدرب في روسيا على عمليات الاغتيال ، ولقد قام بالتعاون مع المنظمة الثورية الأرمنية 'الداشناك' ، بحيث يتم إدخال عربة حصان مفككة ، يتم تجميعها في الداخل ، وقاموا بوضع قنبلة موقوتة عرفت باسم 'قنبلة الجحيم' وضعت تحت كرسي القيادة في القسم الخشبي منه ، لتنفجر في الوقت الذي يقوم فيه السلطان بتأدية صلاة الجمعة ، بحيث تترك العربة في المكان الذي يمر فيه السلطان ، وقد عرف السلطان بدقة مواعيده ، وعلى هذا الأساس بنيت الخطة^(٢) .

ولقد وصل السلطان في يوم الجمعة ٢١ تموز ١٩٠٥ ، وبعد انتهاء الصلاة أراد أن يجامل شيخ الإسلام 'جمال الدين أفندي' ، فامضى معه بضع دقائق في الوقت الذي كانت الشوارع والساحات المجاورة مليئة بالحرس وقادة الجيش والشرطة السرية ، واثناء ذلك دوى انفجار هائل ، حيث طارت قطع من الخيول والعربة والأشلاء البشرية الممزقة ، وتحطم زجاج نوافذ المسجد ، وقد ذهل من بقي حيا من هول الانفجار ونتائجه ، فهربوا ثم عاد قسم منهم ليهنئ السلطان على سلامته^(٣) .

وتذكر 'عائشة عثمان أوغلي' في مذكراتها تلك الحادثة فتقول : " وفي تلك اللحظة رأيت والسدي وهو يقف على الدرجة الثالثة من السلم تقريبا ، ومضى يقول بصوته الجمهوري باسطة ذراعيه ، لا تخافوا ، لا تخافوا ، ثم بدأ ينزل بخطوات وثيدة وهو يصيح ، فليبق كل واحد في مكانه ، وراه أنذاك كل من تفرق هنا وهناك من بلوك المعية ، 'أي الحرس الخاص' والضباط والجنود ، وراحوا يأخذون أماكنهم على الفور ، وجاء الوالد الى مقدمة العربة ، وشرع في ركوبها ، وهو يقول : لا تتزعجوا حتى لا يتأذى أحد من الزحام ، وهرع أخي برهان الدين أفندي هو الآخر الى العربة فدخلها ، وتناول والسدي اللجام وشرع يصعد الطريق ببطيء أكثر من أي وقت مضى"^(٤) .

(١) طوران . أسرار ، ص ١٨-١٩ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٢٠-٢١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢١ .

(٤) عثمان أوغلي . والسدي ، ص ١٢٤ .

كان عدد القتلى في هذه الحادثة كبير ، ولم يتم التعرف على القتلى بسبب ما أصابهم من تشويه خلال الانفجار ، ولقد شكلت لجنة تحقيق خاصة برئاسة 'تجيب ملخ' حيث أحاطت هذه اللجنة بعد فترة قصيرة بأبعاد العملية ، وتوصلت لمعرفة للفاعلين ، وألقت القبض على العديد من المشتريين ومنهم 'كريستوفر ميكائيليان' وابنته 'روبينا' و 'قسطنطين قيلوليان' وهو يهودي روسي انتحر في السجن بقطع شرايين يديه بإبريق المرحاض المعدني ، كما قامت المخابرات العثمانية بالقيام بإجراء تحريات استطاعت خلالها الحصول على نشرة لها أهمية بالغة كانت تحوي على ٢٢ مادة^(١) ، وهذه المواد هي في الغالب 'بروتوكولات حكماء صهيون' ، وربما كان للحركة الصهيونية يد في هذه العملية .

أما عن العلاقة بين الماسونية وجمعية الاتحاد والترقي ، فهي علاقة وطيدة وعميقة ، فمنذ البداية انضم لها الأحرار العثمانيون الذين سمو أنفسهم 'بتركيا الفتاة' أو 'جمعية الاتحاد والترقي' ، وتشير كل الاحتمالات إلى أن المؤسس الحقيقي لجمعية الاتحاد والترقي ، قد تأثر بمنظمة الكاربوناري الإيطالية ، فيما قام به ، حيث قام 'إبراهيم تيمو' بزيارة مسقط رأسه 'ستروغا' قبل تأسيس جمعيته لقضاء عطلة الصيفية فيها ، ثم سافر إلى إيطاليا وقضى عدة أيام في 'برنديزي' و 'نابولي' ، وزار خلالها محفلاً ماسونياً ، ومن خلال هذا المحفل تعرف 'تيمو' على 'الكاربوناري' في أيار ١٨٨٨م ، وقرر وقتها أن يؤسس جمعيته السرية على نمطها^(٢) .

ولقد بدأ اثر 'الكاربوناري' واضحاً في استخدام الأرقام السرية التي تستخدمها الماسونية أيضاً حيث أعطيت هذه الأرقام إلى كل عضو في الجمعية ، وكان 'تيمو' الماسوني أصلاً يحمل رقم ١/١ أي العضو رقم واحد في الخلية الأولى ، وهكذا^(٣) ، وعندما تم انتخاب الهيئة الإدارية للجمعية لم ينتخب 'تيمو' لأي منصب وهو المؤسس لكنه احتفظ برقمه ١/١ في الجمعية^(٤) .

ولقد نشطت الجمعية الماسونية فيما بعد داخل الدولة العثمانية ، ولا سيما في 'سلانيك' ولكن يبقى السؤال دائماً لماذا 'سلانيك'؟ .

يمكن القول في ذلك أن 'سلانيك' كانت عاصمة 'مكدونية' ، وهي ميناء ضخم مفتوح على أوروبا ، وتوجد فيها برجوازية تجارية ثرية^(٥) ، في الوقت الذي كانت تشكل فيه نقطة تجمع قومي وعرقي ، وأن قربها وخطورتها وأهميتها لأوروبا جعل الأخيرة تفرض عليها الرقابة وتتدخل كلياً في شؤونها التي هي من شؤون الدولة العثمانية الصرفة^(٦) .

(١) طوران . أسرار ، ص ٢٢ .

(٢) كلشي . الوجه ، ص ٢٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٢-٢٣ .

(٤) أر رامزور . تركية ، ص ١١٩ .

(٥) روبير مانتران (محرر). تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة بشير السباعي (القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر، ١٩٩٣)

ج ٢ ، ص ٢٣٦ .

(٦) رامزور . تركية ، ص ١١٩ .

أما من الناحية الدينية والمذهبية ، فقد كانت 'سلانيك' ملجأ لليهود الذين وجدوا من التسامح الديني في الدولة العثمانية مالم يجدوه من الأديان الأخرى ، حيث هيمن العنصر اليهودي على 'سلانيك' (١) ، بل ان هناك من يعتبر 'سلانيك' بالأساس مدينة يهودية ، فيهود 'السفارديم' (Sephardic Jew) يمثلون ٨٠,٠٠٠ وهم من اصل أسباني ، كما كان هناك ٢٠,٠٠٠ يهودي 'دونمة' ، وبذلك كان عدد اليهود الإجمالي فيها ١٠٠,٠٠٠ يهودي من اصل ١٤٠,٠٠٠ هم عدد سكان 'سلانيك' ، وبذلك فقد كانوا يمثلون ما نسبته ٧١,٤% من سكانها (٢) ، في الوقت الذي وجدت فيها طبقة كبيرة من المتعلمين والموظفين (٣) كانوا على اتصال دائم بالعالم الخارجي بسبب قربها من أوروبا ، الى جانب ضعف الرقابة والحضور الأمني للدولة العثمانية فيها (٤) ، وهكذا يصبح السبب الذي جعل الماسونية تنشط في 'سلانيك' هو نفسه السبب الذي دفع جمعية الاتحاد والترقي لاختيار 'سلانيك' مركزا لها. وقد كان هناك الكثير في 'سلانيك' ممن جذبتهم الماسونية الى محافلها ، وكان من الطبيعي جدا ان تضم هذه المحافل أعدادا كبيرة من اليهود (٥) ، حيث كان اليهود اكثر الناس انتفاعا من الانقلابات التي سعت لها الماسونية في كل مكان (٦) .

ولقد كانت هذه المحافل داخل الدولة وخصوصا في 'سلانيك' تعقد في بيوت الأجانب حيث كان هؤلاء يتمتعون بالحصانة الممنوحة لهم ضد التفتيش والملاحقة (٧) ، في الوقت الذي قامت جمعية الاتحاد والترقي باستخدام وسائل وأساليب ماسونية في العمل ، ويوضح 'شارلز بوكستون' (Buxton) الذي دون تاريخ هذه الجمعية ذلك ، حيث قال في مقدمة كتابه ان الجمعية المذكورة شديدة التحفظ في صيانة أسرارها ، ولا يمكن لأحد أن يقف على حقيقتها ، لأن ذلك هو مبدأها الأساسي الذي بنيت عليه من قبل وضع الغاية التي تتشدها الجمعية (٨) ، ويؤكد 'فيس' (Fesch) الذي أرخ لهذه الجمعية أيضا ، ان كل عضو كان لا يعرف إلا للشخص الذي رشحه والشخص الذي كان يأتيه بالتعليمات من الجمعية (٩) .

كانت عملية قبول أعضاء الجمعية تتم عن طريق وكيل ، توكل إليه مهمة مكاشفة المرغوب في ضمه أو من يبدي رغبة في الانضمام الى الجمعية على شرط ان يقسم اليمين بعدم إباحة ما يلقى إليه ،

(١) مائتران ، تاريخ ، ص ٢٣٦ .

(٢) Kedourie . *Arabic*, 249.

(٣) الاتحاد العثماني . بيروت ، العدد ٨٧ ، السنة ١ ، ٧ كانون ثاني ١٩٠٩ ، ص ٢ .

(٤) أحمد نوري النعيمي ، اليهود والدولة العثمانية ، دراسة في الأصول والمقائد والمواقف (ط٢ ، دمشق: العربي للإعلان والنشر ، ١٩٧٣) ، ص ١٨٩ .

(٥) رامزور . تركية ، ص ١٢٥ .

(٦) شيخو . السر ، ك ٦ ، ص ٤٥ .

(٧) Ibid., 249-250.

(٨) الهدى . نيويورك ، العدد ٧٠ ، السنة ١٢ ، الجمعة ١٤ ايار ١٩٠٩ ، ص ١ .

(٩) Fesch . *Constantinople*, P.330.

إلا بموافقة الجمعية ، فإذا هو رضى بذلك ، وحلف اليمين ، وتبين للكفيل أهلية الشخص طالب الانضمام ، يتم شرح أفكار الجمعية له ^(١). أما الخطوة الثانية : فهي أهم من الأولى بكثير ، وهي متعلقة بالمكاشفة الرهيبة والرعب الذي يستولي على العضو الجديد ، حيث يساق هذا العضو مغمض العينين إلى المقام السري للجمعية ، وهناك تفتح عيناه فيرى نفسه أمام ثلاثة رجال بوجوه سوداء مستعارة ، وهناك يتلى عليه القسم ، حيث يقسم على السيف والقرآن أن يوقف حياته كلها وقواه جميعها لخلاص أوطانه ؟ وافئدائها بدمه في كل طريقة أو سبيل تشير عليه بهما الجمعية ، وأنه لن يبوح بأي سر من أسرارها ، وأن يقتل أي شخص كان إذا حكمت عليه جمعية الاتحاد والترقي بالموت ، ومن ثم بعد انتهاء هذه المراسيم تغمض عيناه ثانية ويسار به من حيث أتى ^(٢) ، وبذلك يصبح هذا الطالب الجديد عضوا في الجمعية ، ويكون كما ذكرنا على معرفة باثنين فقط ، هما ، العضو الذي أدخله والثاني الذي يبقى على اتصال به ، ثم يعطى رقما سريا يعرف به من سجلات الجمعية ، ويدعى لحضور الاجتماعات السرية التي تعقدها الجمعية فيما بعد ^(٣).

ولقد أسس 'عمانوئيل قره صو' اليهودي محفلا ماسونيا سمي بمحفل 'مكدونية ريزورتا' (Macedonia Risorta) وذلك بالتعاون مع الماسونية الإيطالية ، وكان هدفه من ذلك هو فرض النفوذ اليهودي غير المستساغ على الأوضاع الجديدة داخل الدولة ، وأن كان يتظاهر بأنه إنما يريد مساعدة رجال الاتحاد والترقي في تضليل السلطان 'عبد الحميد' ^(٤).

ويذكر 'جواد رفعت' أتلخان ' أنه ورد في القرار رقم ٧٠ للجمعية الماسونية الفرنسية ان جمعية سرية أسست باسم تركيا الفتاة' باشرت نشاطها في سلانيك التي يوجد بها اليهود الأكثر نفوذا ، وكانت هذه المحافل تقوم بقبول واستقطاب العديد من التأثيرين مستغلة حماية الدول الأجنبية لها عن طريق الامتيازات ، ويمكن القول ان 'جمعية الاتحاد والترقي' قد ولدت فعلا في محفل 'مكدونية ريزورتا' الذي أسسه 'عمانوئيل قره صو' ^(٥).

ويذكر الماسون الذين اصدروا كتابا في تركيا باسم 'الماسونية في تركيا والعالم' ، (Dünyada ve Türkiyede Masonluk) ان المحفل التركي الأعظم المرتبط بالمحفل الإيطالي الكبير المسمى بمحفل 'مكدونية ريزورتا' ، ومحفل 'لابوريت لوكس' (Laboret Lux) لعبت دورا هاما في جمعية الاتحاد والترقي ، وقد حاول السلطان 'عبد الحميد' الحد من نشاط هذه المحافل ، لكنه لم يوفق في مسعاه ، وقد قامت هذه المحافل بدور كبير في تأسيس وتوسيع جمعية الاتحاد والترقي ^(٦).

(١) الهدى . نيويورك ، العدد ٧٠ ، السنة ١٢ ، الجمعة ١٤ ايار ١٩٠٩ ، ص ١.

(٢) المصدر والصفحة نفسها ؛ انظر - رامزور . تركية ، ص ١٢٢-١٢٣ ؛ Sonyel. Minorities, P.246

(٣) أصناف . تاريخ ، ص ١٤٧-١٤٨ .

(٤) Kedourie . Arabic, 250.

(٥) حلاق . موقف ، ص ٢٩٢-٢٩٣ .

(٦) محمد علي . السلطان ، ص ٢٨٧ .

ويعترف أحد قادة الاتحاد والترقي بخدمات الماسونية لجمعيته في مقابلة له مع مراسل صحيفة باريسية حيث قال : "حقاً إننا وجدنا سنداً من الماسونية ، وخاصة الماسونية الإيطالية ، فالمحفلان الإيطاليان مكنونية ريزورتا ولابوريت لو كس قتما لنا خدمة حقيقية ، ووفراً لنا الملاجئ ، فكنا نجتمع فيها كماسونيين ، لأن كثيراً منا كانوا ماسونيين ، غير أننا في الحقيقة كنا نجتمع لتنظيم أنفسنا ، كما أننا اخترنا معظم رفقاتنا من هذين المحفلين ، اللذين ساعدا لجنتنا كغريبال ، نظراً لما كانا يبديانه من دقة في الاستفسار عن الأفراد ، فكان العمل السري الذي يجري في 'سلانيك' كلما يثير الشكوك في القسطنطينية ، كما ان عملاء الشرطة حاولوا عبثاً دخوله ، يضاف الى ذلك ان هذه المحافل التمسّت من الشرق الأعظم في إيطاليا ان تتدخل السفارة الإيطالية عند الحاجة ، وقد وعد الشرق الأعظم بدوره بضمان ذلك"^(١) . وبذلك قامت المحافل الماسونية بجمع كلمة الاتحاديين ، وكان كثير من الماسونيين واغلبهم من اليهود الاثرياء يمدونهم بالاموال^(٢) .

اما عن الحديث الذي يدور في هذه المحافل فقد أورده 'ارمسترونج' حيث يقول : " لقد أدخل 'مصطفى كمال' -مصطفى كمال أتاتورك فيما بعد- أخا في 'محفل فيداتا' (Vedata Lodge) ، فوجد نفسه في محيط لم يحبه ، لأن المحفل كان جزءاً من منظمة فوضوية عالمية ، وكان مليئاً برجال لا قومية لهم يتكلمون عن شرور روسية ، حيث كان اليهود مضطهدين ، وعن مياهج 'فيينا' ، حيث سمح لهم بالحصول على المال ، لقد كانوا أناساً مرضى ولصوصاً مفعمين بالأسرار والكلام الغامض ، ... ^(٣) . وتتوالى اعترافات أعضاء الجمعية بدور الماسونية ، حيث يقول أحدهم : " ونحن العثمانيون مدينون للماسونية اكبر دين لأنها هي التي ثبتت في نفوس أعضاء جمعية الاتحاد والترقي روح الحرية ، وبها اقتدوا في إنشاء جمعيّتهم"^(٤) .

والى جانب ذلك كانت شهادات المؤرخين حيث يقول 'بيرس' (Pears) : " ان زعماء جمعية الاتحاد والترقي التحقوا بالمحافل الماسونية للإبقاء على خططهم سرية"^(٥) ، واما 'اللورد كنروس' (Lord Kinross) فيقول : " إن جمعية الاتحاد والترقي قد استفادت من أساليب وفنون الماسون"^(٦) .

أما عن سبب تأسيس المحافل الماسونية من قبل إيطاليا في عهد السلطان 'عبد الحميد' فيرجع إلى رفض الدولة العثمانية القيام بتنازلات بخصوص ليبيا التي كانت إيطاليا ترغب في احتلالها إلى جانب أسباب أخرى تدرج تحت إطار المسألة الشرقية، حيث قامت السياسة الإيطالية بإفراز المحافل الماسونية

^(١) راملور . تركية ، ص ١٢٦-١٢٧ ؛ انظر - Pears . Life, P. 285 .

^(٢) نياز ملا . السلطان ، ص ٦٥ .

^(٣) H.C. Armstrong . Grey Wolf, Mustafa Kemal, An Intimate Study of Adictatar, (London: Arthur Barker L.T.D, 1933), P. 37.

^(٤) المقتطف . الماسون في البلاد العثمانية ، القاهرة ، ج ٢ ، م ٣٦ ، فبراير ١٩١٠ ، ص ١٥٨-١٥٩ .

^(٥) Pears . Life, P. 285.

^(٦) Lord Kinross . Atatürk, The Rebirth of Nation, (London : Weidenfeld and Nicolosn, 1971), P.28.

في الولايات العثمانية ولا سيما في 'سلانيك'، من أجل إنتهاك الدولة العثمانية ، ومن ثم القضاء على حكم السلطان 'عبد الحميد' ، وكان من المتوقع قيام نزاع بينه وبين السفير الإيطالي 'مرشيز امبريالي' (Ambassador Marches Imperiali) بخصوص هذا الأمر^(١) ، لذا فقد تم دفع 'قره صو' لإنشاء محفله ، حيث حصل على إذن لعقد اجتماعات جمعية الاتحاد والترقي في محفله ، وبهذا أصبح أعضاء هذه الجمعية من المنتسبين للمحفل الماسوني ، في الوقت الذي كان فيه 'قره صو' منهمكا في تكوين اللجان الداخلية للجمعية^(٢) .

بذلك يصبح جليا أن اليهود كان لهم في هذه المحافل دورا أهم في جمعية الاتحاد والترقي ، حيث يعترف أحد أعضاء جمعية الاتحاد والترقي بقوله : وكان هناك نوعان من الأعضاء ، أحدهما مرتبط بالمحفل الماسوني ، وهذا كنا نطلق عليه اسم الأخ من الأب والام وآخر غير مرتبط بالمحفل الماسوني ، فكنا نطلق عليه الأخ من الأب فقط ، ويعلق الكاتب التركي المعروف 'نجيب فاضل' على هذا بقوله : "كان الضباط الاتحاديون في الجيش الثالث تحت امرة للدولة يا ترى أم تحت امرة وخدمة اليهودية"^(٣) ، وهذا يدل على تركيز الماسونية على الجيش حيث ازداد عدد المشتركين في المحافل الماسونية ، نظرا لاتصال الضباط الشبان في الجيش الثالث بهذه المحافل المنتشرة في 'سلانيك' وغيرها من المدن^(٤) .

وبالنسبة لقيادتي جمعية الاتحاد والترقي المنتسبين للماسونية غير 'قره صو' السالف الذكر الذي سيطر على فرع الجمعية في 'البلقان'^(٥) ، كان 'طلعت بك' من المنتسبين لهذه المحافل التي اعتقدت انه سيكون له مستقبل كبير في الدولة ، حيث اتصلوا به ورقي خلال فترة قصيرة الى عدة درجات هامة في المحفل الماسوني ، وكان 'قره صو' هو الذي ضم 'طلعت واستطاع احتضانه واحتوائه اكثر واكثر^(٦) . بالإضافة إلى هؤلاء كان 'جاويد بك' حيث مثل هؤلاء قمة الماسونية في الدولة العثمانية^(٧) ، كذلك 'احمد نيازى الرسنة لي' ، و'اسحق سكوتي' والدكتور 'بهاء الدين شاكرا' والدكتور 'ناظم' و'عبد الله جودت' كانوا

(١) Joan Haslip. *The Sultan, The Life of Abdul Hamid II* (London: History Book Club, 1958), P. 256.

(٢) Ibid., P.283-284.

(٣) محمد علي . السلطان ، ص ٢٨٦-٢٨٧ .

(٤) Ibid., P.256.

انظر - محمود ثابت الشاذلي . المسألة الشرقية ، دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية ١٢٩٩ - ١٩٢٣ م ، (ط ١) ، القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٩٨٩ (ص ١٧٢-١٧٣ .

(٥) Kedourie . *Arabic*, 250

(٦) طوران . اسرار ، ص ٤٩-٥٠ انظر - حسون . العثمانيون ، ص ١٩٢ .

(٧) Pears. *Life*, P.298.

من المنتسبين لهذه المحافل^(١)، إلى جانب العديد من القيايين الآخرين، ويمكن القول أن اثنين فقط من هؤلاء لم يكونا ماسونيين وهما 'أحمد رضا'^(٢) والدكتور 'ناظم سلاتيكي'^(٣).

يذكر 'س. ناجي': أن الماسونية كانت تعمل على إجبار الطلاب على الانضمام لمحافلها بطريق الرشوة، ومن كان يعزف عن المال والرشوة كان الماسون يلقون له تهمة الانتماء إلى الجمعيات السرية المناهضة، ليوقعوا به حتى يكون عبءا لسواه من الطلاب الذين يرفضون الانضمام إليهم^(٤). ولقد بلغ من شدة تأثير الماسونية على الاتحاد والترقي أن كان علمهم الأحمر والأبيض هو نفس ألوان علم الماسونية الإيطالية^(٥)، كما أن شعارات الاتحاد والترقي 'أخوة' 'عدالة' 'مساواة' 'حرية' هي نفسها شعارات الماسونية^(٦).

ولم يغيب أمر الماسون ودورهم عن السلطان 'عبد الحميد' حيث قال: "للماسون عندنا تصرفات مزعجة، يحاولون بحماس زائد نشر أفكار تجديده لا يفهمها الناس، إذ أن الاغلبية عندنا لا تأبه بالأفكار التحررية، والذين يميلون إلى التعاون مع هؤلاء حفنة من الناس بقيت خارج البلاد ردحا من الزمن، فانقطعت عن جذورها، وتثقت ثقافة أوروبية سطحية براق، وهذا الصنف من الناس عندما يعود إلى بلده يجهل ما ينتظره منه شعبه، فيعمل على نشر الأفكار الغربية في سبيل جعل تركيا 'دولة حضارية' أنهم عمي في بصائرهم، أن الشيء الوحيد الذي استطاعوا تحقيقه هو بذر الشقاق والعصيان في البلاد وصفوف الجيش، دون أن يدروا أنهم يعملون لصالح 'إنجلترا'، التي تخرعت بنشر الأفكار التحررية في إمبراطوريتنا بغية إضعاف قدراتنا، واشد ما يؤلمني أن يقوم هؤلاء المضللون من الأتراك بالتعاون مع اليونانيين والبلغاريين في سبيل إزاحة 'المستبد' عن الحكم، رب أنهم مساكين ضعاف العقول لا يفقهون"^(٧).

ثم يقوم السلطان 'عبد الحميد' بإعادة الكرة فيقول: "لا بد للتاريخ أن يفصح عن ماهية الذين سموا أنفسهم تركية الفتاة، وعن ماسونيتهم، استطعت أن أعرف من تحقيقاتي أن كلهم تقريبا من الماسون وأنهم ينتسبون إلى المحفل الماسوني الإنجليزي [والإيطالي والفرنسي]، وكانوا يتلقون معونة مادية من هذا المحفل، ولا بد للتاريخ أن يفصح عن هذه المعونات، هل هي معونات إنسانية أم سياسية"^(٨). ثم يقول: "رأيت خطاباً تسلمه 'أحمد جلال الدين باشا' من 'علي كمال بك' في 'مصر'، فيه أسماء ومصادر

(١) Bozdog. *Abdülhamid*, P. 63.

(٢) يذكر مصطفى طوران أن أحمد رضا كان من المنتسبين إلى المحافل الماسونية، انظر ص ٦٦.

(٣) رامزور. تركية، ص ١٢٧.

(٤) ناجي. *المفسدون*، ص ٣١٤.

(٥) Kedourie. *Arabic*, 250

(٦) Cevat Rifat Atilhan, *İslâmî Saran Tahlîke ve Siyonizm ve Protokolar* (Istanbul: Gün Matbaası, 1955) P. 154.; *Revue Du Monde Musulman*, Publiee La Mission scientifique Du Maroc, Tome Cinquieme (Paris: Ernest Leroux Editeur, 1908), P. 721.

(٧) Abdülhamit. *Siyasi*. P. 81-82. ٧٤-٧٣. من مذكراتي، ص

(٨) Bozdog. *Abdülhamid*, P. 48.

التمويل اسما اسما ، وفي هذا الخطاب أيضا يذكر ان الدكتور 'عبد الله جودت' ، والدكتور 'اسحق سكوئي' ، والدكتور 'بهاء الدين شاكرك' ، والدكتور 'ناظم' ، و'إبراهيم تيمو' ، ينتسبون الى المحافل الفرنسية والإيطالية ، وان هذه المحافل تسلم عائلاتهم الموجودة داخل البلاد النقود يدا بيد^(١) .

والماسونية لم تكن ضالعة فقط في جذب واستقطاب العناصر المثقفة والثوريين من قياديين وأعضاء جمعية الاتحاد والترقي ، حيث استطاعت ضم جماعات دينية في محافلها ، وكان من هذه الجماعات 'البكتاشية'^(٢) ، وهي أوسع الطرق الصوفية العثمانية انتشارا ، واقواها اثرا ، حيث استطاعت جمعية الاتحاد والترقي استقطاب العديد من أعضائها في حين ان الكثير من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي كانوا يتبعون الطريقة البكتاشية^(٣)

ولقد روي العديد من الكتاب وجود علاقة ما بين الماسونية والبكتاشية ، حيث يروي 'ريتشارد ديفي' في سنة ١٨٩٧ ، انه سمع بأن هذه الطريقة مرتبطة ببعض المحافل الماسونية في حين ذكر 'براون' ان بعض أصدقائه من المسلمين انضموا الى الماسونية ، ويقول : "ولعل من الغريب ان يعتبر دراويش البكتاشية أنفسهم كالماسونيين تماما ، وانهم مستعدين للتأخي معهم ، ويطلق على الماسوني باللغة التركية فرماسون ، وهي كلمة تثير النفور ، فهي تدل على الإلحاد في ألحان صفاته ، ويمكن أن يقال هذا عن البكتاشية الذين لا يتمتعون بسمعة حسنة عند بقية المسلمين، حتى عند أصحاب الطرق الأخرى ، وان كانت أسباب ذلك غير واضحة لي"^(٤) .

ويقول آخر في نفس الموضوع : " وخلال القرن الثامن عشر واولئل القرن التاسع عشر قاموا - البكتاشية- بالاشتراك مع الانكشارية [التي يشكلون جزءا منها] ، في حركة الإصلاح العثماني بنفس الدور الذي قامت به الماسونية في حركة الإصلاح الأوروبي، وبعد القضاء على الانكشارية استمرت البكتاشية التي كانت مرتبطة بالماسونية، وقد أعاد قاضل بك' تشكيل الطريقة بحيث ظلت مثلا لحركة تركية الفتاة لمدة تزيد عن القرن"^(٥) .

(١) Bozdağ, Abdulhamid, P. 63 .

(٢) البكتاشية : هي جماعة دينية تعود جذورها الى الحركة القرمطية ، وتنسب الى الحاج بكتاش الولي الذي يقال انه ولد في نيسابور ، وجاء الأناضول في زمن السلطان اورخان ، حيث أسس طريقته ، لكن كثيرا من المؤرخين المتخصصين يرتابوا في وجود الحاج بكتاش هذا ، ومهما يكن فان البكتاشية قامت بتفسير المبادئ والتكاليف الشرعية على طريقته الخاصة ، وخرجت بذلك البكتاشية عن الشريعة الإسلامية الصحيحة ، كما ان البكتاشية أقلمت لنفسها طرقا ومؤسسات خاصة ، انظر - محمد موفاكو . 'البكتاشية انتسبوا للإسلام واعفوا أنفسهم من كل التكاليف والعبادات' مجلة العربي ، عدد ٢٢٠ ، (مارس ١٩٧٧) ص ٦٤-٦٦ ؛ انظر كذلك - لوثر ستودلر . حاضر العالم الإسلامي ، ترجمة ، عجاج نويض ، (ط ٤ ، القاهرة : دار الفكر للطباعة ، ١٩٧٣) ج ٣ ، م ٢ ، ص ٣٤٩ .

(٣) رامزور . تركية ، ص ١٢٨ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ١٢٩ .

(٥) المصدر والصفحة نفسها .

ويعتقد أن البكتاشية تتعاطف سراً مع الشيعة ، وإن تحالفهم مع الماسونية وجمعية الاتحاد والترقي إنما كان بسبب تجديد الخلافة ، وإعادة القوة والهيبة لها ، في حين يرى آخرون عكس ذلك ، فيذكرون أن البكتاشية هدفت إلى الميادة الدينية للتامة في البلاد التي تصلها دعايتهم ، حيث كانوا يأملون بتحالفهم هذا تأسيس دولة بكتاشية في 'البنيا' وبيرون أن السلطان 'عبد الحميد' ارتاب من البكتاشيين ، إبان الحركة الألبانية سنة ١٨٨٠ ، حيث لاحظ مدى تعاطف البكتاشية مع الأمانى الألبانية ، حينما لاح في الأفق إمكانية تنازل الدولة عن جزء من جنوب ألبانيا^(١) ، وهذا بوضوح المدلول السياسي للبكتاشية إلى جانب المدلول الديني والثقافي .

ومن قادة جمعية الاتحاد والترقي الذين انتسبوا للبكتاشية والماسونية في آن واحد الفيلسوف والشاعر التركي 'رضا توفيق' ، وشيخ الإسلام 'موسى كاظم أفندي' ، و'كاظم نامي' ، حيث استفاد هؤلاء من مساعدات وتسهيلات قدمتها لهم البكتاشية^(٢) ، مثل إضفاء الصفة الدينية على جمعية الاتحاد والترقي ، ويرى 'مفأكو' أن 'أحمد رضا' نفسه كان ممن أنتسب إلى الطريقة البكتاشية^(٣) لكن هذا الأمر من المشكوك فيه إذا ما علمنا أن 'أحمد رضا' كان من أنصار ومعجبي الفكر المادي 'الأوغست كونت' ، وهذا الأمر يجعلنا نستبعد كونه بكتاشياً .

ولقد وجدت إلى جانب الطريقة البكتاشية، طريقة دينية قديمة داخل الدولة العثمانية تدعى 'المولوية'^(٤) (mevlevi)، وهي طريقة دينية لها أسرارها كالبكتاشية والماسونية تماماً ، وكان 'محمد طاهر بك البورصة لي' - أحد مؤسسي جمعية 'وطن وحرية' (جمعية وطن وحرية) في 'سلانيك' مع 'مصطفى كمال' - ينتسب إلى هذه الطريقة^(٥) وبسبب الاحترام والتقدير الذي يكنه أصحاب الطريقة 'المولوية' لشخص 'محمد طاهر بك' انضم العديد من أصحاب هذه الطريقة إلى جمعيته ، ويعتقد أن 'المولوية' كالبكتاشية تعتقد بعض الأفكار الماسونية ، كالسرية في التعامل^(٦) ، كما انضم في وقت سابق كل من الشيخ 'نائل أفندي' و'شادي أفندي' و'حاجي أحمد بك' وغيرهم إلى هذه الطريقة ، وبذلك عملت الماسونية بدور المنسق بين نشاطاتها ونشاط جمعية الاتحاد والترقي والطرق الدينية مثل 'البكتاشية' و'المولوية'.

(١) رامزور . تركية ، ص ١٣٠ .

(٢) طوران . أسرار ، ص ٣٠-٣١ ، مافتران . تاريخ ، ص ٢٣٧ ، رامزور . تركية ، ص ١٣١ ..

(٣) مفأكو . البكتاشية ، ص ٦٨ .

(٤) المولوية: طريقة صوفية منسوبة إلى مولانا جلال الدين الرومي، وللدخول في هذه الطريقة طقوس غاية في التعقيد، تتم تحت إشراف معلمين موكول لهم هذه المهمة. وللأزياء في هذه الطريقة أهمية خاصة فلكل مرتبة زياها الخاص، وأهم ما يميز هذه الطريقة هو جلسات الذكر الموسيقية، حيث تستعمل الآلات الموسيقية على نطاق واسع. ولقد اجتهدت المولوية في إعطاء معان خاصة لكل ما يتصل بها من فكر وعمل. لذلك فقد كان التنافس بينها وبين البكتاشية كبيراً. وقد أصدر كمال أتاتورك عام ١٩٢٥ قراراً بمنع كافة الطرق الصوفية ومن ضمنها المولوية. انظر:

The Encyclopaedia of Islam, A Dictionary of the Geography, Ethnography and Biography of the Muhammadan Peoples, (Leiden: E.J.Brill - London: Luzac & Co, 1936), Vol. II I. P418-419.

(٥) طوران . أسرار ، ص ٣٠-٣١ ، انظر - رامزور . تركية ، ص ١٣١ .

(٦) رامزور . تركية ، ص ١٣١ .

ج- الصهيونية والدولة العثمانية.

١- ماهية الصهيونية .

كان اليهود يعيشون حياة غاية في السوء في الأقطار الأوروبية، وذلك بسبب معاداتهم وعدم التسامح الديني معهم، لذلك فقد عاش يهود أوروبا حتى عهد قريب في ظل قانون خاص عرف 'بقانون الأجانب' مما جعلهم معزولين ثقافيا وجغرافيا واقتصاديا في المجتمعات الأوروبية المحيطة بهم، يمارسون في الأحياء اليهودية المعروفة 'بالجيتو' (Ghetto) حياة خاصة، وكأنهم وحدة اجتماعية مستقلة^(١). وقد تركزت الأقليات اليهودية بصفة خاصة في 'روسيا' و'بولندا' وغيرهما من أقاليم شرق أوروبا كذلك في الأقاليم الغربية من 'أوروبا' مثل 'إيطاليا' و'ألمانيا'، حيث لم تكن في كلا القطرين حكومة مركزية تبسط سلطاتها بسبب تأخر عرى الوحدة فيهما عن بقية أقطار أوروبا^(٢).

كان نتيجة هذا التشتت أن ظهرت هناك حركات فكرية يهودية على المستوى الفردي تتادي بعودة اليهود إلى فلسطين، خلاصا لهم مما يلاقونه من ظلم في أرض 'الشتات'، وكان من بين هؤلاء الأوائل 'موسى مندلسون' (Moses Mendelson) (١٧٢٩-١٧٧٦) ^(٣) حيث سميت حركة مندلسون بحركة 'التنوير'، وكانت تستهدف إيقاظ يهود الشرق وحثهم على العودة لأرض المعيار مع الأخذ بتقافات ولغات الدول التي يعيشون فيها، ولو بصفة مؤقتة، حتى يصبحوا مواطنين صالحين^(٤).

وكان 'موسى حاييم مونتفيوري' (Moses Montefiore)، أول من فكر بشكل فعلي وعملي بتنفيذ العودة إلى الأرض الموعودة 'فلسطين' لذلك فقد عمل بحماس كبير في مجال توطيد اليهود في 'فلسطين'، لذلك فقد كانت النية لديه أن يؤسس شركة لهذا الغرض ولذلك كاتب 'محمد على باشا' الذي يسيطر على فلسطين آنذاك لكن رجوعه إلى 'مصر' بدد أحلامه بشكل كلي وبالتالي إلى فشله^(٥). أما الحاخام 'زيفي هيرش كاليشر' (Rabbi Zvi Hirsch Kalischer) - الذي وضع كتابه 'السعي لصهيون' (Drishat Zion) عام ١٨٦٢- فقد كان متأثرا بالقومية الأوروبية لذلك فقد طالب اليهود بأن يقتدوا بالإيطاليين والبولنديين والمجريين وغيرهم من القوميات في بحثهم عن قوميتهم كما آمن 'كاليشر'

(١) The Ency Americana, Vol.16, P.78.

(٢) حسن صبري الخولي، سياسة الاستعمار الصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، (القاهرة: دائرة المعارف، ١٩٧٣) ج١، ص١٠.

(٣) ل. فراي، القوى الخفية في السياسة العالمية، ترجمة . محمد كمال ثابت (بيروت: دار الكتب العربي، د)، ص٢٧.

(٤) محمد عبد الرؤوف سليم، تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٨٩٧-١٩١٨ (جامعة الدول العربية: معهد البحوث

والدراسات العربية، ١٩٧٤)، ص١٦.

(٥) Albert.M. Hyamson, Palestine Under the Mandate 1920-1948 (Regency: Green Wood Press Publishers, 1976) p.14.

ج.م.ن جفريز. فلسطين إليكم الحقيقة، ترجمة أحمد خليل الحاج، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف، ١٩٧١)، ج١، ص٨٠.

بأن العمل في الأرض المقدسة 'فلسطين' هو عمل وجهه تقدسه الديانة اليهودية ، لذلك فقد حث اليهود على استيطان فلسطين مؤكدا بأنه بغير هذا الامر لن يتحقق أمر تجمعهم في هذه الأرض^(١).

أما 'موسى هس' (Moses Hess) المفكر اليهودي (١٨١٢-١٨٧٥) فقد تأثر بأفكار الحاخام 'كاليشر' حيث قام بالاستشهاد بكثير من آرائه ومواقفه في كتابه 'روما والقدس' (Rome and Jerusalem) الذي صدر عام ١٨٦٢ ، في حين أن كثيرا من المؤرخين يعتبر 'موسى هس' هو أب القومية اليهودية والدعوة الصهيونية الحديثة وبهاجم 'هس' الذين يشككون في مساعدة 'فرنسا' في تأسيس المستعمرات اليهودية في 'فلسطين' ، حيث كان يأمل منهم الدعم المالي والمعنوي^(٢) ، وذلك على رقعة ارضية تمتد من 'السويس' إلى 'القدس' ومن ضفاف نهر الأردن إلى البحر المتوسط^(٣).

أما 'ليونيسكر' (Leon Pinesker) (١٨٢١-١٨٩١) فقد أخذ بنظرية تدعو إلى أن يقوم اليهود بأخذ زمام المبادرة بأيديهم في تحرير انفسهم وأكد في كتابه 'التحرير الذاتي' (Auto-Emanicipation) ان اليهود ليسوا امة حية، بل هم غرباء في كل مكان ، وأن التحرير المدني والسياسي لليهود غير كافيين لرفعهم في نظر الشعوب، والحل الوحيد للمشكلة لليهودية يكمن في تدويلها، وخلق قومية يهودية لشعب يعيش على أرض خاصة له^(٤). وأما 'بيرس سمولنسكن' (Peretz Smoloniskin) والذي كان من ثمرة جهوده جمعية 'عم عولام' أو 'الشعب الأبدى' (The Eternal People) فقد انحصرت أفكاره السياسية في مفاهيم القومية اليهودية ، وكان الغرض من دعوة جمعيته هو إعداد لليهود للعمل الزراعي من اجل إعادة البعث القومي اليهودي^(٥).

كما قامت 'جمعية الاستعمار اليهودية بفلسطين جكا'^(٦) (The Jewish Colonization Association) بجهود لغرض تملك اليهود للأراضي واستيطانهم فيها^(٧). وفي هذه الأثناء تعرض اليهود في 'روسيا' للمذابح عقب اغتيال القيصر الروسي 'الكسندر الثاني' عام ١٨٨٢ ، حيث بدأت موجة الأعمال الانتقامية الموجهة والعنيفة، والتي سميت بالاسامية، وهذا الأمر أدى إلى فرض المزيد من القيود على يهود 'روسيا' الذين عاشوا في نوع خاص من للحارات اليهودية عرف باسم 'رقعة الاستيطان' The Place of

(١) Isaiah Friedman. *Germany Turkey and Zionism 1897-1918* (Oxford: at the Clarendon Press 1977) p.13

أسعد عبد الرحمن. المنظمة الصهيونية العالمية، البدايات، المؤسسات، النشاط، الصراعات ١٨٨٢-١٩١٢ ، (ط١، عمان: دار الفارس للنشر، ١٩٩٠)، ص ٢٧.

(٢) مؤسسة الدراسات الفلسطينية - وزارة الدفاع الوطني - الجيش اللبناني. القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٧٣)، ص ٥٤.

(٣) سليم. تاريخ، ص ١٨.

(٤) المرجع نفسه. ص ١٨-١٩.

(٥) المرجع نفسه، ص ٢١-٢٢.

(٦) شركة أسسها البارون هيرش Hersch عام ١٨٩١ لتجوير اليهود واسكانهم في مستعمرات زراعية في أمريكا الجنوبية وفلسطين، وبعد وفاة هيرش أوكل إلى دي روتشيلد مهمة الإشراف عليها إلى جانب العديد من المستعمرات التي أسسها هو في فلسطين . وصل رأسمالها إلى ٧ ملايين جنيه في مطلع القرن العشرين. صايغ. يوميات، ص ٥١٥.

(٧) سليم. تاريخ، ص ٢٤.

(Settlement) (١). وعلى الأثر تأسست جمعية 'أحباء صهيون' (Choveve Zion) (٢) على يد أبو الصهيونية الروسية 'ليوبنسكي' (Leon Pinsker) (١٨٩١-١٨٢١) (٣) وكان هدفهم خلق جماعة متميزة عما حولها باللغة و الثقافة وأسلوب الحياة، وأخذت تشجع على الهجرة ونجحت فعلياً في ذلك (٤)، وكان أغلب نشاط هذه الجمعية يتركز في المناطق الشرقية من أوروبا. أما في أوروبا الغربية فلم يعمل أحباء صهيون على أهداف سياسة، لأنهم كانوا يخشون أن توضع وطنيتهم موضع الشك، وهذا ما جعل نشاطهم إلى حد بعيد قليل الأهمية ومنحصرأ في الأعمال الخيرية (٥). ولقد انضم إلى هذه الجمعية 'آحاد هاعام' باعتبارها نافذة يطل منها على الحياة اليهودية، لكنه سرعان ما هاجمها لعدم تركيزها على الإحياء الروحي والثقافي اليهودي في فلسطين، كما كان يرى أنه لن يكون هناك ملجأ لكل اليهود الباحثين عن الخبز والسلام، ولكن يكفي أن يكون هناك ملجأ لعشر اليهود، أما الباقي فبإمكانهم العيش في المنفى، معتقداً أن أحوالهم ستتحسن يوماً ما (٦).

ظلت الجهود اليهودية بخصوص عودة اليهود إلى فلسطين، وأفكارهم هي مجرد جهود مبعثرة يعوزها التنظيم والدعم والتأييد حتى ظهور 'ثيودور هرتزل' (Theodor Herzl) (٧) مؤسس الحركة الصهيونية (٨)، الذي أبدى اهتماماً وهو في الثانية والعشرين من عمره بالطبقة اليهودية المتوسطة التي كانت متحررة نوعاً ما ورغم ذلك فقد ظل الناس ينظرون إلى اليهود على أنهم مختلفون عنهم، وكان

(١) Ency Americana. Vol. 16, P. 81.

(٢) Esco Foundation for Palestine. *Palestine, A study of Jewish, Arab and British policies* (New Haven: Yale University Press, 1947) Vol. 1, p25; Friedman. *Germany*, p.47; Hyamson. *Palestine*, p15.

(٣) Esco. *Palestine* Vol, P14-15.

(٤) خيرية قاسمية. *المقاومة العربية للصهيونية*، بحث ضمن كتاب "الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني"، تحرير، عبد الجليل التميمي، (تونس: مركز البحوث والدراسات عن الولايات العربية في العهد العثماني، ١٩٨٤)، ص ٣٧٤.

(٥) Getzel Kressel "Hibbat Zion" Ency Judaica, Vol.8, p. 463.

(٦) Hilewitz "Ahad-Ha-am" Ency Judaica Vol. 2, p. 447.

(٧) ثيودور هرتزل. ولد في ٢ مايو ١٨٦٠ في بودابست بالمجر، نشأ في عصر كان اليهود يتمتعون بحقوقهم المدنية والسياسية ويشيرون بفخر إلى انتماء المجرية التي تجري في عروقهم وكانت بيئة هرتزل علمانية، حيث لا تغلب عليها العناصر اليهودية، وتلقى هرتزل تعليمه الابتدائي في إحدى المدارس الفنية، ثم تلقى تعليمه الثانوي في بودابست وانتقلت أسرته إلى فيينا بعد بلوغه سن الثامنة عشر، فدخل كلية الحقوق (١٨٧٨-١٨٨٤) حيث درس القانون الروماني وفلسفة القانون، وقام هرتزل بالعديد من السياحات في كل ألمانيا، وسويسرا وفرنسا وإيطاليا، كما بدأ بممارسة الكتابة الأدبية (مسرحيات وقصص) حتى تولى تحرير إحدى المجلات النمساوية انظر - عبد الوهاب المسيري. *الصهيونية والإسرائيل دراسات في انتشار وانحسار الرؤية الصهيونية للواقع* (ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٥)، ص ١٢٥.

(٨) الصهيونية نسبة إلى جبل صهيون في القدس، وكان اليهودي ناثان بيرونباوم (Nathan Birnbaum) (١٨٦٤-١٩٣٧) هو أول من استعمل هذه الكلمة بالمعنى السياسي. وبيرونباوم كاتب يهودي ألماني، كان قد أسس عام ١٨٨٣ جمعية كاديما (إلى الأمام) للطلبة اليهود، كما ترأس تحرير العديد من الصحف اليهودية الصهيونية. تبع هرتزل فترة، ثم انحاز إلى الأحزاب اليمينية الأرثوذكسية في الحركة الصهيونية -

Getzel Kressel. "Zionism", Ency Judaica, Vol. 16. P1032

هرتزل متضيقاً من بقاء الغيتو رغم إلغائه قانونياً، وكان يلوم المسيحيين المتعلمين لأنهم لا يزالون محتفظين بالتفرقة القديمة، وكان الحل الوحيد عنده هو الاندماج والزواج المختلط^(١)، واكتسابهم جنسية الدول التي تدبر أمور الحياة في هذه المجتمعات، والتمتع بكل الحقوق والواجبات التي يتمتع بها المواطنون جميعاً من غير تفرقة في الجنس أو الدين^(٢).

وكانت سنة ١٨٩١ المرحلة الحاسمة في حياة ثيودور هرتزل، وذلك عندما عمل مراسلاً لصحفية 'نيو فري برس' (Neue Freie Presse) الجينية في باريس^(٣) وذلك من خلال متابعته لقضية الضابط الفرنسي اليهودي 'الفرد درايفوس' (Alfred Dreyfus) الذي اتهم بالخيانة العظمى لصالح المانيا^(٤) حيث ظهرت في محاكمته بتاريخ ٥ كانون ثاني ١٨٩٥ شعارات العداء لليهود وتعاليت الهتافات 'الموت لليهود' (Death to the Jews)^(٥) من هنا بدأت الأفكار الصهيونية تعصف في ذهن 'هرتزل' وسيطرت على مجمل تفكيره وبدأ بالتحرك الفعال، حيث كتب الى البارون 'دي هيرش' (Baron, de Hirsch) أحد أصحاب رؤوس الأموال والنفوذ في 'المانيا' يطلب منه ترتيب لقاء معه لمناقشة المشكلة اليهودية، وعقد هذا الاجتماع في ٢ حزيران ١٨٩٥، وكان هذا أول نشاط يقوم به 'هرتزل' في سبيل تحقيق حلمه الصهيوني، إلا أن هذا اللقاء لم يسفر عن النتائج التي كان يطمح إليها، ليس لأن 'هرتزل' فشل في التأثير عليه، بل لأن 'هيرش' نفسه لم يعطيه الفرصة لشرح موقفه وأفكاره، وربما كان السبب هو عدم اكتمال الخطة في ذهن 'هرتزل' إلى درجة تمكنه من شرحها للآخرين بوضوح؛ ثم قام 'هرتزل' على الأثر بإرسال رسالة إلى 'هيرش' في اليوم التالي حظيت بذات النتيجة السلبية^(٦).

كانت أفكار 'هرتزل' حتى ذلك الوقت بسيطة، ويوضح ذلك بقوله: "إن لليهود هم الذين صنعهم الغيتو فإما أنه كان يعتقد بأن الغيتو قد فرض على اليهود أو أن الغيتو إنما هو مؤسسة يهودية بحتة، والواقع أن القيادة لليهودية كافحت وأرست الغيتو، وقاومت إلغائه"^(٧).

ومن هذه النقطة وعقب فشله مع 'دي هيرش' بدأت أفكار 'هرتزل' تتطور يوماً بعد يوم، وبدأ يكتب على الورق كل ما يجول بخاطره، كما لو كانت هناك قوى كبرى تدفعه إلى ذلك العمل، وقد كتب

(١) تهاني هلسة، أوراق في القضية الفلسطينية (جامعة الدول العربية : معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٧)، ص ٢٤.

(٢) محمد احمد خلف الله، بين هرتزل والسلطان عبد الحميد 'مجلة العربي، الكويت، العدد ٢٢٣ (يونيو ١٩٧٩)، ص ١٣٤.

(٣) Hyamson. Palestine, p.15.

(٤) Mitchell Cohen. Zion and State Nation Class and the Shaping of Modern Israel (Oxford: Basil Black well, 1987) p, 66.

(٥) Binyamin Zeev. "Theodor Herzl". Ency Judaica, Vol.8. p.408

(٦) Loc. cit.

(٧) جاك تنى، الأخوة الزائفة، القصة المذهلة للمكانة الدبلوماسية الحديثة لإخضاع البشرية والسيطرة عليها، ترجمة أحمد اليازوري، (ط١، بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩)، ص ٤٦-٤٧.

في مذكراته : " هل أنا الذي يبني للفكرة؟ لا إنها تبرز ذاتيا، ومن خلال أنها فكرة رشيدة وعقلانية من البداية حتى النهاية. وهذا هو ما يسمى بالإلهام" ^(١). وكانت تلك الأوراق في الحقيقة هي التي كونت كتابه 'الدولة اليهودية' (The Jewish State) أو (Der Judenstaat) الذي بذل فيه جهدا ملاً كل وقته، وأصيب بسبب ذلك بالإرهاق، وبوضح ذلك بقوله : " كنت اكتب ماشيا، واقفا، مستلقيا، وفي الشارع، وفي أثناء وجبات الطعام، في الليل حتى يهرب مني النوم" ^(٢) .

ويظهر 'هرتزل' في كتابه هذا الهدف الحقيقي ومجمل أفكاره بقوله : " إن الفكرة التي أشرحها في هذا الكتاب فكرة قديمة وهي إحياء الدولة لليهودية" ^(٣) وهو بذلك لا يطالب بقطر معين لإقامة هذه الدولة ثم يوضح : " ان الفكرة خيالية، وكل شيء يتوقف على قوتنا الدافعة" ^(٤) .

ويوضح 'هرتزل' سبب معاداة اليهود في أوروبا بقوله : " إن لب المشكلة هي بالاسامية التي هي مشكلة قومية أكثر مما هي دينية" ^(٥)، ثم يقول : " إن البلاد الرئيسية التي تنتشر فيها اللاسامية تنتشر فيها نتيجة تحرير اليهود" ^(٦)، ولا نعلم في الحقيقة مدى صحة قول 'هرتزل' هذا، حيث أن الحقائق تثبت عكس ذلك تماما، كذلك قوله : " فمتى أصبح لليهود برجوازيين اشكت بينهم المنافسة وبين البرجوازية المسيحية، وتعرضوا إلى ضغط متعصب مزدوج ، أولا كيهود وثانيا كبرجوازيين فاستحالت طرق النجاة" ^(٧)، وهذا إن دل فإنه يدل على أن اللاسامية لم تظهر كنتيجة لتحرير اليهود. وكان كل ما يطلبه هو قطعة من الأرض لإقامة الدولة المقترحة حيث يقول : " أعطونا قطعة من الأرض في أي جزء من العالم تتسع لإيواء أمة، لنفرض سيادتنا عليها، ثم اتركونا ندير شؤوننا بأنفسنا، وإنشاء دولة جديدة ليس مستحيلا، ولا مثيرا للسخرية ... وحكومات البلاد التي تكتسحها اللاسامية لها مصلحة في مساعدتنا لنيل استقلالنا والفكرة بسيطة التخطيط، لكنها معقدة التنفيذ ويستطاع تحقيقها بواسطة شيئين هما : جمعية يهودية، وشركة يهودية فبينما تتعهد الجمعية بالعمل في الحقل العلمي والسياسي، تقوم الشركة بالتنفيذ وعليها ان تتعهد سير الاعمال لصالح اليهود المهاجرين ، وتعنى بتنظيم التجارة والعلاقات المالية في البلد الجديد" ^(٨).

وتظهر براءة 'هرتزل' السياسية بتصميمه على نيل الاعتراف الدولي بالجمعية اليهودية، باعتبارها الممثل للشعب اليهودي والمتحدث باسمه ولها سلطة التفاوض مع الحكومات حيث قال : " يجب

^(١) Zeev. Herzl. Vol.8. p409.

^(٢) Theodor Herzl. *The Jewish State, an Attempt at Amodern Solution of the Jewish Question*, Translated by, Sylvie Davigdor, (London : H.pordes, 1967), p.3.

^(٣) Ibid., p. 7.

^(٤) Ibid., p.8.

^(٥) Ibid, P.15.

^(٦) Ibid, p.25.

^(٧) Ibid, p.25-26.

^(٨) Ibid, p.28.

كسب اعتراف الدول بالجمعية، إنها هيئة رسمية هدفها إنشاء حكومة، وعندما يتم الاعتراف تولد الدولة^(١). ثم يأتي بعد ذلك دور المكان المقرر لإقامة الدولة، وهو الاختيار الصعب * أنختار فلسطين أم الأرجنتين؟ سنأخذ ما يعطي إلينا، والمكان الذي يوافق عليه للرأي العام اليهودي، على أن تنتظر الجمعية اليهودية في المكانيين، وتصمم على الأنسب^(٢).

ويشدد 'هرتزل' على أن دولته اليهودية ستكون معقلا حضاريا أوروبا ضد آسيا البربرية " فنحن هنا نؤلف جزءا من الاستحكام الأوروبي ضد آسيا وسنكون قاعدة أمامية للحضارة (الأوروبية) لمقاومة الهمجية"^(٣) لكن 'هرتزل' لم يكن ميالا للديمقراطية حيث " أن الجماهير ميالة أكثر إلى أن تقاد بالهرطقات والبدع من البرلمانات، أو أن تقع تحت سيطرة الألفاظ الرنانة المتبجحة"^(٤).

ظن 'هرتزل' أنه بعد كتابة مؤلفه سينتهي عمله بالنسبة للصهيونية ولكن النقد الذي أثاره كتابه من جهة، والحماسة التي حركت الجماعات اليهودية، جعلته يستمر في الحركة، وقد كان يصله آلاف من الرسائل من يهود الإمبراطورية النمساوية وأوروبا الشرقية، وبها يعتقدون أن 'هرتزل' هو 'موسى الجديد' الذي سيخلصهم من عذابهم ويقودهم إلى أرض الميعاد^(٥). في نفس الوقت الذي هاجمه العديد من الحاخاميين ومنهم رئيس الأشكناز في بريطانيا 'هرمان أدلر' (Herman Adler) كذلك الدكتور 'موريتز جودمان' (Dr. Moritz Gudeman) رئيس حاخامي فينا، وقام 'هرتزل' بدوره بمهاجمتهم ووصفهم بـ'الحاخامين المحتجين'^(٦) (Protest Rabbis) وعلى الأثر عمل 'هرتزل' على عقد المؤتمر الصهيوني في 'بازل' (Basel)^(٧) بسويسرا، ورغم فشله في استقطاب عدد كبير من اليهود لمثل هذه الدعوة إلا أن عددا آخر استجاب له. وكانت الخطوات التمهيدية المباشرة لعقد هذا المؤتمر أن عقد قبله بيومين اجتماع تمهيدي اتخذت فيه القرارات التي تضمن نجاح أعمال المؤتمر ، كما تم تشكيل لجنة كانت مهمتها صياغة قرارات البرنامج الصهيوني^(٨). وفي يوم ٢٩ آب ١٨٩٧ افتتح المؤتمر وبعد ثلاثة صلاة خاصة ألقى ثيودور هرتزل خطاب الافتتاح مؤكدا ان الهدف الحقيقي لعقد مثل هذا المؤتمر هو وضع حجر الأساس للوطن القومي للشعب اليهودي^(٩).

(١) Herzl. *The Jewish*, P.29.

(٢) Ibid.30.

(٣) Loc. cit.

(٤) Ibid., P.79-80.

(٥) هلسه. أوراق، ص ٣٠-٣١.

(٦) Esco. *Palestine*, p39.

(٧) بازل : وتسمى أيضا بال وهي تقع على نهر الراين على مسافة ٦٩ كم شمال بيرن ويبلغ تعداد سكانها ١٧٤,٦٠٦. انظر - الموسوعة العربية العالمية (ط١، الرياض: مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر، ١٩٩٦)، ج٤، ص ٩٠.

(٨) صابر عبد الرحمن طعيمة. *اليهود بين الدين والتاريخ*، (ط١، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٢)، ص ٦٤٤.

(٩) Esco . *Palestine*, P.40 .

وتوالى الكلمات في هذا المؤتمر حتى انتهى. ويمكن تلخيص نتائج المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة
'بازل' بما يلي:

- ١- خلاص الشعب اليهودي المشتت من الاضطهاد وعداء اللامسامية.
- ٢- جمع الشعب اليهودي المشتت وتوحيده.
- ٣- تعزيز وتغذية شعور وعى اليهود بقوميتهم.
- ٤- استخدام جميع الوسائل لإنشاء الوطن القومي اليهودي.
- ٥- تنظيم الهجرة والعمل على تفعيلها.
- ٦- الحفاظ على الخصائص القومية للشعب اليهودي^(١).

ونلاحظ هنا موافقة المؤتمر على الوطن القومي دون الإشارة صراحة إلى 'فلسطين'، وذلك حتى لا يؤثر الأمر مخاوف الدولة العثمانية أو غضب اليهود المتشددين، إلا أن 'هرتزل' علق على ذلك بقوله: "لا داعي للاهتمام في تفسير النص لأن الناس حتما ستقرأ الدولة اليهودية"^(٢). كما قال: "لو طلب مني تلخيص مؤتمر بازل في كلمة لكانت هي، في بازل اسمت الدولة اليهودية"^(٣). ويمكن إجمال قرارات المؤتمر الصهيوني بأنه سجل أن هدف الصهيونية هو إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وبذلك أصبح ثيودور هرتزل بلا منازع أبو الصهيونية بعد أن أوجد المنظمة الصهيونية العالمية^(٤).

ولقد أنتخب 'هرتزل' في هذا المؤتمر رئيسا للحركة الصهيونية، وأنتخب 'ماكس نوردو' (Max Nordou) نائبا للرئيس، وقام 'دافيد وولفسن' (David Wolffsohn) بتصميم العلم الذي حاز على قبول المؤتمر كعلم وطني لليهود، ويتكون من اللون الأبيض وخطين من اللون الأزرق، ترمزان إلى شال الصلاة اليهودية (Tallish)، وفي وسطه النجمة المعروفة بدرع داود، ثم اختار المؤتمر النشيد الوطني للحركة الصهيونية، وهي قصيدة من مؤلفات الشاعر اليهودي 'نفتالي هيرز إمبر' (Nephtali Herz Imber) وهي بعنوان 'الأمل' (Hatikvah (The Hope)^(٥).

وبعد المؤتمر الصهيوني الأول، تم الاتفاق على عقد المؤتمر الصهيوني الثاني الذي عقد فعلا في 'بازل' ١٨٩٨ في ظل الشعار الذي أطلقه 'هرتزل' عن ضرورة اكتساب الجماعات اليهودية في العالم وكسب ولائها للحركة الصهيونية (Conquest of the Jewish Communities)، ولقد قرر هذا

(١) Esco. Palestine, p.40-41.

ابراهيم الشريفي، اورشليم وأرض كنعان، حوار مع أنبياء وملوك إسرائيل، (لندن: مؤسسة الدراسات الدولية ١٩٨٥)، ص ٢١٥؛ اسحق جريغليم، الحركة الصهيونية، ترجمة، جودت السعد، (ط١، إريد: دار الجاحظ، ١٩٨٤)، ج ٢، ص ٩.

(٢) Ibid., p41.

(٣) أنيس صايغ (اعداد)، يوميات هرتزل، ترجمة، هيدا شعبان صايغ (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية-مركز الأبحاث، ١٩٦٨)، ص ٨٩؛ محمد علي إسليم، تاريخ الاستيطان الصهيوني في فلسطين، (دط، دب: دتا)، ص ١٠٤.

(٤) Zeev. Theoder, p.407.

(٥) Esco. Palestine, p.42.

المؤتمر السماح لكل ٤٠٠ يهودي من دافعي الضريبة الصهيونية 'الشيكل' بإرسال مندوب عنهم إلى جلساته وجمعيته العامة، كما انتخبت لجنة خاصة لتشرف على تأسيس 'المصرف اليهودي الاستعماري' (Jewish Colonial Bank)، كما أعرب 'هرتزل' في هذا المؤتمر عن رفضه للنشاط الاستعماري القائم على التسلل خلسة إلى 'فلسطين' (Infiltrate Colonization) بدلا من الذهاب إليها بصورة منظمة^(١).

أما المؤتمر الصهيوني الثالث الذي عقد في 'بازل' في الفترة من (١٥-١٨ آب ١٨٩٩) فقد تم تأسيس صندوق يهودي استعماري تحت اسم 'صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار' (Jewish Colonial Trust) من أجل تمويل النشاطات الاستيطانية في فلسطين والبلاد المحيطة، وتأمين الخدمات المالية التي تحتاجها الحركة الصهيونية، وقد عقد هذا المؤتمر في ظل غياب الذين عارضوا صهيونية هرتزل السياسة لاعتبارات عقائدية^(٢).

وفي المؤتمر الصهيوني الرابع المنعقد في 'لندن' في الفترة من (١٣-١٦ أغسطس ١٩٠٠) بحضور ما يزيد عن ٤٠٠ مندوب فقد شغلته المسائل التالية^(٣):

١- اشتداد حدة النزاع حول المسألة الثقافية بين اليهود الأرثوذكس المتدينين، وبين دعاة الاتجاه العلماني مما حدا 'هرتزل' إلى مناقشة الجميع طرح الخلافات جانبا والتركيز على الأهداف المشتركة. وكان اشرجنبرج (Asher Ginsberg) الملقب 'أحاد هاعام' قد شن حربه الصحفية على مؤتمرات الحركة الصهيونية السابقة واتهم 'هرتزل' و'توردو' بإهمال الجانب الثقافي الذي كان يرى في إحيائه الضمان الوحيد ضد الاندماج، وقد أبدى خشية من أن تؤدي الحملة الدبلوماسية إلى إجهاد العمل والحركة الصهيونية قبل الأوان^(٤).

٢- قضية بث الدعاية الصهيونية في مختلف الأوساط.

٣- الأموال التي يعلقها 'هرتزل' والحركة الصهيونية على بريطانيا.

٤- إعداد مسودة لمشروع إنشاء 'الصندوق القومي اليهودي' (Jewish National Fund- Keren Kayemeth)^(٥).

وفي المؤتمر الصهيوني الخامس المنعقد في 'بازل' (٢٠ كانون أول ١٩٠١) تأسس 'الصندوق القومي اليهودي'، وتخلل هذا المؤتمر نقاش حول المسألة الثقافية وبحث إمكانية إنشاء جامعة عبرية، وظهرت المعارضة داخل الحركة على شكل الجناح الديمقراطي الذي تزعمه 'حاييم وايزمن' (Chaim

(1) The Jewish Ency. Vol.12, p.676.

(2) Ibid., p. 676-677.

(3) Ibid., p.677.

(4) Hilewitz, "Ahad Ha-am", p.447 ; Cohen. Zion, p.68.

(5) The Jewish Ency Vol, p.678-682.

(Weizmann) و'مارتن بوبر' (Martin Bubeer) وغيرهما، وتقرر في هذا المؤتمر عقد المؤتمر الصهيوني كل عامين، في حين استأثر الخلاف بين المتدينين و العلمانيين بنصيب وافر من الاهتمام، وتعلت الأصوات مطالبة بإقامة التعاون مع جميع الجمعيات الاستعمارية اليهودية اللاصهيونية، للمباشرة بشراء الأراضي في 'فلسطين' على أوسع نطاق؛ على أن تستخدم الأموال المتوفرة في الصندوق القومي لهذه الغاية (١).

وفي المؤتمر الصهيوني السادس في 'بازل' (٢٣-٢٨ آب ١٩٠٣) جرى البحث في العرض المقدم من الحكومة البريطانية باستعمار 'أوغندة'، واتسعت شقة الخلافات بين الذين أطلقوا على أنفسهم 'صهيوني صهيون' (Ziyyone - Zion) ورفضوا القبول بأي بديل عن 'فلسطين'، وخرج المعارضون من المؤتمر، وألفت لجنة 'فلسطين' وتقرر إنشاء شركة أنجلو فلسطين (Anglo - Palestine Company) في 'إيفاء' لتعمل كفرع من فروع صندوق الائتمان لليهودي للاستعمار (٢).

وحين عقد المؤتمر الصهيوني السابع في ٢٧ تموز ١٩٠٥ في 'بازل' كان 'هرتزل' قد توفي ودب الخلاف في الحركة الصهيونية على مشروع 'أوغندة' (٣). وكان من المتوقع في المؤتمر السابع أن يرث 'ماكس نوردو' الوارث الطبيعي لهرتزل زعامة الحركة الصهيونية، لكنه أبعد نفسه عن ذلك الأمر وجرى انتخاب 'دافيد وولفسون' (David Walfson) لرئاسة المنظمة الصهيونية (٤).

أما المؤتمر الصهيوني الثامن المنعقد في آب ١٩٠٧ في 'لاهاي' فقد اشتهر فيه الخلاف بين الصهيونية العملية والصهيونية السياسية، حيث نوقش هذا الأمر واستحوذ على كافة المواضيع الأخرى، وتولى 'حاييم وايزمن' مناقشة الأسس الفكرية لكلا الطرفين، وتم الاتفاق على ضرورة ازدواج العمل في كلا الجانبين، وبذلك ابتكر 'وايزمن' لفظ 'الصهيونية التركيبية' (Synthetic Zionsm) (٥). ويمكن القول أن نتائج مؤتمرات الحركة الصهيونية تمحورت حول اتخاذ كافة السبل والوسائط من أجل إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

٢- السلطان عبد الحميد والصهيونية.

كانت الحركة الصهيونية قد وضعت نصب عينها القيام باتصالات لكسب تأييد الدول الكبرى ذات التأثير على المستوى الدولي من أجل تحقيق أهدافها، ولقد ولّى 'هرتزل' وجهته أولاً نحو ألمانيا، وذلك بسبب ما احرزته من نفوذ عظيم في الشؤون الدولية، وبسبب العلاقة الوطيدة التي كانت بين القيصر

(١) The Jewish Ency.P. 678-682.

(٢) Ibid ., 678.

(٣) Ency Judaica , Vol. 16,P.1073.

(٤) Loc. cit

(٥) Chaim Weizmann. Trial and Error, (West port- Connecticut: Green Wood Press, Publishers, 1972) p.122 - 123; Esco .Palestine, p.48.

الألماني 'وليام الثاني' (German Kaiser William II) مع السلطان 'عبد الحميد الثاني'، إلى جانب ميول 'هرتزل' الألمانية، لذلك فقد قام 'هرتزل' بإرسال أكثر من برقية إلى 'دوق بادن الأكبر' (Grand Duke of Baden) يطلب منه فيها التوسط لدى القيصر الألماني 'وليام الثاني'، ولقد رد 'دوق بادن' إيجابياً بترحيبه بالأفكار الصهيونية، ووعد ببذل جهوده في سبيل ذلك^(١).

وكان 'هرتزل' قد تلقى من 'دوق بادن' تطمينات أثناء زيارة هرتزل له في ٩ تشرين أول ١٨٩٨ إذ أبلغه أن القيصر الألماني متحمس للمشروع الصهيوني، لذلك فقد قررت اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية إرسال وفد إلى 'استانبول' لمقابلة القيصر الألماني، وكان الوفد برئاسة 'هرتزل' وعضوية الناجر 'دافيد وولفسون' (David Wolfsohn) وأستاذ القانون 'ماكس بوندنهايمر' (Max Bodenheimer) والمهندس 'جوزيف زايدنر' (Joseph Seidener) والطبيب 'موسى شينرر' (Moses Schnirer) وسافر الوفد في ١٤ تشرين أول إلى العاصمة لثمانية^(٢). وفي ١٨ تشرين أول ١٨٩٨ استطاع الوفد الصهيوني أن يقابل القيصر الألماني في استانبول، وقال القيصر المزهو بنفسه 'لهرتزل': "... فقط أخبرني بكلمة، ماذا تريد أن أطلبه من السلطان. شركة قانونية تحت الحماية الألمانية"^(٣).

ورغم أن 'فون بولو' (Von Bülow) -وزير خارجية ألمانيا الذي كان يعرف بعدائه لليهود-، حاول الضغط على القيصر الألماني، بأن يجعله متحفظاً مع 'هرتزل' محاولاً إقناعه أن الصهيونية تعتبر تهديداً لسيادة الدولة العثمانية وأن تأييد ألمانيا لخطة 'هرتزل' لا يتفق مع سياستها التقليدية في المحافظة على وحدة الإمبراطورية العثمانية، إلا أن الإمبراطور أثر السبيل في مسعاه هذا بخصوص عرض أفكار 'هرتزل' الداعية إلى إنشاء شركة ذات امتياز تحت الحماية الألمانية^(٤).

وكان 'هرتزل' قد أبلغ عن رغبة القيصر في مقابلته في الأراضي المقدسة، وذلك عن طريق 'فيليب إيلنبرج' (Philp Eulenburg) السفير الألماني في النمسا بتاريخ ٢١ أيلول ١٨٩٨^(٥) وتم ذلك الأمر في 'القدس' في ٢ تشرين ثاني ١٨٩٨، حيث كان القيصر الألماني يمتطي جواده بزهو وأمامه 'هرتزل' وأعضاء الوفد يقفون في ذلة وحشوع، وقال القيصر ما يلي: "أشكركم على هذا الاتصال بي الذي أثار اهتمامي كثيراً. والمسألة على كل حال تحتاج إلى دراسة تامة مطولة. إن المستعمرات التي رآيتها الألمانية منها وتلك التي قام بها شعبكم، تبين تماماً ما يمكن عمله بخصوص الأرض. والبلاد تتسع للكل. فقط عليكم أن تؤمنوا

(١) Zeev Theodor, p. 412, Friedman Germany, p. 56-61

(٢) على محافظة. العلاقات الألمانية الفلسطينية من إنشاء مطرانية القدس البروتستانتية حتى الحرب العالمية الثانية ١٨٤١-

١٩٤٥ (ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٨١)، ص ١٤٧-١٤٨.

(٣) صابغ يوميات، ص ١١٥؛ أنظر أيضاً: روجيه جارودي. فلسطين أرض الرسالات السماوية، ترجمة، قصي ألتاسي -

ميشيل واكيم، (ط١، دمشق: طلاس للدراسات والترجمة، ١٩٨٨)، ص ١٩٥.

(٤) أوكه. السلطان، ص ٧١؛ هلسة. لوراق، ص ٣٨.

(٥) Zeev Theodor, p. 414.

الماء والأشجار . وعمل المستعمرين هو حافظ ومثل لأهل البلاد . إن حركتكم هذه التي أعرف عنها الكثير فيها رأي صائب^(١).

ولقد علق 'هرتزل' على نتائج هذه المقابلة بقوله : " لم يقل نعم ، ولا قال لا ، يبدو أن أموراً كثيرة تحدث خلف الستار "^(٢) وربما يرجع موقف القيصر الألماني من الحركة الصهيونية إلى ما يلي :

١- أن ألمانيا لم تأخذ مشروع هرتزل والحركة الصهيونية مأخذ الجد ، وإلى رغبتها في عدم إغضاب السلطان العثماني الذي فتح أبواب الدولة العثمانية للنفوذ الاقتصادي والعسكري الألماني .

٢- كان لموقف أغنياء اليهود السليبي من الحركة الصهيونية أثره في موقف ألمانيا من الحركة الصهيونية .

٣- الضغوط التي تعرض لها القيصر الألماني من مستشاريه ، ومنهم وزير الخارجية الذين أوضحوا أن هذا الأمر من شأنه إثارة المشاكل مع 'فرنسا' و'إنجلترا' ، و'روسيا' ، حيث سيفسرون الحماية الألمانية للشركة ذات الامتياز على أنه محاولة للتدخل والسيطرة على الأراضي العثمانية^(٣).

ورغم صعوبة موقف تيودور هرتزل ، إلا أنه لاقى ما يثلج قلبه ، ذلك أنه لاقى استقبلاً حاراً من جانب المستوطنين لليهود في المستعمرات اليهودية مثل 'مكفيه اسوائيل' (Mikveh Israel) و'ريشون لثيسيون' (Rishon Lezion) و'نيس زيونا' (Nes Ziyonah) و'رحوفوت' (Rohovot)^(٤) .

ومهما يكن من أمر فقد عمل 'هرتزل' على متابعة اتصالاته لمفاوضة أصحاب الشأن والحكام الفعلين على 'فلسطين' ، وهي الدولة العثمانية ممثلة بسلطانها 'عبد الحميد الثاني' ، لذلك فقد بدأ فعلياً بالقيام باتصالات جديدة ، ولهذا الهدف زار 'هرتزل' 'استانبول' من ١٨٩٦-١٩٠٢ خمس مرات نجح في إحداها أن يقابل السلطان بعد أكثر من خمس سنوات على الاتصال^(٥) .

كان هرتزل قد اتصل بصديقه اليهودي 'نيولنسكي' (Newlinski)^(٦) الذي كان أيضاً صديقاً للسلطان 'عبد الحميد' ، وكان رد السلطان كما سجل 'هرتزل' في يومياته على لسان صديقة 'نيولنسكي' بتاريخ ١٩ حزيران ١٨٩٦م : " بأن لا يسير أبداً في هذا الأمر ، لا أقدر أن أبيع ولو قدماً واحداً من البلاد ، لأنها ليست لي بل لشعبي ، ولقد حصل شعبي على هذه الإمبراطورية بإقامة دمائهم وقد غدوها فيما بعد بدمائهم ، وسوف نغطيها بدمائنا ، قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا ، لقد حاربت كتيبتان من جيشنا

(١) صايغ . يوميات ، ص ١٢١ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٢٣ ، أنظر Zeev, Theodor , p.414 .

(٣) محافظة . العلاقات ، ص ١٥٢ ، ١٥٤ .

(٤) The Jewish Ency, Vol. 12, p.677 .

(٥) عبد العزيز محمد عوض . مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث ١٨٣١-١٩١٤ ، (ط١) ، بيروت : المؤسسة العربية

للدراستات ، ١٩٨٣ ، ص ٢٨ .

(٦) فيليب مايكل دي نيولنسكي (١٨٤١-١٨٩٩) صحافي و عميل سياسي . نمساوي من أصل بولندي ، عمل مسؤولاً عن الإدارة السياسية في السفارة النمساوية في القسطنطينية و أصبح صديقاً للسلطان عبد الحميد . ترك العمل الدبلوماسي ١٨٧٩ ، وأقام في باريس كصحافي . في ١٨٧٧ أسس وكالة أنباء في فيينا ، وأصدر صحيفة 'يريد الشرق' اليومية - أنظر . سمير أيوب . وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني ، (بيروت : دار الحديث للطباعة ، ١٩٨٤) ج ١ ، ص ١٢٨ .

في سورية، وفي فلسطين، وقتل رجالنا الواحد بعد الآخر في بلفنه لأن أحداً منهم لم يرض بالتسليم، وفضلوا أن يموتوا في ساحة القتال. الإمبراطورية [العثمانية] ليست لي، وإنما للشعب [العثماني] . لا أستطيع أبداً أن أعطى أحداً أي جزء منها، ليحتفظ اليهود ببلايينهم فإذا قسمت الإمبراطورية، فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل، إنما لن تقسم إلا جثتنا ولن أقبل بتشريحنا لأي عرض كان" (١) .

ومع أن هذا الرد كان كافياً لهرتزل ليتراجع عن آماله التي تحذوه تجاه السلطان 'عبد الحميد'، إلا أنه لم يفقد الأمل في تحقيق حلمه، وحلم الحركة الصهيونية إذ أراد أن يغري السلطان 'عبد الحميد' مجدداً في عروضه فأضاف اقتراح إعادة جزيرة قبرص 'من إنجلترا' إلى السيادة العثمانية، إضافة إلى بذل الجهود لحل قضية الأرمن، بحيث يحشد جهود الصحافة اليهودية في أوروبا، لتوجيه المشاعر عن الموقف الأوروبي تجاه قضية الأرمن ، كما عرض التوسط لإقامة هدنة بين الدولة العثمانية واللجان الثورية الأرمنية، لهذا فقد اجتمع 'هرتزل' فعلياً مع 'تزلريك' - أحد قادة هذه الجمعية - في لندن، وحاول أن يقنعه بتسوية نزاعهم مع الباب العالي بالطرق السلمية، لكن زعيم 'الهنتشاك' (Hintchak) كان يرتاب في دوافع هرتزل، فظنوا أن العثمانيين والحركة الصهيونية قد أقنعوا الدول العظمى، بتأجيل الإصلاحات في أرمينيا، مقابل إقامة دولة يهودية ذات حكم ذاتي في 'فلسطين'، بل وصل الأمر بالمنظمات الأرمنية الثورية أن هاجمت اليهود لمغازلتهم للسلطان 'عبد الحميد' (٢) .

وفيما بعد نجح 'هرتزل' في تحديد موعد بواسطة صديقه المستشرق المجري 'أرمينيوس فامبري' (Armenius Vambery) الذي كان صديقاً شخصياً للسلطان، لذلك فقد شد 'هرتزل' الرحال إلى استانبول، وكانت تلك زيارته الثالثة لها، وقد نبهه صديقه 'فامبري' إلى أن السلطان سيستقبله؛ ولكن كصحفي متنفذ يعمل في صحيفة 'نيو فراي برس'، وليس كزعيم للمنظمة الصهيونية العالمية (٣) .

وبهذا فقد قرر اللقاء الفعلي بين 'هرتزل' والسلطان 'عبد الحميد' في ١٨ أيار ١٩٠١م، حيث قابل 'هرتزل' السلطان لمدة ساعتين واقترح خلالها تقديم مقترحات لتحسين الوضع المالي للدولة (٤) وكان المبلغ الذي عرضه هرتزل هو ١,٥٠٠,٠٠٠ جنية استرليني يتلقاها السلطان 'عبد الحميد' حال موافقته على إقامة وطن قوي لليهود في 'فلسطين'، وتسهيل الهجرة إليها (٥)

ويذكر 'مصطفى طوران' بعضاً من الحوار الذي دار بين السلطان 'عبد الحميد' و'هرتزل'، حيث بادر 'هرتزل' بالقول: "مولانا صاحب الشوكة جلالة السلطان،

(١) صايغ. يوميات ص ٣٥ ؛ انظر - مندل . مؤلف ص ٢٥ .

- انظر النص الإنجليزي في Friedman . Germany p.93 .

(٢) صايغ. يوميات ص ٣١-٣٣، ٤٠ ؛ انظر - أوكه . السلطان ، ص ٥٢ .

(٣) Esco. Palestine, p.42 ; Friedman. Germany, p.96-99، ص ١٧٢ صايغ. يوميات

- أحمد نوري النعيمي. اليهود والدولة العثمانية (ط١، دمشق: مؤسسة الرسالة للنشر، ١٩٩٧) ص ١٣٩ .

(٤) Zeev. Theodor , p.414 .

(٥) Arthur Soul Super. The Story of Theodor Herzl (London : Vallentine, Mitchall . 1960) p. 134

لقد وكلنا عبيدكم اليهود بتقديم أسمى آيات التبجيل والرجاء، وعبيدكم المخلصون اليهود، يقبلون السراب الذي تدوسونه، ويستعطفونكم للهجرة إلى فلسطين المقدسة، ولقاء أوامركم العالية الجليلة نرجو التفضل بقبول هديتهم خمسة ملايين ليرة ذهبية" (١). وحيث أن السلطان عبد الحميد كان مطلعاً بشكل جيد على قرارات المؤتمرات الصهيونية فقد رفض بشدة العرض الصهيوني وقام بطرده وفدهم، في الوقت الذي كان فيه 'هرتزل' يعي جيداً أنه لا وزن له ولا لليهود عند السلطان 'عبد الحميد' (٢).

أما المؤرخ 'يلماز أوزتونا' فيذكر هذه الحادثة بقوله: " عرض هرتزل طلب قبول المهاجرين اليهود إلى فلسطين، مفيداً أن الدولة العثمانية قبلت في القرن الخامس عشر اليهود المطرودين من أسبانيا والبرتغال، وأن رئيس الحاخاميين في استانبول قد ابلغه بأن القطر الوحيد الذي لم يضغط فيه على اليهود على وجه الأرض هو الدولة العثمانية. وأضاف إلى ذلك أن المهاجرين اليهود الذين سيسقطون في الأراضي الخالية سيكونون من رعاياها الجيدين، وأنه يتكلم نيابة عن يهود العالم أجمع، وأن مساندة يهود العالم ستكون بجانب الدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد، وسوف يقدم للسلطان في الحال عدة ملايين من الليرات الذهبية كضريبة ودين عرفان. استمع السلطان عبد الحميد لهذا الصحفي الذي تجاسر على تغليف تقديم الرشوة له بمهارة. كان يعلم من هم الذين وراءه، ومن بينهم أصحاب البنك الملي (الوطني) الإنجليزي روتشيلد. أدرك في الحال أن قصد اليهود هو تأسيس وطن لهم في فلسطين وليس السكن، وفور تحقيق أكثرية سكانية سيطلبون الاستقلال الذاتي، ويحتمل الاستقلال التام، مستعدين على الدول الأوروبية ... لذلك أخرج هرتزل من حضرته بشكل عنيف، تاركاً طبعه المعتاد في اللطف، لا لطلبه، بل لعرضه المغلف للرشوة" (٣).

ولقد أكد السلطان 'عبد الحميد' في مذكراته الخطر التي قد تشكله الحركة الصهيونية فقال: " لليهود قوة في أوروبا أكثر من قوتهم في الشرق، لهذا فإن أكثر الدول الأوروبية تحبذ هجرة اليهود إلى فلسطين لتتخلص من العرق السامي الذي زاد كثيراً، لكن لدينا عدد كاف من اليهود، فإذا كنا نريد أن يبقى العنصر العربي متفوقاً؛ علينا أن نصرف النظر عن فكرة توطين المهاجرين في 'فلسطين' ... " لن يستطيع رئيس الصهاينة هرتزل أن يقنعني بأفكاره ... إنه يسعى لتأمين أرض لإخوانه اليهود الصهاينة بممارسة الزراعة في فلسطين" (٤).

ولقد كتب 'حسام الدين أرتورك' عن صديقة ملازم أول خياله 'زينون دبره لي' (Zinun Dubrali) -الذي كان يقوم على حراسة السلطان أثناء خلعه في قصر بكلربكي- أن السلطان عبد الحميد حدثه بقوله: " جاءني في أحد الأيام ثيودور هرتزل مؤسس المنظمة الصهيونية العالمية مع رئيس

(١) طوران . أسرار ، ص ١٦-١٧.

(٢) خلف الله . بين هرتزل ، ص ٣٦ .

(٣) أوزتونا . تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٥٧-١٥٨ .

(٤) عبد الحميد الثاني . مذكراتي ، ص ٣٤-٣٥ .

الحاخامين ، وذلك من أجل غاية صهيونية، وقبلت الزيارة للاستماع إليهم لمعرفة مقاصدهم، فكان طلبهم هو وطن لليهود وكانوا يقترحون القدس لذلك، حتى أن ثيودور هرتزل قال بلا خجل احب أن أعرض لجلالتكم بأننا مستعدون لتقديم الملايين التي ترونها مناسبة من الذهب حالا من أجل القدس، وشعرت بأن الدم يطفئ إلى رأسي ... تأمل لقد وصلت الجراة بهذين اليهوديين إلى عرض الرشوة في مقام سلطنتنا وصرخت بهما، أخرجنا من هنا حالا، ان الوطن لا يباع بمال، وعندما دخل رجال القصر أمرتهم بإخراجهما، ومنذ ذلك الوقت ناصبني اليهود العداء" (١).

لقد ظهرت المشكلة اليهودية في معظم أقطار أوروبا، بسبب ما تعرض إليه اليهود من اضطهاد ومذابح فيها، لذلك فقد أصبحت هذه المشكلة مشكلة أوروبية بحثة، ثم أرادوا إلقاء هذه المشكلة على عاتق الدولة العثمانية... دولة المشاكل (٢).

ظل 'هرتزل' يحاول الاتصال من جديد مع السلطان 'عبد الحميد' بواسطة السفراء وموظفي الدولة العثمانية، حيث دعى 'هرتزل' فيما بعد في شباط ١٩٠٢، وهذه المرة ضيفا على السلطان مع انه لم يلتقيه، وقد عرض عليه السلطان عبر مستشاريه، استيطان اليهود في بلاد ما بين النهرين (العراق) مقابل تعزيز الموقف المالي للدولة، وقد تم استثناء فلسطين بشكل خاص من العرض (٣) وبشرط أن لا يقيم اليهود معا، بحيث يتفرقوا في أماكن مناسبة تحدها لهم الحكومة العثمانية، التي ستقوم بمنحهم سلطات التصرف، وحيث أن هذا العرض لا يحقق آمال 'هرتزل' فقد تم رفضه (٤).

كانت الزيارة الأخيرة لهرتزل في ١٩٠٢/٧/٢٥، حيث قرر السلطان أن يلعب بورقة 'هرتزل' المالية لأنه كان على وشك الدخول في مفاوضات مالية مع 'فرنسا'، وفيها عرض 'هرتزل' استيطان 'العراق' مضافا إليها 'حيفا' وضواحيها، ثم عرض 'هرتزل' مبلغا كبيرا من المال، وهذا المبلغ بشكل طبيعي لن يكون أقل مما عرضه 'هرتزل' اول مرة (٥).

ورغم ذلك لم يقطع السلطان وعدا بأي شئ غير ما أشار إليه وأكد عليه في المرة السابقة، حيث تم إحالة 'هرتزل' إلى حاشيته التي أجابته بمثل ما أجابه السلطان، بأنه يمكن للإسرائيليين أن يستقروا في الدولة العثمانية، شرط أن يكونوا متفرقين في أماكن تعينها الحكومة، وبشرط تحديد عددهم مسبقا ويعطون الجنسية العثمانية، ويسألون عن جميع الضرائب المدنية، بما فيها الخدمة العسكرية، كما أنهم سيكونون خاضعين لجميع القوانين كما بقية مواطني الدولة العثمانية تماما (٦). ولقد رفض 'هرتزل' عرض السلطان 'عبد الحميد'، لكن السلطان 'عبد الحميد' انعم على هرتزل 'بالنيشان المجيدى'، وذلك بناء على التماس

(١) محمد علي . السلطان، ص ٢٨٨ ؛ حرب . السلطان ، ص ٨٧-٨٨.

(٢) أوزتونا. تاريخ، ج ٢، ص ١٥٨.

(٣) Zeev. Theodor, p.414. ٢٠٩-٢١٠. انظر صانغ. يوميات، ص ٢٠٩-٢١٠.

(٤) أوكه . السلطان ، ص ٥١-٥٢

(٥) محمد علي . السلطان ، ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٦) المرجع نفسه. ص ٢٥٥-٢٥٦.

من هرتزل ليمنحه ذلك النيشان الذي يعتبر من مرتبة رفيعة، وذلك ليخدع المتصلين به فقال: "إذا رفض السلطان أن يستقبلني فليعطني على الأقل دليلا مرثيا على انه بعد ان استمع إلى مقترحاتي ورفضه، فإنه لا يزال يريد ان يبقّي على نوع من العلاقة بيننا مثلا وساما من رتبة عالية ليبرهن على هذا ... انني لم أهتم يوما بالأوسمة، ولا أهتم بها الآن ولكني أريد شاهدا امام من أتعامل معهم في لندن، على أنني حنوت قبولا لدى السلطان ..."^(١).

ويمكن إجمال ما دار بين 'هرتزل' والسلطان 'عبد الحميد' " بأنه جاءت شخصية صهيونية يهودية كبيرة نمساوية إلى استانبول وطلبت إقامة وطن يهودي في سنجق القدس، وقالت هذه الشخصية أنها تتحدث في هذا باسم الصهيونية، وان 'روتشيلد' المصرفي المشهور وراء هذا الأمر ... ورأى السلطان مجموعة موانع في هذا، ففلسطين بمقاماتها المباركة تشكل ارضا للمطامع والطموحات السياسية، وعناد الصهيولي النمساوي إلى بلاده صغر اليدين"^(٢).

* الهجرة اليهودية إلى فلسطين

كان اليهود منذ بداية هجرتهم الأولى يزعمون أن مهاجرينهم لا ييغون من سكنهم في هذه الأراضي المقدسة إلا ممارسة طقوسهم الدينية، وإحياء تقاليدهم الروحية، وذكرياتهم التاريخية لذلك فقد قوبلوا من قبل السلطات العثمانية ومن سكان 'فلسطين' بروح التسامح والود والعطف وعدم الاكتراث بأي خطر قد ينشأ عن هؤلاء المهاجرين^(٣).

استمرت الهجرة غير المنظمة في وقت سابق على شكل جماعات لم تكن لتأخذ شكلا سياسيا منتظما، بل امتازت بالعفوية، لكنها كانت فيما بعد اللبنة الاولى في سبيل هجرة منتظمة ودائمة، حيث قلم هؤلاء اليهود باستملاك الأراضي؛ لأن قانون الأرض العثماني الصادر عام ١٨٥٧ كان متحررا لدرجة لا تكفي لمنع اليهود من اكتساب الممتلكات في 'فلسطين'، وكان نص القانون يؤكد على ان رعايا الحكومات الأجنبية يسمح لهم بميزة تملك الممتلكات في داخل وخارج المدن في كل جزء من الدولة العثمانية باستثناء ارض الحجاز، ويكون لهم هذا الحق بدرجة متساوية مع الرعايا العثمانيين^(٤).

وقد استغل المهاجرون اليهود هذا الأمر بشكل فعلي حيث أن معظم هؤلاء الذين وصلوا 'فلسطين' قاموا بطلب الحماية الأجنبية، وكانت 'انجلترا' هي اول من وضع اليهود تحت جناح حمايتها، وتقريراً للواقع فإن دعاوى انجلترا في حماية المهاجرين اليهود ترجع إلى منتصف القرن التاسع عشر حينما أعلن

(١) ليلي عبد اللطيف احمد. موقف الدولة العثمانية من مطامع اليهود في فلسطين (ط١، القاهرة : دار الكتاب الجامعي،

١٩٨٧)، ص ٣٨.

(٢) حرب. العثمانيون، ص ٣٧-٣٨.

(٣) تلحوق. الصليبية، ص ٩٣.

(٤) أوكه. السلطان، ص ٧٥.

'بالمرستون' ^(١) في عام ١٨٤٧ أنه حيثما يوجد نمساوي أو روسي أو فرنسي، أو أي يهودي آخر يعاني من الاضطهاد أو الظلم، وتبرأت منه بلده ورفض قتضله أن يعطيه الحماية؛ فإن القنصل البريطاني في 'فلسطين' مخول بأن يتدخل لصالح اليهود بصفة عامة ^(٢).

وفيما بعد فقد منع الباب العالي في ١٩ حزيران ١٨٦٩ تجنس الرعايا العثمانيين بجنسية أجنبية تحت حماية حكومات أجنبية، بمعنى هذا أن الرعايا العثمانيين الذين يحصلون على الجنسية من أي مكان لن يمنحوا حقوق الامتيازات الأجنبية إذا أرادوا أن يعيشوا في الدولة العثمانية، لذلك فقد ناقشت السلطات الحكومية أنه بما أن المهاجرين الجدد بقدر ما يدعون أنهم تنجسوا بجنسيات أخرى أوروبية وأمريكية، فإنهم بذلك قرروا العيش والاستقرار في الدولة وبهذا يكونوا خاضعين لقوانين البلد في ظل النظام المالي ^(٣).

ولقد هيا كبار رجالات اليهود الظروف فيما بعد لجعل الهجرة وشراء الاراضي أكثر تنظيماً، لذلك فقد انشئوا أجهزة ومؤسسات تنظم الهجرة وشراء الأراضي وكان من بين تلك الأجهزة التي تسالت الى فلسطين 'منظمة الاستعمار اليهودي' في 'فلسطين'، وقد أنشأها المليونير الفرنسي 'اموند دي روتشيلد' سنة ١٨٨٢، وكانت تعمل على تقديم الاموال لليهود الراغبين في الهجرة إلى 'فلسطين' وشراء الأراضي وإنشاء المستعمرات عليها ^(٤).

ولقد حدثت موجات من الهجرة المنظمة، كانت الأولى عام ١٨٨٢ واستمرت حتى عام ١٩٠٤ وذلك عقب المذابح التي تعرض لها اليهود بسبب مشاركتهم في اغتيال القيصر الروسي 'الاسكندر الثاني' ^(٥). ورغم أن جميعه 'أحباء صهيون' قد حصرت شؤون عملها في الهجرة، إلا أن الأرقام تثبت ضالة عملها وذلك بأن معظم العشرين ألف يهودي الذين كانوا قد تركوا 'روسيا' بسبب تلك المذابح قد توجهوا الى الولايات المتحدة وأوروبا الغربية، أما نسبة الذين توجهوا الى 'فلسطين' فلم يتجاوز ٢% ^(٦). وكانت حركة 'أحباء صهيون' قد طلبت في نيسان ١٨٨٢ من القنصل العثماني العام في 'أودسا' في 'روسيا' منح الزائرين اليهود تأشيرات دخول إلى الدولة بغرض الاستيطان في فلسطين لكن العدد الهائل من المهاجرين أثار انتباه القنصل العثماني فأبرق إلى الباب العالي يطلب أن يزوده بالتعليمات

(١) بالمرستون؛ سياسي انجليزي شهير ولد سنة ١٧٧٤. اتم دراسته في مدرسة كامبردج العليا وانتخب في مجلس العموم سنة ١٨٠٦ وانضم إلى حزب العمال، وفي ١٨٣٧ تحول عنهم وانخرط في صفوف المحافظين وأصبح وزيراً للخارجية من سنة ١٨٣٠-١٨٤١ ومن ١٨٤٦-١٨٥١ وأخيراً من ١٨٥٩ حتى وفاته سنة ١٨٦٣ واشتهر بمقاومته لتوسع محمد علي باشا - انظر المحامي. تاريخ، ص ٤٥٩.

(٢) أوكه. السلطان، ص ٥٧.

(٣) المرجع والصفحة نفسها.

(٤) الحوت، فلسطين، ص ٢٣٥.

(٥) المرجع والصفحة نفسها.

(٦) المرجع والصفحة نفسها.

اللازمة، فردت عليه الحكومة العثمانية في ٢٨ نيسان ١٨٨٢ بعدم السماح لليهود بالاستيطان في فلسطين^(١). لذلك فقد منعت السلطات العثمانية المهاجرين من دخول 'فلسطين' باستثناء الحجاج الذين جاءوا لزيارة الأماكن المقدسة، ولم يمض وقت طويل حتى وجد اليهود طرق عديدة للتحايل على القوانين العثمانية، حيث دخلوا 'فلسطين' كحجاج ثم يطيلوا فترة الزيارة ويطلبوا الحماية الأجنبية^(٢).

وفي ٥ آذار ١٨٨٣ صدر قانون آخر في محاولة لوضع حد لحصول المهاجرين اليهود الذين حصلوا على جنسيات الدول الأخرى من استملاك الأراضي في 'فلسطين'؛ وينص القانون على أن الأشخاص الذين غيروا جنسياتهم والذين ألغيت جنسياتهم العثمانية؛ يحرمون من حقوق امتلاك الأراضي في الدولة العثمانية^(٣).

كان متصرف القدس 'رؤوف باشا' ١٨٧٦-١٨٨٨ وهو رجل مستقيم لم تؤثر عليه الرشوة. 'البقيش' عندما علم أن القوات العثمانية يتم التحايل عليها، وأن هذا لا يتفق مع الغرض الحقيقي للدولة، أرسل إلى 'استانبول' يطلب المشورة ولقد جاءه الرد عام ١٨٨٤، حيث تقرر أن اليهود الحجاج يمكنهم دخول 'فلسطين' فقط إذا كان بحوزتهم جوازاتهم مؤشراً عليها من السفارات العثمانية من الخارج، وعند دخولهم يدفعون تأميناً لضمان رحيلهم بعد ثلاثين يوماً^(٤). وفي سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م صدرت ثلاث فرمانات سلطانية أصدرها السلطان 'عبد الحميد' كان الأول في ٢١ ذي القعدة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م ويقضي ببرد المهاجرين وطردهم إلى أمريكا لأنه من شأن ذلك إعادة إنشاء حكومة يهودية في القدس مستقبلاً^(٥). وأما فرمان الثاني فقد صدر في ٢٨ من ذي القعدة ١٣٠٨هـ/١٨٩٠م وهو يطلب عدم قبول اليهود لأن إسكانهم في 'فلسطين' أمر ضار^(٦).

أما فرمان الثالث فقد صدر في ٢٩ من ذي القعدة ١٣٠٨هـ ويؤكد على ما ورد في فرمانين السابقين؛ مؤكداً على أن اليهود ينوون بهجرتهم التدريجية والعمل بالزراعة إقامة دولة يهودية والإضوار بمصالح السكان الفلسطينيين^(٧). وفي تشرين ثاني ١٨٩٢ صدرت الأوامر لمتصرف 'القدس' إبراهيم حاجي باشا من إدارة تسجيل الأراضي أن يوقف بيع 'الأراضي الميري' (Arazi-i Miri) - وهي أراضي الدولة التي يتطلب نقل ملكيتها الحصول على تصريح رسمي - إلى اليهود حتى لو كانوا رعايا عثمانيين.

(١) عوض. مقدمة، ص ٤٨-٤٩؛ حسن صبحي. التآمر الصهيوني ضد الأمة العربية ١٨٨٢-١٩٦٧ (بيروت: دار

النهضة العربية، ١٩٦٨)، ص ٣٨.

(٢) أوكه. السلطان، ص ٧٢-٧٣.

(٣) المرجع نفسه، ص ٧٥.

(٤) انظر - أوكه. السلطان، ص ٧٢-٧٣؛ Friedman, Germany, p.41؛ (٥) حلاق. موقف، ص ٣٥٦.

(٦) المرجع والصفحة نفسها.

(٧) المرجع نفسه، ص ٣٥٧.

وفيما يختص بالأراضي الخاصة التي يملكها الأفراد كان من الصعب إن لم يكن من المستحيل وضع ضرائب على نقل الملكية، حيث أخبر مدير لجنة نقل ملكية الأراضي 'كمال الدين' السلطان 'عبد الحميد'، ان اليهود يدفعون للعرب ثلاثة أضعاف الثمن الحقيقي ليحصلوا على هذه الأراضي للاستيطان، ولكي يوقف السلطان 'عبد الحميد' هذا ؛ بدأ بشراء الأراضي المهددة بالبيع في فلسطين من جيبه الخاص^(١).

وفي ٢١ تشرين ثاني ١٩٠٠ لم تعد الدولة تأخذ تأميناً نقدياً كضمان لرحيل الزوار اليهود، وبدلاً من ذلك كان على كل اليهود بمن فيهم الرعايا العثمانيين ان يسلموا أوراقهم عند دخول 'فلسطين' ، وفي المقابل يتسلمون تصريح للإقامة فيها لمدة ثلاث شهور؛ وبسبب لون هذا التصريح أصبح اسمه 'التذكرة الحمراء' حيث يسلم الزوار الحجاج هذا التصريح عند الرحيل، وهكذا يمكن مراقبة المهاجرين الذين يزورون 'فلسطين'، وعليه تقوم السلطات العثمانية بتجميع البيانات مفصلة عن كل شيء لتتمكن من طرد الحجاج الذين انقضا مدة إقامتهم، وكان الموظفون الذين يفشلون في تطبيق القرارات بهذا الشأن يعاقبون بشدة^(٢).

ولقد عبر السلطان 'عبد الحميد' في مذكراته عن رفضه الهجرة اليهودية بقوله: " لكي نعمل على إسكان الأراضي الخالية من إمبراطوريتنا يتوجب تنظيم الهجرة بشكل مناسب، لكن لا يمكن القول بأن الهجرة اليهودية شكل مناسب، لقد مضى عهد دخول اتباع الأديان الأجنبية إلى مجتمعنا كما تدخل الشوكة في أجسادنا، ليس لنا أن نقبل في أراضينا إلا من كان من أمتنا، ومن شاركنا في معتقداتنا^(٣).
على كل لقد سارت الأمور بثلاث اتجاهات هي:

١- استمرار الهجرات اليهودية والإقامة غير الشرعية، وتجاهل القوانين العثمانية، وذلك عن طريق التفاوضي عن تسجيل المهاجرين في كشوف القادمين من قبل القائمين على منع الهجرة.

٢- استمرار السلطان عبد الحميد بإصدار القوانين، مما يؤكد مقاومته العنيفة لحركة الهجرة، وإن كانت الأمور تخرج من بين يديه بسبب فساد الكثير من رجاله في 'فلسطين'.

٣- قيام الأجانب بدور هام في الهجرة ونقل ملكية الأراضي، بسبب ما مارسوه من فرض للحماية على المهاجرين، مستغلين بذلك نظام الامتيازات الذي يتمتعون به.

وفي 'القدس' أعلن 'أحمد رشيد بك' متصرف القدس (١٩٠٤-١٩٠٦) تأييده الهجرة اليهودية بشكل علني غير عابئ بالقوانين العثمانية واستتكار السكان المحليين لهذه السياسة، حيث تم استبدله عام ١٩٠٦

(١) أوكه. السلطان، ص ٧٥.

(٢) المرجع نفسه ، ص ٧٣.

(٣) عبد الحميد الثاني. مذكراتي، ص ٢٩.

تحت الضغط الشعبي الفلسطيني بمتصرف آخر هو 'أكرم بك'، حيث أقيم هذا المتصرف على تطبيق القوانين العثمانية بخصوص الهجرة لكنه لم يبق في منصبه طويلاً حيث نقل إلى 'بيروت' فيما بعد^(١). وظل الموقف الرسمي العثماني هو الترحيب باليهود المهاجرين لكن ليس إلى 'فلسطين' التي يحظر الاستيطان فيها، كذلك التنازل عن جنسياتهم والتحول إلى رعايا عثمانيين وإن يحجموا على السعي وراء امتيازات خاصة، مثل فرض الحماية الأجنبية عليهم، وأن يبقوا خاضعين للقوانين السارية. فلقد كان السلطان 'عبد الحميد' لا يرغب مطلقاً بإضافة المسألة اليهودية إلى قائمة مشكلات الدولة من حيث التنافس والمشاكل العرقية والدينية والمذهبية التي توجد داخل الدولة أو إلى مزيد من اللقومات الأجنبية الساعية وراء الامتيازات^(٢).

موقف السلطان عبد الحميد الثاني من مشروع إنشاء جامعة عبرية في فلسطين. كانت كل جهود اليهود والحركة الصهيونية عند السلطان 'عبد الحميد' مخيبة لأدنى توقعاتهم، فكل محاولاتهم العلنية وغير العلنية باءت بالفشل تقريباً على صخرة صمود السلطان 'عبد الحميد'، أما الأمور التي وعد بها 'هرتزل' السلطان من حيث سداد ديون الدولة العثمانية فلم يحرك فيه ساكناً، لذلك فقد تطلب الأمر أن يلج 'هرتزل' من مكان لم يدخله من قبل، وهو إضفاء الطابع الثقافي والعلمي على مطامع الحركة الصهيونية، لذلك فقد قام هرتزل في ٣ أيار ١٩٠٢ بالإتصال من جديد بالدولة العثمانية، وقدم إلى السلطان 'عبد الحميد' اقتراحاً في ٣ أيار ١٩٠٢ طلب فيه أن يؤذن له في إنشاء جامعة عبرية في 'القدس' تفتح أبوابها للطلبة العثمانيين؛ بدلاً من إرسالهم في بعثات علمية إلى جامعات أوروبا، كما صور الأمر للسلطان بدافع شريف يهدف إليه مشروعه؛ حيث لا يتعرض طلبة الدولة العثمانية في أوروبا لأخطار اعتناق أفكار ثورية ونظريات متطورة عن الحكم، كما أن الطلاب لن يغادروا دولتهم في سبيل العلم حيث توفر لهم الجامعة العبرية المقترحة البقاء داخل حدود الدولة^(٣).

وكان الهدف الآخر الذي سعى إليه 'هرتزل'؛ هو أن الطلبة العثمانيين إذا ما بعثوا إلى الجامعات الأوروبية فإنهم سيتعدون عن التقاليد الإسلامية؛ كون المناهج في أوروبا تقتنهم وهذا بدوره يؤدي إلى الانحراف وبالتالي الإساءة إلى الهوية الإسلامية للدولة^(٤).

ولما كان السلطان 'عبد الحميد' يمي جيداً هدف 'هرتزل' الحقيقي في كون اقتراحه هذا إنما هو لخدمة اليهود وخطوة أولى من أجل تحقيق ما فشل في تحقيقه سابقاً، فهو يريد جامعة للشبان اليهود بزرع فيهم حب الهجرة والاستيطان والتوسع وإقامة بناء الوطن القومي اليهودي المنشود، إلى جانب

(١) عادل حامد الجادر -عزيز عبد المهدي ردام. فلسطين والفرو الصهيوني (جامعة بغداد : مطبعة جامعة بغداد،

١٩٨٤)، ص ٨١.

(٢) قاسمية، المقاومة، ص ٣٧٤.

(٣) صايغ. يوميات، ص ٢١٢-٢١٣؛ انظر. Friedman. Germany, p. 101.

(٤) احمد. موقف، ص ٤٠؛ الشلوي. الدولة، ج ٢ ص ٩٤٤.

إعطاء هذه الجامعة ونشاطها الذي هو نشاط صهيوني بالدرجة الأولى صفة شرعية، لذلك فقد رفض السلطان عبد الحميد بقوة هذه الفكرة.

* جهود هرتزل تجاه إنجلترا.

كانت هناك في الحقيقة نوايا غير يهودية لتوطين اليهود في 'فلسطين'، وإعادتهم إليها قبل أن تظهر الحركة الصهيونية وتسعى لتحقيق أفكارها كإمكانات عملية سياسية^(١).

يقول 'هرتزل' أنه من أول يوم امسك فيه بزمام الحركة الصهيونية اتجه بأنظاره نحو 'إنجلترا' بسبب ما أحرزته من مركز قوى وما يتمتع به اليهود، وما يحيط بهم من أسباب السعادة والمستوى الثقافي الرفيع وتمسكهم بالانتماء إلى الجنس اليهودي، كل ذلك جعل اليهود الإنجليز يهوداً مثاليين يدركون جيداً أهداف ومرامي الحركة الصهيونية^(٢). ولا نعرف مدى صحة قوله هذا لأن 'هرتزل' كانت وجهته الأولى نحو 'ألمانيا' فالدولة العثمانية. وأما 'إنجلترا' فكانت محطته الثالثة.

ومهما يكن من أمر فإن الإشارات في كتابات 'هرتزل' العلنية كانت تشير إلى أنه كان يعي ضرورة أن تكون الحركة الصهيونية وأفكارها تحت نشأة ورعاية الدول الكبرى، وفي إطار القانون، وهو بذلك لن يعمل على الحصول على الأرض لإقامة الوطن القومي؛ إلا بعد أن تظهر القوى الدولية الرغبة في ذلك^(٣).

إن 'هرتزل' لم يتردد في عرض خدمات الحركة الصهيونية لمن يناصر سياستها ويتبنى موقفها، وهو في ذلك لا يتردد أبداً وبلا حياء أن يعلن أن الحركة الصهيونية ستحول يهود العالم العشرة ملايين إلى عملاء لألمانيا، واعداد هرتزل عرضه هذا على إنجلترا؛ إذا ما وافقت على الحلم الصهيوني^(٤).

ولقد وجد 'هرتزل' تجاوباً كبيراً من 'إنجلترا'، حيث وجد كل منهما ضالته في الآخر من أجل تحقيق كل طرف منهما آماله وتصورات، ومن المسلم به أن حكام 'إنجلترا' وأعوانهم قد ارتضوا مناصرة الصهيونية من أجل اتجاهات سياسية وقومية تخدم الصالح الإنجليزي العالم أو المصالح الشخصية^(٥). وبعد فشل 'هرتزل' مع 'ألمانيا' ومع السلطان 'عبد الحميد الثاني' راح في المؤتمر

(١) Ben Halpern. *The Idea of Jewish State* (Harvard: Harvard University Press, 1969), p.251.

(٢) Leonard Stein. *The Balfour Declaration*, (London: Valentine, Michelle, 1961), p.18-19. Hyamson. *Palestine*, p. 16

(٣) المسيرى. اليهودية، ص ١٢٣.

(٤) النشئة. السلطان، ص ١٧٧.

(٥) لوسيان كافرو دومارس. العار الصهيوني في مصادر الصهيونية وأعمالها التخريبية في العالم، ترجمة، أحمد رضا

(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩)، ص ٢٦.

الصهيوني الرابع في 'لندن' سنة ١٩٠٠ يقول بلهجة حماسية: " إن 'إنجلترا' العظيمة، 'إنجلترا' الحرة التي تهيمن على البحار السبعة ستقهرنا وتفهم أهدافنا ... ومن هنا ستطلق الفكرة الصهيونية لتخلق بعيدا في الأعلى، نحن واثقون من ذلك" (١).

وبدأ العمل الصهيوني لدى 'إنجلترا'، حين اضطرت الحكومة البريطانية عام ١٩٠٢ إلى تشكيل لجنة ملكية للتحقيق في الهجرة اليهودية إلى 'إنجلترا'، أثر إزدياد هجرة يهود 'روسيا' و'بولندا' إلى الأحياء الشرقية من 'لندن'، والتخوف من أن يؤدي هذا لازدياد المعارضة ومن ثم ظهور موجة من اللاسامية داخل إنجلترا. وقد ادلى 'هرتزل' بشهادته في هذه اللجنة، حيث أعلن أن اليهود يحملون اللاسامية معهم أينما ذهبوا، وأن الحل الوحيد لهذه المشكلة هي الحركة الصهيونية التي تسعى لإقامة وطن قومي لليهود خارج أوروبا (٢).

من هنا قام 'هرتزل' فيما بعد بالاتصال 'بجوزيف شمبرلين' (Joseph Chamberlain) وزير المستعمرات البريطانية المعروف بمشاعره المعادية للسامية وصاحب النفوذ الواسع في الحكومة البريطانية وذلك في ٢٢ تشرين ثاني ١٩٠٢، حيث أبلغ 'هرتزل' أحد الوسطاء أنه جدي في كسب تأييد المستر 'شمبرلين'، لإقامة وطن قومي يهودي على نطاق كبير داخل الممتلكات البريطانية، ومن المفضل أن يكون ذلك في 'قبرص' أو 'شبه جزيرة سيناء' أو 'العريش' (٣). فأجابه 'شمبرلين' أنه لا يستطيع التحدث إليه إلا عن 'قبرص' كمستعمرة، فالمناطق الأخرى هي من اختصاص وزارة الخارجية (٤).

وفيما بعد قام وزير الخارجية البريطاني 'لانسدون' بتحويل مقترحات 'هرتزل' هذه إلى اللورد 'كرومر' (Lord Cromer) المعتمد البريطاني في 'مصر'، وتكونت لجنة لدراسة موضوع استيطان اليهود في شبه جزيرة سيناء وغالرت اللجنة المختصة لفحص الأمر إلى 'القاهرة' في أوائل سنة ١٩٠٣ لدراسة الأوضاع، وتوصلت إلى أن 'العريش' هي المنطقة المثالية لبداية المشروع على أن تجلب المياه من نهر النيل (٥).

لكن الأمر اختلف شيئا ما حين جاء جواب اللورد 'كرومر' برفض المشروع الصهيوني لاستيطان 'سيناء'، معللا ذلك برفض الحكومة المصرية، واعتراض الدولة العثمانية، ولصعوبة نقل مياه النيل إلى العريش، كما أن ذلك من شأنه زيادة الصعوبات التي قد تواجهها الحكومة المصرية (٦).

(١) جارودي. فلسطين، ص ١٩٦-١٩٧.

(٢) الجادر - ردام. فلسطين، ص ٧٠-٧١.

(٣) عمر. القضية، ص ٦٠٢، P.41. Zeev Theodor.

(٤) Stein. The Balfour, p.18-19 ; Hyamson. Palestine, p. 16

(٥) عمر. القضية، ص ٦٠٢، P.678. The Jewish Ency, Vol, 12.

(٦) Friedman. Germany, P.104; Sokolow. History, Vol, 1. P.296; Stein. The Balfour, P.26.

قام 'شميرلين' بعرض منطقة أخرى يمكن استعمارها؛ واقترح لذلك 'أوغندة' في نيسان ١٩٠٣ (١). فكان جواب 'هرتزل' أن القاعدة هي استيطان 'فلسطين' مع إمكانية استيطان 'أوغندة' في المستقبل، إلا أنه لم يستبعد هذا الخيار، حيث كان الفكر اليهودي الصهيوني قبل ذلك الوقت وحيثها مقصوراً على وجود متنوع من الأرض في العالم القديم أو الحديث يستطيع فيه بنو إسرائيل أن يجددوا فيه الوسائط لنهضتهم سواء في 'أوغندة' أو 'الكونغو' أو 'العراق' أو بلاد 'المكسيك' أو 'أستراليا' (٢)، ثم بعد ذلك إلى 'فلسطين'.

ولما تأكد 'هرتزل' من تعاطف الإنجليز سعى لطرح نيته بخصوص الوطن القومي إلى حيز الوجود، إذ كانت نيته سياسية أكثر منها دينية (٣)، لذلك فقد أيد 'هرتزل' قبول اقتراح 'أوغندة' على الأقل كأجراء مؤقت، وعرض ذلك على المؤتمر الصهيوني السادس المنعقد في 'بازل' من ٢٣-٢٨ آب ١٩٠٣ م (٤)، حيث أنزلت خارطة فلسطين من خلف المنصة الرئيسية، وألصقت خارطة 'أوغندة' (٥). وبرزت المعارضة الشديدة من قبل زعيم الصهيونية الروسية 'مناحيم مندل يسيشكين' (Menahem Mendel Ussishkin) حيث طالب هو أنصاره من اليهود الروس بأن لا يعرض 'هرتزل' منطقة غير فلسطين (٦)، وشعرت المعارضة إجمالاً أن الفكرة الصهيونية قد طعنت وخذعت. لكن المؤتمر الصهيوني السابع بعد موت 'هرتزل' اتخذ قراره بالإجماع برفض مشروع أوغندة، وظلت الحركة الصهيونية على الدوام على علاقة وطيدة مع إنجلترا التي تبنت أفكارها وعملت على تحقيقها.

(١) محمود عزيز شكري . "الاهمية الاستراتيجية لفلسطين والاطماع الاستعمارية فيها" الموسوعة الفلسطينية (ط ١ ،

بيروت : ١٩٠٩ م) ٦ ، ص ٩ .

(٢) لويس شيخو اليسوعي . الصهيونية ماضيها حاضرها ومستقبلها " المشرق ، بيروت : العدد ١٠ ، سنة ١٨ (تشرين اول

١٩٢٠ م) ١٨ ، ص ٧٧٢ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٧٧٣ .

(٤) آلان تايلور . مدخل إلى إسرائيل ، الأعمال التحضيرية للجريمة الدبلوماسية الصهيونية ١٨٩٧-١٩٤٧ ، تعريب ، شكري

محمود نديم (بيروت : منشورات دار المكتبة الحياة ، ١٩٦٩) ص ٢٦ .

(٥) Weizmann. Trall, P83.

(٦) مناحيم مندل يسيشكين : ١٨٦٣-١٩٤١ مهندس روسي يهودي، تزعم فترة حركة أحياء صهيون، ومن أول أتباع

هرتزل. رئيس البعثة الصهيونية إلى فلسطين ١٩١٦. عضو اللجنة التنفيذية للحركة الصهيونية ١٩٢٠-١٩٢٣. رئيس

الصندوق القومي اليهودي ١٩٢٢-١٩٤١. أنظر - صاينغ . يوميات، ص ٥٠٦.

(٧) Wallter Laqueur. History of Zionism (New York : Schochen Books, 1976), P137; Esco. Palestine, P49.

مؤتمر كامبل بانرمان ١٩٠٧ (Campbell Panerman).

تبلورت سياسة الاستعمار إزاء الشرق العربي من تقرير عرف باسم تقرير 'كامبل بانرمان' رئيس وزراء بريطانيا، وذلك حين قام بدعوة دول الاستعمار القديم وفي مقدمتها 'إنجلترا' و'فرنسا' و'هولندا' و'بلجيكا' و'أسبانيا' و'إيطاليا' و'البرتغال'، إلى عقد مؤتمر دولي، وذلك لمناقشة ما قد تعترض الدول الاستعمارية من مشاكل، ولقد شاركت كل دولة بكبار أساتذة الجامعات في شتى المجالات؛ مثل الاقتصاد والبترول والتاريخ والزراعة وشؤون الاستعمار وكانت جلسات هذا المؤتمر تعقد في أكثر من مدينة وعاصمة أوروبية؛ ولقد افتتح 'بانرمان' اجتماعات هذه اللجنة في لندن بكلمة وجهها إلى مندوبي هذه الدول، حدد فيها المهمة التي من أجلها تم عقد للمؤتمر فقال: " إن الإمبراطوريات تتكون وتتسع وتقوى ثم تستقر إلى حد ما، ثم تحل رويداً رويداً، ثم تزول، والتاريخ مليء بمثل هذه التطورات، وهو لا يتغير بالنسبة لكل نهضة، ولكل أمة، فهناك إمبراطوريات روما وأثينا والهند والصين، وقبلها بابل وآشور والفرعنة، وغيرها، فهل لديكم أسباب أو وسائل تحول دون سقوط الاستعمار الأوروبي وانهيائه، أو تؤخر مصيره، وقد بلغ الآن الذروة، وأصبحت أوروبا قديمة، استنفذت مواردها، شاخت معالمها، بينما لا يزال العالم الآخر في صرح شبابه؟ ... هذه هي مهمتكم أيها السادة وعلى نجاحها يتوقف رخاؤنا وسيطرتنا^(١) وبعد فترة من النقاش والدراسة خرج المؤتمر بالتقرير الذي قدم لوزارة الخارجية البريطانية التي أحالته إلى وزارة المستعمرات^(٢). وجاء في التقرير:

" إن الخطر ضد الاستعمار يكمن في البحر المتوسط، فعلى للشواطئ الشرقية والجنوبية لهذا البحر يعيش شعب واحد، تتوفر له وحدة التاريخ والدين واللغة، وكل مقومات التجمع والترابط، هذا فضلاً عن ثرواته الطبيعية، ونزعه للتححرر، فلو أخذت هذه المنطقة بالوسائل الحديثة، وإمكانيات الصناعة الأوروبية، وانتشر التعليم فستحل الضربة القاضية بالاستعمار الغربي، فيجب إذن على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزؤ هذه المناطق وإبقاء شعبيها على ما هو عليه من التفكك والتأخر؛ وهذا يستلزم فصل الجزء الإفريقي في هذه المنطقة عن الجزء الآسيوي، وتقتصر اللجنة كذلك إقامة حاجز بشري قوي وغريب يحثل الجسر البري الذي يربط آسيا بإفريقيا، بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار عدوة لسكان المنطقة...^(٣)."

ومن مؤتمر 'كامبل بانرمان' نشأت مجدداً الفكرة القديمة الحديثة لسلخ 'فلسطين' عن الجسد العربي والإسلامي ولخلق واقع استعماري أكثر قوة تعمل أوروبا من خلاله. ولهذا كان لا بد من قومية

(١) يذكر أنه لا توجد وثائق بريطانية تؤكد ما جاء في هذا المؤتمر. وقد نقله أيوب عن أنطون سليم كنعان في مؤلفه فلسطين والقانون. ولقد نشره المؤتمر الثالث لاتحاد المحامين العرب الذي عقد في دمشق ٢١-٢٥ سبتمبر ١٩٥٧ في كتاب أصدرته مطابع فتي العرب. أيوب. وثائق، ج ١، ص ٢٥٠-٢٥١.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٥١.

(٣) عمر. القضية، ص ٦٠٦-٦٠٧.

تتوفر فيها الصفات التي حددها المؤتمر، وكانت الضالة تنطبق كلياً على اليهود، وبذلك تلاقت أهداف الدول الاستعمارية وخصوصاً 'بريطانيا' مع الحركة الصهيونية في الشيء الكثير وبالأحرى في كل شيء.

٣- جمعية الاتحاد والترقي والصهيونية.

امتازت العلاقة بين جمعية الاتحاد والترقي والصهيونية بنوع من الحذر والتعظيم ، وربما لم تتوفر المعلومات بالشكل الكافي لحساسية الموضوع وخطورته .

رأينا نشاط الحركة الصهيونية لدى السلطان 'عبد الحميد' ، وما قاموا به من جهود ومحاولات عديدة من أجل الموافقة على إقامة وطن قومي لليهود في 'فلسطين'. ولقد كانت لدى السلطان عبد الحميد اعتبارات سياسية ودينية وقومية؛ تجعله يرفض بشكل قطعي المقترحات الصهيونية ، حيث كان يخشى بروز قومية جديدة الى جانب القوميات الأخرى داخل نطاق دولته؛ بحيث تثير المتاعب الداخلية له واما الأمر الثاني : فكان في عدم رغبة السلطان في زيادة النفوذ الأجنبي داخل دولته ، والتي كثيراً ما كانت تتخذ من الأقليات وسيلة لذلك^(١) ، واما السبب الثالث فكان عدم رغبة السلطان في التفريط بأرض إسلامية بذلت في سبيلها الكثير من الدماء على مدار الزمن :

لكن هذا الفشل الكبير لم يبعث في نفس 'هرتزل' زعيم الصهيونية اليأس ، حيث قام بتحريك الصحافة العالمية التي يملك اليهود منها الشيء الكثير ، ثم اخذوا في توحيد وجمع كل القوى المعادية للسلطان 'عبد الحميد' داخل المجتمع العثماني^(٢) ، كما صدرت الاوامر من الحركة الصهيونية الى المحافل الماسونية داخل الدولة العثمانية ويهود الدونمة الذين كانوا أعضاء في المحافل الماسونية للعمل ضد السلطان 'عبد الحميد' جراء رفضه لمطالب الحركة الصهيونية^(٣). ولقد نشطت الحركة الصهيونية في 'ألمانيا' كثيراً في محفل 'بروسيا' الماسوني 'أوروبا الفتاة' الذي اسس فيما بعد فروع للماسونية في 'سلانيك' حيث لعبت هذه المحافل دوراً بارزاً في نشاط جمعية الاتحاد والترقي^(٤) .

أدركت الصهيونية والماسونية معاً ان نشاط بضع أشخاص من الهاربين خارج الدولة العثمانية لن يكون مجدياً ، لذلك فقد حثت قياديي الاتحاد والترقي على ضم العديد من قادة الجيش^(٥) واثناء وجود بعض قياديي جمعية الاتحاد والترقي في باريس، تعرف العديد من قائدها على الحركة الصهيونية ، ليس فقط من قبل الإعلام الأوروبي العام ، بل عن طريق منظمات فرنسية ، حيث التقى العديد من زعمائها مع

(١) أوكه . السلطان ، ص ٧٩ .

(٢) محمد علي . السلطان ، ص ٢٨٢ .

(٣) الزين . قتب ، ص ٤٠-٤١ .

(٤) ديمارس . العار ، ص ٢٩ .

(٥) محمد علي . السلطان ، ص ٢٨١ .

العديد من زعماء الحركة الصهيونية ، فالنقي 'عبد الله جودت بك' ، وهو من قدامى مؤسسي وقيادي جمعية الاتحاد والترقي بـ 'ثيودور هرتزل' ، وذلك اثناء عمله في وظيفته كطبيب في السفارة العثمانية في فيينا^(١) . كما قابل 'احمد رضا' زعيم جمعية الاتحاد والترقي في باريس 'ثيودور هرتزل' و 'ماكس نوردو' (Max Nordau) وهو احد اقرب معاولي هرتزل ، وتحدثت صحيفة 'مشورت' عن اليهود كما لو كانوا مضطهدين من الارمن ، الذين كانت جمعية الاتحاد والترقي تتعاطف مع قضيتهم بسبب ما لحق بهم جراء عدائهم للدولة العثمانية والسلطان 'عبد الحميد'^(٢) .

وكان 'هرتزل' في زيارته الثانية 'لاستانبول' في ١٨ حزيران ١٨٩٦م من اجل مقابلة السلطان 'عبد الحميد' قد التقى 'ابراهيم جاويد بك'^(٣) الذي طلب من 'هرتزل' ان لا يطلب من السلطان 'القدس' باعتبارها مدينة مقدسة ، كما طلب منه عدم المطالبة بإقامة نظام حكم جمهوري في 'فلسطين' ، لانه ما من شك ان ذلك سيؤدي الى غضب السلطان^(٤) ، وكان الحديث بين 'هرتزل' و'ابراهيم جاويد بك' وعناصر أخرى مثل ناظرالحربية وبعض السفراء يدور حول مقدار الأراضي التي ستقتطع من فلسطين ، ونظام الدولة الجديدة التي ستقام عليها ، وعلاقتها بالدولة العثمانية ، وكان اغلب هذه المحادثات تتم مع 'ابراهيم جاويد بك' حيث قال له 'هرتزل' : "ترغب جماعتنا في عرض قرض منكرج من عشرين مليون جنية إسترليني ، يقوم على الضريبة التي يدفعها اليهود المستعمرين لفلسطين لجلالته ، وتبلغ هذه الضريبة التي تدفعها جماعتنا مائة ألف جنية إسترليني في السنة الواحدة ، وتزداد الى مليون جنية إسترليني سنويا ، ويتوقف هذا النمو التدريجي على الضريبة على هجرة اليهود التدريجية"^(٥) ، وفيما بعد عبر 'احمد رضا' سنة ١٩٠٦ عن قبوله استقرار اليهود في الدولة العثمانية طالما كانوا مواطنين صالحين^(٦) ، ولا يستبعد ذلك اذا ما علمنا ان 'احمد رضا' أقام اتصالات مع 'الجمعية الإسرائيلية في مصر' (Misir Cemiyeti) (Israiliyesi) التي أسست من قبل اليهود الأتراك وكانت تساعد فرع جمعية الاتحاد والترقي في 'مصر' ، وقام 'احمد رضا' بالاتصال بها خلال زيارته مصر سنة ١٩٠٧ وكان نتيجة ذلك ان صوت ممثلو هذه الجمعية لصالحه في اثناء انعقاد مؤتمر جمعية الاتحاد والترقي في باريس سنة ١٩٠٧ ، مما أدى الى ترجيح كفته في الانتخابات ، وفوزه برئاسة الجمعية^(٧) .

(١) Neville, J. Mandle . *The Arab and Zionism Before World War I* (California: University of California Press, 1976), P. 59 .

(٢) Mandle . *The Arab*, p.59.

(٣) ابراهيم جاويد بك: ١٨٦٦-١٨٩٩، ابن الصدر الاعظم خليل رفعت، عين سنة ١٨٩٥ عضواً في مجلس الدولة، وكان صاحب نفوذ. وتم اغتياله على يد رجل ألباني عام ١٨٩٩. صايغ . يوميات، ص ٥١٤.

(٤) صايغ . يوميات، ص ٣٣ ؛ خلف الله . بين هرتزل، ص ٣٧ ؛ انظر كذلك -ايوب وثائق، ج ١، ص ١٢٧.

(٥) حسون . العثمانيون ، ص ١٨٧ .

(٦) Loc.cit.,

(٧) Atilhan . *Islami*, P. 155 .

وبعد فشل 'هرتزل' قام 'عمانوئيل قره صو' بمهمة الإنابة عنه في اتصالاته مع الدولة العثمانية خصوصا مع المعارضة، حيث كان اتصال 'هرتزل' مع الدولة بسبب لها استفزازا بعد ان عرفت حقيقة نواياه ، وبذلك تم تفويضه للقيام بالمهمة التي فشل 'هرتزل' في تحقيقها^(١) ؛ حيث استطاع من خلال تمتعه بالجنسيتين العثمانية والابطالية من تأسيس المحافل الماسونية ومن خلالها استطاع ان يصبح احد قادة جمعية الاتحاد والترقي الى جانب كونه من كبار قادة الماسونية^(٢) .

(١) طوران . اسرار ، ص ٢٤-٢٥ .

(٢) حسون . العثمانيون ، ص ١٩٠ .

الفصل الرابع

٢١٠-١٥٠

ثورة ١٩٠٨

١٥٠

١- مجريات ثورة ١٩٠٨.

١٦٤

٢- أحداث مارس وخلع السلطان عبد الحميد ١٩٠٩.

١٨٩

٣- النتائج المباشرة لثورة ١٩٠٨ وخلع السلطان عبد الحميد ١٩٠٩.

الفصل الرابع

ثورة ١٩٠٨

١- مجريات ثورة ١٩٠٨.

رأينا ما وصلت إليه جمعية الاتحاد والترقي، والأطوار المختلفة التي مرت بها، والصعوبات الجمة التي اعترضت طريقها، واتضح بحق قدرة الجمعية على التجدد في عدة مناطق مختلفة داخل الدولة العثمانية وفي أوروبا، وربما يكون أي تجديد في نشاط أي فرع مستقلاً في بدايته، إلا أنه سرعان ما توجد الوسيلة للاتصال بالجمعية الأم في 'باريس'، وهذا ما لمسناه من خلال اندماج أو احتواء جمعية 'وطن وحرية' التي أسسها 'مصطفى كمال'، وجمعية الأحرار العثمانيين التي أسست قبل الانقلاب بوقت قصير.

ويمكن القول أن الجمعية بزعامة 'أحمد رضا' المقيم في 'باريس' استطاعت أن تحظى بثقة الحكومات الأوروبية^(١). أما داخل الدولة فقد كانت منطقة 'مكدونية' التي شهدت نشاطاً مكثفاً للجمعية ازدهارا، خصوصاً على مستوى الصحف، فمنذ سنة ١٨٩٥ كانت في المنطقة صحيفتان أو ثلاث بالفرنسية، وخمس أو ست صحف يهودية تنطق بالأسبانية، وثلاث أو أربع باليونانية، وثلاث أو أربع بالتركية وعلى الأقل صحيفتان باللغة البلغارية، وواحدة بالرومانية، وكانت صحيفة 'العصر' (Asir) هي الصحيفة الأوسع إنتشاراً من بين الصحف التركية حتى سنة ١٩٠٨^(٢) ويتضح جلياً هنا أن تعداد وقوة الصحافة اليهودية في المنطقة زادت إجمالاً عن صحف أي من الأقليات داخل الدولة، رغم أن يهود الدولة العثمانية يشكلون أقلية أصغر بكثير من الأقليات البلغارية أو الأرمنية أو الصربية أو الرومانية، وغيرها، بل ونرى أن الصحف اليهودية قد زادت عن الصحف الرسمية للدولة العثمانية.

أما عن تحالف جمعية الاتحاد والترقي مع المنظمات الأرمنية، فيوضحه السلطان 'عبد الحميد' بقوله: "لا يدهشني حب الأرمن للاستقلال، وخاصة بعد معرفة إثارة الدول الكبرى لهم بلا توقف، لكنني أدهش لأن بعض الأفراد من تركيا الفتاة الذين هربوا إلى أوروبا، أصدروا هناك صحفاً ضدي، وكانوا يتعاونون مع أعضاء المنظمات والجمعيات الأرمنية، كما أدهش لأنهم كانوا يأخذون منهم أموالاً طائلة أيضاً"^(٣) ولما عقد اجتماع جمعية الاتحاد والترقي بين ٢٧-٢٩ كانون أول ١٩٠٧، قام 'أحمد رضا' بمقابلة 'شاريد جوننتلي' (Chaired Jointly)، كما اجتمع الأمير 'صباح الدين' مع 'مالومين' (Malumin) اللذين يمثلان الجمعية الثورية الأرمنية^(٤) التي ظهرت في بداية التسعينات من القرن

(١) الهدى . نيويورك ، عدد ٤٦ ، السنة ١٢ ، الجمعية ١٦ نيسان ١٩٠٩ ، ص ١٠.

(٢) Tunçay - Zürcher . Socialism, p51.

(٣) Bozdağ. Abdülhamid, p.59.

(٤) Shaw - Shaw . History, p. 265.

التاسع عشر، وانتهجت سياسة عزل أرمينيا قوميا بتسجير النعرات القومية ، والعداوة بين القوميات (١) ولقد طلب الاتحاديون مساعدات عدة منهم (٢) ؛ الأمر الذي بدأ بشكل متزايد تتأكد فيه فكرة الانقلاب العسكري (٣) ولاسيما بعد جذب العديد من قادة الجيش إلى جانب الجمعية ، خصوصا في مكدونية (٤) التي تعتبر الأكثر تأصيلا لأن تكون مأوى لأي ثورة (٥) ويمكن القول ان الظروف آنذاك كانت مواتية للثورة اكثر من أي وقت مضى، لذا فقد بدأت الحركة الانقلابية خصوصا بعد المشاغبات التي قامت بها بعض فرق الجيش احتجاجا على تأخير رواتبهم حيث يقول 'بوكستون' (Buxton) : " لقد كان دفع الرواتب يتأخر عن مواعده باستمرار، وهذا يفسر؛ وان لم يكن يبرر النهب الفظيع للقرى مما رأيت آثاره في مكدونية" (٦) وأخذت الأمور بذلك تتطور بشكل كبير.

كان السلطان 'عبد الحميد' يعلم جيدا بأن أمورا غير تلك التي كانت في السابق تدور داخل صفوف الجيش، وربما يكون 'عاكف بك' وهو ملازم أول في إحدى فرق الجيش في 'إستانبول' هو الذي أخبر السلطان بنية الجمعية القيام بثورتها، حيث كان 'عاكف بك' قد طرد من صفوف الجيش ، وانضم إلى صفوف الاتحاديين، حيث تلقى المساعدة اللازمة، وفي يوم التقى 'عاكف بك' في أحد شوارع 'باريس' مع 'ثريا بك' فأطلعه 'عاكف بك' على دسيسة عظيمة ، قال أن جمعية الاتحاد والترقي تدبرها ضد السلطان، ليس فقط في 'باريس' بل وفي 'لندن' و'جنيف' و'بروكسل' و'صوفيا' عاصمة 'بلغاريا'، وقال 'عاكف بك' : بأنه اكتشف هذه الأسرار عن شخص ثقة، واقترح على 'ثريا بك' إبلاغ السلطان 'عبد الحميد' بذلك، فيحضيا بمكانة خاصة، وقام 'ثريا بك' بإرسال برقية إلى السلطان 'عبد الحميد' يخبره بما تدبره الجمعية في أوساط الجند، فجاء الجواب الفوري بضرورة إرسال 'عاكف بك' ومعه 'ثريا بك' لمقابلة السلطان 'عبد الحميد'، حيث قصدا ميناء مرسيليا الفرنسي لیسافرا منها إلى 'إستانبول'، غير أن 'ثريا بك' غير رأيه قبل ركوبه الباخرة، وعاد عن عزمه، وأما 'عاكف بك' فحمل أوراقه الثمينة حتى وصل العاصمة (٧)، وما أن تفحصها السلطان 'عبد الحميد' حتى وجد أن كثيرا من الضباط والقادة في جيشه منضمين إلى هذه المؤامرة (٨).

ويعتقد أن جمعية الاتحاد والترقي كانت تتوى القيام بثورتها في ٣١ آب ١٩٠٨، وهو تاريخ يصادف يوم الذكرى السنوية لجلوس السلطان 'عبد الحميد'، ولكن الظروف اضطرتها للمبادرة بالعمل قبل

(١) ب . ن . بنوماريوف. القاموس السياسي، ترجمة، عبد الرزاق الصافي، (ط٣، بغداد: دنا، ١٩٧٨ ، ص١٧٧.

(٢) Loc.cit.,

(٣) مائتران . تاريخ، ص٢٣٧.

(٤) أحمد شلبي. موسوعة التاريخ الإسلامي، (ط١، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٢) ج٥، ص٧٥٩.

(٥) لبيب . تاريخ، ص٩٣-٩٤.

(٦) Buxton . Turkey, p.30.

(٧) الهدى . نيويورك ، العدد ١٤٠، السنة ١١، ٦ آب ١٩٠٨، ص١.

(٨) المصدر والصفحة نفسها.

التاريخ المذكور^(١) وكان من أسباب تعجيل ثورة ١٩٠٨ انعقاد مؤتمر 'ريفال' (Reval)^(٢) في ميناء 'استونيا' الروسي على بحر البلطيق بين ٩-١٠ حزيران ١٩٠٨، حيث اجتمع كل من الملك البريطاني 'إدوارد السابع' (Edward VII) وقيصر روسيا 'نقولا الثاني' (Nicholas II)^(٣) واستهدف اللقاء تقسيم الدولة العثمانية، وإجبارها على إدخال إصلاحات^(٤). وقد ساد الاعتقاد في إمكانية استعداد 'الجلتزا' للتنازل عن معارضتها التقليدية لأطماع 'روسيا' في الشرق الأوسط، خصوصا وصولها إلى المياه الدافئة، وهذا يعني نهاية الحكم العثماني في 'مكدونية'، وزاد من المخاوف أن الأسطول الروسي قام بمناورات بحرية على سواحل البحر الأسود بعد أيام قليلة من المؤتمر^(٥)، في حين يذكر 'أوزتونا' أن الموضوع الذي تناوله الاجتماع كان اتفاقا روسيا انجليزيا ضد 'المانيا'، ولغرض إخفاء هذا الموضوع عن 'المانيا'، اشاعوا أن هذا الاجتماع تناول الإصلاحات في 'مكدونية'، واشاعت الجمعية أن كلا الحاكمين قد اتفقا حول اقتسام 'مكدونية'^(٦)، في الوقت نفسه الذي استطاعت فيه جمعية الإتحاد والترقي أن تكتسب تعاطف الألبان وتعاونهم^(٧)، حيث أقنعهم قادة الجمعية بعدم فائدة التعدي على النمسيين الذين يريدون جمع الإعانات، وعمل احتفالات لمدرستهم في 'إسكوب'^(٨).

وفي وقت متأخر من ربيع سنة ١٩٠٨ كانت التقارير التي تصل إلى السلطان 'عبد الحميد' تؤكد خطورة الوضع، بعد ملاحظة تغيرات كثيرة في الجيش، لذلك فقد عمل على إرسال لجنة لفحص الأمور لا سيما في 'سلانيك' بقيادة 'ناظم بك' الذي عين قائدا عسكريا عليها، لكن الأمور كانت قد وصلت إلى نقطة اللاعودة، لذلك فقد أصدرت الجمعية في 'سلانيك' أمرا بإعدام 'ناظم بك'^(٩). حيث أطلقت عليه النلر فتم جرحه في حزيران ١٩٠٨^(١٠) ولم تتمكن الأجهزة الأمنية العثمانية من إلقاء القبض على مرتكب هذه العملية^(١١).

(١) ليبب . تاريخ ، ص ٩٥.

(٢) مجهول. تلخيص التاريخ العثماني المصور، تعريب. شاكور أفندي الحنيلي، (ط١، الشام : مطبعة الترقى، د . تا)،

ص ١١٤٨

Miller . The Ottoman, p447.

(٣) Feroz Ahuned . The Young Turks, The Committee of Union and Progress in Turkish Politics 1908-1914

(Oxford: At the clarendon press, 1969) p.2.; Kansu. The Revolution, p86 ;

Timothy . W. Childs . Italo- Turkish Diplomacy and the Wor Over Libya 1911-1912 (Leiden : E. J. Brill , 1990)p.18.; Lewis , The Emergence, p. 202 ; Swallow. The Sick Man p.89.

(٤) طوران. أسرار، ص ١٤.

(٥) رامزور. تركية ، ص ١٤٧.

(٦) أوزتونا. تاريخ ، ص ١٧٤ .

(٧) Miller. The Ottoman p.447.

(٨) ليبب . تاريخ ، ص ٩٥.

(٩) نيازي . خواطر، ص ٣٦.

(١٠) رامزور . تركية ، ص ١٤٧.

(١١) نيازي . خواطر، ص ٣٧.

وقام السلطان 'عبد الحميد' بعد ذلك بإرسال من هو أشد شكيمه، وأقوى عزيمة من 'ناظم بك' وهو الفريق العسكري 'إسماعيل ماهر باشا' لصد المتمردين، وتحت رئاسته هيئة مؤلفة من العديد من الضباط الكبار، وهذا ما أقلق جمعية الاتحاد والترقي^(١).

وقد تكون هذه الأمور من أهم الأسباب التي عجلت بالثورة، كون الأمور قد كشفت، واتضح أمرها، وكان أي تأخير قد يعنى جدياً قيام السلطان عبد الحميد بالقضاء على خلايا الجمعية، ومعاقبة أعضائها، مثلما حدث في أوقات سابقة في أحداث قريبة الشبه منها.

وفي حزيران قرر 'أحمد نيازي الرسنة لي' - أحد أعضاء جمعية الاتحاد والترقي العسكريين - الصعود إلى الجبال وإعلان التمرد، حيث كاشف العديد من زملائه في الجمعية، وانفقوا على الاجتماع في 'بيت العاجز'، وهو أحد الأشخاص المتعاطفين مع الجمعية، حيث أقتنع 'نيازي' بضرورة إعلان الثورة مؤكداً أنه يستطيع جذب عساكر وقرويين يتكون عددهم من ١٥٠-٢٠٠ رجل، وقام بإعداد كل ما يحتاجه من أموال ودراهم وسلاح وأحذية وفروا^(٢) حيث قام بسرقتها من وحداته العسكرية عند هروبه^(٣) وفي الاجتماع الثاني في بيت 'الحاج آغا' أحد أنصار الجمعية، خطب 'نيازي' في أربعين أو خمسين رجلاً بحماسة حيث دعا إلى :

- ١- الثورة .
 - ٢- المطالبة بأن تبدأ الثورة من بلدته 'رسنة' لأن البلغار في وقت سابق انطلقوا منها .
 - ٣- التأكيد على أن العدة والعتاد جاهزة كلياً .
 - ٤- إعلان الحرية والأخوة والمساواة^(٤)
- ولقد قام 'نيازي' على الأثر بإسرار ما ينوي فعله إلى بعض الضباط الآخرين في 'رسنة' والذين وافقوه ووعده بكل مساعدة، ثم قام بترتيب شيفرة^(٥) لإحكام المراسلة فيما بينهم^(٦).
- ولقد قام 'نيازي' بإرسال رسالة فيما بعد إلى 'رفيق بك' قومندان الفرقة الثالثة من الجيش ، يعتذر فيها عن أخذ السلاح والأموال التي بلغت أربعة وخمسين ألفاً وستين قرشاً من قاعدته^(٧).
- واستمر مسير 'نيازي' فاستطاع دخول قرية 'لاحجة' حيث استقبل بحفاوة، واستطاع 'نيازي' السيطرة على المناطق الجبلية الوعرة وعلى عدد من القرى - وهناك قام بتحريض المسيحيين على الثورة

(١) المصدر نفسه ، ص ٣٨ انظر Ahmed , The Young Turk, p.4 .

(٢) المصدر نفسه ، ص ٦٣-٦٥ ؛ Robert Irfan Orga . Phoenix Ascendand, The Rise of Modern Turkey (London : Robert Hale Intited, 1958) P 28-29 ; Buxton. Turkey , P 57

(٣) رامزور . تركية ، ص ١٤٨ ؛

(٤) نيازي . خاطر ، ص ٦٦ .

(٥) انظر صورة عن استخدام الشيفرة في المراسلات بين قادة جمعية الاتحاد والترقي في الملحق رقم ٤ .

(٦) Yusuf Hikmet Bayur . Türk İnkılâpı Tarihi (Ankara : Türk Tarih Kurumu Basimevi, 1991) Cilt 1 ,Kisim, 1 p.475 .

(٧) نيازي . خاطر ، ص ٦٩-٧٠ .

(٧) نيازي . خاطر ، ص ٨٨-٨٩ .

(١) - وأثناء ذلك وفي ٢٤ حزيران عاد أحد الضباط الاتحاديين ويدعى 'بختيار آغا' من مناستير ودفع الى 'نيازي' امرا من الهيئة المركزية لجمعية الاتحاد والترقي في 'مناستير'، مؤرخ بـ ٢٣ حزيران ١٩٠٨، فقام 'نيازي' بقراءته على أعضاء جمعيته، وجاء فيه.

- ١- أنه سيتم إمدادهم بطبيب مع كل ما يحتاجونه من أدوية.
- ٢- أنه سينشر في الصحف الأوروبية ما يقع عليه اختيار الهيئة المركزية 'بمناستير' من الأوراق.
- ٣- التنبيه على أن العصابات في المدن والقرى وعلى الأطراف مستعدة للإيقاع بالحكومة.
- ٤- يأمرهم فيه باستخدام الشيفرة، خصوصا في الرسائل المهمة.
- ٥- يوضح الأمر إمكانية ظهور وانضمام 'أنور بك' - أنور باشا فيما بعد - في وقت قريب^(٢) ولقد عمت الفرحة أعضاء الجمعية الذين يقودهم 'نيازي' خصوصا لإمكانية انضمام 'أنور بك' معهم، وبالفعل فقد قام 'أنور بك'، وهو ضابط صغير عضو في الجمعية بالتمرد، وقرر اللجوء إلى الجبال^(٣).

بهذا بدأت مرحلة جديدة من التنسيق والتنظيم بقيادة 'نيازي' و'أنور بك' اللذين قادا قوات التمرد ضد السلطان 'عبد الحميد'، في الوقت نفسه الذي انضم فيه العديد من قادة 'البغار' وعلى رأسهم 'جرجيس راغب' إلى الجمعية، حيث وعد بمساعدتهم، حتى أن 'نيازي' قضى ليلته فرحا وطربا بسبب التوفيق الذي انهل عليه^(٤).

وإلى جانب هؤلاء كانت العصابات البلغارية التي انضمت إلى عصبة 'نيازي'، حيث يقول: "لقد لحق بالعصابة البالغ عددها مائتي رجل الآن عصابات 'البغار' وقد تابوا التوبة النصوح ممن كانوا إلى اليوم يطوفون الجبال كالحيوانات المفترسة ويعتدون على أهل الشرف"^(٥).

وأثناء هذا التقدم الذي كان يحرز 'نيازي' من حيث انضمام الجيش والعصابات المختلفة إليه، قام السلطان بإرسال الفريق أول 'شمسي باشا' (Şemsi Paşa)، حيث عهد إليه إخماد العصيان الذي يقوم به 'نيازي' و'أنور' في 'مكدونية'، لا سيما في 'مناستير' و'رسة'^(٦) وجاء في كتاب التكنيف: "من يلدز إلى حضرة شمسي باشا الفريق الأول، رسالة تعلمه أن نيازي وأتباعه قد كسروا مخزن الطابور، وأخذوا من بنادق 'ماوزر' الألمانية الموجودة وهي نحو مائة، وأنهم اغتصموا النقود التي كانت بالمندوق، فأصدين

(١) المصدر نفسه، ص ٩٠-١١١.

(٢) انظر نص الأمر كاملا في المصدر نفسه، ص ١١٧-١١٩.

(٣) رموز - تركية، ص ١٤٨؛ Volkan - Itzkowitz, The Immortal, p.60.

(٤) نيازي، خواطر، ١٢١.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٢١-١٢٢.

(٦) Halide Edib, Memoirs of Halide Edib (New York - Arno Press New York Times Company, 1972) p 255
Bayur, Türk, P 455, Ahmed The Young Turk, p. 8, Swallow The Sick Man P 89 Lewis The Emergence
p 204.

بنادق 'ماوزر' الألمانية الموجودة وهي نحو مائة، وأنهم اغتتموا النقود التي كانت بالصندوق، قاصدين إلى 'استية' ويطلب من شمسي تأديب هذه الفرق وتطهيرها"

رئيس كتاب الحضرة السلطانية

تحسين

٢٠ حزيران ٣٢٤ (١)

وقام 'شمسي باشا' بالمسير من 'استانبول' صوب 'مناسيتز' في ١٩ تموز على رأس فرقتين عسكريتين من ٨٠٠ جندي لمهاجمة 'نيازي'، لكن الجنود تمردوا، ورفضوا إطلاق النار على زملائهم (٢) بل أن 'شمسي باشا' نفسه قد قتل على يد 'مفيد بك' أحد رجال 'نيازي' بجرأة بالغة، وذلك عندما كان 'شمسي باشا' يستعد لمهاجمتهم في جبال 'رسنة' (٣)، ولقد كان لهذا الحدث أهميته بحيث أدى إلى رفع معلويات المتمردين في حين رأى فيها السلطان 'عبد الحميد' تدهورا للأحوال الأمنية داخل دولته .

وبعد ذلك قام 'أنور بك' بارسال برقية إلى صحيفة 'نيوفراي برس' (Neue Freie Presse) الصهيونية الفرنسية، جاء بها : " أن هذا هو اليوم الأول للحرية، الشعب بأكمله أترك وبلغار وصرب، الخ احتفل بهذا العيد، إذا كان السلطان لا يهتم بمطالبنا، سنقوم بالزحف إلى القسطنطينية" (٤) .

ولقد قام السلطان 'عبد الحميد' أثر ذلك باستدعاء الصدر الأعظم 'فريد باشا' (Ferid Paşa) وطلب منه القيام بعمل وزير الحربية لإخماد الثورة، والسيطرة على العصيان، لكن 'فريد باشا' الذي امتاز بحذره وقدرته رفض التدخل فيما يقوم به المتمردون (٥) في الوقت الذي استطاعوا فيه استقطاب وتعاطف الكثير من قادة الجيش حتى أن الفرقة الثانية في 'أدرنة' (Edirne) والفرقة الثالثة في 'مكدونية' العسكريتين ، أصبحتا تحت إمرة 'نيازي' و'أنور' (٦). كما قام 'نيازي' بتشكيل لجان لإعداد الأهالي إلى جانب الجيش (٧) ذلك الجيش الذي لم يكن في الواقع من أعضاء الجمعية بل قام الضباط بإعدادهم للثورة (٨).

ولقد ازدادت المناطق التي وقعت تحت سيطرة ونفوذ 'نيازي' و'أنور' ومن هذه المناطق 'رسنة' و 'اسكوب' و'مناسيتز' و 'سلانيك' وبعض المناطق والقرى الأخرى (٩). حيث وصل نفوذهم لدرجة التحكم

(١) نيازي . خواطر، ص ١٣٥-١٣٧.

(٢) Pears . Life , p 288.

(٣) Ahmed . The Young Turk , p.8 ; Bayur . Türk , p.456 ; Volkan - Itzkowitz . The Immortal p.60.

(٤) Revue du Monde Musulman T,5, 1908, p. 718

(٥) Pears . life , p.288 ; Swallow . The Sick Man p.89 . ٢ ص ١٩٠٩ ، ٧ كانون ثاني، ١٩٠٩ .

(٦) أصاف . تاريخ، ص ١٣٦ ; Edib . Memoirs, P. 256 .

(٧) أصاف . تاريخ، ص ١٣٦ .

(٨) رامزور . تركية، ص ١٣٦ .

(٩) Edib . Memoirs, P.255 -256 ; Bayur . Türk ,P.459-466 ; Peter Mansfield . The Ottoman Empire and its Successors (London: The Macmillan Press L.t.d, 1973) P.24.

فيها والسيطرة عليها سيطرة شاملة، وتذكر رسالة واردة إلى صحيفة 'لندن' من مراسلها ما بلغه هؤلاء من سيطرة ، وذلك انه قبيل إعلان الدستور بيومين كان ضباط من الجيش العثماني في شوارع 'سلانيك' يقومون بلصق البيانات الثورية على الجدران، وفي مرة حاول أحد رجال الشرطة اعتراض الضابط الذي يقوم بهذا العمل، فاطلق عليه الرصاص وتم قتله، وفي حادثة أخرى جاء أحد الضباط واعترض الاعتراض نفسه، فقال له الضابط الاتحادي الثوري لا تقاطعني في عملي، فأنا أعطيك بخشيشا، ومد يده إلى جيبه واستخرج رصاصة ووضعها في كف المعارض، ففهم هذا ما يعنيه الأمر ، وهذا حدث في أهم شوارع 'سلانيك' المأهولة^(١).

كان الأمر يوحي بأن جيش الجمعية سيزحف إلى العاصمة بشكل حتمي، إذا لم يقم السلطان بالعمل على صد المتمردين، وكانت قد طرحت العديد من التساؤلات في عدم إرسال السلطان 'عبد الحميد' قوات عسكرية قوية كبيرة لمواجهة المتمردين، ويعتقد أنه لما أراد أن يرسل بقواته إلى الأناضول ليصد الثوار في الشمال أخذ الرأي العام ينظر إلى ذلك بمنظور أن جيشا مسلما يزحف ضد مسلمين ، الأمر غير المقبول، وقد جمع السلطان 'عبد الحميد' علماء المسلمين لاستصدار فتوى تحل له ذلك فما كان من المجلس الذي يعتبر أعلى مجلس شورى في المسائل الدينية ، إلا أن اصدر فتوى تحرم على المسلم ان يشهر السلاح في وجه أخيه المسلم^(٢) وإلى جانب ذلك كان السلطان 'عبد الحميد' نفسه غير مقتنع بالعنف وسيلة للتصدي للمتمردين، وهذا ما ابتعد عنه منذ بداية توليه مقاليد الدولة سنة ١٨٧٦.

ويوضح السلطان 'عبد الحميد' موقفه من ذلك الأمر فيقول: "سيقولون لي : انك تعلم كل هذا، ومع ذلك لم تتصد له، ولم تمنعه، لماذا أغضبت عينيك عن خراب الدولة وانهيارها؟ حاشا ليست المسألة مسألة إغماض عين، لقد كنت يقظا في كل لحظة، لكن لم أكن أستطيع منع هذا، كنت بمفردي وكان معهم كل أعداء العالم ، لم تكن طبيعتي ولا ظروفي تساعدني إلا بهذا القدر. ويدينني أصدقائي بأنني متساهل، أما أعدائي فيقولون أنني ظالم غدار، والجانبان مخطئان، فلا أنا كنت السلطان سليم الأول ولا بلاد السلطان سليم الأول كانت تحت إمرتي... [لقد] أدبت واجبي وسعيت وراء المصالح، وحرصت ألا أؤذي الأهالي، عارضت سفك الدماء في كل مكان، ولكن عبثا ما فعلته، وليس ما قدمته لأعضاء تركيا الفتاة شفقة"^(٣).

وبهذا يتضح أن السلطان 'عبد الحميد' كان يرغب حقا في حل جميع المشكلات التي طرأت من أجل أن يستتب الأمن داخل الدولة، فلا شيء يمنع القوات الاتحادية من التقدم في ظل موقف السلطان 'عبد الحميد' هذا، وبذلك كان ملزما بما تطالب به جمعية الاتحاد والترقي ظاهريا وهو إعلان الدستور.

(١) الهدى، نيويورك. العدد ١٤١، السنة ١١، الجمعية ٧ آب ١٩٠٨، ص ١.

(٢) النبراوي - مهنا، قضايا، ص ١٤٥ لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع أنظر - سعيد بن محمد الشرقي. ليلة خلع السلطان عبد الحميد الثاني الأخيرة، رواية شاهد عيان، دراسة وتحقيق، محمد عيسى صالحية (دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨).

(٣) Bozdağ . Abdülhamid , p.64-65.

وفي الصباح الباكر من يوم الخميس ٩ تموز ١٣٢٤ رومي/١٩٠٨/١٠ جمادى الآخرة ١٣٢٦ هـ اجتمع الباب العالي 'مجلس الوزراء' حتى الساعة الثامنة ليلاً، وجرت فيه مناقشات حامية اشترك فيها 'رضا باشا' قائد الجيش ودافع عن الاتحاديين في موقفهم بخصوص اعلان الدستور ، أما 'اسماعيل باشا' فقد طالب بالتكليف بالمتمردين والقضاء عليهم^(١) في الوقت الذي حاول فيه بعض الوزراء حمل السلطان على المماطلة والتمهل، غير أن السلطان قال في آخر الاجتماع بلهجة المقرر للرأي : "أنا الذي منحت الدستور في الأصل ، وقد كنت أنشره كل سنة في التقرير الرسمي ، لذلك سوف أمر بإجراء الانتخابات حالاً بموجب الدستور الأصلي كما هو قائم"^(٢).

وفي يوم الجمعة ١٠ تموز ١٩٠٨ تأخرت الصحف عن الصدور، فبدأت التساؤلات عن سبب تأخرها في حين كانت 'الحرية' قد أعلنتها الجمعية في 'مناسيتير' و'سلانليك'، وأصوات المدافع تلعن في كل مكان ، وكان السهم قد خرج من قوسه، وبعد هذه الساعات من التأخير، صدرت الصحف معلنة أن الحكم سيكون مقبداً في كافة الأقطار العثمانية، وإن إرادة سنية متصدر بهذا الشأن، وفيما بعد سمعت أصوات المدافع حول 'استانبول'، وتعاقد القساوسة بالمشايخ واليهود والنصارى بالمسلمين وأعلنت الحرية بشعارات جمعية الاتحاد والترقي 'الحرية والعدالة والمساواة'^(٣) وأعلن الدستور في يوم الجمعة ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٢٦ هـ^(٤) ٢٤ تموز ١٩٠٨^(٥). وتذكر 'صحيفة الهدى' أن الصدر الأعظم 'فريد باشا' وناظر الحربية 'رضا باشا'، وشيخ الإسلام 'جمال الدين أفندي' هم الذين نصحوا السلطان بإعلان الدستور دون تأخير^(٦).

كان السواد الأعظم من الأمة للعثمانية يجهل الدستور ومزاياه وكانوا غير مستعدين الإستعداد الكافي لتفهمه، كما أن للرجال الدستوريين الأكفاء كانوا قلائل في الدولة^(٧) ومما يدل على ذلك، وحتى على جهل كثير من الاتحاديين بالدستور، أن جمعية الاتحاد والترقي في 'استانبول' قامت بالاستعانة بأربعمائة من علماء الدين أرسلتهم إلى الولايات الآسيوية لإلقاء الخطب، وإفهام الناس معاني الدستور^(٨)، ويعتبر أن المعارضين للدستور من طبقة الخواص، كانوا أكثر من المؤيدين^(٩).

(١) طوران . أسرار، ص ٥٣ .

(٢) الهدى . نيويورك . العدد ١٤١، السنة ١١، الجمعة ٧ آب ١٩٠٨، ص ١.

(٣) طوران . أسرار، ص ٥٣-٥٤.

(٤) علي . خطط . ج ٣، ص ٣١٦.

(٥) مجهول . تلخيص، ص ١٤٨.

(٦) الهدى . نيويورك . العدد ١٤٠، السنة ١١، الخميس ٦ آب ١٩٠٨، ص ١.

(٧) المقتطف . ج ٥، م ٣٥، ١ نوفمبر ١٩٠٩، ص ١٠٥٩.

(٨) البشير . بيروت . العدد ١٨٧٧، ٢٨ أيلول ١٩٠٨، ص ٢.

(٩) حرب . السلطان، ص ٨١.

ومهما يكن من أمر فقد أصبحت السلطة الفعلية في يد جمعية الاتحاد والترقي بعد دخولهم 'استانبول' ، وقام السلطان بإسناد مناصب الوزارة الى الوزراء الذين أشارت عليهم الجمعية ^(١) ، مثل تعيين 'حسين حلمي باشا' صدرا أعظما ^(٢).

بعد هذه الأحداث شهدت الدولة العثمانية موجة كبيرة من عودة قادة الجمعية المتواجدين في المنفى مثل 'رحمي بك' ، و'حسين جاهد' ، و'جاويد بك' ، وهم من يهود الدونمة ^(٣) . كذلك زعيم جمعية الاتحاد والترقي في 'فرنسا' 'أحمد رضا' و'بهاء الدين شاكر' ^(٤) و'ناظم حكمت' وآخرين حيث تم استقبالهم بحفاوة بالغة ، وأقامت الجمعية لهما حفلين لتكريمهم ، وقد بقيت القوة السياسية والعسكرية داخل الجمعية في يد رجال 'سلانيك' ^(٥) حيث وصلت سلانيك آنذاك إلى قمة ازدهارها حيث أقيمت المسارح ودور السينما ، و العديد من النوادي ، وقاعات الاجتماعات والعديد من المحافل الماسونية ، وحوالي عشر مطاعم .. الخ ، حتى "أن مدينة سلانيك وصلت إلى ذروة ازدهارها بعد أحداث ثورة ١٩٠٨" ^(٦) .

وبمجرد أن سيطرت جمعية الاتحاد والترقي على زمام الأمور ، حتى تحول رجالها إلى مجموعة من المتعاطشين للسلطة ، وكانوا على استعداد لفعل أي شيء من أجل احتفاظهم بمراكزهم التي حصلوا عليها ^(٧) لذلك فقد قاموا بإعدامات عاجلة لكبار رجال الشرطة السرية ، وأقالوا وزارة 'فريد باشا' ، وصدر العفو العام وفتحت أبواب السجون ^(٨) ، ذلك أن الجمعية قدمت عريضة للسلطان 'عبد الحميد' يطالبونه فيها بالتوقيع عليها ، وهي بخصوص إصدار العفو العام ، ولما سألهم السلطان 'عبد الحميد' ، أليس في هذا الشمول خطر ، ولما أجابوا بأنه لا يوجد أي خطر ، قام بالتوقيع عليها ^(٩) ، وهذا الأمر أدى إلى انتشار الجرائم ، حيث يذكر 'مصطفى طوران' أنه شاهد بعينه حادثة إجرامية كانت جراء القرار الذي اتخذته الجمعية فيقول : "لقد شهدت بأم عيني حادثة تقشع منها الأبدان ، ما زلت أتخيلها ، إذ كان من بين المساجين وحش في صورة بشر اسمه ' أحمد الجزار ' حكم عليه بالإعدام بسبب قتله عددا من الأشخاص ، ثم خفض الحكم الى المؤبد ، ولما أطلق سراحه مع بقية المحكومين ، نزل إلى الشارع ، وأخرج سكينه من جيبه ، وبدأ يطعن كل من يصادفه في الطريق . فقتل تسعة أشخاص ، ثم توارى عن الأنظار ، ونشرت الصحف الحادث بالتفصيل ، وتمكن القاتل من الفرار إلى اليونان" ^(١٠).

(١) المقطف . مصر ، ج ١٠ ، م ٣٣ ، ١ أكتوبر ١٩٠٨ ، ص ٨١٣.

(٢) Childs . *Italo* , p. 21 ; Bozdağ . *Abdülhamid* . P.109.

(٣) مانتران . تاريخ ، ص ٢٤٧ ؛ المؤيد . مصر ، عدد ٥٧٤٨ ، الأحد ٢٥ أبريل ١٩٠٩ ، ص ١.

(٤) مانتران . تاريخ ، ص ٢٤٧.

(٥) Zürcher . *Turkey* , p.98.

(٦) Tunçay - Zürcher . *Socialism* , p. 51.

(٧) صويص . *أتاتورك* . ص ٥٣.

(٨) شاكر . التاريخ ، ص ٢٠٥.

(٩) طوران . *أسرار* ، ص ٥٦.

(١٠) المصدر والصفحة نفسها.

ولقد قامت جمعية الاتحاد والترقي بإرسال برقياتها إلى قناصل الدول الأجنبية، تخبرهم فيها أنها لن تمسهم، وأن جميع حقوقهم محفوظة مكفولة^(١)، في حين كان الحدث الهام أن السلطان 'عبد الحميد' أمر باتخاذ الترتيبات اللازمة لعقد البرلمان العثماني لأول مرة منذ أكثر من ثلاثين سنة^(٢) أي منذ افتتاحه لأول مرة في آذار ١٨٧٧^(٣)، حيث جرت الانتخابات له في ظل هذا الجو من التوتر، ولقد اختلف المؤرخون في عدد الأعضاء حيث يذكر 'زين نور الدين زين': أن عدد الأعضاء كان ٢٦٠ منهم ١١٩ نائباً تركيا و ٧٢ نائباً عربياً، أما بالنسبة لعدد المسلمين فكانوا ٢١٤ والمسيحيين ٤٢ واليهود ٤^(٤). أما 'ساطع الحصري' فيذكر أن عدد الأعضاء كان ٢٧٥ نائباً، ١٤٢ أتراك و ٦٠ من العرب و ٢٥ من الألبان و ٢٥ من الروم، و ٢٤ من الأرمن و ٥ من اليهود، و ٤ من البلغار، و ١ من الفلاح (الرومان)^(٥)، في الوقت نفسه الذي يذكر فيه، 'جورج أنطونيوس' أن عدد الأعضاء كان ٢٤٥ عضواً، من بينهم ١٥٠ من الأتراك و ٦٠ من العرب^(٦).

ولقد مثل 'القدس' في هذه الانتخابات ثلاث مسلمين هم: 'روحي بك الخالدي المقدسي'، و 'سعيد بك الحسيني'، و 'حافظ بك السعيد'، كما انتخب اثنان من 'فلسطين' هما الشيخ 'أحمد أفندي الخماسي' عن لواء 'نابلس'، و 'أسعد الشقيري' عن لواء 'عكا'^(٧)، وخلال هذه الانتخابات حاولت الحركة الصهيونية في فلسطين العمل على تثبيت قدميها على المستوى السياسي والقانوني؛ فدعت اليهود للانتساب لفرع جمعية الاتحاد والترقي في 'القدس'، بل وقامت بترشيح أحد أعضاء الحركة الصهيونية في الانتخابات وهو مدير بنك 'أنجلو فلسطين' (Anglo - Palestine) عن القدس، لكنه فشل في مسعاه هذا بسبب معارضة الفلسطينيين لهذا الترشيح، كما أن الناحيين اليهود يشكلون نسبة ضئيلة لا تكفي لإنجاح مرشحهم^(٨).

(١) Zürcher . Turkey, p.97.

(٢) Mandle . The Arab, p.58.

(٣) Lord Kinross . The Ottoman Centuries, the rise and fall of the Turkish Empire (New York : Morrow quill Paper Back, 1977) p.529.

(٤) زين . الصراع ، ص ٥٥ ، زين . نشوء ، ص ٧٩ .

(٥) الحصري . البلاد ، ص ١١٠ ؛ قارن مع - أوزتونا . تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٧٩ ؛ Ahined . The Young Turk p.28

(٦) أنطونيوس . بقعة ، ص ١٧٩ .

- والحقيقة أن عدد أعضاء مجلس المبعوثان كان مثار خلاف شأنه في ذلك شأن تمثيل الأقليات فيه، حيث يذكر Peter Mansfield أن عدد مجلس المبعوثان كان ٢٤٥ منهم ١٥٠ من الأتراك و ٦٠ من العرب انظر Mansfield - Ottoman, P25 في حين يذكر 'بوكتون' Buxton أن عدد الأرمن كان ١٢ والبلغار ٤ والصرب ٢ والفلاح (Vlachs) ١ واليهود ٣- أنظر . Buxton . Turkey, p.208. في حين يذكر 'برنارد لويس' أن العدد الإجمالي لمجلس المبعوثان كان ٢٨٨ منهم ١٤٧ من الأتراك و ٦٠ من العرب و ٢٧ من البانيا و ٢٦ من اليونان و ١٤ أرمني و ١٠ سلاف (ويشمل البلغار والصرب والمكدونيين الخ) و ٤ يهود .

- Bernard Lewis. The Jews Of Islam (London : Routledge & Kegan Paul, 1984) P.179.

(٧) حلاق . موقف ، ص ٣٠٦ .

(٨) Elie Kedourie - Sylvia . G. Haim (ed) . Palestine and Israel in The 19 Th and 20 Th Centuries (London : Frank; Cass 1982) p24- 25.

ورغم هذا فقد استطاع خمسة ممثلين عن الصهيونية واليهودية من الوصول إلى مواقعهم في مجلس المبعوثان كان على رأسهم 'عمانوئيل قره صو'، الذي خرج ممثلاً عن مدينة 'سلانيك' وهو زعيم من زعماء الماسونية، واحد أصحاب الكلمة المتفذة في جمعية الإتحاد والترقي^(١).

وفي ١٠ كانون أول ١٩٠٨ افتتح مجلس المبعوثان^(٢) وذلك بحضور السلطان 'عبد الحميد'، وسائر الأمراء العثمانيين، حيث هاجم بشدة 'بلغاريا' التي أعلنت في ٥ تشرين أول ١٩٠٨ استقلالها ولدت بأمرها قيصرًا على البلغاريين، كما هاجم 'النمسا' التي ضمت في ٧ تشرين أول ١٩٠٨ 'البوسنة والهرسك' نهائيًا إليها^(٣) ثم قال: "وأصدرت إرادتي بإجراء الانتخابات وعقد مجلس النواب طبقاً لأحكام الدستور، وعلى تحول شكل الإدارة وجه مسند الصدارة إلى عهدة 'كامل باشا' فتألفت الوزارة تحت رئاسته وأخذت تبحث في التشكيلات والتنظيمات اللازمة، موجها نحو الإدارة الداخلية"^(٤).

أما عن موقف جمعية الإتحاد والترقي تجاه 'بلغاريا' و'النمسا' فقد دل على عجز واضح وهم الذين يمسكون فعلياً بزمام الأمور، حيث اقتصر أفعالهم على مقاطعة البضائع النمساوية دون أن تستطيع الظهور بمظهر القوة والدفاع عن حقوقها بالسلاح^(٥). وبذلك اقتطعت أجزاء هامة من الدولة.

أما عن موقف أوروبا من ثورة ١٩٠٨ فقد صفقت طرباً و إعجاباً بها دون دماء تذكر، وحرصت 'انجلترا' بلسان وزير خارجيتها السير 'ادوارد غراي' (Edward Gray) التأكيد بأن المسألة المكدونية وما شاكلها من المسائل قد اختفت نهائياً بظهور الدستور، ورحب 'حزب الأحرار البريطاني' بالنظام العثماني الجديد، ولقد بلغت من ثقة أوروبا بالاتحاديين أن ألغت رقابتها الأجنبية عن 'مكدونية' حيث تركت سائر أمور الدولة لحكمة جمعية الإتحاد والترقي وفطنتها^(٦).

وأما العصابات الارمنية والبلغارية والصربية واليونانية المسلحة التي كانت لا تتقطع عن تربص الفرص لمهاجمة المخافر، وإحراق القرى، فقد قامت بالخروج من معاقلها ونزلت إلى مراكز الإدارة، تعلن تأييدها للعهد الجديد، عهد الحرية والعدالة والمساواة، حسب الشعار الذي اشتهرت به الجمعية بين

(١) Miller . The Ottoman ,p.479.

(٢) Buxton . Turkey, p . 127; Mansfield. The Ottoman ,P25-26 ; Swallow. The Sick Man, p.89-90 ; Ahmed. The Young Turk, p.31

- يذكر Kinross وأوزتونا : أن مجلس المبعوثان افتتح أبوابه في ١٧ ديسمبر ١٩٠٨ - p.57 Kinross . The Ottoman .
أوزتونا . تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٧٧ .

انظر - Child . Italo , P . 21 ; Kinross . The Ottoman ,p.576; Buxton . Turkey, p.209

لبيب . تاريخ، ص ٩٧ .

(٤) انظر نص الخطاب كاملاً في مجلس المبعوثان في عمران . دمشق . عدد ٣٩٢، ج ١٥، م ٢، السنة ١٣، ٢٦ ديسمبر ١٩٠٨، ص ٢٥٥-٢٥٦ .

(٥) لبيب . تاريخ، ص ٩٨-٩٩؛ أوزتونا . تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٧٨ .

(٦) لبيب . تاريخ، ص ٩٧ انظر Ahmed . The Young Turk, p.36-37

الناس^(١) ، حيث صدر عفو عمومي عنهم ، وبذلك عانت كل هذه العناصر الضاربة الهاربة الى تكوين وتنظيم نفسها من جديد ، بعد ان فتحت كل الابواب لها ، واصبح تأمين السلاح من الاقطار الخارجية الى هؤلاء أمرا أكثر سهولة. وفتحت منظمتا 'الهنشاك' و'الداشناك' شعبا لها بصورة رسمية ، وعلقت لوجاتها في شوارع 'استانبول'^(٢).

ولقد شهدت أجنحة جمعية الاتحاد والترقي تنافساً شديداً ، فقد ظهر للملا الانتصار جماعة أحمد رضا بك' القائلة بسياسة دمج وصهر عناصر الدولة، وبالحكم المركزي على جماعة السبرنس 'صباح الدين' الذي لم يفقد مكانته الشعبية رغم دعاية الاتحاديين التابعيين 'أحمد رضا' ضده^(٣)، ومن اجل ذلك عملت الجمعية على ان يقوم لليهود والمسيحيون بالخدمة العسكرية، حيث صرح الدكتور 'ناظم بك' (Nazim Bey) -أحد قادة جمعية الاتحاد والترقي-: "...يجب للنظر في تنظيم الخدمة العسكرية، لأن المساواة في الحقوق يوجب عن غيرهم المساواة في الواجبات، وقد كان المسيحيون والإسراييليون حتى الآن يعفون من الجندية وهم اليوم يطالبون بالقيام بها على نحو ما يخدم المسلمين"^(٤).

اما بالنسبة للعرب، فقد حملت الثورة معها الكثير من الوعود بالتغيير، وقد احتاج هؤلاء إلى بعض الوقت على أية حال لاكتشاف تلك التغييرات^(٥)، لكن العرب فيما بعد فوجئوا بتجاهل الجمعية لهم كلياً فقد استبد هؤلاء بالحكم حتى ان صحيفة 'الكون' هاجمت التفريق بين التركي والعربي فقالت: "ولكن حال السيادة لا يزال كما كان، ولا يزال الأتراك هم القابضون على أئنة الحكم، وييدهم زمام الأمور، فإذا كانت هذه الحركة الجديدة باسم الأمة كلها، فمن الواجب ان تشترك بمنافعها كل الأمة، وإذا كان الأتراك لا يفرقون بين العثماني والعثماني من حيث الجنس والمذاهب، فهذه احسن الفرص يستطيعون فيها ان يأتونا بالبرهان، نحن لا نتمنى أحسن من ان نعد كلنا أبناء وطن واحد، ولا جامعة لنا إلا العثمانية، وكل العناصر العثمانية"^(٦).

يمكن القول أن العلاقة بين جمعية الاتحاد والترقي والعرب كانت تزداد سوءاً يوماً بعد يوم، ولا سيما وأن ظهور القومية التركية تزامن مع ظهور القومية العربية، الأمر الذي جعل محاولات التوفيق فيما بينهما عملية صعبة، وادرك العرب حقاً ما كانوا عليه من الاحترام والتقدير للذي كان يكنه السلطان 'عبد الحميد' لهم.

وربما يعود سبب العلاقة السيئة هذه إلى عدم دراية جمعية الاتحاد والترقي بشؤون السياسة كما صرح 'جاويد بك' -أحد كبار قادة جمعية الاتحاد والترقي الذي أصبح فيما بعد وزيراً للمالية - حيث

(١) الحصري . البلاد، ص ١٠٩.

(٢) أوزتونا ، تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٧٩-١٨٠ .

(٣) برو . العرب، ص ٦٩.

(٤) المقتبس . دمشق، العدد ١٣، السنة ١، الأربعاء ٣٠ كانون الأول ١٩٠٨، ص ١.

(٥) Mandle. The Arab, P.58.

(٦) الكون . نيويورك السنة ٣، الخميس ٨ تشرين الاول ١٩٠٨، ص ١.

أوضح للسكرتير الأول بالسفارة البريطانية بأن جمعية الاتحاد والترقي تضم الشبان الذين تنقصهم الخبرة في الأعمال الإدارية بالرغم من تحصيلهم العلمي، كما أنهم كانوا يفتقرون إلى الاحترام والتقدير أيضاً^(١). وهذا فتح امام العرب أفاق جديدة، ذلك أن جمعية الاتحاد والترقي كانت ثورة على المفهوم المألوف للإسلام وعلى المرامي الإسلامية العالمية الجامعة عند السلطان 'عبد الحميد' الذي كان يسعى لأن يكون الزعيم الديني والدينيوي للمسلمين جميعاً^(٢).

ورغم هذه الأحداث الهامة والمتلاحقة يبرز السؤال الأهم، وهو لماذا بقي السلطان 'عبد الحميد' سلطاناً على سدة الحكم بعد ثورة ٢١٩٠٨.

يمكن القول في ذلك أن خلع السلطان 'عبد الحميد' كان على سلم أولويات جمعية الاتحاد والترقي، وهي لم تفكر يوماً في إبقائه على عرش الدولة، كون ذلك يشكل غاية الخطورة على ظموحاتها وتصوراتها والسلوات التي ناضلوا من أجلها، ويعتقد أن السبب في إبقائه، أن الجمعية لم تشعر بالقوة الكافية لفعل ذلك فعلى الرغم من الثورة وما ألمق بالسلطان 'عبد الحميد' من تهمة، إلا أنه كان لا يزال يحظى بالاحترام والتقدير الذي طالما حصل عليه سلاطين بني عثمان باعتباره ضرورة دينية ودينيوية لا غنى للعثمانيين عنه، وكانت الشعوب العثمانية ترى المحاولات التي قام بها خليفة المسلمين لحماية دولته من الأطماع الأوروبية، وهو الأمر الذي جعل الجماهير تثق بقدرته وذكائه وسياسته التي ربما لا تتوفر في أي شخص آخر قد يكون خلفاً له، في الوقت نفسه الذي خشيت فيه الجمعية رد فعل الجماهير التي كانت رغم الثورة تهتف بحياة السلطان، لذلك كان الأمر يوجب عليهم التريث.

أما الجيش فقد لعب دوراً هاماً في إبقاء السلطان 'عبد الحميد' في مركزه، وقد ذكرنا أن الجنود العثمانيين لم يكونوا بالضرورة أو حتى على الإطلاق ينتمون إلى جمعية الاتحاد والترقي، فقد كانوا مجرد جنود عاديين يتكونون من مختلف فئات المجتمع العثماني، ولم تتجرأ الجمعية على نشر دعايتها بين جميع الجنود ضد السلطان نفسه، لأن هؤلاء كانوا يجلسون السلطان، لا إمكانته كرئيس للدولة الدينية (الثيوقراطية) فحسب، بل للدور التقليدي الذي كان يقوم به السلاطين من حيث قيادتهم للجيش في مثل تلك الدولة العسكرية أيضاً^(٣).

ولقد تجمع العديد من الجنود إلى جانب عشرات الألوف من الجماهير الذين تجمعوا حول القصر السلطاني يهتفون 'عاش مولانا السلطان' (بادشاهم جوق ياشا - Padişahim Çok Yaşa)^(٤). وتكرر ذلك الأمر في الجيش الثالث فقام أحد الضباط خطيباً بالجماهير والجيش فقال: "إن الدستور لم يمنحه

(١) حلاق، مؤلف، ص ٣٣٩.

(٢) ت. أ. لورانس، أصداء الحكمة السبعة (ط٣، بيروت: دار الأفاق الجديدة، ١٩٧٩) ص ١٥.

(٣) رامزور، تركية، ص ١٥٠.

(٤) الهدى - نيويورك، العدد ١٢٣، الأربعاء ٢٩ تموز ١٩٠٨، ص ٢.

السلطان من تلقاء نفسه بل انتزع بجهود الجمعية، ثم قام الضابط بنزع الشعارات المؤيدة للسلطان وأيده في ذلك الجنود أنفسهم، لكن أعضاء الجمعية لم يكونوا يتقنون بما قد يفعله هؤلاء الجنود فيما بعد ^(١).
إن هذا الموقف يبعث الأمل في نفوس الضباط الاتحاديين ؛ إلا أن هذا الأمل سرعان ما خاب سريعاً، حيث حدث رد فعل عنيف من قبل الجنود ضد ضباطهم ؛ حيث أعلنوا أنهم يعتقدون أن هدف الضباط كان قتل السلطان 'عبد الحميد' أو عزله، وأصر الجنود على إرسال وفد منهم مكون من ٣٠٥ جنود إلى العاصمة ليؤكدوا للسلطان ولاءهم، وليتأكدوا أن السلطان في أمان ^(٢).
لذلك فإن هذا الأمر ألزم الجمعية بعدم التشدد في قضية خلع السلطان أو نفيه، لأن من شأن ذلك المغامرة الحقيقة بكل منجزات الجمعية، لذلك فقد استكفت الجمعية بإبقاء السلطة الحقيقة في يدها مع الأخذ بعين الاعتبار تحييد السلطان والعمل على إيجاد الفرضة الملائمة لخلعه . . .

(١) رامزور ، تركية ، ص ١٥٠-١٥١.

(٢) المصدر والصفحة نفسها.

٢ - أحداث مارس وخلع السلطان عبد الحميد الثاني ١٩٠٩.

رأينا أن جمعية الاتحاد الترقى سيطرت على زمام الأمور بالكامل، وكان مركزها في 'سلانيك' هو المسيطر على الجمعية وقراراتها، وكانت "حالة الولايات لا تستوجب الاطمئنان، ففي أوروبا نجد 'البانيا' و'مكدونية' منعزلتين عن مركز السياسة الرسمي، ولو لم تكن منافسة الدول لكانت انفصلت عن الدولة منذ زمن طويل، وها هي 'سلانيك' الآن قد قامت في وجه 'الأستانة'، وتريد أن تكون عاصمة جديدة أكثر حرية وأصق بأوروبا من الأستانة العثمانية الآسيوية، والظاهر الآن أن سلانيك أصبحت لها الغلبة على الأستانة" (١).

ولقد عُيِّن كثير من اليهود الدونمة والماسون في مناصب كبيرة، منهم 'جاويد بك' الذي عين وزيراً للمالية، وهو يهودي الأصل وماسوني بارع الذكاء موهوب، فيما عين 'طلعت بك' وزيراً للداخلية وهو الآخر ينتسب للمحافل الماسونية، كما قدم 'حلمي باشا' الصدر الأعظم، طلباً للالتحاق بالمحفل الماسوني لكنه لم يلاحق طلبه (٢).

أما بالنسبة للقوانين، فقد أعلنت الأحكام العرفية ولمدة سنتين، وكان معظم الضباط في المحاكم العرفية العسكرية من الماسون، وأمر مجلس النواب أن يصدر قانوناً صارماً للمطبوعات، وكان مدير المطبوعات يتمتع بسلطات واسعة حيث يستطيع إيقاف أي صحيفة عن الصدور، إذا وجهت إلى 'العهد الجديد' أي انتقاد، كما أنشأت وكالة أخبار تلغرافية شبه رسمية تقدم رأى جمعية الاتحاد والترقي في الأحداث الداخلية، ووضعت تحت إدارة يهودي من 'بغداد'، وكانت المساعي أن تؤتي ثمارها في تعيين يهودي صهيوني من 'سلانيك' مستشاراً لوزارة العدلية (٣).

كل تلك الأحداث وعدم تحقيق الجمعية للشعارات التي رفعتها وازدياد الانقسام في المجتمع العثماني جعلت 'ابراهيم تيمو' المؤسس الحقيقي يشعر بخيبة أمل، حيث سمع 'جمال بك' - الوزير جمال باشا فيما بعد - يقول له: "إن هذه الجمعية ليست تلك التي أسستها والتي قمت بالدعاية لها في الخارج، إن هذه الجمعية نتاج مناسيتير وسلانيك"، ولقد أصيب 'ابراهيم تيمو' بخيبة أمل أخرى عندما قام فرع جمعية الاتحاد والترقي بسحب ترشيحه لانتخابات البرلمان العثماني الجديد (٤). إلى جانب حالة الفوضى والصراع على السلطة واضطراب الوضع وغموض المستقبل والتضييق على حرية الكلام والصحافة والميل إلى الاستبداد، أي كل ما يتناقض مع ما كافح في سبيله (٥). وبذلك ضعف دور 'ابراهيم تيمو' الذي ناضل طويلاً من أجل أهداف جنى آخرون ثمارها، حيث قرر مع مجموعة من أصدقائه القدامى ومن

(١) المؤيد . مصر، عدد ٥٧٥٤، ٢ مايو ١٩٠٩، ص ١.

(٢) Kedourie . Arabic, p.251.

(٣) Loc . cit.

(٤) كلشي . الوجه، ص ٣٧-٣٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٨.

أبرزهم الدكتور 'عبد الله جونت' و'درويش هيم' أن يؤسس حزباً خارج نطاق جمعية الاتحاد والترقي التي كان قد أبعاد عنها رسمياً ، وفي ٦ شباط ١٩٠٩ تأسس 'الحزب العثماني الحر الديمقراطي' وهو أول حزب ديمقراطي داخل الدولة برئاسة 'ابراهيم تيمو' في الوقت الذي اختير فيه 'عبد الله جونت' نائباً للرئيس^(١). إلا أن هذا الحزب لم يكن على المستوى الكافي لإحداث تغييرات سياسية داخل الدولة. كما قام الليبراليون في وقت سابق بفصل أنفسهم رسمياً وأسسوا 'حزب الأحرار العثماني' (Osmanli Ahrar Firkasi) بزعامة البرنس 'صباح الدين' في ١٤ أيلول ١٩٠٨ ، حيث كانت خلافاته مع الجمعية أو بالأحرى مع 'احمد رضا' قد اشتدت لا سيما بعد سيطرة جناحه على الجمعية بأسرها^(٢).

وفي ٣ نيسان ١٩٠٩ كونت مجموعة من المشايخ والعلماء جمعية 'الإتحاد المحمدي' (اتحادي محمدي Ittihad Muhamiedi) وقاموا بإصدار صحيفة 'ولكان' (Volkan) وكانت هذه الجمعية ضد السياسة التي تتبعها جمعية الاتحاد والترقي وهي تدعو للتمسك بالشريعة الإسلامية (Şeriat)^(٣).

والحقيقة أنه بعد ثورة ١٩٠٨ شهدت الساحة العثمانية نشاطاً كبيراً في تكوين الأحزاب التي اتخذت تجاه بعضها مواقف سياسية وذلك بعد أن تحولت برامج جمعية الاتحاد والترقي إلى مزيد من المركزية الدكتاتورية والاضطهاد القومي للأقليات داخل الدولة^(٤).

أما الصحافة فقد أطلق لها العنان، حيث قامت بتطبيق خطة الجمعية في مدحها ، والنيل من السلطان 'عبد الحميد' ومركز الخلافة، إلا أنه وجدت إلى جانب ذلك صحف أخرى معارضة لجمعية الاتحاد والترقي.

ولقد قامت جمعية الاتحاد والترقي بطرد من وصمتهم 'بالظلم والاستبداد' من أنصار السلطان 'عبد الحميد' دون أية تعويضات، وكان الجيش آنذاك ينقسم إلى قسمين من الضابط، الأول: دخل الكليات العسكرية فخرج ثم ترقى في مناصبه، والثاني: ترقى بفضل خدماته وتحمله المشاق في شتى أنحاء الدولة وقد قامت جمعية الاتحاد والترقي بتسريح القسم الثاني بجرة قلم دون أية تعويضات تذكر أو رواتب ، فساءت أحوالهم وأصبحوا من المعادين للجمعية^(٥). وإلى جانب الجيش كان هناك طلاب المدارس الشرعية الذين فرضت عليهم الجمعية التجنيد الإجباري بعد أن كانوا معفيين منه، وقام هؤلاء بمناصبه الجمعية العداء كذلك^(٦).

(١) كلشي الوجه، ص ٣٨-٣٩.

(٢) Feroz Ahmed. *The Making of Modern Turkey* (London – New York : Routledge 1993) p. 34; Ahmed. *The Young Turk*, p.28.

(٣) Kinross. *The Ottoman*, P.576 ; Zürcher. *Turkey*, p.34 ; Ahmed. *The Young Turk*, P.40.

(٤) بيرى أندرسون . *دولة الشرق الاستبدادية*، ترجمة، بديع عمر نظمي (ط١، بيروت : مؤسسة الأبحاث العربية،

١٩٨٣) ص ٤٠.

(٥) طوران . *أسرار*، ص ٦١.

(٦) المصدر نفسه، ص ٦١-٦٢.

وأما من حيث جمعية الاتحاد والترقي نفسها، فقد ظفر نفر منها بالمناصب الهامة، مثل القائم مقام أركان حرب 'جمال بك' والبكباشي أركان حرب 'أنور بك'، والبكباشي أركان حرب 'فتحي أوقيار' الذين أصبحوا ملحقين عسكريين، وقسم عز عليه ان تكون الأسلاب والمناصب حكراً على فئة دون الأخرى، فلجأوا إلى المعارضة^(١).

ويمكن إيجاز أعمال جمعية الاتحاد والترقي بعد سيطرتهم على سياسة الدولة بما يلي :

- ١- التدخل في شؤون الحكم مباشرة.
- ٢- منح الوظائف العامة لأعضائها ، وطغيان المطامع الشخصية.
- ٣- ابتلاء رؤسائها بحب الظهور والرياسة.
- ٤- كانت أعمالها بوحى هواها، لا بما تحتمه القوانين العامة.
- ٥- استخدام الجيش وقوى الحكومة كرأس حربة لتنفيذ سياستها بدلاً من القانون والمنطق.
- ٦- عدم البحث عن الكفاءة والأهلية في شغل الوظائف العامة خصوصاً فيما يتعلق بالوزراء وقادة الجيش .

٧- الاستمرار في استخدام طرق الجمعيات السرية لتحقيق سياستها^(٢).

أما العرب فقد اعتقدوا أن إعلان الدستور من جديد كان بمثابة حياة جديدة ترتقي بالدولة وبجميع شعوبها إلى مصاف الدول الحية الراقية، فوجهوا كل عنايتهم إلى هذه الغاية وتناسوا كل شيء في تحقيق ذلك^(٣)، إلا أن جمعية الاتحاد والترقي سرعان ما أساعت الظن بالعرب، حيث عملوا عند السلطان 'عبد الحميد' على إخافته من قيام العرب على إقامة خلافة عربية^(٤)؛ لكن هذه المسألة أرقّت الاتحاديين فيما بعد أكثر مما أرقّت السلطان نفسه.

أما في العاصمة 'استانبول'، فقد قامت صحيفة 'إقدام' (İkdâm) - التي كان 'حسين جاهد بك' يقوم بتحريرها مع صحيفة 'صباح' (Sabah)^(٥). بانتقاد خطة جمعية الاتحاد والترقي فقالت : " ان الدستور لا يبيح عقد جمعيات سرية، لذلك يتوجب على الجمعية أن تحل نفسها طبقاً للدستور، ورأت الصحيفة أن الجمعية قد أنهت وظيفتها ويتوجب عليها عدم التدخل في الأمور السياسية^(٦).

(١) طوران . أسرار، ص ٦١.

(٢) حمادة . الأدبيات، ص ٣٥٠.

(٣) مجهول . ثورة ، ص ٤٧.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٨.

(٥) إلى جانب صحيفة 'صباح' و'إقدام' قام 'حسين جاهد' مع 'توفيق فكرت' Tewfik Fikret بتأسيس وتحرير صحيفة

'طنين' Tanine في ٢٠ يولييه ١٩٠٨ انظر - Edib. Memoirs P.257.

(٦) البشير . بيروت، العدد ١٨٩٢، ٤ كانون ثاني ١٩٠٩، ص ٣.

ولقد طالب 'الآلاي صادق بك' ^(١) بأن يكون الجيش بعيداً عن الماسونية حيث قال: "ومن هذه الوجهة لا يجوز أبداً أن يكون للجيش العثماني صلة بالتحاق الماسونية أو غيرها. قد تكون الماسونية نافعة للإنسانية، ولكن ذلك لا يمنع وجوب بقائها في دائرتها، وليست مقاومتي للماسونية أكثر من اجتهد في منعها من الانتشار في صفوف الجند، وأنا أحترم كل عامل من العوامل الدافعة للإنسانية، ولكن يجب ألا تكون لهذه العوامل علاقة بالسياسة" ^(٢).

ويبدو أن 'صادق بك' قد راعى قوة الماسونية، لذلك فقد عبر عن عدم صلاح الماسونية، بغض النظر عن أهدافها للجيش، والتي يبدو أن 'صادق بك' نعتها بأن لها أهداف إنسانية بحكم رغبته في عدم خسران حياته، لكنه كان يرى أن تترك الجمعية للحكومة الحرية في عملها، وتكتفي بالمراقبة عليها، فلا تتعرض لشيء إلا إذا رأت الدستور مهدداً بالزوال، لذلك فقد عول 'صادق بك' على تقديم استقالته، لأنه كان يرى اشتغال الضباط والجيش بالسياسة من أعظم الأخطار التي تهدد الدولة ^(٣).

وإلى جانب ذلك فقد اشتهر عن قادة جمعية الإتحاد والترقي البعد التام عن الدين، بل إن عددا منهم قد جاهر بعداوتهم للإسلام وعلن الحادة، وهذا الأمر أثار عداوة رجال الدين وأصحاب المدارس والطرق الدينية ^(٤). ويمكن إجمال القول أن البلاد العثمانية أصبحت ضحية لغفلة هؤلاء وإنها لغفلة لا يمكن الصفح عنها ^(٥).

أحداث ٣١ مارت 31 Mart Hadisesi ^(٦)

اتضح مما سبق أن جمعية الإتحاد الترقي لم تلتزم قط بما كانت تدعو إليه من حرية التعبير والحكم الدستوري والحريات الفردية واحترام الأديان والأقليات، والقضاء على 'الإستبداد' بل أن استبدادها فاق كل ما شاع عن بعض السلاطين وكانت الأمور تنذر حقاً بحدوث تغير، فلقد تكونت هناك طبقة كبيرة من المعارضين من مختلف الاتجاهات الدينية والعسكرية والسياسية.

^(١) الأمير آلاي صادق بك. مير: أمير وآلاي: تركية تعنى اللواء أو الفرقة الكبيرة والكلمة تعنى إجمالاً قائد الفرقة، وهي ما يعرف باللواء. وصادق بك هذا هو الذي وقف بوجه الاتحاديين والماسونية اليهودية فألف حزب " الحرية والائتلاف" وانضم إليه 'كامل باشا' و'حسين حلمي باشا' و'محمود مختار باشا' وهم من الذين شغلوا منصب الصدر الأعظم في أوقات سابقة. إبراهيم صالح شكر. كلم وزير، تاريخ ما أمهله التاريخ من حوادث المسألة العربية، الحجاز وسورية والعراق، تحقيق، خالد محسن إسماعيل، (بغداد: مطبعة المعارف، ١٩٧٠) ص ٦٤.

^(٢) الآلاي صادق بك. "بيان الأمير الآلاي صادق بك في الدستور والجيش والسياسة العثمانية" (الماسونية والاتحاد

العثماني) المعارف، ج ٥، م ١٤، ص ٣٧٧؛ حمادة. الأدبيات، ص ٣٤٦

^(٣) شيخو. المر، ك ٦، ص ٣٤.

^(٤) محمد علي. السلطان، ص ٣٢٥.

^(٥) Bozdağ, Abdulhamid, p. 64-65.

^(٦) ٣١ مارت حسب التقويم الرومي لسنة ١٣٢٥ ويصادف ٢٢ ربيع الاول ١٣٢٧ هـ، الموافق ١٣ أبريل ١٩٠٩ م.

لقد قامت الجمعية بزعة كيان الدين الذي كان العامة يرون فيه سبب عزتهم وكرامتهم، وفي أحيان كثيرة قام الاتحاديون بالبطش برجال الدين، وأدخلوا العديد منهم السجون، وكان ذلك البداية لإشغال الفتنة، في الوقت الذي لم يتلق هؤلاء العلماء ورجال الدين أي نوع من التحقير والضربات أثناء تعاملهم مع 'المدافع عن العقيدة' السلطان 'عبد الحميد' (١). لذلك كله بدأت الصحف المعارضة لسياسة جمعية الاتحاد والترقي تقوم بمهاجمة الجمعية ومن هذه الصحف، كانت 'سربستي' (Serbesti) التي هي لسان حال 'حزب الأحرار' الذي يقوده الأمير 'صباح الدين'، حيث أخذت تطعن في الجمعية وتنتشر شائعا من أسرارها وأفعالها (٢)، ولما كانت سياسة الجمعية تكميم أفواه الصحف المعارضة فقد بدأت — 'حسن فهمي بك' رئيس تحرير صحيفة 'سربستي' حيث تم اغتياله ليلة ٧ نيسان ١٩٠٩ على جسر 'غلاطة' (Galata) (٣)، وقام القاتل الذي كان يلبس بدلة ضابط من تلك التي كان يلبسها ضباط جمعية الاتحاد والترقي (٤)، بإلقاء نفسه في البحر حيث كان زورق صغير ينتظره فلاذ بالفرار، قبل أن تتمكن الشرطة من إلقاء القبض عليه، وعلى الرغم من إلقاء القبض على عدد من الأشخاص فيما بعد، إلا أن القتل الحقيقيين كانوا من كبار رجال الجمعية، ولم تصل لهم التحقيقات (٥)، ونشرت للجمعية الجملة المعهودة "رغم التحريات لم يعثر على القتل" (٦).

ولقد قامت جمعية الاتحاد والترقي بإصدار منشور للصحف تورات فيه مما تتهمهم به هذه الصحف من قتل 'حسن فهمي بك'، ونفوا أنهم قتلوا أو حرضوا على قتله، وأن الجمعية بعيدة كل البعد عن ذلك (٧).

وفيما بعد أسفرت التحقيقات عن تغيب بوليس نقطة الجسر من جهة 'غلاطة' عن مكان وظيفته، كذلك تغيب شخصين من البوليس مكلفان بالوقوف بجانب الجسر، فألقي القبض عليهما (٨). وهذا التغيب لأفراد البوليس اعتبر متعمدا، وعزز الاعتقاد بأن الجمعية هي التي تقف وراء ذلك الحادث، ولقد حاولت جمعية الاتحاد والترقي قتل 'إبراهيم تيمو' بنفس الطريقة (٩)، وكان لذلك الحادث أثره في النفوس في ظل وجود ظروف غاية في التوتر والآراء المسبقة التي تكونت لدى عامة الشعب عن جمعية الاتحاد والترقي، وإلى جانب ذلك كانت هناك حادثة أخرى تمثلت في تحول جنازة 'حسن فهمي' إلى مظاهرة عارمة

(١) Mardin, *The Genesis*, p.408.

(٢) المؤيد . مصر، الثلاثاء ٢٠ أبريل ١٩٠٩، ص ٤.

Ahmed, *The Young Turk*, p.38-39.

(٣) طوران. أسرار، ص ٦٣. Kuran, *Inkilâp Tarihimiz*, p276. Kuran, *Inkilâp Harketleri*, p461.

(٤) ألما وتلن. عبد الحميد ظل الله على الأرض، ترجمة راسم رشدي، (القاهرة: دنا، ١٩٥٠)، ص ١٩٢.

(٥) طوران. أسرار، ص ٦٣.

(٦) أوزتونا. تاريخ، ج ٢، ص ١٨٠.

(٧) العمران. دمشق، العدد ٤٠٦ السنة ١٣، ج ٢٩، ٢، ١٧ أبريل ١٩٠٩، ص ٥١٠.

(٨) المصدر والصفحة نفسه.

(٩) Kuran, *Inkilâp Harketleri*, p.461, Kuran, *Inkilâp Tarihimiz*, p276.

اشترك فيها الآلاف^(١). ورغم ذلك لم تتوقف الصحف المعارضة عن العمل، فقد كانت هناك صحف تضايق وتعارض الجمعية في سياساتها مثل صحيفة 'نيري حقيقت' (Neyyiri Hakikat) وصحيفة 'سنجو' (Süngü) وصحيفة 'بومبا' (Bomba) التي كانت تصدر في 'سلانيك'^(٢). ومهما يكن من أمر، فقد حدث هناك أمر آخر كان بمثابة الشرارة الثانية في أحداث ٣١ مارت وكان ذلك هذه المرة في ثكنة 'طاش قشلة'^(٣) (Taşkişla) ويذكر 'مصطفى طوران' أحد شهود العيان لهذه الحادثة بقوله: "وفي الجمعة الثانية عشر من عام ١٣٢٥ رومية، وبعد أن حضرنا الاستعراض في بلدز عدنا إلى ثكنتنا طاش قشلة، فوجدنا في كل مهجع شيخا ذا لحية وعمامة، رأيناهم يلقون دروس الوعظ بين الجنود الذين لم يشتركوا في الاستعراض، وعلمنا فيما بعد أن قيادة القوات الخاصة هي التي طلبت منهم هذه الدروس الدينية، وكان عدد المهاجع في هذه الثكنة يتجاوز الثلاثمائة، وسألنا بعض هؤلاء المشايخ عما إذا تقاضوا أجرا لقاء هذا العمل، فقالوا: بأن موظفين حكوميين قدموا إلى مدارسهم، فأعطى لكل واحد منهم سلعة مقدارها ليرة ونصف، وأنهم سيقومون بإلقاء هذه الدروس بالتناوب في ثكنتي 'طاش قشلة' و'به أوغلي' (beyoğlu)^(٤). وهي أكبر الثكنات العسكرية في الدولة، ثم يتسأل 'مصطفى طوران' ألم يعلم القادة في هذه الثكنة بهذا الأمر، وهل يعقل أن كل هؤلاء المشايخ يدخلون ويخرجون دون علم من قادة هذه الثكنة^(٥).

أما الشق الثاني في الحادث، فكان يوم ٣١ مارت حيث دعي إلى اجتماع عام في الثكنة، وكان النداء يتضمن اسم كل فرقة مع ذكر أرقام كتائبها وطوابيرها، ولما اجتمعت الفرق جميعها في ساحة الثكنة، دقت موسيقى الاستعداد والتحية لجنرال باشا لم يره أحد في الثكنة من قبل، وكان معه عدد من الضباط، وبعد أداء المراسم، قال للجنرال بأنه سيتلو إرادة سلطانية فقال: "لقد تراءى في أجواء بلاد الروم سحب سود تهدد مقدرات البلاد، هذه السحب ليست دلائل خير، انكم يا أبنائي الجنود حراس هذا الوطن. من سواكم يدفع الكيد عن الإمبراطورية التي بناها أجدادنا قبل ستمائة عام، وروثها الأجيال بدمائها، ولكي تكون رؤيتكم للعدو واضحة، أطلب منكم أن تلبسوا قبعة جديدة لقد أصدر شيخ الإسلام فتوى بجواز لبس هذه القبعة، فمن الواجب عليكم إطاعة أولي الأمر...^(٦) ثم أخرج الجنرال من صندوق كان محمولا قبعة وقام بلبسها^(٧) ولم يدر في خلد أحد أن هذا الجنرال الباشا والضباط الذين معه لبسوا زيفا لبس الضباط،

(١) وتلن. عبد الحميد، ص ١٩٢-١٩٣؛ Kuran. *Inkilâp Tarihimiz*, p276؛ Kuran. *Inkilâp Hareketleri*, p.461.

(٢) Loc. cit.

(٣) طاش قشلة. تقع هذه الثكنة في وسط أستانبول، وهي الآن كلية الهندسة في إستانبول.

(٤) طوران. *أسرار*، ص ٧٥-٧٦ به أوغلي: حي من أقدم أحياء إستانبول.

(٥) المصدر نفسه، ص ٧٦.

(٦) المصدر نفسه، ص ٧٦-٧٧.

(٧) المصدر نفسه، ص ٧٧؛ انظر - وتلن. عبد الحميد، ص ١٩٢.

ليحبكوا الفتنة، حيث أن ارتداء قبعة لرجل مسلم في الدولة يعنى إلقاء شعلة في برميل من البارود، وقامت الهيئة المزيفة تلك بفعل الأمر نفسه في تكتة المدفعية في 'به أوغلي' (١).

وما إن اختفت هذه الهيئة من هذه التكتات، حتى كان هناك جواسيس لبسوا لباس ضباط صف (رقباء وعرفاء) دب فيهم النشاط، فقام شخص يدعى 'عمر ناجي' وصعد عربة عسكرية، يخطب بالجنود قائلا: "أيها الأخوة الجنود اقتربوا مني، لي بعض كلمات أقولها، ألسنا مسلمين؟ ألم يرسلنا آباؤنا وأمهاتنا لخدمة هذا الدين المبين؟ أتدرون ما معنى لبس هذه القبعة في الإسلام؟ معناه أن نخلع عهد الإسلام من رقابنا، ونصير كفارا، فماذا تنتظرون، لقد ضحى آباؤنا وأجدادنا بأرواحهم في هذا السبيل، إن الإسلام ينتزع منكم، ثم خاطب كتيبة الرماة قائلا: أقول لكم أيها الأبطال : أجنتم بالحرية كي تصبح كفارا؟ ألم تكن مهماتكم حماية الحرية وحماية الإسلام الذي هو ديننا" (٢).

وكان جواسيس جمعية الاتحاد والترقي المنتشرين بين الجنود يطالبون بتنظيم مسيرة إلى مجلس المبعوثان، حيث علا الصراخ والضجيج، ودقت الموسيقى لحمل السلاح، ولما أراد بعض العقلاء منعهم اعتقلوا جميعا، كذلك حدث في تكتة 'به أوغلي' (٣). وبذلك تجمعت الأحداث لتخرج على شكل ثورة (٤) مارت (٤).

بذلك ثار الجنود ومشوا صفوفًا وكلهم جنوة نار تتقد (٥)، وإلى جانبهم انضمت كتيبتا الرماة الثالثة والرابعة، وكتيبتا القوات الخاصة السابعة والثامنة، حيث قام بعض المحرضين بإطلاق النار من مسدساتهم، فأتبعهم الجنود بإطلاق نيران رشاشاتهم، وفي الطريق انضم إليهم جنود آخريين إلى جانب العديد من المدنيين، وسار هذا الموكب الضخم نحو 'جسر غلاطة'، حيث قتل 'حسن فهمي بك' (٦). وهناك كان الجيش القادم من تكتة 'به أوغلي' قد لحق بالثائرين، وعند وصولهم إلى 'المسجد الجديد' (بني جامع)، استقبلهم جمع كبير من طلاب المعاهد الدينية المميزين بعمائمهم البيضاء، وهم يصرخون على أولئك الذين يريدون أن يلبسوا الجنود القبعات الأوروبية (٧).

وكان الجيش أكثر الناس مشاركة في الأحداث حيث ارتفعت أصوات أسلحتهم في الشوارع وهم يهتفون: 'عاش مولانا السلطان 'بادشاهم جوق ياشا' (Padişahim Çok Yaşa) (٨). في حين كان طلاب

(١) طوران . أسرار، ص ٧٨ ؛ انظر - وثلن . عبد الحميد، ص ١٩٢.

(٢) طوران . أسرار، ص ٧٨-٧٩.

(٣) المصدر والصفحة نفسها؛ انظر - Atilhan.. Islami, P.186.

(٤) المؤيد . مصر ، الثلاثاء ٢٠ أبريل ١٩٠٩، ص ٤.

(٥) الهدى . نيويورك، عدد ٤٤ سنة ١٢، الاربعاء ١٤ نيسان ١٩٠٩ ص ٢.

(٦) طوران . أسرار، ص ٨٠ ؛ مانتوران . تاريخ، ص ٢٥١.

(٧) طوران . أسرار، ص ٨٠.

(٨) Kuran. Inkılâp Tarihimiz, p.277 ; Kuran. Inkılâp Hareketleri, p461.

الشريعة والمعاهد الدينية يهتفون: 'فلتفش الشريعة المحمدية (باشا سون شريعة محمدية - Yaşasin Şeriatı Muhammadiye) (١). 'نريد تحكيم الشريعة' (٢).

ولقد اجتمع هؤلاء الدراويش والأئمة وعلماء الدين وفرق الجيش وطلبة المعاهد الدينية (٣) حتى أصبحوا في موكب ضخم على شكل سيل جارف من البشر. ثم توجهوا إلى ساحة مسجد 'آيا صوفيا' وهناك كان الناس قد ملؤوا الساحة حتى تسلقوا أشجار الكستناء الباسقة كأنهم جراد منتشر، ثم قاموا بمحاصرة مجلس المبعوثان، وسط صحبات المطالبين بتطبيق الشريعة وأصوات الأذان المنطلقة من العربات التي تجرها الخيول (٤)

وهناك في هذه الساحة طالب جميع المحتشدين بتطبيق الشريعة، ومع أن السلطان 'عبد الحميد' أرسل رئيس كتابه 'علي جواد بك' حال سماعه نبأ هؤلاء، يخبرهم فيها أن الشريعة بخير وأنه ليس بمقدور أحد مهما كان المس بها، إلا أن هؤلاء كانت لهم مطالب أخرى سياسية أكثر منها دينية وهي:

- ١- عزل الصدر الأعظم 'حلمي باشا' وناظر الحرية 'رضا بك' و ناظر البحرية.
- ٢- طرد 'أحمد رضا' رئيس مجلس المبعوثان، و'حسين جاهد بك'، و'جاويد بك'، و'رحمي بك'، و'طلعت بك'، وهم من يهود الدومة. إلى جانب العديد من قيادي الجمعية أمثال القائد العسكري 'إسماعيل حقي بك'.

٣- العفو عنهم، وضمان عدم تقديمهم للمحاكمة.

- ٤- عزل 'محمود مختار باشا' قائد الجيش الأول، كونه لم يشترك معهم في مطالبهم (٥)
- ولقد ابتدأت الأحداث في 'إستانبول' وامتدت إلى ولاية 'أرضروم' كما امتدت إلى 'ديار بكر' وغيرها من المناطق (٦)، وأثناء ذلك الهياج قام المتظاهرون الذين يهتفون بحياة السلطان بهدم 'قوس النصر' التذكاري الذي أقامته جمعية الاتحاد والترقي ابتهاجا بإعلان الدستور في 'أضنه' (٧) ونادى الضباط 'الآلايات' بتسريح ضباط الجيش خريجي الكليات والمعاهد العسكرية (٨).

ويجمل 'ارمسترونج' ذلك الأمر بقوله: 'يهود وماسون وليسوا أترাকা ولا مسلمين، وكل ما يهدفون إليه هو القضاء على الإسلام والخلافة ... لقد تمرد جنود القسطنطينية، وقتلوا ضباطهم وسجنوهم

(١) الحصري. البلاد، ص ١١١.

(٢) طوران. أسرار، ص ٨٠؛ الشناوي. الدولة، ج ٢، ص ١٠٠٦.

(٣) الشناوي. الدولة، ج ٢، ص ١٠٠٦، انظر Zürich. Turkey, p. 100-101.

(٤) طوران. أسرار، ص ٨٠؛ وتلن. عبد الحميد، ص ١٩٤؛ Ahmed. The Young Turk, p. 26-27.

(٥) المحامي. تاريخ، ص ٧٠٧، Ahmed. The Young Turk, p. 40-41؛ انظر - العمران. دمشق، عدد ٤٠٦، سنة ١٣، ج ٢٩، م ٢، ١٧ أبريل ١٩٠٩، ص ٥١١.

(٦) رفيق العظم الانقلاب الميمون المنار، مصر، ج ٥، م ١٢، ص ٣٤٢.

(٧) Miller. The Ottoman, p. 480.

(٨) Lewis. The Emergence, p. 216.

...وأعلنوا ولاءهم للسلطان خليفة الرسول الأعظم، ثم استولوا على القسطنطينية وطردوا أعضاء جمعية الإتحاد والترقي منها^(١). ولقد اتسمت هذه الأحداث بالعنف، كونهم اعتبروا الدستور الذي يحكم البلاد مسؤولاً عن النكبات التي حلت بالدولة، ومناقياً للإسلام^(٢)، وأما هؤلاء المتجمعين أمام مجلس المبعوثان، فقد سمعوا أصوات طلقات نارية، وانتشر خبر يقول: إن أحد الذين يريدون جعل المسلمين كفاراً قد قتل، ثم تبين بعد ذلك مقتل 'محمد شكيب أرسلان بك' نائب 'اللاذقية'، وأرادوا سحبه في الشوارع وتمزيقه ظناً منهم أنه 'حسين جاهد بك'^(٣) وما قتل إلا لمشابهته به^(٤).

ولما رأى 'ناظم باشا' ناظر العدلية (Adliye Naziri) فداحة ما حصل تملكته الشجاعة، فظهر من إحدى النوافذ، وخاطب المتجمهرين قائلاً: 'يا أبنائي الجنود، إنكم لمخدوعون، مخطئون في ظنكم، الشريعة قائمة لم يمسه أحد بسوء، وما أن أتم كلامه، حتى صرخ أحد المتجمهرين، اقتلوه إنه عدو الشريعة الأول، وقام 'حمدي جاويش' وهو أحد ضباط الصف بإطلاق النار عليه ظناً منه أنه 'أحمد رضا' رئيس مجلس المبعوثان^(٥).

إلى جانب ذلك فقد أصيب 'رضا باشا' ناظر الحربية في فخذه، واستمر هؤلاء في البحث عن 'أحمد رضا' و'حسين جاهد' بعد أن تأكدوا من نجاتهما، ثم قاموا بهدم نادى جمعية الإتحاد والترقي، وإدارتي صحيفتي 'طنين' (Tanin) و'شوراي أمت' (Şurayî Ümmet) ونهبوا ما فيهما، ثم هجموا على المدرسة الحربية ليقتلوا من فيها، فقتل العديد منهم^(٦) على يد الضباط والجنود الذين حصلوا على رتبهم نظير خدماتهم في الجيش.

وكان قد أرسل منشور بتاريخ ١٥ نيسان ١٩٠٩ إلى جميع الحكام العثمانيين يطلب منهم المحافظة على مبادئ الشريعة الإسلامية، ويبدو أن المتعصبين في 'أضنة' فسروا هذا المنشور بذبح بعض الأرمن^(٧) وكل ذلك كان على مستوى الجنود والضباط ورجال الدين، حيث قامت فتنة أخرى في جهاز البحرية العثماني وتمثل ذلك في اعتقال 'علي قبولي' (Ali Kubuli)، قائد البارجة الحربية 'أثار التفويق' (Asar-i Teufik) على يد جنود البحرية حيث اتهم بمحاولة تدمير قصر 'يلدز' بهدف قتل السلطان 'عبد الحميد'^(٨) ويذكر 'كوران' (Kuran) أن 'علي قبولي' كان مشتركاً في اجتماع حضره 'أنور بك'

(١) Armstrong, Grey Wolf, p.41.

(٢) مانتران. تاريخ، ج ٢، ص ٢٥٠.

(٣) طوران. أسرار، ص ٨١؛ النبراس. بيروت، ج ٥، م ١، ص ١٨٤.

Kuran. Inkılâp Hareketleri, p.462. Kuran. Inkılâp. Tarihimiz, p.267. انظر

(٤) العمران. دمشق، عدد ٤٠٧، سنة ١٣، ج ٣، م ٢، ٢٤ أبريل ١٩٠٩، ص ٥٣٣.

(٥) طوران. أسرار، ص ٨١.

(٦) النبراس. بيروت، ج ٥، م ١، ص ١٨٤.

(٧) مانتران. تاريخ، ج ٢، ص ٢٥٢، p.216. Lewis. The Emergence,

(٨) طوران، أسرار، ص ٨٣-٨٤ Kuran. Inkılâp Tarihimiz, p.280

(Enver Bey) ، تم خلاله التهديد بقصف قصر 'يلدز' وأن خلافا حدث داخل البارجة فقام رجال البحرية في بارجته باعقلاله، والذهاب به الى قصر 'يلدز' (١). أما 'طوران' فينفي ذلك عن 'علي قبولي' وأنه اتهم زورا بذلك (٢)، ومهما يكن فقد وضع 'علي قبولي' في قفص وساروا به وهم يهتفون الأناشيد الوطنية وما أن وصلوا إلى القصر السلطاني حتى علت هتافاتهم بالولاء للسلطان عبد الحميد، مما اضطر السلطان إلى الظهور من نافذة دائرة الارتباط وسألهم عن مطالبهم، فقالوا أنهم يطالبون بالشرعية بحق 'علي قبولي' ولما طلب السلطان عبد الحميد رؤية 'علي قبولي'، جيء به خائر القوى مرتعش ، وبعد أن أدى التحية العسكرية قال : " عبدكم البكباشي 'علي قبولي' قائد البارجة 'آثار التوفيق'، أمد الله في عمر جلالة سلطاننا، إن شكوى هؤلاء الجنود نابع من جهلهم، وعن تحريض مقصود" (٣).

وهنا أمر السلطان باستجوابه في مقر البحرية، لكن المحتشدين الذين التقوا حول القصر علت اصواتهم بضرورة معاقبته في المكان، حيث قام أحدهم بضربه بيديه ورجليه صارخا، إنه خائن الشريعة، خائن الدين، خائن الوطن، ولما رأى رجال القصر ذلك حاولوا إنقاذه بكل الوسائل، إلا أن التجمهر حال دون ذلك ، وقام أحد هؤلاء ويدعى 'سلمان الكرزي'، بطعن 'علي قبولي' بحربة بندقيته في بطنه وصدره وجوانبه، فصدرت عنه صرخة ألم مدوية (٤) وبذلك قتل 'علي قبولي' أمام عيني السلطان (٥).

وتذكر 'عائشة أوغلي' هذه الحادثة، فقالت: "جاء المتمردون بمن يسمى 'علي قبولي'، أمام المايين الهمايوني، وصاح فيهم أبي قائلا: اتركوه يا أولاد، استحلحكم بالله، أن تغفوا عنه لأجلي، وقد سمعت هذا منه شخصيا، ومع هذا طعنوه بالسكنى" (٦).

كانت هذه الأحداث ذلك اليوم من سوء بحيث أيقن السلطان 'عبد الحميد' أن هذا الأمر سوف يسفر عن خلعه عن العرش، لذلك قام بإخبار الصدر الأعظم عن رغبته في الاستعفاء من منصب السلطان، والتنازل لأخيه 'محمد رشاد أفندي' حيث قال : "إنني واثق أنهم لا يريدونني، إنني مستعد للانسحاب غير أنه يجب أن يظهر أولا أنه لا دخل لي في هذا الأمر" (٧) حيث أرجعت جمعية الاتحاد والترقي وأوروبا أحداث ٣١ مارت إلى رغبة السلطان في التخلص من سيطرة الاتحاديين على شؤون الحكم، والقضاء عليهم ، وإعادة الجاه والسلطان الذي كان يتمتع به، لذلك فقد قال السلطان : " إن ما قرئ في ثكنة 'طاش قشله' لم يصدر عني مطلقا، لقد دبره بعض الأعداء وتبين من التحقيق أنه تدبير سياسي

(١) Kuran. *Inkilâp Tarihimiz*, p.279 , Kuran. *Inkilâp Hareketleri*, p463-464.

(٢) طوران. *امرار* ، ص ٨٢.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٨٢-٨٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ٨٤-٨٥.

(٥) Kuran. *Inkilâp Tarihimiz*, P.280, Kuran. *Inkilâp Hareketleri*, p464.

(٦) عثمان أوغلي. *والدي*، ص ٢٣٢.

(٧) المصدر والصفحة نفسها.

مقصود، لم أصدر مثل هذا الأمر تجاه أمتي أبدا، لقد حرص الأعداء بهذه الأعمال على تحقيق أهدافهم الحثيثة، فأطلب منهم ألا يصدقوا مثل هذا التحريض، وليبقوا في ثكناتهم^(١).

ثم يؤكد السلطان عبدالحميد مرة أخرى عدم علاقته بهذه الأحداث فقال: "لم أتدخل قطعا في حادثة ٣١ مارس، ولم أقم بنفسي لأفيد من هذه الفرصة، التي جاءت من تلقاء نفسها، ولو كان لي فيها يد، ولو كنت أريد الاستفادة منها ما كنت اليوم في قصر بگلر بكي، وإنما في السلطة في قصر يلدز"^(٢).

ويمكن القول انه لا صحة للاتهامات التي وجهت للسلطان 'عبد الحميد'، فلو كانت من عمله، لكان هناك ضباط من اتباعه على رأسها، يقودون حركتها بشكل أكثر تنظيما، ولإزداد الضرر الذي لحق بالاتحاديين^(٣). في حين تعتقد صحيفة 'العمران' أن أحداث ٣١ مارس تعود لاسباب غامضة^(٤)، حيث لم تفسر هذه الحوادث تفسيرا مرضيا^(٥) إلا إن جملة من المؤرخين يذهبون إلى أن جمعية الاتحاد والترقي هي التي كانت تقف خلف هذه الأحداث^(٦) في حين يتهم آخرون اليهودي 'عمانوئيل قره صو' وزميله الدونمة 'جاويد بك' بالمسؤولية عن ذلك، حيث أن 'عمانوئيل قره صو' أعطى أربعمئة ألف ليرة ذهبية إلى 'نجيب دراغا'، وكان 'قره صو' قد قبضها من البنك الإيطالي، ثم قام 'دراغا' بإعطائها إلى أحد أعضاء الجمعية ويدعى 'أيوب صبري' الذي تولى صرفها طبقا للأوامر، حيث صرفت على أحداث ٣١ مارس^(٧) ويعتقد أيضا أن هذه الأحداث هي تمثيلية دموية لخلق السلطان 'عبد الحميد'، قامت بها الجمعية، وعلى رأس هؤلاء كان شيخ الإسلام 'جمال الدين افندي'، ثم فيما بعد أكد 'طلعت بك' أحد قادة الجمعية ذلك^(٨).

وتوضح رسالة 'لوثر' (Lowther) السفير البريطاني في 'إستانبول' إلى 'هاردينغ' (Hardinge) وزير خارجية إنجلترا، بعضا من أسرار هذه الأحداث حيث يقول: "ولا يخفى عليك ان المسلم المستقيم العقيدة يكره الماسونية كراهية شديدة، ويرأها أسوأ من اللادينية والإلحاد، وقد برز هذا الشعور العدائي للماسونية بوضوح في الحركة المناهضة لجمعية الاتحاد والترقي، والتي بلغت ذروتها في التمرد الذي وقع يوم ١٣ نيسان سنة ١٩٠٩، ولم تفسر هذه الحوادث لحد الآن تفسيرا مرضيا، لكن لم يغيب عن المراقب في ذلك أن يلاحظ بأن الأفواج الأربعة التي أرسلت خصيصا من 'سلانيك' إلى العاصمة، التي كان 'كامل باشا' يود إعادتها إلى الجيش الثالث، هي التي بدأت التمرد أو ما يسمى بالحركة الرجعية،

(١) طوران، أسرار، ص ١٨٧ انظر . وتلن. عبد الحميد، ص ١٩٧.

(٢) Bozdağ, Abdulhamid, p. 185.

(٣) محمد علي. السلطان، ص ٣٢٦، انظر Kuran. Inkilâp Tarihimiz, P.278

(٤) العمران. دمشق، عدد ٤٠٦، سنة ١٣، ج ٢٩، م ٢، ١٧ أبريل ١٩٠٩، ص ٥١١.

(٥) Kedourie. Arabic, p. 250.

(٦) ضابط تركي. الرجل الصنم، ص ٧٠.

(٧) طوران، أسرار، ص ٢٩-٣٠.

(٨) حرب. السلطان، ص ٤٧.

وكانت [هذه الفرق] تحت إمرة اليهودي المتظاهر بالإسلام والماسوني من 'سلانيك' العقيد 'رمزي بك' الذي بدلا من أن يحاكم أمام المحكمة العرفية العسكرية بسبب تصرف العساكر الذين كانوا تحت إمرته، عين رئيسا لأركان حرب 'السلطان محمد الخامس' ^(١) وهذا الأمر يتطابق مع ما ذهب إليه 'طوران' من أن جمعية الاتحاد والترقي لها يد خفية في هذه الأحداث.

وإلى جانب ذلك فقد وجدت أقلام تتهم حزب 'الأحرار' الذي يتزعمه الأمير 'صباح الدين' بالوقوف خلف هذه الأحداث مستغلة مقتل أحد رؤساء تحرير صحيفتها 'سريستي' ذريعة للوقوف في وجه جمعية الاتحاد والترقي ^(٢)، على الرغم من أن 'البرنس صباح الدين' أصدر منشورا يدعو فيه العلماء لنصيحة العساكر بالطاعة لأوامر الرؤساء، حيث أثر هذا تأثيرا حسنا، فتألفت اللجان من العلماء، وتفرقت في الثكنات العسكرية، والمراكب الحربية تنصحهم بالهدوء والسكوت ^(٣).

ويمكن اجمال أحداث ٣١ مارت بأن العامة، وأنصار الشريعة يتهمون رجال الاتحاد والترقي بأنهم يهود وماسون، وليسوا أتراكا أو مسلمين، وأن كل ما يهدفون إليه هو القضاء على الإسلام والخلافة ^(٤) حيث استغلت الجمعية هذه الأحداث أسوأ استغلال، مدفوعة من اليهود، وهذا ما أكدته 'جواد رفعت اتلخان' معللا ذلك بسبب رغبة اليهود داخل الدولة وخارجها في خلع السلطان، مؤكدا أن معظم الوثائق المتعلقة بهذا الحادث ومضابط المحاكم الخاصة محفوظة لدى 'مدحت شكري' (Midhat Şükrü) أحد رؤساء الاتحاد والترقي ^(٥).

ومهما يكن فقد ألزم السلطان 'عبد الحميد' بمطالب القائمين بأحداث ٣١ مارت، وتم تشكيل حكومة جديدة تتكون من:

- | | |
|-------------------|----------------------|
| ١- توفيق باشا | صدرا أعظما. |
| ٢- أدهم باشا | ناظرا للحربية. |
| ٣- نوري بك | ناظرا للمالية. |
| ٤- حسن فهمي | ناظرا للعدلية. |
| ٥- ذهني باشا | رئيسا لمجلس الوكلاء. |
| ٦- حاجي أمين باشا | ناظرا للبحرية . |
| ٧- عادل بك | ناظرا للداخلية. |

وظل الوزراء الذين لم يطالب باستقالتهم في مناصبهم ^(٦)

^(١) Kedourie. *Arabic*, p250.

^(٢) الهدى . نيويورك ، عدد ٤٣ ، سنة ١١ ، الثلاثاء ١٢ نيسان ١٩٠٩ ص ٢.

^(٣) المؤيد . مصر ، عدد ٥٧٤ ، الاحد ٢٥ أبريل ١٩٠٩ ص ١.

^(٤) حلمي مراد . مصطفى كمال أتاتورك ، (القاهرة : دار المعارف بمصر ، د.ت.ا) ، ص ٤٠ .

^(٥) Atilhan. *Islâmi*, p. 186.

^(٦) العمران . دمشق ، عدد ٤٠٦ ، سنة ١٣ ، ج ٢٩ ، م ٢ ، ١٧ أبريل ١٩٠٩ ، ص ٥١١ الهدى . نيويورك ، عدد ٤٥ ، سنة

وفي ظل هذه الظروف العصيبة، قام العديد من قياديي 'جمعية الاتحاد والترقي' وأعضائها بالاختفاء في ملاجئ خاصة، ريثما تتوفر الفرصة لمعرفة ما يحدث، ولقد التجأ العديد منهم في سفارات روسيا وفرنسا^(١) كما فر قسم آخر خارج البلاد، ليكونوا في مأمن مما قد تسفر عنه هذه الأحداث، ولقد جرى الاتفاق فيما بينهم على الالتقاء في 'فيناء' عاصمة 'النمسا' لمناقشة الأوضاع^(٢). ففي الوقت الذي زحف العديد من الضباط إلى 'سلانيك' مثل 'رضا باشا' ناظر الحربية السابق، و'محمود مختار باشا' مشير الفيلق الخاص، وغيرهم من الضباط الآخرين عبر باخرة أفلتهم من على ظهر باخرة فرنسية إلى 'سلانيك'، وهناك عقدت 'جمعية الاتحاد والترقي' جلسة هادئة قررت خلالها الزحف إلى العاصمة 'إستانبول' بالفيلق الثالث الذي تهيأ منه عشرون طابورا^(٣). كما وأصدرت الجمعية أوامرها إلى القطارات الحديدية أن تعد كل عرباتها لنقل الجيوش إلى 'إستانبول'^(٤).

ومن 'سلانيك' انطلق أحد قادة الجمعية العرب، ويدعى 'محمود شوكت'^(٥) بجيشه نحو العاصمة^(٦) حيث أعلن نفسه تلغرافيا إلى الصدر الأعظم كأمير الجنود، وقائد الأسطول العثماني قائلا: "لقد ضعفت قوة الحكومة في الأستانة لما حدث من التمرد والاضطرابات بين جنود الحرس الشاهاني، وقد أنيطت بي قيادة الفيلقين الثاني والثالث القادمين إلى الأستانة، لتهدئة الاضطراب فيها، وإعادة الأمن إليها وأنيطت بي كذلك قيادة البحار وإننا لنعفو عن المسيئين النادمين، وأما الذين لا يزالون مصرين على عنادهم فيستوجبون الحكم"^(٧).

وبذلك تم التأكيد على رسم الخطط المسبقة اللازمة لإخماد ثورة ٣١ مارس، وقامت الجمعية بإرسال بلاغ إلى العثمانيين أعربت فيه عن أهداف الجيش^(٨) وتمثلت مطالبها في:

أولا: أن يكون الدستور في أمان.

ثانيا: قصاص أولئك الذين قاموا بهذه المظاهرات الثورية من سياسيين ومتدليين وعلماء وجنود.

١٢، ١٥ نيسان ١٩٠٩، ص ٢.

(١) الهدى . نيويورك ، عدد ٤٦ ، سنة ١٢ ، الجمعة ١٦ نيسان ١٩٠٩ ص ٢.

(٢) الاتحاد العثماني . بيروت . عدد ١٨٨ السنة ١ ، ٥ الأربعاء أيار ١٩٠٩ ، ص ٢.

(٣) المصدر والصفحة نفسهما.

(٤) الهدى . نيويورك ، عدد ٤٦ ، سنة ١٢ ، الجمعة ١٦ نيسان ، ١٩٠٩ ص ٢.

(٥) محمود شوكت باشا (١٨٥٦-١٩١٣) ولد في بغداد ، قائد ورجل دولة عربي الأصل ، دخل المدارس الأولى في بغداد ، ثم دخل المدرسة الحربية في أمستانبول ، وعين سنة ١٩٠٥ واليا على ولاية كوسوفو ، وبعد إعلان الدستور ١٩٠٨ عين قائدا للجيش الثالث ، ثم أصبح وزيرا للحربية ، وسنة ١٩١٣ عين صدرا أعظما مع توليه وزارة الحربية . اغتيل في ١١/٦/١٩١٣ على يد ثمانية أشخاص أنظر - حرب . مذكرات ، ص ٢٨٢-٢٨٣.

(٦) Kinross. The Ottoman, p.277 ; Kuran. Inkilâp Hareketleri P 466 ; Ahmed . The Young Turk, p. 44-46; Kuran Inkilâp Tarihtimiz, p.281; Orga . Phoenix, p 37-38; Edib . Conflict , p.81-82.

(٧) الهدى . نيويورك ، عدد ٥٤ ، سنة ١٢ ، السبت ٢٤ نيسان ١٩٠٩ ص ٢.

(٨) نامق كمال . عهد الفتح ، ص ٣٣.

ثالثاً: الأمن والهدوء في العاصمة وحماية أعضاء مجلس المبعوثان المنتمين إلى جمعية الاتحاد والترقي الهاربين من 'إستانبول'، وتأمينهم على حياتهم^(١).

استمرت قوات 'محمود شوكت' في السير وقد انضمت إليه جماعات من اليهود والبلغار والصرب والأرمن والأروام^(٢)، وقد استطاع السيطرة على العديد من المناطق في طريقه، ثم قامت الجمعية بإرسال بلاغ سياسي إلى سفراء الدول الأجنبية توضح فيه سبب تحركهم^(٣) وما أن وصل ما اصطلح على تسميته 'جيش الحركة' (Hareket Ordusu)^(٤) إلى 'خادم كوي' حتى قام 'حسين حسني باشا' (Hüseyni Pa) قائد الطليعة في جيش الحركة بإرسال تلغراف عمومي إلى السفارات الأجنبية في يوم الجمعة ١٦ نيسان ١٩٠٩ يقول فيها :

" أتشرف أن أعلمكم أن غاية الجيش المعسكر هنا للزحف على الأستانة ، إنما هي تأييد الدستور الذي يقده العثمانيون الحقيقيون وقصاص أولئك الذي عبثوا بالأمن والنظام قصاصاً شرعياً جزاء ما كانت الأنانية ولا تزال تتأدى منه، وهو الفوضى القهقري، ولتكن عطوفاتكم متأكدين جيداً أن حياة الأجانب وملاكهم وكل ما يتعلق بهم شبه ضيوف وأمانات في أوطاننا يجب حمايتها والمحافظة عليهما فهي في أمان، وأن السكينة مضمونة ومكفولة للأهلين كافة"^(٥).

وفيما استمر مسيرة جيش الحركة بقيادة 'محمود شوكت' - وتحت إمرته كل من 'حسين حسني باشا' و'أنور بك' و'مصطفى كمال' و'إسماعيل حقي بك'-^(٦)، مثل قادة الجيش أمام يدي لسلطان 'عبد الحميد'، وطلبوا منه أمراً بفتح دخول جيش الحركة إلى 'إستانبول'، وهنا أمر السلطان بشكل قاطع بعدم التحرش بهم . وقد نوقش الأمر طويلاً في محاولة للحصول على هذا الأمر ، إلا أن السلطان قرر أنه لا يستطيع بعد هذا العمر أن يقتل المسلمين بالمسلمين ، وبلغ الأمر إلى حد استحصاله على قسم من قائد الجيش الأول 'ناظم باشا' والضباط الذين يرافقونه بعدم استعمال السلاح ضد جيش الحركة^(٧).

قام السلطان 'عبد الحميد' بتوضيح هذه المسألة ، لذلك فقد قال : أقدم جيش الحركة ... في الوقت الذي كان جنود العاصمة على اكمل وجه من الإستعداد ، وكانوا منتخزين مخلصين لمقام الخلافة، ولشخصي، وقد أوصاني مجموعة من رجال الدولة وفي مقدمتهم 'ناظم باشا'، بإيقاف جيش الحركة في

(١) الهدى . نيويورك ، عدد ٤٨ ، سنة ١٢ الأحد ١٨ نيسان ١٩٠٩ ، ص ٢.

(٢) وثقن . عبد الحميد ، ص ١٩٦ .

(٣) باق كمال . عهد الفتح ، ص ٣٣ .

(٤) Ahmed The Young Turk ,P 44 , Kuran Inkılâp Hareketleri p 466.

(٥) الهدى . نيويورك ، عدد ٤٨ ، سنة ١٢ الأحد ١٨ نيسان ١٩٠٩ ، ص ٢ .

- Kuran. Inkılâp Hareketleri ,p.467 . انظر كذلك

(٦) Ibid , p 466 , Kuran. Inkılâp Tarihimiz , p.281.

(٧) أوزتوبا . تاريخ ، ح ٢ ، ص ١٨٣ .

الطريق قبل وصوله ولكنني رفضت وأخبروني بأن قطاعاً من الجيش المعسكر في 'أدرنه' انضم إلى جيش الحركة.... طلبت ونبهت بشدة ألا يخرج الجيش الموجود في 'إستانبول' من ثكناته أثناء تحرك جيش الحركة من 'آيا سمستيفانوس' إلى 'إستانبول' وألا يشتبك معه. ألم يكن في إمكان جنود 'إستانبول' في حالة خروجهم من ثكناتهم وانتشارهم على أعالي 'كاغدخانة' أن ينتصروا على ذلك الجند القادم من 'سلانيك' وهم في حالة يعوزها النظام" (١).

بهذا سجل السلطان 'عبد الحميد' موقفه التاريخي، وفيما بعد سجلت جمعية الإتحاد الترقّي مواقفها الخاصة بها في ثكنة 'طاش قشنة' كما يرويها 'مصطفى طوران' المتواجد فيها، حيث يقول: "في ليلة العاشر من نيسان أحس الرماة بوحود شيء ما يحوم حولهم، فعمدوا إلى حراسة المخزن الذي تم كسر أقفاله، ونقلوا العتاد كله إلى مهاجمهم وعلم القائد بالخبر... وفي هذه الأثناء جاء ضباط الصف المناوبون بحذر جديد مفاده: إن عناصر أجنبية يلبسون قبعات بيضاء، ويرتدون أزياء غريبة يحفروا مرايض لهم تجاه الثكنة من جهة مستودع المحروقات، فلما علم القائد بالنأ أمر بالتريث حتى يصبح الصباح فيظهر الوضع جلياً، ولم تمض ساعة على هذا الوضع حتى لعلت أصوات المدافع الرشاشة قرب الباب الرئيسي (٢)، حيث أغار جيش الحركة على الثكنة، ففتح الرماة بيرا إن أسلحتهم لصدد هذا الهجوم، فلما سمعوا أصوات الرصاص، هرعوا إلى خارج الثكنة دون أن يعلموا بما جرى، فقابلهم جيش الحركة بالرشاشات المتمركزة في مقبرة الأرمن فأبادوهم عن بكرة أبيهم (٣).

وخلال هذه الاشتباكات دمرت المدفعية الباب الرئيسي للثكنة وجزءاً من الطابق الثاني، ثم تهدمت المهاجم على رؤوس الجنود فماتوا تحت الأنقاض، وبعد رفع راية الاستسلام من قبل المتبقين على قيد الحياة، ومن الباب النظامي المتهم طهر النكاشي 'أنور بك' وبيده مسدس ومعه عشرة من رفاقه ومن ورائهم جنود ذوو ألبسة غريبة تبين فيما بعد أنهم من عصابات 'البلغار' وكان مع 'أنور' رجل طويل لقامة ذو لحية صفراء اسمه 'ساندانيسكي' (Sandaneski) قائد الثورة المكدونية، وأول عمل قاموا به هو تجريد من بقي من كتائب الرماة من سلاحهم وقتلهم جميعاً بحراب أسلحتهم (٤). أما القائد 'اسماعيل حقي' فتقدم من النكاشي 'أنور' قائلاً: "أي بني بارك الله بكم. لم أستطيع أن أثنى الرماة عما فعلوا، لقد أقسموا بالأمر لكنهم نقصوا أيمانهم فكسروا باب مخزن الأسلحة وسببوا هذه الحادثة فقيام 'أنور بك' بإشباعه ركلاً وضرباً، ثم نتف لحية البيضاء، وهنا انفجر القائد غاضباً وصرخ والدماء تكاد تنفجر من عينيه: أيها الوقح لقد أثبت بعملك هذا سوء أدبك وخلقك، وبصق في وجهه ثم أردف: إنك لم تقم للشرف

(١) حرب. مذكرات، ص ١٩٤؛ انظر - عثمان أوبغلي. والدي، ص ٢٣٤.

(٢) طوران. أسرار. ص ٨٩-٩٠.

(٣) المصدر والصفحة نفسها.

(٤) المصدر والصفحة نفسها.

العسكري وزنا، أسفي عليك وأنت تحمل رتبة ضابط تركي ، لم أعرف أنك أخط من أي جندي عادي، إن فعلك هذا لا يفعله حتى العدو الذي لا يمس من استسلم بسوء ، انني أشك في عقيدتك والدماء التي تجري في عروقك ، لو لم تكن دنيئاً لما أمنت من هو من قومك أمام هؤلاء وأشار إلى البلغار ، ثم وقع مغشياً عليه، ولما رأى 'أنور بك' هذا الجواب الذي استحقه من القائد التركي امر عصابات البلغار أن يقيدوا هذا الضابط الشهم، فقيده ، فأطلق هو وثلاثة من رفاقه النار عليه فقتلوه ، ثم دار بوجهة إلى 'ساندانيسكي' وتمتم: "أما كان مستحقاً لهذا الجزاء"^(١).

وعلى الأثر قام 'أنور بك' بالطلب من الذين تبقوا حفر قبر جماعي لهؤلاء القتلى ودفنوا جميعاً فيه^(٢). وأما محمود شوكت، فقد استطاعت قواته محاصرة 'استانبول' بدون مقاومة تقريباً، حيث أبرق 'حسين حسنى باشا' إلى مركز جمعية الإتحاد والترقي في 'سلايك' ، بأنه لم يعد حاجة لإرسال المدد لأنهم سيدخلون 'استانبول' دون كفاح ولا مقاومة^(٣). ومن كل الجوانب كان عدد هذه القوات الإتحادية- 'جيش الحركة' - ٣٠ ألف جندي أحاطوا بالقسم الغربي من العاصمة 'إستانبول'، وهم ينتشرون من 'سان استيفانوس' إلى البحر الأسود ، وقامت هذه القوات بدخول 'إستانبول' في ٢٥ نيسان ١٩٠٩ ومحاصرة قصر 'يلدز' من كل جوانبه، وهو وحده بغية الجيوش ومقر فريستها^(٤). ولقد قام سفراء كل من 'المانيا' و'فرنسا' و'إنجلترا' بزيارة قصر 'يلدز' ومقابلة السلطان ، حيث عرض كل واحد منهم استعداد حكومته 'تأمين سلامته، وأنهم ينتظرون منه الموافقة على ذلك فشكرهم وأعلمهم عدم وجود أدنى نية لديه في اللجوء إلى الدول الأجنبية . وكان يقول : "أنني أعلم أن هذه الترتيبات كلها ليست الا مؤامرة لقتلي ، إن هذا شيء واضح، الظاهر أن عاقبتى ستكون مثل عاقبة عمى السلطان عبد العزيز ، ومع ذلك فلو علمت أنهم سيقطعون لحمى قطعة قطعة فلن ألبأ إلى الدول الأجنبية، لأنه من العار على أن أهرب من وطني، أنا أعد ذلك خصه بالسببة لسلطان مثلي حكم ثلاثاً وثلاثين سنة دناءة وسفالة لا مثيل لهما وأنا راض بحكم الله ..."^(٥).

وثناء قصف ثكنة 'طاش فشة' قدم سفير 'روسيا' إلى المايين الهمايوني حيث حمل خبراً مفاده انه ينقل تحيات قيصر روسيا، وأن القيصر قد سمع بمرض السلطان ، وأن السفير جاء ليعرف رغبات السلطان حتى يحققها كلها، دون ان يتعرض احد لشعرة من جسده وأنه ينتظر الامر، ولما عرض 'جواد بك' أحد أعوان السلطان ذلك عليه فزع السلطان 'عبد الحميد' واجابه بقوله: "أترى عرض القيصر يا 'جواد بك' لا قدر الله لي أن أفعل شيئاً من مثل ذلك إنتي راض، بكل مصيبة تأتي على رأسي ولسوف يكون قبري حيث وجد قبر أجدادي ، إنني أفضل الموت على هذه الإهانة ... بلغ السفير شكري على

(١) طوران أسرار، ص ٩١-٩٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٢.

(٣) الهدى . نيويورك . عدد ٥١، سنة ١٢، الأربعاء ٢١ نيسان ١٩٠٩، ص ٢.

(٤) الهدى . نيويورك . عدد ٤٨، سنة ١٢، لأحد ١٨ نيسان ١٩٠٩، ص ٢؛ أوزتونا . تاريخ ، ج ٢، ص ١٨٤ .

(٥) محمد علي . السلطان، ص ٣٢٩-٣٣٠.

تحيات جلالة القيصر وإنتي لست مريضا كما سمع هو، وبلغه أيضا أنني أشكره على المودة التي أبان عنها^(١).

ومرة أخرى أبدى السلطان 'عبد الحميد' رغبة في التنازل عن عرش السلطنة لأخيه 'محمد رشاد' رغبة منه في عدم إراقة دماء الجنود^(٢)، حيث اقترح ذلك على 'توفيق باشا' قائلا: "مادمت لا تريدوني، فإنني مستعد للتنازل عن العرش لأخي، لكن يجب تأليف لجنة تقوم بالتحقيق عما إذا كانت لي أدنى علاقة بحادثة ٣١ مارت، وقام الصدر الأعظم 'توفيق' بنقل هذا الاقتراح إلى 'كوجوك سعيد باشا' رئيس مجلس الأعيان، فذعر هذا وقال: ماذا ستكون حالنا إن ظهرت براءته، وهكذا رفض هذا الاقتراح^(٣).

كانت الجمعية قد رفضت الادعاءات التي قالت بأن في نيّتها خلع السلطان 'عبد الحميد'، وقال في ذلك 'حسين حسنى باشا': "قد أشاع بعض المتمردين على الدستور أن في نية الجند المحاصر خلع السلطان فأنا أنفي صحة ذلك على الإطلاق"^(٤). كما أكد 'محمود شوكت' عند وصوله العاصمة 'استانبول' في رسالة إلى الصدر الأعظم ذكر فيها: أن بعض الفسدة أشاع أن جيش الحركة 'جاء لخلع السلطان'، لذا فإنه يفند ويكذب هذه الإشاعة، وأكد أن ما جاء به هو لمساعدة الحكومة على استتباب الأمن والقضاء على الفوضى ومعاينة المشاغبين^(٥) لذلك فقد أرسل جيش الحركة، قائمة بأسماء الذين يطلبون معاقبتهم وبينهم رجال من أعضاء مجلس المبعوثان وصحافيون وعلماء وموظفو القصر ورجال دين مسلمين^(٦).

وعن مراسل صحيفة 'الهيرالد' (Herald) أن الجنود أقرّوا بالطاعة للسلطان، وكذبوا ما شاع بأنهم عازمون على خلع السلطان^(٧). إلا أن الأمر كان عكس ذلك تماما حيث كان في نية الجمعية خلع السلطان منذ ثورة ١٩٠٨ لكن الظروف المحيطة التي أوضاعناها في وقت سابق لم تساعد على فعل ذلك رغم إصرارهم، حيث كان 'أنور بك' قد قال 'لأحمد رضا' في ٢١ أيلول ١٩٠٨: "إن السلطان لا بد أن يخلع لأن بقاءه على العرش يعد بمثابة موت للبلاد وأنه يمكن أن يعتمد علينا لنؤمنه على حياته ولكنه لا يستطيع أن يطلب شيئا آخر خلاف ذلك"^(٨). في الوقت الذي قال فيه الأمير 'صباح الدين' بهذا الخصوص أن الاتحاديين يرون على أثر ثورة ١٩٠٨ ضرورة خلع السلطان 'عبد الحميد' وأنهم يرون 'محمد رشاد' شقيق السلطان هو أصلح من يرويه أملا لتبوء العرش^(٩).

(١) عثمان أوغلي، والذي ص ٣٣٤-٣٣٥.

(٢) حرب، مذكرات، ص ١٩٤.

(٣) محمد علي، السلطان، ص ٣٣٠.

(٤) الهدى - نيويورك، عدد ٥٤، سنة ١٢، السبت ٢٤ نيسان ١٩٠٩ ص ٢.

(٥) محمد علي، السلطان، ص ٣٢٧.

(٦) العمران - دمشق، ج ٣، م ٢، سنة ١٣، ٢٤ أبريل ١٩٠٩ ص ٥٣٥.

(٧) الهدى - نيويورك، عدد ٥٤، سنة ١٢، السبت ٢٤ نيسان ١٩٠٩ ص ٢.

(٨) المؤيد - مصر، العدد ٥٧٥٢، ٢٩ أبريل ١٩٠٩، ص ٥.

(٩) الهدى - نيويورك، عدد ١٤٠، سنة ١١، الخميس ٦ آب ١٩٠٨ ص ١.

الجيش وضباطه الصغار فقد كانوا يجهلون تماما المطالب النهائية، وهذا ما صرح به مراسل صحيفة 'المؤيد' حيث قال: "سألت أحد النواب الذين أرسلوا إلى 'خادم كوي' للمفاوضة مع الجيش الزاحف عن مطالبه ومقاصده فأجابني: أن الضباط الذين استقبلوهم، قالوا أن المطالب النهائية لا يعلمها إلا الرؤساء الذين لم يصلوا بعد"^(١).

ولقد لقي 'أنور بك' حين وصوله إلى العاصمة أبهى ما يلقى به الرجال من قبل الاتحاديين ، كما لو كان قيصرًا أو ملكًا ، حيث اغلظوا الأيمان على خلع السلطان ^(٢). أما 'محمود شوكت' فقد أقام المحكمة العسكرية العرفية، التي بدأت بتطبيق أحكامها على المتهمين ، فنصبت المشانق ، وأعدم العديد من الرجال التابعين للسلطان ، متهمة إياهم بالوقوف خلف أحداث ٣١ مارت ^(٣) ، كما ضربت أعناق بعض المشايخ ، وتم نفي ١٥٠٠ رجل آخر من رجال القصر وحاشية السلطان إلى 'الحجاز' و'اليمن' ^(٤). أما في القصر السلطاني 'يلدز' فقد كانت توجد حامية أكثر من أربعة آلاف مجهزين تجهيزًا حسنًا، ويذكر المؤرخ التركي 'اسماعيل حامي دانشمند' ذلك بقوله : "إن بعض القادة وضباط الحرس جنوا على ركبهم أمام السلطان 'عبد الحميد' طالبين منه السماح لهم بتشتيت جيش الحركة ، فلم يقبل السلطان ذلك قائلا لهم أيها الباشوات انني خليفة المسلمين ، لذا لن أدع المسلمين يتقاتلون" ^(٥) .

لذلك فقد قام السلطان 'عبد الحميد' بإخراج الجنود وصرف الخدم من القصر، وأصبح السلطان هو وأسرته وحيدين في ظل الحصار الشديد ، في الوقت الذي وصل فيه العديد من قياديي الجمعية الهاريين على أثر أحداث ٣١ مارت إلى 'خادم كوي' ومنهم 'رحمي بك' و'حسين جاهد بك' و'جاويد بك' و'طلعت بك'، وقره صو افندي ^(٦) وهؤلاء جميعا من اليهود ، ويعتقد انهم دعوا بهذه السرعة البالغة للمشاركة في الجلسة السرية التي عقدتها الجمعية لخلع السلطان ^(٧) ، حيث أرسلت البرقية بتاريخ ٥ نيسان ١٣٢٥ رومية، وجاء فيها "الرجاء إبلاغ البكوات حسين جاهد ورحمي وقره صو افندي الذي علمنا وجودهم لديكم والنواب الآخرين بضرورة القدوم إلى خادم كوي في أول قطار" ^(٨) ، ولأجل خلع السلطان 'عبد الحميد' كان لا بد من فتوى (Fetva) رسمية من شيخ الإسلام كما جرت عليه العادة في الحالات السابقة ، لذلك فقد استصدروا هذه الفتوى ^(٩) التي جاء فيها:

(١) المؤيد . مصر ، عدد ٥٧٤٨ ، الأحد ، ٢٥ أبريل ١٩٠٩ ص ١.

(٢) الهدى . نيويورك ، عدد ٤٨ ، سنة ١٢ ، الأحد ١٨ نيسان ١٩٠٩ ص ٢.

(٣) محمد علي ، السلطان ، ص ٣٢٧-٣٢٨ ، وتكن عبد الحميد ، ص ١٩٩.

(٤) كرد علي ، خطط ، ج ٣ ، ص ١١٩.

(٥) محمد علي ، السلطان ، ص ٣٢٩ ؛ انظر - Kuran. Inkilâp Hareketleri , p.467.

(٦) المؤيد . مصر ، عدد ٥٧٤٨ ، الأحد ٢٥ أبريل ١٩٠٩ ص ١.

(٧) محمد علي ، السلطان ، ص ٢١٦.

(٨) حلاق . موقف ، ص ٣٢٢ . انظر نص البرقية التي تطالب هؤلاء بالقدوم الى خادم كوي في الملحق رقم ٦.

(٩) Kinross. The Ottoman, P.578; Ahmed. The Young Turk, p.45; Miller . The Ottoman, P.481

" إذا كان زيد إمام المسلمين طوى وأخرج من الكتب الشرعية بعض المسائل الدينية المهمة ، ومنع الكتب المذكورة ومزق حرمتها وأحرقها وتصرف في بيت المال بالتبذير والإسراف بغير مسوغ شرعي ، وقتل وحبس وغرب الرعية بلا سبب شرعي، وتعود على جميع المظالم، ثم حلف اليمين على الرجوع إلى الإصلاح ، وعاهد على ذلك ثم حنت في يمينه ، وأصر على إحداث فتنة عظيمة ، وإيقاع مقاتلة يجعل بها أمور المسلمين مختلة اختلالاً كلياً، ثم وردت أخبار متوالية من جهات متعددة من بلاد المسلمين يقولون بها: أن زيدا المذكور فيه خطر محقق وفي زواله صلاح ، فهل يجب على أرباب الحل والعقد تكليف زيد المذكور أن يتنازل عن الإمامة والسلطنة أو يخلع ، وهل لهم ترجيح إحدى الصورتين؟؟
الجواب نعم .

كتبة الفقير السيد

محمد ضياء الدين عفي عنه (١)

ويذكر أن شيخ الإسلام الذي أصدر الفتوى كان ماسونياً^(٢)، وبذلك كانت الفتوى ، وكان لا بد من انعقاد مجلس الأمة العمومي بصفته مجلس المالية (الأمة) ليأخذ الخلع شرعيته ، وتم الاجتماع بالموافقة على الشق الثاني من الفتوى الشرعية التي أصدرها شيخ الإسلام وهو الخلع، وجاء في القرار الذي أصدره الباب العالي:
"إلى عموم الولايات.

في الساعة السادسة والنصف من نهار الثلاثاء سابع ربيع الثاني سنة ١٣٢٧هـ الموافق الرابع عشر من شهر نيسان سنة ١٣٢٥ (رومية)، اجتمع مجلس الأمة العمومي المؤلف من مجلس الأعيان والمبعوثان ، وقرأت الفتوى الصادرة من شيخ الإسلام محمد ضياء الدين أفندي ، والمذيلة بإمضائه، وهي تحتوي على شقين، فرجع منها الخلع بالاتفاق، وبالأدلة الراجعة، فأسقط السلطان عبد الحميد عن عرش الخلافة الإسلامية والسلطنة العثمانية، ونودي بحضرة ولي العهد المشروع محمد رشاد أفندي سلطاناً على مقام الخلافة بإسم السلطان محمد الخامس فينبغي أن تعلنوا هذا الجلوس السلطاني بإطلاق مائة مدفع ومدفع من المواقع المعنادة ولذلك اقتضى تبليغكم.

في ٧ ربيع الآخر سنة ١٣٢٧

١٤ نيسان سنة ١٣٢٥ رومية

٤ نيسان ١٩٠٩م

الصدر الأعظم

(١) الإتحاد العثماني . بيروت عدد ١٨٨، سنة ١، الأربعاء ٥ أيار ١٩٠٩ من ١٩: طوران . أسرار، ص ٩٨ ؛ النبراس . بيروت ، ج ٥، م ١، ص ١٨٨-١٨٩، العمران . دمشق، عدد ٤٠١، سنة ١٣، ج ٣٢، م ٢، ٨ مايو ١٩٠٩ ص ٥٦٨-٥٦٩ ؛ المؤيد . مصر، عدد ٥٧٧٢، ٢٩ أبريل ١٩٠٩ ص ٥ - انظر نص الفتوى باللغة التركية في Atilhan . Islami, p.191.

(2) Ibid., p.206.

وكان هذا القرار في الحقيقة هو ذاته النص الذي صدر عن 'المجلس العمومي' وقام 'أحمد رضا' رئيس جمعية الاتحاد والترقي ورئيس مجلس المبعوثان ، بالإحتفاظ بالقلم الذي وقع به شيخ الإسلام 'محمد ضياء الدين' فتوى خلع السلطان 'عبد الحميد' وذلك ابتهاجا بالحدث وقال: "انه سيحتفظ بالقلم احتفاظه على أثمن ذخيرة" (٢) . ثم قامت الجمعية على الأثر بتشكيل لجنة ، لكي تقوم بإبلاغ السلطان 'عبد الحميد' بقرار خلعه ، وفي يوم الثلاثاء المصادف ٦ من ربيع الأول ١٣٢٧هـ / ٢٧ نيسان ١٩٠٩ وصلت برقية إلى الضباط الاتحاديين المسؤولين عن حماية قصر 'يلدز' تبلغهم أن وفدا من مجلس المبعوثان والأعيان سيصل عما قريب ، وأن عليهم استقبالهم وتأمين الحماية لهم (٣).

اما الوفد الذي تم تأليفه فقد كان تحقيرا لمقام السلطنة العثمانية وللسلطان 'عبد الحميد'، ولكل مسلمي العالم، لقد كان وفدا يندى لذكره الجبين (٤)، حيث كان يتكون من أربعة أفراد. اثنين منهم من مجلس المبعوثان، واثنين من مجلس الأعيان (٥). وهم:

١- الفريق البحري. 'عارف حكمت باشا' ، وكان عضوا في مجلس الأعيان ومساعد سابقا للسلطان.

٢- 'آرام أفندي' وهو أرمني عضو في مجلس المبعوثان.

٣- اللواء 'أسعد طوبطاني باشا الأرناؤوطي' وكان نائبا في مجلس المبعوثان.

٤- 'عمانوئيل قره صو' وهو يهودي أسباني الأصل وكان ماسونيا كبيرا ونائبا عن 'سلانيك' (٦).

وما إن دخل هذا الوفد القصر، حتى وقفوا أمام السلطان 'عبد الحميد'، وقام كل منهم بتحية السلطان الذي رد التحية، ثم بادر 'أسعد طوبطاني باشا' الذي يقف في مقدمة الوفد بالحديث وقال للسلطان: "لقد عزلتك (٧) الأمة"، ورد عليه السلطان بصوته الجمهوري: أعتمد أنكم تريدون القول : انها خلعتني، حسن ما هو السبب الذي تستندون إليه؟ وراح في تلك اللحظة 'عارف حكمت باشا' يقرأ صورة فتوى شيخ الإسلام وما إن وصل الرجل إلى 'أحرق الكتب الشرعية' حتى قال بصوت مرتفع: "أي كتب شرعية أحرقت ؟ حسبنا الله" ، ثم راح ينصت للفتوى حتى نهايتها ، فلما انتهى 'عارف حكمت' سأل السلطان : من أي

(١) النبراس . بيروت، ج ٥، م ١، ص ١٨٨؛ انظر - يوسف الحكيم . سوريا والعهد العثماني (ط ٤) ، بيروت : دار النهار ، ١٩٩١ ص ١٦٥ - ١٦٦ .

(٢) النبشير . بيروت، عدد ١٩١١، سنة ٤٠، الاثنين ١٠ أيار ١٩٠٩ ص ٤.

(٣) محمد علي . السلطان ، ص ٣٣١.

(٤) طوران . أسرار، ص ٩٩.

(٥) الشناوي . الدولة، ج ٢، ص ١٢٠٦ ؛ Lewis. The Emergence, p.217.

(٦) محمد علي . السلطان، ص ٣٣٣ ؛ طوران . أسرار، ص ٩٩-١٠٠ ؛ عثمان أوغلي . والذي، ص ٢٤٠-٢٤١.

(٧) تستعمل كلمة عزل حينها، في إعفاء صغار الموظفين من مناصبهم واستخدام هذه الكلمة كان يعني تحقيرا وتصغيرا للسلطان عبد الحميد وربما كان الوفد يقصد ذلك الأمر عن عمد.

منصب صدر هذا القرار" فأجابه: من المجلس الوطني، ثم سأله السلطان: بتعجب هكذا؛ ومن يترأس هذا المجلس؟ ولما سمع منه أن رئيس المجلس هو رئيس مجلس الأعيان 'سعيد باشا' صاح بهشة: "سعيد باشا، أهكذا؟" (١)، ثم قال 'عارف حكمت' للسلطان: "إن أرواحكم وأملاككم وأولادكم تحت سيطرتنا، فقال السلطان: "ذلك تقدير العزيز العليم، لقد خدمت الأمة الإسلامية ثلاثة وثلاثين عاما دون انقطاع ودون التفريط بأراضيها، وأعتقد أنه يجب عليكم أن تحافظوا على الدولة أكثر مني، وأن تتحملوا مسؤولياتكم تجاه ذلك"، ثم أدار وجهه إلى 'عمانوئيل قره صو'، وقال بشكل جهوري وعصبي: "لكن ماذا يفعل هذا اليهودي في مقام الخلافة؟" (Bu yahudi nin Hilafet Makamında işi ne?)، و"بأي مقصد تضعون هذا الرجل أمامي" (Bu adami Karşıma ne Maksatta Çıkardınız)، وعلى الأثر تعجب الوفد وتوتر أعضاؤه ولم يجدوا المقدرة على الرد (٢)، ثم قام السلطان بالدعوة عليهم فقال: "رب عاقب هؤلاء المسؤولين على هذه المصيبة" (٣) (My God Punish Those Responsible for this Calamity) في حين كانت حاشية قصر يلدز من النساء والخدم وغيرهم يبكون على ما أصابهم (٤)، وبذلك أبلغ 'خليفة المسلمين' الخلع بواسطة اثنان غير مسلمين، مسيحي واحد ويهودي واحد، وبإسم المجلس الوطني (٥).

ولقد عبر السلطان 'عبد الحميد' عن أسفه بسبب تبليغه الخلع عن طريق هذا الوفد فقال: "إن جزاء ثلاثة وثلاثين عاما من الخدمة، هو أن يبلغني هؤلاء الرجال باسم الأمة قرار خلعي، وهم الذين لا أشك لحظة في عدائهم للدولة والأمة، ولا بأس، إن أمتي بريئة والذين نظموا هؤلاء هم أعدائي الشخصيون، لكن الله حكم عدل، ولا بد أن تظهر الحقيقة يوما، والمكتوب لا فرار منه" (٦). ولقد ألم ذلك الأمر السلطان كثيرا، حيث يقول أورخان محمد علي نقلا عن 'حسام أرتورك' وهو أحد رؤساء الأمن القومي السابقين في تركيا' في كتابه، 'ما وراء الأستار في عهدين' (iki devrin perde arkasi) ما يلي: "قال لي موه صديقي ملازم أول خياله 'زنون دبره لي' أن السلطان 'عبد الحميد' قال له: إن أشد ما ألمني هو تبليغي قرار الخلع من قبل ذلك اليهودي الماسوني، فأنا لا أستطيع نسيان 'عمانوئيل قره صو' من بين وفد المبعوثين الذين جاءوا إلى 'يلدز'، لقد كان هذا إهانة لمقام الخلافة، ونحن جميعا نعلم مدى الحقد الذي يكنه اليهود منذ زمن الرسول ولمقام الخلافة" (٧) ثم كرر السلطان 'عبد الحميد' أسفه مرة أخرى فيما بعد 'لأنور بك' قائلا: "إن ما ألمني كثيرا، وحز في نفسي قيامكم بإرسال شخص كنت قد طردته من حضرتي

(١) عثمان أوغلي . والدي، ص ٢٤٠-٢٤١.

(٢) طوران . أسرار، ص ١٠٠، ١٩٤-١٩٣، Atilhan. Islâmi.

وتن . عبد الحميد، ص ٢٠٢؛ Haslip . The Sultan, p.285; (٣)

(٤) Atilhan. Islâmi, p.191.

(٥) أوزتونا . تاريخ، ج ٢، ص ١٨٥.

(٦) عثمان أوغلي . والدي، ص ٢٤٢-٢٤٣.

(٧) محمد علي . السلطان، ص ٢٨٨.

ضمن الوفد الذي أبلغني قرار خلعي من السلطنة، هذا الشخص هو 'عمانوئيل قره صو'، فلماذا واجهتموني بذلك اليهودي، لقد كان إرسال ذلك اليهودي الأجنبي تحقيرا منكم لمقام الخلافة والسلطنة. إن ركننا من أركان الخلافة العثمانية التي انتقلت من عهد الرسول الكريم بكل إحترام ومهابة قد تضعضع بقيام مثل هذا اليهودي بمثل هذا التبليغ^(١) أما كلمة عزل فيقول عنها: "ثرت جدا على الطريقة التي أبلغوني فيها قرار خلعي أكثر من الخلع نفسه، فلقد انتخبوا وفدا من الأعيان والمبعوثان وجاءوا بضجة وضجيج، أحدهم كان في غاية السفالة عندما واجهني بكلمة العزل ، في الوقت الذي كان لا بد أن يضعوا بدلا منها كلمة الخلع، مسكينة هذه الأمة؟ أه لو كانت تعلم النتيجة المرة التي تنتظرها"^(٢).

وقد يكون احتجاج السلطان ليس فقط بسبب وجود اليهودي الماسوني 'عمانوئيل قره صو' في الوفد، بل كان على الوفد ككل، حيث لم يكن هؤلاء أتراكا أصليين، بل مواطنين عثمانيين من نسل أرمني ويوناني ويهودي^(٣).

ومهما يكن من أمر، فقد انتشرت قوات جيش الحركة لحفظ النظام، وقد أنيط 'بأنور بك' مهمة حماية السفارات الأجنبية، حيث أقام على كل سفارة فرقة عسكرية^(٤).

أما عن ردود الأفعال على خلع السلطان 'عبد الحميد'، فقد أوردت صحيفة 'يقظة العرب' - التي تصدر في باريس - "أن الهياج على أشده في ألبانيا حيث يتساعلون عن الأسباب الشرعية التي خولت جمعية الاتحاد والترقي خلع السلطان 'عبد الحميد'، كما أعربوا عن عدم رضاهم على عمل 'محمود شوكت'، والجيش المكوني ويخشون أن يكون ذلك تمهيدا لنكبة جديدة في الإسلام، إذ أن كثيرا من هؤلاء الذين قادوا الجمعية لم يكونوا مسلمين^(٥) . أما في 'اللانقية' 'بوريا' فقد كانت هناك ردود فعل، ومنها أن أحد المدرسين قام بنقل خبر خلع السلطان مشفوعا بإهانتته وتعظيم شأن جمعية الاتحاد والترقي، فقام الطلاب بنقل الخبر لأبائهم، الذين تجمعوا وماروا إلى منزل هذا المدرس، يريدون إلقاء القبض عليه، ففر من منزله إلى منزل رجل فرنسي ، فلحقوا به إلى هناك، مطالبين بإلحاح شديد تسليمه إليهم، لكنه تمكن من الفرار، حيث أقله قارب إلى باخرة فرنسية^(٦). أما في فلسطين فإن أنباء خلع السلطان 'عبد الحميد' لم تقابل بحماس من قبل الشعب^(٧). ظل السلطان 'عبد الحميد' حبيس قصره تحيط به القوات الاتحادية انتظارا للمكان الذي سيقضي فيه بقية حياته، ولقد عبر السلطان 'عبد الحميد' عن رغبته في الإقامة في قصر 'جراغان' فقال: " لقد

(١) المرجع نفسه، ص ٣٤٣-٣٤٤.

(٢) Bozdağ, Abdülhamid, p.121.

(٣) وتلن . عبد الحميد، ص ٢٠١.

(٤) الهدى . نيويورك. عدد ٥٤، سنة ١٢، السبت ٢٤ نيسان ١٩٠٩، ص الملحق
- Kuran. *Inkilâp Tarihimiz*, p. 281, Kuran *Inkilâp Hardkelleri*, p.467.

(٥) حلاق. موقف، ص ٣٢٦.

(٦) المرجع والصفحة نفسها.

(٧) المرجع والصفحة نفسها.

عملت ثلاثة وثلاثين عاما من أجل الأمة والدولة، ومن أجل سلامة البلاد وخدمت قدر طاقتي، إني حاكم يحاكمني الله ورسوله، إني أسلمكم البلاد بمنزل ما وجدتها عليه، ولم أفرط أبدا في شبر من أراضيها لأحد، وأترك للمولى عز وجل تقدير خدماتي، وما حيلتي إن شاء الله أن يدع لأعدائي فرصة إسدال ستار اسود على كل خدماتي، والعجيب أنهم وفقوا أيضا في ذلك ولي رجاء منكم أن تخبروا المسؤولين وأخي رغبتي في أن يخصص إلى قصر 'جراغان' إذ من اليسير الانتقال من هنا إلى هناك، أمضى أواخر أيامي مع العبادة، وليس لي رغبة أخرى^(١)، ولقد أجاهه الوفد بأن المجلس أتخذ قراره بجعل إقامته في مدينة 'سلانيك'، فقال لهم السلطان: 'إني تعب، كما أن تقدم مني لا يسمح لي بالسفر الطويل، وأنا أقسم بالله بأنني لا أرغب في السلطنة، لذا أرجو أن أقيم مع عائلتي في قصر 'جراغان'، ولقد أجاهه الوفد بأن طلبه هذا خارج إطار صلاحياتهم، لذا فإنهم سيعرضون طلبه هذا على قيادة جمعية الاتحاد والترقي، ولم تمض أكثر من ثلاث ساعات من مغادرة الوفد، حتى جاء الجواب من المجلس، وهو التهيؤ فورا للسفر إلى 'سلانيك'^(٢).

ثم جاء بعد ذلك 'جواد بك' وقال: 'لقد وصل الإنز، وسمحوا بالخروج على الفور، ولما أرادوا أخذ بعض الملابس وغيرها، بادر 'جواد بك' إلى منع ذلك متعللا بضيق الوقت، وأن المكان الذي سيذهبون إليه فيه كل شيء'^(٣). ولقد وصل السلطان 'عبد الحميد' نحو منتصف الليل إلى محطة القطار ومعه ولداه الأصغران، وإحدى عشرة امرأة من نسائه وبناته، وأربعة عشر خادما وخادمة، وكان السلطان في رزاة وطمأنينة بال، وكان يرتدي طيلة هذه الأحداث كلها قبا (أفركوت) أغبر اللون، وزوج قفاز أبيض، ولقد ساعد السلطان 'عبد الحميد' السيدات بنفسه على الصعود إلى القطار، وقام بعد ذلك بتفحص القطار بدقة، حيث كان يتكون من ٦ مركبات، أربعة منها من الدرجة الأولى، واثنان من الدرجة الثانية^(٤). وكان في المركبات الأخيرة مائة جندي لحراسته بقيادة الكولونيل 'غالب' قومندان الجاندرمة في 'سلانيك'، كما كان القائد 'حسني باشا' أحد أركان الحرب في جيش الحركة حاضرا حينها، فقام بأداء التحية العسكرية للسلطان، ولما أنجز السلطان 'عبد الحميد' كل مهامه، دنا منه 'حسني باشا'، وسأله بحشمة وتأدب إذا كان يستطيع أمر القطار بالمسير فشكره 'عبد الحميد' بلطف، وأمر القطار الذي سار فيه يقله إلى 'سلانيك'^(٥) حيث عينت إقامته في 'فيلا آلاتيني' على شاطئ البحر^(٦) وكانت أبواب القطار قد أغلقت بالأقفال، وكان السلطان 'عبد الحميد' يقف على قدميه وسط الصالون^(٧).

(١) عثمان أوغلي، والدي، ٢٤١.

(٢) محمد علي، السلطان، ص ٣٣٤.

(٣) عثمان أوغلي، والدي، ص ٢٤٦.

(٤) الهدى، نيويورك، عدد ٥٧، سنة ١٢، الثلاثاء ٢٧ نيسان ١٩٠٩، ص ٢.

(٥) الهدى، نيويورك، عدد ٥٧، سنة ١٢، الثلاثاء ٢٧ نيسان ١٩٠٩، ص ٢.

المؤيد، مصر، عدد ٥٧٥٢، ٢٩ أبريل، ١٩٠٩، ص ٥، Kinross. The Ottoman, p.578; Barber. The Sultan, p.216; ^(٦)

(٧) عثمان أوغلي، والدي، ص ٢٤٨.

ولقد مر القطار عبر منطقة 'دده قاتش' (Dedeagatch) واستمرت الرحلة المرهقة ٢٠ ساعة، وقد وصل القطار إلى المحطة النهائية الساعة التاسعة مساء يوم ٢٨ نيسان ١٩٠٩، حيث وصل إلى 'فيللا' التي تملكها عائلة يهودية معروفة جداً^(١). وكان القصر الذي أنشئ قبل عشرين عاماً من خلع السلطان تبلغ مساحته ٩٢٧م^(٢). ولقد استقبل السلطان من قبل كبار رجال 'سلانيك' وعلى رأسهم واليها^(٣) حيث أقام السلطان وأسرته وحاشيته في الدور الثاني من القصر، وأما الدور الأول؛ فكان يشغله جماعة من الضباط ورجال الجيش المكلفين بحراسة السلطان، وكانت تحت قيادة 'فتحي بك'، وأما الدور الأخير، وهو الدور الثالث، فكان خال لا يسكنه أحد^(٤) ويمكن إجمال من كان على حراسة السلطان بأنهم من غير المسلمين^(٥) حيث عين 'فتحي بك' شقيق 'رمزي بك' مشرفاً على ذلك^(٦) وهو من يهود الدونمة^(٧).

ولقد نقلت صحيفة 'المؤيد' بتاريخ ١٦ أيار عن صحيفة 'صباح' بتاريخ ١١ أيار ١٩٠٩، أنه تم تعيين معاش للسلطان 'عبد الحميد' قدره ألف جنيه عثماني شهرياً، ولكل من أولاده المقيمين معه ستمائة جنيه^(٨). وهذا الأمر كان إجحافاً بحق السلطان 'عبد الحميد' حيث قال: "إن أسلافي لم يقبلوا بمثل ذلك قط"^(٩).

أما جمعية الاتحاد والترقي فقد قامت فوراً بالاستيلاء على أوراق ومراسلات السلطان وفي كثير منها أسرار خطيرة متعلقة بسياسته الداخلية والخارجية^(١٠)، كما قامت الجمعية بإلقاء القبض على المصاحب الأول - أمين السر - للسلطان 'جوهر آغا' واستعملوا معه صنوف العذاب ليدلهم على خزينة السلطان، فصاح في وجههم بأنه لن يخون ولي نعمه أبداً، فتم شنقه، وبادروا بعده إلى المصاحب الثاني 'نادر آغا'، حيث عذب فقام بدلهم على الخزينة، وأند نفسه من الإعدام^(١١)، ثم وضعت الأموال في صناديق، وتم سرقتها فيما بعد، ولم يتحمل أحد المسؤولية تجاه ذلك^(١٢).

(١) Pears . Life, P.323.

(٢) الاتحاد العثماني . بيروت، عدد ٢٠٢، ٢ أيار ١٩٠٩، ص ٢.

(٣) المؤيد، مصر، عدد ٥٧٥٨، ٦ مايو ١٩٠٩، ص ٦.

(٤) المصدر والصفحة نفسها.

(٥) المصدر والصفحة نفسها.

(٦) Kedourie . Arabic, p.251.

(٧) Loc. cit

(٨) المؤيد . مصر، عدد ٥٧٦٦، ١٦ مايو ١٩٠٩، ص ٤.

(٩) المقتبس . دمشق، عدد ١٩٩، الأحد ٢ أيار ١٩٠٩، ص ٣.

(١٠) المؤيد . مصر، عدد ٥٧٥٦، ٤ مايو ١٩٠٩، ص ٣.

(١١) طوزان . أسرار، ص ٩٤ : 468, p. Inkilâp Hareketleri Kuran.

(١٢) أوزتونا . تاريخ، ج ٢، ص ١٨٦ : 468, P. Inkilâp Tarihimiz Kuran.

وفيما بعد قام السلطان 'عبد الحميد' بمعاقبة 'أنور بك' بقوله: "نعم يا 'أنور' ... لقد سرت في جيش الحركة إلى 'إستانبول' ظافرا، واستوليت على المدينة، وحتى على القصر، وتمكنت من خلعي، حسنا لكن لا تنسوا أنني أنا الذي منعت قواتي من إطلاق النار عليكم حقنا للدماء، ولو جابهتكم بالمقاومة لكلفتكم تلك ثمنا باهضا، ولكنني نجحت في عدم إلحاق أي أذى بأي فرد، لكن رفقاءكم لم يقدروا ذلك، كما لم تعجبهم تدابيري، فرموني كحزمة بالية إلى الشارع، واتهموني كذلك بتدبير حادثة ٣١ مارس، بينما لم تكن لي أية علاقة بها، ولا يخلو عهد من أعداء للدولة، ولكن لا يقبل أي ضمير ولا أي وجدان إلصاق التهم والافتراءات جزافا دون تحقيق، ودون سند"^(١).

بذلك أصبح السلطان مخلوعا لا يملك من الأمر شيئا، ويقول 'جواد رفعت إتلخان': "في الواقع أن جمعية الاتحاد والترقي خلعت السلطان 'عبد الحميد'، هي التي أقامت الاستبداد بعد ذلك، وشهدت البلاد من المآسي ما لم تشهده خلال ثلاثة وثلاثين سنة من حكم السلطان"^(٢)، وكما ذكرنا فإن جمعية الاتحاد والترقي قامت بتعيين أخيه 'محمد رشاد' خلفا له وقد اقترح الجنرال 'سامي باشا' أحد الأعيان و ناظر الضابطة سابقا "أن السلطان 'محمد الفاتح' فتح القسطنطينية، واليوم قد افتتحت المدينة ثانية وعليه أرى أن يسمى السلطان الجديد 'محمد الخامس'، فقبل هذا الرأي"^(٣) حيث كان 'محمد الخامس' من الناحية العملية مجرد من أي سلطة حقيقة أو نفوذ الإبقاء ما تسمح به جمعية الاتحاد والترقي، التي كانت خاضعة للجمعية الماسونية، وهكذا سيطر اليهود على مقدرات البلاد من وراء الستار^(٤)، حتى أن بعض المؤرخين قد أطلق على السلطان 'محمد الخامس' لقب 'السلطان الأبله'^(٥). وقامت جمعية الاتحاد والترقي بصك نقود جديدة تحمل شعارات الماسونية 'حرية، عدالة، أخوة، مساواة'^(٦). بالإضافة إلى نياشين وأوسمة تحمل الشعار ذاته^(٧). أما السلطان المخلوع 'عبد الحميد' فقد تعرض في عزله لمحاولة اغتيال من قبل ضابط في سلاح المدفعية هو 'يوز باشي سالم' (Yüzbaşı Salim)، حيث أطلق رصاصة على السلطان فأخطأه وارتطمت بالحائط فوق رأسه تماما^(٨).

(١) محمد علي، السلطان، ص ٣٤٣.

(٢) إتلخان، أسرار، ص ٦٢.

(٣) البشير، بيروت، عدد ١٩١٠، سنة ٤٠، الاثنين ١٠ أيار ١٩٠٩، ص ١.

(٤) ناجي، المفسدون، ص ٣١٧.

(٥) الثناوي، الدولة، ج ٢، ص ١٠٠٧.

(٦) Atılhan. Islâmi, p. 205.

(٧) انظر صوره عن هذه النقود والنياشين والأوسمة في الملحق رقم ٧.

(٨) Bozdağ. Abdülhamid, p. 130.

٣- النتائج المباشرة لثورة ١٩٠٨ وخلع السلطان عبد الحميد ١٩٠٩ .

لم تكف الأمور عند سيطرة جمعية الاتحاد والترقي على مقاليد الأمور، فقد كان هؤلاء يفتكرون إلى قيادة حقيقية تستطيع قيادة البلاد، حيث صرح 'محمود شوكت' لمراسل صحيفة 'بيونير' (Pioneer) الإنجليزية " بأنه لا يوجد عنده الرجال الأكفاء ذوو سطوة واقتدار، حتى يقدروا على حفظ السلطنة من التورط في الهلاك والخراب" (١) ، وكانت الجمعية تعتقد أن الشعب بأكمله ممتن لها ، وأن كل شخص لا يقدر خدماتها وتضحياتها ، لا يعتبر ناكرا للجميل فحسب ؛ بل خائنا للوطن ، لذلك بدأ هناك تحزب شديد قامت به الجمعية ، هدفت من خلاله إبعاد موظفي الدولة غير الاتحاديين ، لكن الجمعية لم توفق في ذلك بشكل كامل ، إذ انها تفتقر الى الكوادر اللازمة لملء هذا الفراغ ، لذلك فانهم اضطروا إلى إبقاء وزراء السلطان 'عبد الحميد' في كثير من المناصب الوزارية (٢) ، واتضح بعد عام ١٩٠٨ أن الجمعية التي وضعت مصطلح 'قحط الرجال' لم يكونوا حتى على مستوى رجال السلطان 'عبد الحميد' علماً وتجربة (٣) . كانت الأخطاء الكبيرة التي ارتكبتها الجمعية قد أدت بالدكتور 'رضا توفيق' المعروف بالفيلسوف إلى القول سنة ١٩١٠ لمحرر صحيفة 'بروجرة دى سلايك': "أنا على اتفاق تام مع الجمعية على أن البلاد في حاجة إلى حكومة قوية، ولكني أخالفها في استخدام القوة، إذا كان وجودي في المجلس قضى على بأن أحمل على 'طلعت بك' الممثل الأكبر للجمعية في الوزارة، وصديقي ورفيقي منذ الساعة الأولى في جمعية الاتحاد والترقي، فذلك لاعتقادي بأن الواجب على أن أفعل ما فعلت، ولو سكت كغيري لكان ذلك خيانة لا يغتفرها الوطن لي، إن الدستور لا يكون إلا كلمة لا معنى لها إذا لم تحترم الحرية السياسية والحقوق الأساسية، وحرية القول والكتابة والخطابة، وإذا لم تعامل العناصر كلها معاملة واحدة بمقتضى أحكام الدستور" (٤) .

إن كلمات 'رضا توفيق' هذه توضح الشيء الكثير من سليات سياسة جمعية الاتحاد والترقي التي اتبعوها ، إلى جانب اشتهاار كثير من قياديي هذه الجمعية بالبعد عن الدين، بل ومجاهرة بعضهم بعداوتهم للإسلام وإعلان إلحاده (٥) حتى أن 'أحمد رضا' رفض أن يقسم بالله في مجلس المبعوثان ، في حين نرى بعض الضباط قبل ٣ أيام من أحداث ٣١ مارس يقولون لجنودهم : " لا يجوز لكم أبداً الاتصال بالعلماء ورجال الدين" (٦) ... الجندي شيء ومسائل الدين شيء آخر ، عدا الله لا نعترف بأحد، إن السلطان والشعب بيد جمعية الاتحاد والترقي" (٧) .

(١) محمد إنشاء الله . محرر صحيفة 'وطن' في الهند، المنار، مصر، ج١، م١٢، ص٧٠١.

(٢) أورتونا . تاريخ ، ج٢ ، ص١٨١.

(٣) المصدر نفسه ، ص ١٤٨ .

(٤) مجهول . ثورة ، ص ٥٠-٥١.

(٥) محمد علي . السلطان، ص ٣٢٥.

(٦) Atılhan. Islâmî, p. 204.

(٧) المرجع والصفحة نفسها.

كل تلك العوامل أدت إلى فقدان ثقة العامة من شعوب الدولة العثمانية بجمعية الاتحاد والترقي، وفي مقدمتهم كان العرب ، الذين تمتعوا في وقت سابق بحرية تامة في بلادهم، وكانت لغتهم العربية، هي اللغة الرسمية، وكان منهم الوزراء والحكام، وكان لهم مجالس ألوية، ومجالس بلديات ، ومجالس إدارة وكان القادة الأتراك يكرمون ساداتهم وعلمائهم، وكان العرب على أتم وئام مع الأتراك ، حتى أعلن الدستور سنة ١٩٠٨^(١)، حيث شعر العرب وشعوب الجامعة العثمانية بتغيير مسلك الجمعية تغيرا غير منتظر من جمعية كانت تعد نفسها حامية الحرية وسلطة القانون، وهادئة أركان الاستبداد ، فأخذ سوء الظن يعود إلى النفوس ، والثقة المتبادلة بدأت تضعف وتزول^(٢) .

وفي أواخر سنة ١٩٠٩ أي بعد خلع السلطان 'عبد الحميد' ، دعا بعض الضباط العرب أصحاب الرأي من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي إلى اجتماع طويل في العاصمة 'إستانبول' لأجل بحث التدابير التي يجب اتخاذها لحسم مسائل الخلاف التي نشأت بين العرب وقادة الجمعية حسما نهائيا، وكاد هذا الاجتماع أن يسفر عن نتيجة مرضية لولا دخول وتدخل غلاة الأتراك، 'كأحمد أغايف'، 'ويوسف أقتشوره بك' وغيرهما، ومن ثم تقوهم بما يمس العرب ويزيد نفورهم منهم، ويقضي على آمالهم فيهم^(٣).

هذا عن موقف العرب، أما عن أمر خلع السلطان فقد علمنا أمر خلع من جمعية الاتحاد والترقي، وقد وصلوا إلى ما وصلوا إليه بكيد دونمة سلاتيك ... لذلك نرى لكبر همهم جمع المال، فلا هم على دين هذه الدولة فيغارون عليه، بل هم يقاومونه ويهدمونه، ولا هم من أصل راسخ فيها، فيكونون احرص على حياتها من أبناء سلاطينها وأساطينها. وإذا نظرنا إلى اعمالهم دون عقيدتهم وآرائهم، نرى انهم قد فعلوا في الدولة من الافساد والتخريب ما لم يفعله غيرهم فيها منذ أصيبت بالضعف إلى أن أصيبت بهم^(٤).

ولقد اتضح كيف أن الماسونية نمت وترعرت في احضان يهود الدونمة الذين احتلوا مراكز خطيرة في الدولة، حيث قام هؤلاء بتوجيه سياسة الدولة نحو خدمة أهداف اليهودية العالمية الساعية لتحقيق أهداف الصهيونية تحت ستار الحركات التحررية في الدولة العثمانية^(٥). لذلك فليس من المدهش أبدا أن نرى السفراء يظهرون تشككهم بصورة طبيعية وهم العارفون بأن يد المحافظ الماسونية هي التي كانت وراء هؤلاء الأشخاص تحركهم كما يحركون الدمي^(٦). في الوقت الذي كانت فيه الدول الأجنبية بمثابة الممول ، لأنه كان لها مصالح مشتركة سواء مع الباب العالي في العاصمة ، أو مع جمعية الاتحاد

(١) حسن صدقي الدجاني . تفصيل فلامة فلسطين - حقائق أرقام تقارير وثائق هامة (ط١) ، القدس : المطبعة التجارية،

١٩٣٦ ص ١١.

(٢) مجهول . ثورة ، ص ٥٠.

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٢٧.

(٥) عثمان . لليهود، ص ٧٣.

(٦) النقشة . السلطان، ص ١٢٦.

والترقي^(١) وكانت المحافل الماسونية أكثر من كونها مجرد غطاء ثانوي أو عرضي لاجتماعات الضباط الشبان، حيث أنه في تشرين ثاني ١٩١١ حدث أن 'جاويد بك' الذي عبر في مناسبات عديدة عن اهتمامه وعلاقته بالحركة الصهيونية ، قد ربط للمرة الأولى المحافل الماسونية بالأهداف اليهودية^(٢).

ويقول ' عمر مفتي زاده' في مؤلفه 'جهاد ناطق' : "إن هؤلاء الزعماء كلهم من شيعة الماسون يجتهدون في نشرها وجعل رجال الحكومة من أعضائها، كما ينشرونها بين ضباط الجيش، وقد يكون هذا تمهيداً للفصل بين السياسة والدين ، وتجريد السلطان من صفة الخلافة الإسلامية ، وإن من لوازم تشييعهم للماسونية قوة نفوذ اليهود فيهم وفي الدولة وذلك يفضي إلى فوز الجمعية الصهيونية في استعمار بلاد فلسطين الذي يراد به إعادة ملك إسرائيل، وإلى ابتلاع أصحاب الملايين من اليهود لخيرات البلاد"^(٣).

ولقد جاء في كتاب ' الماسونية في البلاد العثمانية' 'نحن العثمانيون مدينون للماسونية أكبر دين لأنها هي التي ثبتت في نفوس أعضاء جمعية الاتحاد والترقي روح الحرية، وبها اقتدوا في إنشاء جمعيتهم التي فككت قيود الاستبداد، وقد اهتم جماعة من الماسون المصريين في إنشاء تذكارات لذلك، فأنشأوا محفلاً جديداً في القاهرة سموه محفل نيازي"^(٤) لقد أثنى 'برتو بك' (Pertev Bey) - أحد قادة الجمعية - على الحكومة الاتحادية والأمة الإنجليزية لأنها ساعدت الاتحاديين على هذا الانقلاب المبارك الذي قوض أساس الاستبداد، ووطد أركان الحرية في الممالك العثمانية وقال صريحاً: "إن الماسونية كانت المحرك الأول والمرشد الأكبر لجمعية الاتحاد والترقي"^(٥).

ولقد جاء في كتاب ' الخطوط العريضة لتاريخ الماسونية في تركيا': " لا بد من القول أن الماسونية قد أدت خدمات جليلة لجمعية الاتحاد والترقي ، وبقدر هذه الخدمات بقدر ما كانت خدمات جمعية الاتحاد والترقي في تنظيم الماسونية التركية وتطورها، وذلك عقب إعلان المشروطية"^(٦).
لقد كانت الماسونية اليهودية دوماً تعترف وتفتخر بدورها الفعال في خلع السلطان عبد الحميد الذي كان عدوها اللدود .وقد تنفس الزمان للماسون بعد الانقلاب، حيث الأصابع الماسونية معروفة فأسسوا

(١) Mardin. The Genesis, P.116-117..

(٢) Lewis. The Emergence, P.208..

(٣) التل . الأنقى ، ص ٨٧ ؛ شيخو. المسر، ك ٦، ص ٣٥.

(٤) أنور الجندي . الفكر العربي في مواجهة الاستعمار (القاهرة : مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٧١) ص ١٣٠ ؛ انظر -

Kedourie. Arabic ,p.252.

(٥) المرجع والصفحة نفسها.

(٦) بني المرجة صحوة، ص ٢٣١-٢٣٢.

المحافل التي تزعمها قادة جمعية الاتحاد والترقي التي كان أغلب قادتها من يهود الدونمة ^(١). كما قاموا بتأسيس محفلا ماسونيا سمي 'بالشرق العثماني' أستاذه الأعظم 'طلعت بك' ناظر الداخلية ^(٢). وقد لوحظ أن اليهود المحليين والأجانب على إختلاف انتماءاتهم كانوا مؤيدين متحمسين للعهد الجديد، ولقد أصبح كل يهودي جاسوساً بالقوة للجمعية، وبدأ الناس يقولون: "أن الجمعية انما هي حركة يهودية أكثر مما هي ثورة تركية" ^(٣). والظاهر أن رجال الدولة من الاتحاديين كانوا يتقنون بصدق وإخلاص وولاء يهود الدولة العثمانية للدستور، وأنه سيكون لهؤلاء في عهد الدستور غير الشأن الذي كان لهم في أيام 'الظلم والاستبداد'، الأمر الذي قد يؤدي إلى زيادة هجرة اخوانهم اليهود الغرباء إلى مناطق مختلفة من الدولة العثمانية" ^(٤).

ولقد كان "نفوذ اليهود في جمعية الاتحاد والترقي عظيم ، حيث كان ناظر المالية 'جاويد بك' إسرائيلي النسب وأنه جعل كاتباً له وكثيراً من موظفي نظارته من اليهود فعلمنا أنه سيكون لليهود شأن ، وأى شأن في هذه وآمالهم في القدس وفلسطين معروفة" ^(٥). ولقد أمل اليهود خيراً بعد ثورة ١٩٠٨ واستبشروا بالفوز القريب وأخذوا يسعون لدى أعضاء جمعية الاتحاد والترقي وكان على رأس هؤلاء 'عمانويل قره صو' (Emanuel Karasu) ^(٦) ويمكن القول أن ثورة ١٩٠٨ أدت إلى تقوية الروابط العاطفية بين اليهود وجمعية الاتحاد والترقي في 'مكدونية' ^(٧).

ولقد أكدت صحيفة 'المقتطف' على دور اليهود في الثورة، حيث قالت: "بقى علينا ذكر عنصر آخر من العناصر العثمانية يبلغ نحو نصف مليون نفس في تركيا وأوروبا وآسيا، لكن اليهود في الأستانة فاقوا سواهم يوم الاحتفال بعيد الدستور ، [حيث] كان بين المتطوعين من أهل مكدونية عدد غير قليل من الإسرائيليين ، فقاتلوا هم وإخوانهم من المسيحيين قتال الأبطال في الدفاع عن الدستور كما شهد لهم به إخوانهم المتطوعون المسلمون، وقد كان بين المندوبين لابلأغ 'عبد الحميد' خبر خلعه إسرائيلي من أعضاء مجلس المبعوثان..... إن للإسرائيليين كلمة في جمعية الاتحاد والترقي في 'سلانيك' ، وإن جماعة إسرائيلي الأصل يسمون بالدونمة بيدهم أهم تجارة 'سلانيك' ، وأنه قام من هؤلاء الدونمة أشهر الماليين العثمانيين في عهد الدستور" ^(٨).

(١) شيخو . السر ، ك ٥٥ ، ص ٤٢.

(٢) المصدر الصفحة نفسها.

(٣) Kedourie . Arabic, p.25.

(٤) المنار . مصر ، ج ٤ ، م ١٤ سنة ١٩١١ ، ص ٢٦٩-٢٧٣.

(٥) المصدر نفسه ، ج ٢ م ١٤ ، ص ١٥٩.

(٦) شيخو . الصهيونية ، ص ٧٧٣.

(٧) Revue du Monde Musulman, T,5 1908, p. 176.

(٨) المقتطف . مصر ، ج ٤ ، م ٣٥ ، ١١ أكتوبر ، ١٩٠٩ ، ص ٩٥٧.

ولقد فاق اليهود غيرهم في التعبير عن فرحتهم بثورة ١٩٠٨ ، حيث قامت الصحافة الصهيونية المنتشرة في أوروبا بمتابعة أخبار الثورة بشكل دائم، لاسيما صحيفة 'نيو فراي برس' (Neue Freie Presse) التي قامت بنشر أخبار الثورة وتأييدها، كما نشرت العديد من التصريحات لقادة جمعية الاتحاد والترقي مثل تصريحات 'قهمي باشا'، حيث ذكر مساويى حكم السلطان 'عبد الحميد'، ومساويى الرقابة الشديدة على التقارير المختلفة، وكانت صحيفة 'إكدام' (İkdam) قد ترجمت هذا المقال في حينه في 'مصر' (١).

وبعد الثورة قام المتظاهرون الأتراك وغيرهم بالتوجه إلى مركز هذه الصحيفة في 'إستانبول' هاتفين: 'عاشت الصحافة' (Vive la Presse) و'عاشت الحرية' (Vive la Liberte) (٢). "ويظهر مما تقدم، وكما يتبين من أية ملاحظة دقيقة لجمعية الاتحاد والترقي في تلك المراحل؛ أن هذه الحركة هي في جوهرها واساسها حركة يهودية تركية ، تعارض العناصر الأخرى كـ'العرب' و'اليونان' و'البلغار' و'الأرمن' الخ" (٣).

و"لما كانت الدولة العثمانية تضم الأماكن المقدسة عند [إسرائيل]، فمن الطبيعي أن يسعى اليهودي جاهدًا ليحتل مركز نفوذ يتفرد به وحده ، ويستخدمه لتحقيق مثله العليا ، ألا وهي إقامة دولة مستقلة في فلسطين' أو في بلاد بابل [العراق] كما أوضح ذلك 'إسرائيل زانغويل' (Israel Zangwill) (٤) في مقاله المنشور في عدد شهر نيسان ١٩١٠م في مجلة 'الأسبوعان' فورت نايتلي ريفيو' (Fortnightly Review) "بأنه سيصيد عصفورين بحجر واحد، إذا استطاع أن يحصل من الأتراك على السماح بهجرة غير مقيدة إلى تركيا، وهذا هدف ما فتئ يسعى لتحقيقه من سنوات عديدة... وفي مقابل الهجرة غير المحدودة لليهود الأجانب، عرض على جمعية الاتحاد والترقي أن يستبدل لغته الوطنية باللغة التركية، بل أنه على استعداد لتحمل جميع ديون الدولة التركية" (٥) .

ولقد كان 'زانغويل' نفسه يعبر تماماً عما عبر عنه هرتزل في وقت سابق ، "ومما لا شك فيه أن حكومة تركيا الحالية وهي تتحمل نفقات عسكرية ثقيلة بحاجة إلى قروض مالية ، مما يمكن المقرضين اليهود من استخدام ضغوط جديدة عليها، وكان السلطان 'عبد الحميد' قد رفض عندما كان يعاني أزمة مالية شديدة مثل هذه العروض التي تقدم بها هرتزل الزعيم للصهيوني" . ويبدو أن 'زانغويل' كان يعبر

(١) Revue du Monde Musulman, T.5 , 1908, p.730.

(٢) Ibid ., p.723.

(٣) Kedourie. Arabic ,p.256.

(٤) إسرائيل زانغويل (١٨٦٤ - ١٩٢٦) كاتب يهودي بريطاني . وضع عدة مؤلفات مشهورة ، تصور الحياة في الأحياء اليهودية في أوروبا ، واشترك في المؤتمر للصهيوني الأول. واختلف مع الحركة الصهيونية بعد وفاة هرتزل، ثم عاد إلى الحركة بعد عام ١٩١٧ . لمزيد من التفاصيل انظر : Ency Judaica , Vol. 16 , p. 930 - 932

(٥) Kedourie. Arabic ,p.256

عن الفكرة نفسها عندما كتب : " فإذا لم يكن حظ جمعية الاتحاد والترقي من الادراك السليم أقل من النقود في خزائنها فإنهم سيدركون ولا شك أية فائدة عظيمة ستحصل عليها دولتهم بسماعهم بالتغلغل السلمي في بلادهم لسكان من الجنس الأبيض ، ذوي كفاءة صناعية ومثابرة في العمل ، وغير عسكريين " (١) ، ثم يقول 'رانغويل' عن النواب الأربعة من اليهود الذين نجحوا في دخول مجلس المبعوثان "بأنهم خصوم الداء للصهيونية (Violently anti- Zionist) وأنه قد يتظاهر هؤلاء النواب الأربعة بعدائهم للصهيونية فيما يختص بالصهيونية الداعية إلى هجرة اليهود إلى فلسطين" (٢).

ولا يقتصر الأمر على 'فلسطين' حيث أن جريدة 'الشفق' (Aurore) وهي صحيفة صهيونية أنشأت في 'إستانبول' ، قامت دائماً بتذكير قرائها مراراً دون كلال أو ملل بأن السيطرة على 'مصر' أرض الفراعنة هي جزء من ميراث 'إسرائيل' في المستقبل، حيث كان العديد من المثاليين اليهود يعتقدون هذه الفكرة ويدعون لها، ويبشرون بها، على أن 'فلسطين' و'العراق' هما هدف اليهود النهائي البعيد (٣).

أما الهدف المباشر القريب الذي كان يسعى لليهود اليه ، فهو السيطرة الاقتصادية التامة على الدولة العثمانية ، وإقامة المشاريع الجديدة فيها، وقد تبين أن اليهود قد تمكنوا من إحتلال جميع النقاط الرئيسية في الحكومة العثمانية التي كانت بعد خلع السلطان 'عبد الحميد' (٤) .

وكان من الواضح أن اليهودي الذي كان يهتم أعظم الاهتمام بالإحتفاظ بنفوذه المطلق في مجلس الوزراء الجديد، كان يهتم أيضاً وبشكل كبير بإبقاء شعلة الفرقة والخصام بين الأتراك والخصوم المحتملين لليهود داخل الدولة مثل 'اليونان' و'الأرمن' وغيرهم ، في الوقت الذي كان اليهود لا يرون مانعاً بأن يزودوا العهد الجديد بالأموال المقترضة من الممولين اليهود (٥).

لقد كان بإمكان اليهود أن يساعدوا جمعية الاتحاد والترقي القابضة على زمام الأمور بأدمغتهم ومشاريعهم التجارية وبنفوذهم الهائل في الصحافة الأوروبية، ويتقنيم الأموال مقابل الحصول على مكاسب اقتصادية، ومقابل تحقيق أهداف 'إسرائيل العليا' في المستقبل، ولقد قدم اليهود الأموال إلى هؤلاء الأتراك الشباب، وبهذا أحكموا سيطرتهم عليهم، وحتى يحافظ اليهود على هذه السيطرة ، كان لا بد من التظاهر على الأقل أنهم يوافقون على تحقيق الأتراك الشباب لأحلامهم القومية السرية ، وكانت الطرق الملتوية أمراً أساسياً لكلا الفريقين. واليهودي لشرقي متمرس في التعامل مع القوى الخفية ، وقد اختيرت لذلك الماسونية السياسية من الطراز الأوروبي كأكثر الروابط فعالية، والعبادة التي تستر الأعمال الداخلية للحركة (٦) .

(١) Kedourie. Arabic, p.256s

(٢) Ibid., p 256-257.

(٣) Ibid., P. 257 ; friedman. Germany, p.179.

(٤) Kedourie. Arabic, p.256

(٥) Loc. cit.

(٦) Ibid., p.257-258.

ولقد بلغ من نفوذ اليهود في أوساط جمعية الاتحاد والترقي، انهم استطاعوا التأثير على اتجاهات الجمعية من الناحية الدولية والدبلوماسية، حيث كانت العلاقات جيدة مع كل من 'انجلترا' و'ألمانيا' و'إيطاليا' و'فرنسا'؛ في حين كان الموقف مختلفاً تماماً مع 'روسيا'، وهذا الموقف كان معناه أن النشاط والنفوذ الروسي سيتضاءل فيما بعد ^(١)، وقد يكون هذا الأمر نابع من عداوة اليهود ذوى النفوذ داخل جمعية الاتحاد والترقي 'لروسيا' بسبب ما ارتكبته من مذابح بحق اليهود فيها.

ومهما يكن من أمر فإن 'أحاد هاعام' أحد كبار قياديي الحركة الصهيونية قد قال بعد ثورة ١٩٠٨ "... لو أن كل الأدلة صحيحة فإن أبواب 'فلسطين' سيقدر لها ان تفتح بسرعة أمامنا. إن ظروف الاستيطان والعمل اليهودي ستتوفر لنا الآن دون أى عائق ... فكل العقبات التي وضعت على الاستيطان على مستوى واسع في 'فلسطين'، سرعان ما ستزول إن عاجلاً أم آجلاً، بالإضافة إلى أن القادة الجدد في 'تركيا' كما يشاع يسعدهم الاستيطان اليهودي، وهم على استعداد لاستقبال القادمين والترحيب بهم بحرارة..." ^(٢).

وكان السلطان 'عبد الحميد' يرفض عروض الحركة الصهيونية، وأبان عن نيته في عدم اللين تجاه هذه المطالب، إلا أن الظروف بعد ثورة ١٩٠٨ قد تغيرت، حيث لم يعد السلطان هو الحاكم الوحيد، واصبح لدى اليهود الأمل في الوصول إلى ما يبتغون إليه ^(٣).

وكانت الدعاية الصهيونية عموماً داخل الدولة العثمانية تهدف إلى توضيح " أن الصهيونية لا تهدف إلى فصل 'فلسطين' عن الدولة العثمانية، وأن الحركة الصهيونية عرفت جيداً أن وجود أي مركز يهودي لا يمكن أن يضمن ما لم يوضع داخل حدود، وتحت حماية الدولة العثمانية القوية الكبيرة وأنهم خلال 'طغيان' السلطان طلبوا وضعاً خاصاً وضمانات أو ما يسمى 'بالميثاق' (Covenant) حتى لا يقوم السلطان بتخريب كل ما بنوه، أما الآن حيث يسود الدستور والحرية، فلم يعد هناك حاجة لتأكيدات ووضع خاص" ^(٤). حيث كانت الحركة الصهيونية تنتظر الى ان يكون نشاطها داخل 'أرض إسرائيل' نشاطاً شرعياً مقبولاً من قبل الحكومة العثمانية الاتحادية، وكان وضع اليهود في الأراضي المقدسة يسبب قلقاً كبيراً لليهود الاتراك ^(٥).

ولقد شهدت هذه الفترة نشاطاً مكثفاً للحركة الصهيونية، ولقد تزعم هذا النشاط داخل الدولة

(١) Stein. *The Balfour*, p.35.

(٢) Aharon Cohen. *Israel and The Arab World* (New York :Funk Wagnalls , 1970) p.73.

(٣) *Revue du Monde Musulman*, T.5 1908 p.732..

(٤) Cohen. *Israel* , p.74.

(٥) Weiker. *Ottomans*, p.234-236.

العثمانية 'جابوتنكسي' (Vladimir Jabotinsky) ^(١)، حيث قدم إلى الدولة العثمانية مثلاً للصحيفة الصهيونية الروسية (Ruskyeh Viyedonostic) حيث أوكلت إليه مسؤولية الاشراف على شبكة من الصحافة تديرها الصهيونية بعد الموجة من حرية الصحافة التي اجتاحت الدولة العثمانية بعد ثورة ١٩٠٨ و إعلان الدستور ^(٢). حيث كان متفائلاً وقلقاً في الوقت نفسه من الظروف المستجدة. ولقد لقى 'جابوتنكسي' الذي عمل في سلانيك ومناطق أخرى دعماً ، وبوجه خاص من قبل الحاخام الأكبر فيها 'يعقوب منير' (Jacob Meir) و 'مايور جوزيف ناعور' (Mayor Joseph Naor) و 'سعديا ليفي' (Saadia Levi) محرر صحيفة 'اليوبك' (L Epoca) ^(٣). بالإضافة إلى تعاون العديد من اليهود الأتراك مع الحركة الصهيونية ، مثل الحاخام الأكبر للطائفة 'الأشكنازية' 'دافيد حايم ناحوم' (David Haim Nahum) ، بالإضافة إلى ثلاثة من أربعة آخرين كانوا أعضاء في مجلس المبعوثان وهم 'عمانوئيل قره صو' (Emanuel karasu) و 'نسيم مزلياح' (Nissim Masliyah) و 'نسيم روسو' (Nissim Russo) الذين كانوا يتعاطفون مع الحركة الصهيونية ^(٤) ولقد تمكن 'عمانوئيل قره صو' من إقناعهم للترشيح لمجلس المبعوثان ، وفيما بعد قام هؤلاء بإقامة أول فرع للحركة الصهيونية في الدولة العثمانية ^(٥).

ويمكن القول أن مهمة 'جابوتنكسي' الصحفية والاعلامية داخل الدولة العثمانية ، تحولت الى مهمة سياسية وإعلامية رسمية من قبل المنظمة الصهيونية العالمية .
كان من الصحف التي تديرها الحركة الصهيونية جريدة يومية فرنسية تعرف بإسم (Courierd Orient) التي غيرت اسمها فيما بعد إلى اسم صحيفة 'تركيا الفتاة' (Le Jeune Turc) وكان محررها وناشرها الاسمي هو 'جلال نوري' من أعيان الأتراك بينما كان مديرها الفعلي هو 'صموئيل هوتشبرج' (Samuel Hochberg) اليهودي الالماني الذي كان استاذاً سابقاً في مدارس 'الآليانس الإسرائيلي' وقد عرف الأوضاع جيداً داخل الدولة لمدة عشرين سنة ، وقد غير اسمه إلى صيغة إسلامية ، حيث أصبح يدعى 'سامي' وكانت هذه الصحيفة تمولها مؤسسة صهيونية تسمى 'شركة فلسطين التجارية' (Anglo

^(١) فلاديمير جابوتنكسي : ولد في ١٨/١٠/١٨٨٠ في أودسا بروسيا . كان والده يعمل في التجارة الدولية ، كان من أسرة غنية غير متدبنة لكنها محافظة على التقاليد اليهودية ، درس في أودسا ، ثم عمل بالصحافة ، بعدها التحق بجامعة روما ، واستمر في الصحافة حتى نبغ واشتهر بمقالاته ، كانت المذابح التي تعرض لها اليهود عام ١٩٠٣ في روسيا نقطة تحول في فكره وعمله الصهيوني . كان متأثراً بشخصية هرتزل ، ولقد عمل جابوتنكسي على تعميق الوعي الصهيوني في أوساط اليهود في المهجر ، ثم دخل في خلافات كثيرة مع الحركة الصهيونية . توفي في نيويورك عام ١٩٤٠ . لمزيد من التفاصيل انظر : Ency Judaica , Vol. 9, P. 1178 – 1184 .

^(٢) قاسمية . النشاط ، ص ٥٠.

^(٣) Weiker. Ottomans, P. 337; Friedman. Germany, P.142.

^(٤) Weiker. Ottomans, P. 237; Sonyel. Minorities, p.309

^(٥) Sonyel. Minorities, p.318.

فيكتور جاكوبسون (Dr Victor Jacobson) ^(١) وهو يهودي روسي كان قد تعلم في 'ألمانيا' واكتسب الجنسية العثمانية ، وقد أنيطت به مهمة الإشراف على 'الوكالة الصهيونية' (Zionist Agency) التي كانت قد أسست في 'استانبول' ، ولقد كان النشاط في هذه الوكالة متشعباً متعدد الجوانب حيث كان عليها مراقبة النظام الجديد في الدولة العثمانية ، وتنصفي أخبار النشاط الذي يقوم به العرب في العاصمة العثمانية وموافاة الهيئة التنفيذية للحركة الصهيونية بالتوجهات العربية بخصوص الهجرة اليهودية وتمليك الأراضي لهم في 'فلسطين' ^(٢).

ولقد استطاع 'جاكوبسون' أن يؤثر على جمعية الاتحاد والترقي من خلال اقناع 'روسو' و'مروياح' وغيرهم الذين اجتمعوا مع 'أحمد رضا' و'أنور بك'، و'طلعت' و'ناظم بك' الذين يمثلون قيادة الجمعية حيث اقنعوا أن دعم الأهداف الصهيونية مفيد للدولة العثمانية، وعندما زار 'أحمد رضا' الحاخام الأكبر 'نافيد حاييم ناحوم' كان يدرس ويفكر في إخوانه في الدين (Brethren) من اليهود لأنهم يشكلون حالة خاصة (Special Position) قائمة بذاتها ^(٣). وكان 'جاكوبسون' على علاقة بأعضاء مجلس المبعوثان من اليهود ^(٤) كما فعل 'جابوتسكي' تماماً . وقد أشار 'جاكوبسون' إلى أن جمعية الاتحاد والترقي تعتبرهم انفصاليين إن لم يكن اليوم ففي المستقبل ^(٥). وحتى ذلك الوقت لم تعارض جمعية الاتحاد والترقي الهجرة اليهودية ، بل أن الأمير 'صباح الدين' نادى بفتح الحركة الصهيونية بعض الاستقلالية في النواحي الإدارية الذاتية في 'فلسطين' فيما لو وصلت إلى 'السلطة' ولكن بالنظر إلى ضعف حزبه لم يتمكن من الوصول إلى مبتغاه ^(٦) . وكانت الدعاية الصهيونية تقوم على أن اليهود الذين سيهاجرون إلى الدولة العثمانية عموماً و'فلسطين' بوجه خاص، سوف يلعبون دوراً كبيراً برأسمالهم، وتعليمهم، وفعاليتهم وسوف يطورون هذا البلد، وسيعملون على اغناثه وإمداده بالقوة ^(٧) .

لذلك وحتى تكون الأمور أسهل ، كانت الحركة الصهيونية تدعي المسكنة والشكوى من الظلم والاضطهاد الذي يتعرض له اليهود في البلدان الأوروبية ، وأنه لا يوجد وراء الهجرة إلى 'فلسطين' إلا الحصول على الأمان في العيش ^(٨) ، وكان أهل 'فلسطين' يقومون بتقديم الشكاوي والعرائض على أثر

^(١) فيكتور جاكوبسون ١٨٦٩ - ١٩٣٥ . يهودي روسي عمل بالصرافة ، وكان عضواً فعالاً في الحركة الصهيونية .

كما عمل مديراً لمكتب الشركة الإنجليزية الفلسطينية في بيروت ١٩٠٦-١٩٠٨ ، ثم مدير البنك الصهيوني في استانبول

١٩٠٨ - ١٩١١ ، حيث اشرف على العديد من الصحف الصهيونية ، وأدار في سنوات الحرب العالمية الأولى مكتب

الحركة الصهيونية في اسطنبول - لمزيد من التفاصيل انظر Ency Judaica Vol 9, P 1242 - 1243 .

^(٢) التناوي، الدولة، ج ٢، ص ١٠٢٥؛ Stein, The Balfour, p.33-36 .

^(٣) Sonyel, Minorities, P.318 ; Mandie, The Arab, p.61

^(٤) Sonyel, Minorities, P.318 ; Friedman Germany, p.143.

^(٥) Mandie The Arab, p.60

^(٦) Loc. cit

^(٧) Cohen, Israel, p.74 .

^(٨) تلحوق، الصليبية ، ص ٥٩ .

فيكتور جاكوبسون (Dr Victor Jacobson) ^(١) وهو يهودي روسي كان قد تعلم في 'ألمانيا' واكتسب الجنسية العثمانية ، وقد أنيطت به مهمة الإشراف على 'الوكالة الصهيونية' (Zionist Agency) التي كانت قد أسست في 'استانبول' ، ولقد كان النشاط في هذه الوكالة متشعباً متعدد الجوانب حيث كان عليها مراقبة النظام الجديد في الدولة العثمانية ، وتقصى أخبار النشاط الذي يقوم به العرب في العاصمة العثمانية وموافاة الهيئة التنفيذية للحركة الصهيونية بالتوجهات العربية بخصوص الهجرة اليهودية وتمليك الأراضي لهم في فلسطين ^(٢).

ولقد استطاع 'جاكوبسون' أن يؤثر على جمعية الاتحاد والترقي من خلال اقناع 'روسو' و'مزلياح' وغيرهم الذين اجتمعوا مع 'أحمد رضا' و'أنور بك'، و'طلعت' و'ناظم بك' الذين يمثلون قيادة الجمعية؛ حيث اقنعوا أن دعم الأهداف الصهيونية مفيد للدولة العثمانية، وعندما زار 'أحمد رضا' الحاخام الأكبر 'دافيد هاييم ناحوم' كان يدرس ويفكر في إخوانه في الدين (Brethren) من اليهود لأنهم يشكلون 'حالة خاصة' (Special Position) قائمة بذاتها ^(٣). وكان 'جاكوبسون' على علاقة بأعضاء مجلس المبعوثان من اليهود ^(٤) كما فعل 'جابوتسكي' تماماً . وقد أشار 'جاكوبسون' إلى أن جمعية الاتحاد والترقي تعتبرهم انفصاليين إن لم يكن اليوم ففي المستقبل ^(٥). وحتى ذلك الوقت لم تعارض جمعية الاتحاد والترقي الهجرة اليهودية ، بل أن الأمير 'صباح الدين' نادى بمنح الحركة الصهيونية بعض الاستقلالية في النواحي الإدارية الذاتية في 'فلسطين' فيما لو وصلت إلى 'السلطة' ولكن بالنظر إلى ضعف حزبه لم يتمكن من الوصول إلى مبتغاه ^(٦) . وكانت الدعاية الصهيونية تقوم على أن اليهود الذين سيهاجرون إلى الدولة العثمانية عموماً و'فلسطين' بوجه خاص، سوف يلعبون دوراً كبيراً برأسمالهم، وتعليمهم، وفعاليتهم وسوف يطورون هذا البلد، وسيعملون على اغنائه وإمداده بالقوة ^(٧) .

لذلك وحتى تكون الأمور أسهل ، كانت للحركة الصهيونية تدعي المسكنة والشكوى من الظلم والاضطهاد الذي يتعرض له اليهود في البلدان الأوروبية ، وأنه لا يوجد وراء الهجرة إلى 'فلسطين' إلا الحصول على الأمان في العيش ^(٨) ، وكان أهل 'فلسطين' يقومون بتقديم الشكاوي والعرائض على أثر

(١) فيكتور جاكوبسون: ١٨٦٩ - ١٩٣٥ . يهودي روسي عمل بالصرافة ، وكان عضواً فعالاً في الحركة الصهيونية ،

كما عمل مديراً لمكتب الشركة الإنجليزية الفلسطينية في بيروت ١٩٠٦-١٩٠٨ ، ثم مدير البنك الصهيوني في استانبول

١٩٠٨ - ١٩١١ ، حيث أشرف على العديد من الصحف الصهيونية ، وأدار في سنوات الحرب العالمية الأولى مكتب

الحركة الصهيونية في اسكندنافية - لمزيد من التفاصيل انظر Ency Judaica , Vol. 9, P.1242 - 1243 .

(٢) الشناوي . الدولة ، ج ٢ ، ص ١٠٢٥ ; Stein. The Balfour, p.35-36

(٣) Sonyel. Minorities, P.318 ; Mandle. The Arab, p.61.

(٤) Sonyel. Minorities, P.318 ; Friedman. Germany, p.143.

(٥) Mandle. The Arab, p.60..

(٦) Loc. cit .

(٧) Cohen. Israel, p.74..

(٨) تلحوق . الصليبية ، ص ٥٩.

ازدياد حركة الهجرة ضد الموظفين العثمانيين المتوطينين مع قناصل الدول الأجنبية ، مما كان يؤدي في كثير من الحالات إلى إبعاد هؤلاء عن وظائفهم، حيث استبدل 'متصرف القدس' العثماني سنة ١٩٠٦ بآخر قام بوضع القيود على الهجرة اليهودية موضع التنفيذ بشدة^(١)

ولقد اختلفت هذه الأمور تماماً بعد الثورة ١٩٠٨ ؛ حيث تم نقل متصرف القدس 'علي أكرم بك' إلى وظيفة أخرى وكانت وظيفته الجديدة والياً على بيروت^(٢) ولقد اشتهر عن 'علي أكرم بك' حرصه على الإيفاء بمسؤولياته لوقف الهجرة^(٣) ولقد قام قبل مغادرته القدس، بتقديم توصياته في تقرير شدد فيه على خطر الهجرة اليهودية ، ولقد تم استبداله في سبتمبر ١٩٠٨ بـ 'صبحي بك' الذي كان على العكس تماماً مما كان عليه سلفه ومن سبقوه منذ سنة ١٨٩٧ ، حيث قام بقراءة التقرير الذي أعده 'علي أكرم بك' . وكان 'صبحي بك' قبل مغادرته قد زار 'فيكتور جاكوبسون' في 'استانبول' وقد عبر ويتحفظ حذر عن موقفه تجاه الهجرة اليهودية ، على أساس أن النظام الجديد لم يبحث بعد مجمل النشاطات اليهودية في فلسطين^(٤) .

ولقد كتب 'طلعت بك' زعيم جمعية الاتحاد والترقي في مذكراته : " كانت جمعية الاتحاد والترقي أمل اليهود، هذا صحيح لقد بدأ اليهود في عهد توليتي وزارة الداخلية للمرة الأولى يتجمعون في 'فلسطين' ، خاصة هؤلاء الذين أجبروا على الهجرة من 'روسيا'، واخذ اليهود يشترون الأراضي في 'فلسطين' بواسطة اليهود من التبعية العثمانية، كما جاء ٥٠,٠٠٠ يهودي إلى أرض 'فلسطين' خلال سنة واحدة من كانون ثاني ١٩٠٨ إلى آذار ١٩٠٩... " ^(٥)

وكان عدد اليهود في 'فلسطين' قد زاد سنة ١٩٠٨ عن ٨٠ ألفاً ، وهو ما يبلغ ثلاثة أضعاف عددهم سنة ١٨٨٢ عقب هجرتهم من 'روسيا' ، وبحلول سنة ١٩٠٨ أيضاً كان اليهود قد حصلوا على المزيد من الأرض ، وكانوا قد أقاموا عليها ٢٦ مستعمرة^(٦)

ولقد قام 'جاكوبسون' إلى جانب اتصالاته مع يهود الدولة العثمانية وقيادة جمعية الاتحاد والترقي بالاتصال برجال السياسة والصحفيين العرب في محاولة منه لإقناعهم ، بأنه من الخير أن يكف العرب عن معارضتهم الشديدة للنشاط الصهيوني في 'فلسطين' ، لأن الصهيونية باستطاعتها في حال امتناع العرب عن هذه المعارضة، أن يقوموا بمساعدتهم على تحقيق أمانهم القومية^(٧) ، ولقد استمرت هذه الاتصالات حتى شهر تموز ١٩١٤ ولم تسفر عن نتيجة تذكر، وعندما حوكم بعض قادة العرب وزعمائهم

(١) النشأة . السلطان ، ص ١٧٥ .

(٢) Mandle. The Arab, p.61-62..

(٣) Loc. cit.

(٤) Loc. cit.

(٥) حرب . مذكرات ، هامش ص ١٤٣ .

(٦) أوكه . سلطان ، ص ٧٩ .

(٧) Stein. The Balfour, p.35-37.

سنة ١٩١٥ أمام 'الدواوين العرفية' ^(١) في 'بيروت' ودمشق' بتهمة الخيانة العظمى، وجدت السلطات العثمانية في أوراق المتهمين ما يثبت قيام مثل هذه الاتصالات بينهم وبين رجال الوكالة الصهيونية في 'استانبول' ، وإن هذه الحركة ليس بمقدورها أن تساعد العرب على حساب ولاء العرب للدولة العثمانية ^(٢). وقد قال الدكتور 'ناميم بك' (Dr Namim Bey) - أحد الأعضاء البارزين في جمعية الاتحاد والترقي - لـ 'ماكس نوردو' (Max Nordau) - أحد الزعماء البارزين في الحركة الصهيونية - في 'باريس' في تشرين ثاني ١٩٠٨ أنه قد اتخذت التدابير والترتيبات مع 'جمعية الاستيطان اليهودي' (Jewish Colonialization Association) و'التحالف الإسرائيلي العالمي' (Alliance Israelite Universall) - وهو تنظيم فرنسي تأسس سنة ١٨٦٠ من أجل العمل على رفع مستوى وتقدم اليهود - لاستيطان ما يصل إلى مائة ألف يهودي في كل واحدة من الولايات العثمانية ^(٣) ، في الوقت الذي أعرب فيه 'جاويد بك' عن وجود نية في بيع نحو " ثلاثة ملايين دونم من الأراضي في فلسطين' و'سوريا' إلى جمعيات الاستعمار الصهيوني ^(٤) . وفي نهاية سنة ١٩٠٨ علم 'جاكوبسون' أن المستشارين القانونيين في الدولة العثمانية كانوا في حقيقة الأمر يدرسون مسألة استيطان اليهود في فلسطين' ^(٥) في الوقت الذي زار فيه 'دافيد فلورنتين' (David Florentin) - أحد كبار اليهود العثمانيين ورئيس صحيفة 'المستقبل' (El- Avenir) التي تصدر في 'سلانيك' - فلسطين' وقام هذا باستعراض التقدم الذي حققته المستعمرات الزراعية اليهودية في فلسطين' ، بواسطة الشركات الصهيونية وذلك أمام حوالي ثلاثة آلاف شخص ^(٦).

ولقد علم 'ألبرت عنتيبي' (Albert Antebi) أحد قادة الحركة الصهيونية أن بعض الأعضاء الجدد في جمعية الاتحاد والترقي من العرب في 'القدس' و'إفّا' ، كانوا يطالبون في النظر للمخاطر التي تتعرض لها البلاد ^(٧) ، في الوقت الذي كانت الحركة الصهيونية تنشط داخل الدولة العثمانية حيث أسست 'المكتب الفلسطيني للمنظمة الصهيونية' (The Palestine Office Of the Zionist Organization) برئاسة الدكتور 'آرثر روبين' (Arther Ruppin) وهو عالم اجتماع يهودي من أصل ألماني ، وكان ذلك يدل على أن الحركة الصهيونية أصبحت لها سياسة استيطانية منظمة داخل الدولة العثمانية وخارجها،

(١) الدواوين العرفية: هي محاكم عسكرية عليا من اختصاصها محاكمة المتهمين بالخيانة العظمى وإصدار أحكام. وتتكون هذه المحاكم من قسمين : هيئة تحقيق وهيئة قضاة ويرأس كل هيئة ضابط وجميع أعضاء الهيئتين من الضابط.

- الشناوي . الدولة ، ج٢ ، ص ١٠٢٥

(٢) Loc cit .

(٣) Mandl. The Arab, p.60-61.

(٤) كرد على . خطط ، ج٢ ، ص ١٢٨ .

(٥) Mandl. The Arab, p.60-61.

(٦) Revue du Monde Musulman ,T.9,P176-178.

(٧) Mandl. The Arab, p.70

وقبل ذلك كانت الفوضى تسود مختلف الأجهزة والمؤسسات الصهيونية ، وأما بعد إنشاء 'مكتب فلسطين' أصبحت الجهتان 'مكتب فلسطين' و'الجمعية اليهودية لاستعمار فلسطين' مسؤولتين عن الاستيطان^(١) كما كانت من مهمة هذا المكتب إيجاد جو من الثقة بين العرب واليهود ، وتبديد مخاوف العرب من ان اليهود سيغتالون حقوقهم إذا ما استوطنوا 'فلسطين'^(٢) ، في حين ظل اليهود داخل الدولة العثمانية يلتزمون اجمالاً بمبادئ جمعية الاتحاد والترقي في ظل الظروف السائدة في ذلك الوقت ، وكان الخيار الوحيد أمام اليهود هو الوقوف إلى جانب الجمعية في محاولة دائمة للدفاع عن انفسهم^(٣).

ولقد قامت الصحف العربية بمهاجمة وفضح التواطؤ القائم بين اليهود وجمعية الاتحاد والترقي^(٤) ، لكن هذا الامر لم يقف حائلاً دون التوسع اليهودي داخل الدولة العثمانية و'فلسطين' ؛ حيث ازدادت الشركات الصهيونية ، وأصبحت منتشرة في مناطق شتى داخل الدولة مثل 'سلانيك' و'مناسير' (Monastir) و'اسكوب' و'قونية' (Konia) و'جانيينا' (Janina) و'مصطفى باشا' (Mustafa Pa)؛ (a) و'سميرنا' (Smyrna) و'أضنة' (Adana) وغيرها والمدن^(٥) . وإلى جانب 'مكتب فلسطين' قامت الحركة الصهيونية بتأسيس 'شركة تطوير أراضي فلسطين' كما افتتحوا فرعاً 'لصندوق الائتمان اليهودي للاستعمار' في 'استانبول'^(٦).

وفي سنة ١٩٠٩ اشتمد النفوذ الصهيوني في جمعية الاتحاد والترقي داخل 'فلسطين' ، ففي شهر شباط أبعد الجناح التابع للبرنس 'صباح الدين' ، وقد أصاب الدكتور 'جاكوبسن' الجزع حول الامتيازات التي تتوقعها الصهيونية الآن ، في الوقت الذي سمح فيه القائمقام في 'طبريا' لليهود بتشكيل وحدات حراسة للدفاع عن انفسهم عند استماعه إلى التقارير المتعلقة بالمذبحة الأرمنية 'عقب الثورة المضادة التي عرفت بأحداث ٣١ مارس ، وخوفاً من أن تقوم عناصر معينة في مقاطعته بالاستفادة من الحالة المتوترة ؛ وذلك بتنظيم هجمات فلسطينية منسقة ضد المستعمرات اليهودية في المنطقة^(٧) . وفي آذار ١٩٠٩ أرسل اثنان من كبار المسؤولين في نظارة العدلية إلى 'فلسطين' لاستطلاع الشؤون اليهودية هناك ، وعند وصول أحد هؤلاء وهو 'صبحي بك' الذي عين متصرفاً على 'القدس' ، أعجب بالمستعمرات اليهودية ووفقاً لما ذكره 'البرت عنتيبي' فقد قرر مناقشة الامر شخصياً عندما يسافر إلى العاصمة 'استانبول' في إجازته المقبلة ، وحتى حلول ذلك الموعد قرر 'صبحي بك' وبمبادرة شخصية منه السماح ببيع الاراضي لليهود العثمانيين ، وطلب من اليهود الأجانب في

(١) Laqueur. A history, p.153

(٢) Tunçay – Zürcher. Socialism, p.52

(٣) الشناوي . الدولة ، ج ٢ ، ص ١٠٢٦ .

(٤) الجادر . فلسطين ، ص ٨٤ .

(٥) Revue du Monde Musulman ,T.5,1908 ,P176-177.

(٦) وزارة الدفاع . القضية ، ص ٦٨ .

(٧) مندل . مراقف ، ص ٣٠-٣١ .

حال شرائهم الأراضي التمتع بعدم إسكان مهاجرين يهود فيها ^(١)، لكن هذا الأمر لم يكن يعني شيئاً على الإطلاق، فلا شيء في ذلك الوقت كان يقف حائلاً أمام انتقال الأراضي من أيدي الدولة إلى المهاجرين اليهود، فما بال الأمر إذا تعلق الأمر بانتقال ملكية الأراضي من اليهود إلى اليهود. وفي صيف سنة ١٩٠٩ وضع 'طلعت بك' - وهو عضو في وفد برلماني كان يزور 'لندن' في مادبة أقامتها الحركة الصهيونية على شرف الوفد - أن الهجرة اليهودية إلى لإمبراطورية العثمانية أمر مرحب به من حيث المبدأ ^(٢) ولقد أورد تقرير للمخابرات الإنجليزية عن 'طلعت بك' قوله: "وردت المعلومات التالية من مصدر يهودي موثوق به من 'كوبنهاجن': قضى 'طلعت بك' بعض الوقت في 'برلين' لبحث المسألة الصهيونية، وقد طلب من 'قره صو أفندي' عضو مجلس المبعوثان العثماني المجيء إلى 'برلين'، وفوضه بمعالجة المسألة الصهيونية، مع تأكيدات بقبول الحكومتين الألمانية والتركية السياسة التي يوصي بها ^(٣)، وعلى الأثر قام 'قره صو' بجمع ٢٤ زعيماً يهودياً، وألفوا لجنة من عشرين شخصاً، منهم العديد من قادة الحركة الصهيونية، وقد أوصت اللجنة بإقامة شركة مصرح بها من جانب البرلمان على اطرار البريطاني، تتكون من جميع اليهود في الدولة العثمانية، ولهذه الشركة التي سيكون مقرها في استنبول السلطة على منح الحكم الذاتي للمناطق التي يسكنها اليهود، ليس فقط في 'فلسطين'، وإنما في مكان آخر من الدولة العثمانية، ويكون لهذه المناطق السلطات الكاملة على الضرائب والشرطة والمؤسسات البلدية ولقد وافق 'طلعت بك' على هذا المشروع ^(٤).

وفي المؤتمر الصهيوني التاسع الذي عقد في 'هامبورج' بألمانيا في ١٢/٢٦/١٩٠٩، أكد مندوب 'سلانيك' على المصالح المتبادلة بين الدولة العثمانية واليهود، حيث أكد على أن تركيا تجد في اليهود ما تطلنه من مهاجرين جديدين وأذكباء ومسالمين، واليهود يجدون في تركيا ما ينقصهم من أرض كريمة ومساحات واسعة تعطيتهم فرصة لتطوير إمكانياتهم ^(٥). في حين أن مدير صحيفة 'أورور' الصهيونية كتب مقالاً كبيراً بعنوان 'الأسبوع الكبير من بازل إلى هامبورج' قال فيه: "نحن بأحيائنا اليهودية نحيا... تركيا، إن هذا المؤتمر بعد 'بازل' يفتح عصراً جديداً للصهيونية ويفتح طريقاً حديداً لإنجاز الهدف... إنه أول مؤتمر يعقد في ظل الحكم التركي الجديد، فقد كان أمام المؤتمرات الثمانية الأولى سيطرة مستبدة لشخص واحد، وعين طاغية حذرة. أما المؤتمر التاسع، فيعقد بوجود سلطة شعب حر عظيم ^(٦) ويتوقع محرر صحيفة 'أورور' أن ما سيفعله المؤتمر التاسع هو التأكيد على ما كان 'هرتزل' قد أعلنه في مؤتمر 'بازل' وهو عودة اليهود إلى وطنهم 'فلسطين'، وأن ذلك لا يمكن إلا عن طريق قانوني، ومن أجل ذلك

(١) Mandel. The Arab, p.62.

(٢) مدلل . مواقف، ص ٣١.

(٣) النشأة، السلطان، ص ١٢٧.

(٤) المرجع والصلحة نفسيهما.

(٥) قاسمية . النشاط، ص ٥٣ ؛ أنظر بتوسع Friedamn. Germany, p.147

(٦) المرجع نفسه، ص ٥٢.

سيجتمع الصهيونيون، وسندعم العمل العظيم لتركيا والصهيونيين" (١). ومهما يكن من امر فإن الاتحاديين تجادلوا في علاقتهم مع الحركة الصهيونية، ولم يكونوا قطعاً متخذين الموقف الصلب الذي اتخذته السلطان 'عبد الحميد' بخصوص الهجرة اليهودية، واستملاك الأراضي، وإقامة الوطن القومي لليهود في 'فلسطين'، ولم يحاول هؤلاء العمل على إبقاء الأمر على حاله قبل توليهم السلطة على الأقل، بل جاهدوا وعبروا ليلاً ونهاراً عن تعاطفهم مع آماني الحركة الصهيونية، متأثرين بما لليهود والماسون من نفوذ عليهم.

ولقد حذرت صحيفة 'المنار' الحكومة العثمانية من مغبة مساعدة اليهود فقالت: "كانت لهم يد في الانقلاب العثماني لا لأنهم كانوا مظلومين أو مضطهدين في المملكة العثمانية، فإنهم كانوا آمن الناس من الظلم فيها حتى أنهم كانوا يفرون إليها لاجئين من ظلم 'روسيا' وغيرها، وإنما يريدون أن يملكوا بيت المقدس وما حوله، ليقيموا فيه ملك إسرائيل وكانت الحكومة العثمانية [سابقاً] تعارضهم في امتلاك الأراضي هناك، فلا يملكون شيئاً منها إلا بالحيلة والرشوة، ولهم مطامع أخرى مالية في هذه البلاد، فهم الآن يظهرون المساعدة للحكومة العثمانية الجديدة، لتساعدتهم على ما يبتغون، فإذا لم تنتبه الأمة العثمانية لكيدهم وتقف حكومتها عند حدود المصلحة العامة في مساعدتهم على ما يبتغون، فإن الخطر من نفوذهم عظيم قريب، فإنهم قوم اعتادوا الربا الفاحش، فلا يبنلون درهماً من المساعدة إلا لينالوا متغالباً أو قنطاراً من الجزاء" (٢).

وتستمر ردود الفعل العربية في محاولة التصدي للحركة الصهيونية والقيام بالتحذير من أخطارها، حيث نجد 'رشيد رضا' يكتب بعد زيارته لاستانبول عن اليهود "بأن آمالهم في 'القدس' و'فلسطين' معروفة، ومطامعهم المالية في المكان وتعظيم نفوذهم فيه غير مجهولة.... وقد خطب بعض النواب المستقلين والمعارضين في الحكومة خطاباً بينوا فيها على ناظر المالية - 'جاويد بك' - بيعه أحسن موقع عسكري في الأستانة لشركة أجنبية بثمن دون ثمن المثل، بسمرة بعض اليهود، وهم يرون أنه يمكن بيع ذلك المكان بأضعاف ذلك الثمن، وقد دافع الصدر الأعظم في المسألة الأولى عن الحكومة وعن اليهود، ودافع 'جاويد بك' عن نفسه في الثانية، ونحن لا نتعرض للمحاكمة والترجيح بين المجلس والحكومة وحزبها، وإنما ننبه الناس للتأمل والاعتبار" (٣).

ولقد أوضح السلطان 'عبد الحميد' حجم التنازلات التي قدمتها جمعية الاتحاد والترقي سواء في 'فلسطين' أو في غيرها حيث يقول: "كانت حدودنا في عهدي ممتدة من أشقودرة إلى خليج البصرة ومن البحر الأسود إلى صحاري أفريقيا وإذا عقدنا مقارنة... فسيتضح لخلفائي أنني لم أخلف حرباً، وإنما تركت منطقة هائلة تضم أكثر من ثلاثين مليون نسمة، كما تركت جيشاً. لقد مضى على هذا عشر سنوات

(١) قاسمية . النشاط، ص ٥٢.

(٢) المنار . مصر، م ١٣، ج ١٠، ٢ تشرين الثاني، ١٩١٠، ص ٧٢٥.

(٣) المنار . مصر، م ١٤، ج ٢، ١ آذار، ١٩١١، ص ١٥٩.

[حينها] ، فهل استطاعوا عمل ثلث ما عملته أثناء سلطنتي، دعنا من الثالث ، فالثالث كثير فلنقل العشر
فهل استطاعوه؟؟" (١).

ويقول في ذلك 'لويس شيخو': "ومن أهم مقاصد هؤلاء الزعماء جعل السيادة في المملكة للشعب
التركي، والتوسل بقوة الدولة إلى إضعاف اللغة العربية وإماتها في المملكة، وتترك العرب مع إبقائهم
ضعفاء بالجهل والضغط وذبذبة اللسان... ومن لوازم تشيعهم للماسونية قوة نفوذ اليهود فيهم وفي الدولة،
وذلك يفضي إلى فوز الجمعية الصهيونية في استعمار بلاد فلسطين، الذي يراد به إعادة ملك إسرائيل إلى
وطنهم الاول وإلى ابتلاع الملايين من اليهود لكثير من خيرات البلاد" (٢).

وهذا الأمر لا يمكن ان يتم إلا بطريقة واحدة هي خلع السلطان 'عبد الحميد' الذي يقف عقبة كؤوداً
امام ذلك الأمر ويقول : 'محرم فوزى طوغاي' في مقالة له في ٢ أيار ١٩٤٧ تم نشرها في مجلة 'بيوك
طوغو' التركية بعنوان : 'فلسطين والمسألة اليهودية' : " أن تصرف 'عبد الحميد' تجاه الحركة
الصهيونية بهذا الشكل المعادي، كان معناه أن يتسبب في هدم تاجه وهدم عرشه، ليس هذا فقط ، بل
وبالتالي في هدم الدولة العثمانية كلها" (٣) أما صحيفة 'يقظة العرب' الصادرة في 'باريس' فقد اتهمت
جمعية الاتحاد والترقي بأنهم على علاقة وارتباط باليهود ومع الجمعية الماسونية، وقد ذهبت الصحيفة الى
حد اتهام اليهود بأنهم يسيطرون على جمعية الاتحاد والترقي، وانهم يخططون للثورة من أجل خلق الشقاق
بين العرب والأتراك ومن لجل استعجال خراب الدولة العثمانية، كي يستطيع اليهود اقامة مملكة يهودية
على أنقاض الدولة العثمانية (٤).

ويتضح مما سبق أن ثورة ١٩٠٨ وعزل السلطان 'عبد الحميد الثاني' عن العرش سنة ١٩٠٩ إنما
كان ثمناً دفعه السلطان لوقوفه حجر عثرة أمام الأمانى الصهيونية ، وإلا فكيف نفسر أن أغلب قادة
جمعية الاتحاد والترقي كانوا من يهود الدونمة وغيرهم ، وكيف نفسر انضمام يهود الدونمة وغيرهم من
قياديين جمعية الاتحاد والترقي إلى المحافل الماسونية التي كان مؤسسوها والقائمون عليها من اليهود أمثال
'عمانوئيل قره صو' ، كذلك قيام هذه المحافل الماسونية ، بتوفير الملاجئ لأعضاء واجتماعات جمعية
الاتحاد والترقي، ووجود المركز الرئيسي لجمعية الاتحاد والترقي في 'سلانيك' التي أغلب سكانها من
اليهود أو بالأحرى التي هي مدينة يهودية، كذلك خروج القوات العسكرية لجمعية الاتحاد والترقي خلال
ثورة ١٩٠٨ ، وخلال خلع السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٩ من هذه المدينة ، واختيار فيلا 'الأتيني'
اليهودي في 'سلانيك' مكاناً لعزل السلطان 'عبد الحميد'، أما كان بإمكان جمعية الاتحاد والترقي اختيار
مكان من القصور السلطانية لعزل السلطان فيه، أو اختيار أحد القصور الخاصة بأحد المسلمين مكاناً
لذلك، كذلك اختيار مدينة غير 'سلانيك' لعزل السلطان ؛ لولا قوة نفوذ اليهود الذين أرادوا إذلال السلطان

(١) Bozdağ . Abdülhamid, p.11.

(٢) شيخو . السر، ك٦، ص ٣٥.

(٣) حرب العثمانيين ، ص ٣٩.

(٤) مندل . مؤلف، ص ٣١.

'عبد الحميد' بقسوة بسبب موقفه المعادي من الحركة الصهيونية وأطماعها في 'فلسطين' ، وذلك جزاء له حتى وفاته.

ولقد كتب 'سليمان إسرائيل' أحد أقطاب اليهود منشوراً سرياً إلى المنظمات الصهيونية في أوروبا جاء فيه ما يلي : " لقد عرضنا للسلطان 'عبد الحميد' عدة ملايين من الليرات الذهبية كرشوة ، مقابل أراضى 'فلسطين' ، لكنه أبى ، وطرّد أقطابنا العظماء من حضوره ، واعلموا واطمننوا أيها الإسرائيليون إننا سنحطم دولة هذا المغرور ، ونجعل شعبه من درجة منبوذي الهنود ، تحت الذل والاستعباد والدمار" (١) .

لقد كان اليهود يأملون دائماً الإسراع بالتهيار الدولة العثمانية ، حتى يقوموا ببناء دولتهم بشكل أسرع (٢) ، ويمكن القول ان بداية حركة اليهود داخل الدولة العثمانية كانت في 'سلانيك' وانتهت في فلسطين (٣) .

ويأتي أخيراً السلطان 'عبد الحميد' ليوضح سبب خلعه في رسالة هامة ونادرة منه الى الشيخ 'محمود افندي أبو الشامات' (٤) شيخ الطريقة الشاذلية ، ولقد جاء فيها بعد أدائه التحية والاحترام قوله: " وبعد هذه المقدمة اعرض لرشادتك ، وإلى أمثالكم اصحاب السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية ، كإمانة في ذمة التاريخ. إنني لم أتخلّ عن الخلافة الاسلامية لسبب ما سوى انني بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد والترقي المعروفة باسم 'جون تورك' وتهديدهم ، اضطررت واجبرت على ترك الخلافة الاسلامية ، ان هؤلاء الاتحاديين قد أصروا واصرروا علي بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الاراضي المقدسة - فلسطين - ، ورغم إصرارهم ، فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف ، وأخيراً وعدوا بتقديم ١٥٠ مليون ليرة إنجليزية ذهباً ، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً ، وأجبتهم بالجواب التالي : أنكم لو دفعتم ملء الارض ذهباً فضلاً عن ١٥٠ مليون ليرة إنجليزية فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي ، لقد خدمت الملة الاسلامية ، والامة المحمدية ما يزيد عن ثلاثين سنة ، فلن أسود صحائف المسلمين أبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء الراشدين ، لهذا لن أقبل بتكليفكم بوجه قطعي أيضاً .

(١) النمر . نظرات ، ص ٢٠٩ .

(٢) Atılhan , Islâmt , P.182.

(٣) Ibid. P. 198.

(٤) محمود بن محي الدين بن مصطفى أبو الشامات البمشقي الحنفي (١٢٦٦-١٣٤١) هـ / ١٨٥٠-١٩٢٢م متصوف وأديب ، كان شيخ الطريقة الشاذلية البشروطية في دمشق ، له كتب مثل ، شرح التائية الكبرى ، ويتكون من أربع مجلدات ، ورسائل أخرى منها ، المعشرات ، الموالات ، عروج السالك ، بالإضافة الى العديد من القصائد الاخرى .
- سعيد الأفغاني ، كانت الصهيونية هي خالعة السلطان عبد الحميد ، مجلة العربي ، الكويت ، العدد ١٦٩ ، (ديسمبر ، ١٩٧٢) ، ص ١٥٤ .

"وبعد جوابي هذا انتفقوا على خلعي ، فقبلت بهذا التكليف الأخير ، وحمدت المولى واحمده انني لم أقبل بأن أطلع الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الاراضي المقدسة 'فلسطين' ، وقد كان بعد ذلك ما كان ، ولذا فأنتي اكرر الحمد والثناء على الله المتعال"^(١).

لقد كان السلطان 'عبد الحميد' رجلاً يفوق كثيراً من رجال عصره ، من الرؤساء والملوك ، حيث اتبع سياسة إسلامية واضحة ، وسياسة دفاع قوية عن الولايات الإسلامية المترامية الأطراف في ثلاث قارات ، فالسلطان 'عبد الحميد' لم يكن ظالماً ولا مرتشياً ، ولم يفرط بأراضي المسلمين رغم دقة موقفه ، وصعوبة ظروفه ، ولقد كثرت افتراءات الكتاب الغربيين ضده ، واتبعهم في ذلك الكتاب العرب متناسين موقفه من الأمانى الصهيونية في 'فلسطين' ، وما آل إليه مصيره جراء ذلك ، وحسبه هذا الموقف ، فرغم الملايين الكثيرة والعروض السخية واللامتناهية ، والضغط الدولي عليه ؛ إلا أنه أصر على عدم التفريط بأي شيء يستطيع التصرف فيه ، وهذا الأمر أثار اليهودية العالمية من صهيونية وماسونية ودونمة ، والذين شكلوا تحالفاً كبيراً ومتقناً لخلع السلطان 'عبد الحميد' ، وبذلك نفوا الصفة التركيبية التركية لجمعية الاتحاد والترقي، من حيث النشأة ووضع البرامج وتحديد الاهداف لها .

ولقد اعترف العديد من الاتحاديين بذلك الأمر ، حيث اعترف 'احمد رضا' في مذكراته التي نشرها في جريدة 'جمهورية' بعدم تفهمه وجمعية الاتحاد والترقي للسلطان 'عبد الحميد' ، بل ومدحه ومدح سياسته بشكل رفعه الى السماء^(٢). كذلك يقول 'أنور بك' 'أحد قياديي جمعية الاتحاد والترقي مخاطباً صديقه 'جمال بك' قائلاً: "أتعرف يا 'جمال' ما هي مصيبتنا ؟ أنا قمنا بالانقلاب ونحن آله في يد الصهيونية ، ولم نكن ندري ، كنا أغبياء"^(٣).

ويقول الدكتور 'رضا توفيق' فيلسوف الاتحاد والترقي: "قلنا ان السلطان ظالم ، وان السلطان مجنون ، قلنا لا بد من الثورة على السلطان ، وصدقنا ما قاله لنا الشيطان (لعله يقصد الماسونية والصهيونية) فثرنا ، أيقظنا الفتنة النائمة ، ولم تكن يا اعظم سياسيي العصر مجنوناً ، بل كنا نحن المجانين ولم نكن ندري ، لم نكن مجانين فحسب ؛ بل كنا انذاً اشراراً حرّموا الأخلاق الطيبة"^(٤).

أما اليهودية 'سوزي ليبيرمان' فقد قالت نقلاً عن والدها : "سوف نذهب الى الارض الموعودة ، بعد إبعاد ذلك السلطان الظالم 'عبد الحميد' ، واليوم يقوم سلطان ضعيف على ادارة 'فلسطين' ، لا يتدخل في شؤون هجرتنا ، هل تعرفين من كان يحكم 'فلسطين' ؟ كان يحكم 'فلسطين' اصدق الأمم الى تعاليم محمد ، وهم العرب القساء الذين لا يرحمون ولا يشفقون ، حيث كان اليهود في حالة هجرتهم الى 'فلسطين' في عهد الحكم العربي والسلطان التركي 'عبد الحميد' ، كان هؤلاء يمنعونهم من النزول الى 'فلسطين' ،

(١) انظر نص هذه الوثيقة في الملحق رقم ٨ .

(٢) أوزتونا. تاريخ ، ج ٢ ، ص ١٧١ .

(٣) حرب . السلطان ، ص ٢٩٢ ؛ عبد الحميد الثاني . مذكراتي . هامش ص ٤٦ .

(٤) حرب . السلطان ، ص ٢٩٢ .

ويبقون في البواخر حتى يهلكوا جوعاً ، في هذه الحقبة إنتهى ذلك العهد الأسود ، حيث كان سلاطين الاتراك المستبدون يقتلوننا جوعاً وسوف نتخلص من الاستبداد ، ونجتمع هناك ، ان إخواننا اليهود أنفقوا اموالاً طائلة لإبعاد ذلك السلطان الظالم عن الحكم^(١)

ويأتي دور 'قره صو' اليهودي ليقول من قبيل الفخر مراراً : " ان الاتحاديين نفذوا بأربعمائة ألف ليرة ذهبية ما لم ينفذه 'عبد الحميد' بخمسة ملايين"^(٢).

وفاة السلطان عبد الحميد.

كانت الايام الاولى للسلطان 'عبد الحميد' في مكان خلعه في 'سلانيك' غاية في السوء ، حيث لم يتوفر في فيلا آلتيني في الايام الاولى الحد الأدنى من المأكل والملبس ، كما حرم هو وحاشيته من مطالعة الصحف. ولقد قامت جمعية الاتحاد والترقي بمصادرة أموال السلطان 'عبد الحميد' الخاصة المودعة في البنوك الألمانية ، وذلك عن طريق التهديد والوعيد بتشديد الحراسة ، وتقييد حرية السلطان المقيدة أصلاً^(٣).

ولقد قضى السلطان 'عبد الحميد' ثلاث سنوات تقريبا في فيلا آلتيني معزولاً تماماً عما يجري داخل وخارج البلاد ، وقد تعدد أعداؤه ذلك ، حتى يظل جاهلاً بما يدور ويجري من قبل قيادة جمعية الاتحاد والترقي التي كانت تتحدر بالدولة الى الهاوية بسرعة.

ولقد أعلنت 'بلغاريا' استقلالها كما ذكرنا ، والتحقّت 'البوسنة والهرسك' بالنمسا وأعلنت 'البانيا' الثورة واحتلت 'إيطاليا' 'طرابلس الغرب' و'بنغازي' وغيرها من المناطق ، ثم عقدت الدول البلقانية (بلغاريا و الصرب واليونان والجبل الأسود) اتفاقية فيما بينهما ، وأعلنت الحرب على الدولة العثمانية التي كانت قيادتها غافلة تماماً عما يحدث ، الامر الذي ادى الى هزيمة الدولة العثمانية ، واصبحت 'سلانيك' مدينة مهددة بالسقوط بأيدي هذا الحلف ،اذلك فقد تقرر نقل السلطان 'عبد الحميد' الى العاصمة استانبول^(٤)

وعندما جاء الوفد لإبلاغ السلطان نيّتهم في نقله استفسر عن السبب فقالوا له: ان أربع دول بلقانية قد أعلنت الحرب. على الدولة ، وان الدولة قد فوجئت بالحرب ، وان الجيوش على مقربة من 'سلانيك'، ولقد استغرب السلطان ذلك الامر ، فقال لهم : "هناك سفراء وملحقون عسكريون في السفارات ، فهل كانوا نائمين ، أتفق أربع دول فيما بينهما ولا يعلم احد شيئاً ، عندما كنت في السلطة لم ادع هذه الدول تتفق فيما بينها ابداً ، بل كنت ابذر بينهم عوامل الشقاق ، ان هذا يعني التخلي عن 'سلانيك' دون قتال"^(٥)

(١) النعيمي . اليهود ، ص ٢٢٨-٢٢٩ .

(٢) طوران . اسرار ، ص ٣٠ .

(٣) عثمان أوغلي . والدي ، ص ٢٧٤-٢٨١ .

(٤) محمد علي . السلطان ، ص ٢٤٠ .

(٥) عثمان أوغلي . والدي ، ص ٣٢٧ .

ويعبر السلطان عن انفعالاته فيقول : " تولتني حالة انفعالية صعبة، حيث قلت ' لراسم بك' ^(١) تفضل واذهب لقائكم ، وقل له : " انني لن اخرج من هنا الا جثة هامدة" ^(٢) ثم دعا قائلاً : " أدعو الله بصفة اسمه القهار ان يقهر الذين كانوا السبب في ذلك ... ويحجم ... الى أي درك ألقوا بالدولة" ^(٣) .

وبهذا تم نقل السلطان الى 'استانبول' يوم الجمعة المصادف ٢١ ذي الحجة ١٣٣٠ هـ / ١ تشرين ثاني ١٩١٢ م بواسطة البارجة الالمانية 'لورلي' (Lorelei) حيث 'خصص له قصر 'بكلربكي' الذي يقع على مضيق البوسفور ^(٤).

عبد الحميد يقضي آخر أيامه في قصر بكلربكي.

لقد قضى السلطان ما تبقى من حياته في هذا القصر ، ذلك القصر الذي شهد الفاجعة الاخيرة فسي حياة السلطان 'عبد الحميد' ، وذلك بدخول الدولة العثمانية الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ ، حيث عبر السلطان 'عبد الحميد' ان الدخول في هذه الحرب ضد ثلاثة دول كبرى شيء ليس من التعتل بشئ.

ولما أعلنت الدولة العثمانية بقيادتها 'الجهاد' ، سيطرت الدهشة على السلطان 'عبد الحميد' حيث كان يقول بحزن شديد : "ليس الجهاد نفسه ، ولكن اسمه فقط كان سلاحاً في أيدينا ، وكنت احياناً كلما اردت تهديد سفراء الدول الأجنبية أقول لهم : ان بين شفتي خليفة المسلمين كلمة واحدة ، لا قدر الله ان تخرج ، اننا لا نملك من الجهاد الا الاسم ، فهو قوة بلا بدن ، وكيف لهم ان ينهضوا بهذا الامر ، وهل تتخذ انجلترا لهذا ^(٥)؟"

وبعد مدة استقبل السلطان 'عبد الحميد' 'أنور بك' الذي حدثه عن أحوال الدولة خلال الحرب ، عارضاً آخر المستجدات على الساحة ، وقدم السلطان 'لأنور بك' النصيحة ، وحمله السلام الى الأميرة 'ناجية' ابنة أخيه حيث كان 'أنور بك' قد تزوجها .

وفي المرة الثانية تحدث 'أنور بك' عن الحرب وقد سأل 'أنور بك' السلطان عن رأيه فقال : " ان السفينة يقودها ربانها ، وهو وحده الذي يمكنه اكتشاف الجهة التي ستأتي منها العاصفة ، وتحديد موضع الخطر، وعلي هذا يقود سفينته ، فكيف يفهم هذا من هو خارج السفينة ، وفي هذه الحالة ماذا يمكنني ان اقدم من أفكار ، أو اقترح من تدابير ، وقد لا أستطيع إزاء الحالة الراهنة ، قول شيء بعد ان تجردت من كل شيء " ^(٦)

(١) راسم بك . كان مسؤولاً على الاشراف على قصر 'بكلربكي' الذي يتواجد فيه السلطان عبد الحميد

(٢) Bozdağ. Abdülhamid, P.159

(٣) محمد علي . السلطان ، ص ٢٤١.

(٤) المرجع نفسه ، ص ٢٤١.

(٥) عثمان أوغلي . والذي ، ص ٣٤٢-٣٤٣

(٦) المصدر نفسه ، ص ٣٤٥ .

وبعد ان انصرف 'انور بك' ، قال السلطان 'عبد الحميد' : " لم يكن هناك شك على الاطلاق في ان تنشب حرب عمومية في يوم من الايام ، غير ان تدخلنا فيها كان جهلاً عظيماً ، وسوء تدبير ، وسلامتنا كانت في البقاء على الحياد ، وما دمنا قد وصلنا الى هذه الحال ، فسوف نمضي معها حتى النهاية ، ولا حيلة لنا في ذلك " ، ثم راح يدعو والحزن يتملكه : " أذل الله من ساقوا الدولة الى هذا الحال"^(١) وظل السلطان 'عبد الحميد' يسدي النصيحة ، في حالات كثيرة للقائمين على شؤون الدولة ، كما ظل سليم العقل ، صائب الرأي ، ولما حالت قيادة الدولة المانيا خطأهم السلطان ، فقالوا له هذه سياستك ، فقال لهم : " كانت صداقة شخصية ، أوهمت بها الغربيين " ، وفي احد المرات سأله قادة الدولة عن رأيه في مسألة معينة ، وكان قد احتاط على قطعة قماش فكان ينمل خيطانها ، ويضعها أمامه على منصته ، فهمسوا قائلين ، انه غير ملتبه ، وانه يضحك علينا ، فلما أتموا كلامهم قال لهم : " ماذا كانت هذه الخيوط ، قالوا : قطعة قماش ، فقال لهم : هل يستطيع احد أعادتها كما كانت ، فقالوا : لا ، قال : فالدولة كانت بيدي قطعة القماش ، والان تفرقت فلن تعود"^(٢) .

مرض السلطان ووفاته.

لم يعد السلطان بكامل صحته ، حيث اصبح يشكو من الإرهاق ، وكان جل شكواه من الجهاز الهضمي ، وكان يثق بما يقدمه له طبيبه الخاص ، الدكتور 'عاطف بك' ، لكن وفي التاسع من شباط من مساء السبت ١٩١٨ ، جلس على مائدة الطعام كعادته مع زوجته ، ثم تحدث عن فقدان شهيته^(٣) ، وما ان نهض حتى اشار الى صدره موضحاً شعوره بالألم في الجانب الأيسر يمتد الى الطرف الأيمن ، حيث تم استدعاء الطبيب الذي شخص مرضه بيوادر مرض السل ، وتم إخبار السلطان 'محمد الخامس' و'انور بك' بهذا الأمر ، لكن حالة السلطان ازدادت سوءاً ، وظل الأطباء يحاولون معالجته ، لكن المرض استفحل ، وعندما خرج الأطباء ، بقي 'راسم بك' المسؤول على الاشراف على قصر 'بكلربكي' ، وقام بتقبيل يد السلطان طالباً منه السماح ، وعند مغادرة 'راسم بك' ، قال السلطان : " ان راسم بك قطع أمله فينا ، فقد قبل يدي ، وطلب إلى ان أسامحه في حق ، ثم تأوه ، وقال : "لقد أسئلوا ستارة سوداء على كل خدماتي ، وليس لي حق لدى احد حتى أطلبه به"^(٤) وكان من عادة السلطان 'عبد الحميد' شرب القهوة ، وبينما كان يهم في احد الايام بشرب قهوته بعد ساعات من سوء حالته ، طلب السماح ممن حوله من افراد أسرته وحاشيته ، واخذ رشفة من القهوة ، وقبل ان يأخذ الثانية انسكبت القهوة على يد زوجته ، وقال بصوت عال 'الله' ، ثم سقط رأسه على ذراعها ، ولما حضر الطبيب ، أدرك الحقيقة الصعبة ، فقال لزوجته : "اتركيه لي انه مغشى عليه ، وسوف أقوم له بالعلاج اللازم ، وعليكم ان تخرجوا فوراً ، لكن

(١) أوغلي ، والدي ، ص ٢٤٥ .

(٢) النمر . نظرات ، ص ٢١٤-٢١٥ .

(٣) عثمان أوغلي . والدي ، ص ٣٤٦ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٣٤٨-٣٤٩ .

الطبيب الخاص لم يكن ليخفي مثل هذا الخبر طويلاً ، حيث علا الصراخ والعيول بعد دقائق داخل أنحاء القصر ، ودخل ضباط الحرس ، وقدموا له التحية الأخيرة ، وبهذه الصورة ارتحل السلطان 'عبد الحميد' الى الدار الآخرة في يوم الأحد ١٠ شباط ١٩١٨ ^(١) وتم دفنه في اليوم التالي ١١ شباط في ضريح جسده السلطان 'محمود الثاني' ^(٢) .

تمت بحمد الله ورعايته

(١) أوغلي. والدي، ص ٣٤٩-٣٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٣٥٠ .

الخاتمة

كان السلطان عبد الحميد يمتاز بذكاء وحكمة كبيرين، وتجربة طويلة الأمد أعطته خبرة في تعاطي السياسة المحلية والدولية، وربما كانت ظروف دولته أو الظروف التي وجد فيها السلطان عبد الحميد هي السبب في ذلك، فحالة الانهيار والضعف المستشري والصراع الدولي على دولته المتمثلة بالمسألة الشرقية، تقف على طرفي نقيض مع بقاء الدولة العثمانية. ويمكن القول أن عهد السلطان عبد الحميد كان محصلة أكثر من أربعة قرون من الضعف الذي عانتها الدولة، ورغم ذلك فقد حرص السلطان عبد الحميد على إدخال إصلاحات عديدة في مجالات التعليم والتحديث والجيش.

ولا يجب أن يغيب عن أذهاننا ظروف تولي السلطان الحكم، وإذا تشدد السلطان في رقابته وعدم ثقته بمن حوله، فهذا يعود إلى التجربة السابقة التي خاضها عمه السلطان عبد العزيز وأخيه السلطان مراد، بالإضافة إلى الحوادث التي كانت في بداية عهد السلطان عبد الحميد، مثل عملية قصر جراغان، بقيادة على سعاوي لإعادة السلطان المخلوع مراد، إلى جانب العديد من الأحداث الأخرى التي من شأنها أن تزرع ثقة أي سلطان بمن حوله، وتجعله يتخذ الإجراءات اللازمة لضمان سلامته وسلامة الدولة العثمانية.

ولقد كان السلطان عبد الحميد يقاتل على جبهتين الأولى داخلية، من أجل استتباب الأمن والقضاء على الفتن والثورات المختلفة التي كانت تقوم بها الأقليات العرقية والمذهبية ذات التصور الاستقلالي، كذلك الأمر بالنسبة للجمعيات العثمانية السرية ذات التصورات الغربية الإصلاحية، ولقد ساهمت الجبهة الداخلية في زعزعة حكم السلطان عبد الحميد، خصوصاً بعد تعليقه الدستور، حيث اعتبرت الجمعيات المعارضة باختلاف توجهاتها، أن سبب كل مصائب الدولة إنما بسبب تعليق الدستور، لذلك فقد عملوا على خلع.

وأما الجبهة الخارجية، فكانت تكمن في صد وثني الدول الأوروبية عن أطماعها في أملاك الدولة العثمانية، ومحاولتهم القضاء عليها واقتسام كامل ممتلكاتها، وتمثل ذلك بالسياسة الإسلامية التي اتبعتها خصوصاً بدعم فكرة الجامعة الإسلامية والدعوة لها، وتهديد الدول الأوروبية بها وبحليفته ألمانيا التي استطاع بصداقتها إيجاد نوع من توازن القوى.

ولقد كان من سياسة السلطان عبد الحميد الابتعاد عن الحروب، وإن كانت الدولة في عهده قد دخلت في حربين، فلستطيع القول أن الحرب الأولى مع روسيا كانت خارج إرادته ورغماً عنه، كونه السلطان غير القادر على اتخاذ القرارات بسبب تفرد مدحت باشا بالحكم. ولقد أضعفت هذه الحرب السلطان عبد الحميد على المستوى الداخلي والخارجي، بسبب الخسائر المادية والمعنوية التي ألحقت بالدولة العثمانية والسلطان عبد الحميد.

أما بالنسبة لجمعية الاتحاد والترقي، فقد سعت لإدخال إصلاحات اعتقدوا أنها ضرورية لإصلاح

الدولة العثمانية من كثير مما أصابها عبر عدة قرون، وهم متأثرين بالغرب وثقافته وحضارته النامية. وهنا يبرز دور اليهود من ماسونية ودونمة وصهيونية من خلال التحالف الوطيد الذي كان قائماً بينهم وبين جمعية الاتحاد والترقي، حيث تغلغل هؤلاء داخل هذه الجمعية واستطاعوا الوصول إلى المناصب القيادية الهامة، الأمر الذي مكنهم من اتخاذ قرارات مصيرية بخصوص الجمعية والدولة العثمانية وسلطانها عبد الحميد، حيث كانوا قد سعوا لديه للحصول على وطن قومي لهم في فلسطين. وأصبحت جمعية الاتحاد والترقي تعبر عن آماني اليهود أكثر مما تعبر عن آماني الأتراك والعثمانيين، ولقد اتضح أن المحافل الماسونية التي أنشأها اليهود داخل الدولة، وفرت الطرق والوسائل الممكنة مادياً ومعنوياً للجمعية، وذلك في محاولة لحمايتها مما قد يحل بها من ضربات على يد الأجهزة الأمنية العثمانية، مثلما كان يحدث في أوقات سابقة.

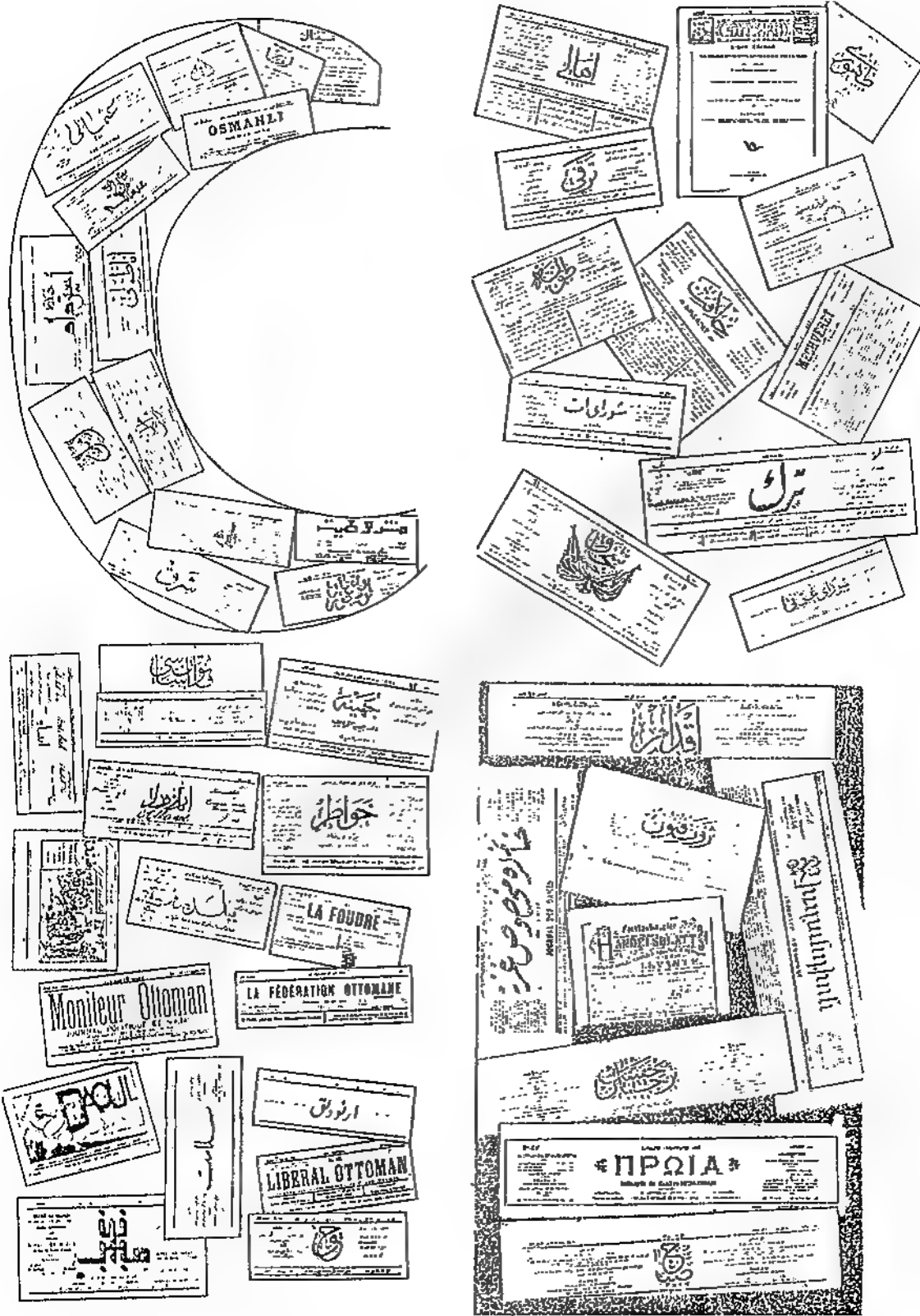
ويمكن القول أن الماسونية نجحت إلى حد كبير في ذلك، الأمر الذي مكنها في النهاية من أحكام السيطرة على الجمعية بشكل كامل، وأصبحوا يسيرونها وفق سياسة محددة سلفاً، تقضي بخلع السلطان عبد الحميد الثاني، وأصبح تحقيق فكرة الوطن القومي لليهود في فلسطين أمراً وارداً، وإلا فكيف يستطيعون تحقيق ذلك والسلطان عبد الحميد يمسك بزمام الأمور وموقفه من ذلك الأمر معروف سلفاً؛ حيث يقضي بعدم التنازل للحركة الصهيونية عن أي شبر من فلسطين رغم الاغراءات المالية التي عرضت عليه.

ولقد اتضح من خلال هذه الدراسة أن النشاط الصهيوني، ازداد على المستوى السياسي والاقتصادي والإعلامي داخل الدولة العثمانية بعد تولي جمعية الاتحاد والترقي حكم الدولة، حيث تم تعيين أولئك الذين اشتهروا بعدم نزاهتهم وأمانتهم في المناصب الإدارية الحساسة في فلسطين، حيث كانوا يجاهرون تلقائياً بسماحهم بهجرة اليهود إلى فلسطين واعطائهم حق شراء الأراضي، بل والإشادة بمستوطناتهم، مقتدين بذلك بالسياسة العامة لجمعية الاتحاد والترقي التي فاق استبدادها كل ما شاع عن سلاطين بني عثمان من التفرد وقمع المعارضة ومنع الصحف والبطش بأصحاب الكلمة الحرة.

ثم يأتي السلطان عبد الحميد في رسالته النادرة للشيخ محمود أبو الشامات، ليوضح وليقطع الشك باليقين سبب خلعه، والذي هو بسبب رفضه إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، ويبقى أن نقول: أن موقف السلطان هذا من فلسطين قد يغفر له كل ما ارتكبه من أخطاء أو نسب إليه من تهم وافتراءات. وكان اليهود وخصوصاً الحركة الصهيونية الأكثر استفادة من خلع السلطان عبد الحميد، إذ أن جمعية الاتحاد والترقي لم تنجح في تطبيق أي من دعاها وتصوراتها وأفكارها الإصلاحية بعد توليهم الحكم، وبذلك ذهبت عشرات السنين من النضال هباءً منثوراً أمام شهوة الحكم.

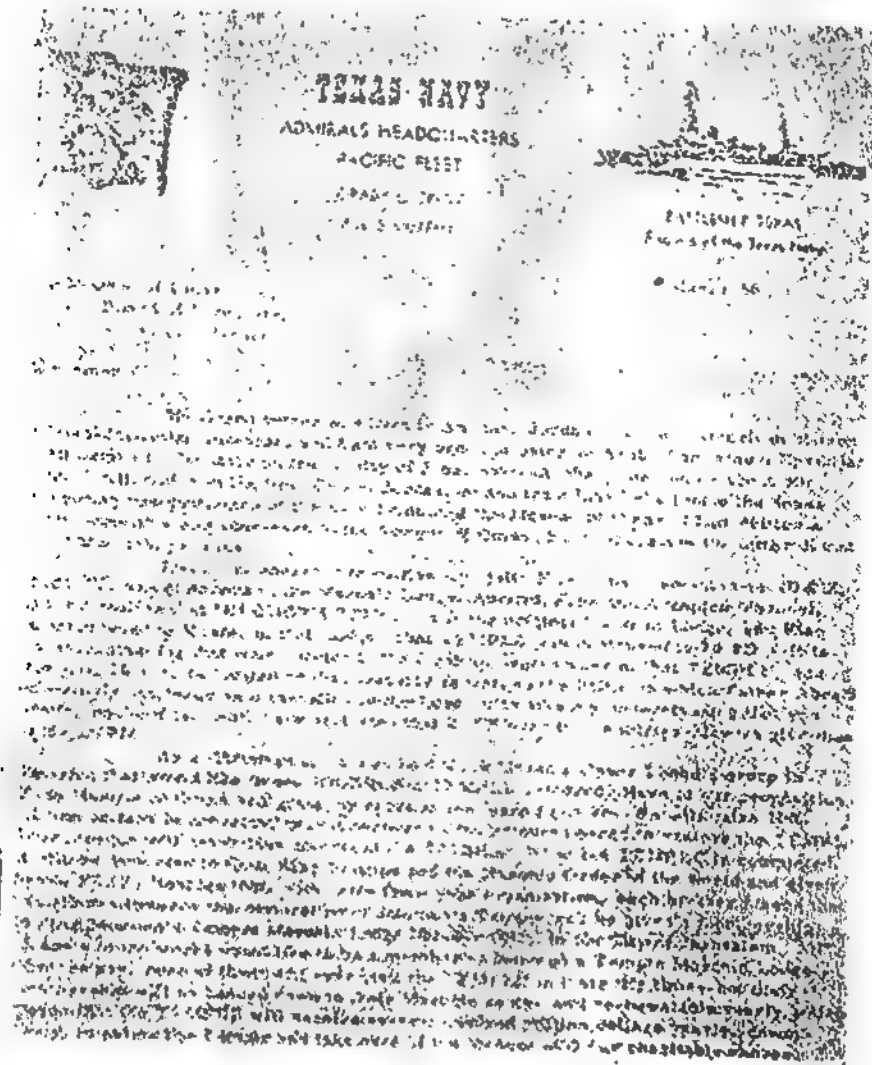
الملاحق

صورة عن بعض الصحف التي كانت تصدرها جمعية الاتحاد والترقي



نقلًا عن - Fesch. Constantinople.

صورة عن الرسالة التي أرسلها الماسونيان "غرايدي تيري" و "أودي مورفي" لشراء المسجد الأقصى



النسب الاصلية لـ "غرايدي تيري" و "أودي مورفي" لشراء المسجد الأقصى

نقلًا عن -حمادة- شهادات ماسونية

٣٠ أيار ١٩٦٨

مسجد عمر،

مجلس الإدارة،

مدينة القدس، إسرائيل.

سادتي

جنّتي من مواليد عمان، الاردن، وأنا مواطن أمريكي من أصل إيرلندي - أردني فخور جداً
بكوني عربياً، وأنا أيضاً مسيحي، سأسافر الى تل أبيب في ٧ حزيران المقبل، أو حوالي ٩ حزيران
سأصل الى المدينة المقدسة، وأمل أن أتشرف بالاجتماع بكم سادتي في المعبد المقدس لمسجد عمر. وكنت
كُتبت منذ مدة رسالة الى مسجد عمر، ولكن يبدو انها لم تصل الى الاشخاص المعنيين.

سأحاول الآن ان اشرح لكم للخطوط العريضة لزيارتي، أولاً زميلي "أودي مورفي"، وأنا عضوان
في المحفل الماسوني "قديمان، وحران، ومعتزف بنا ماسوني". وانتم تدركون ان هيكل سليمان كان المحفل
الماسوني الاصلي، والملك سليمان كان رئيس هذا المحفل.

لكن الهيكل دمر العام ٧٠ بعد المسيح. انني اعرف ان مسجداً هو صاحب الهيكل ومالكه
القانوني، وانه أقيم في المكان ذاته، الى جانب للصخرة التي قدم عليها ابونا إبراهيم ابنه اسحق قرباناً
للرب، وإنني اعرف أيضاً انكم انتم العرب، أبناء اسماعيل، قد حميتم هذه الصخرة عبر القرون. فلنقدم
الشكر الى الرب.

وإنني كمسيحي وكعضو في الحركة الماسونية، أراس جماعة في أمريكا، يحبون أن يعيدوا بناء
هيكل سليمان من جديد. هذا هو اقتراحنا. إذا أعطى جامع عمر الآن لمؤسستي، فسوف نجمع ٢٠٠
مليون دولار في أمريكا لهذه الغاية، او المبلغ اللازم لاعادة بناء الهيكل. ان مسجداً لن يفقد السيطرة
على الهيكل ابداً وعندما ينتهي بناء الهيكل، سيكرس للرب، للملك سليمان وللحركة الماسونية في العالم،
وسيعطى لكم مجاناً. وإلى ذلك وبإذن من مؤسستكم، سيتم منح كل أخ ماسوني أسهم في إعادة البناء عضوية
في المحفل الماسوني الاول لهيكل سليمان في مدينة القدس، ومن المقدر انه لن يزور الهيكل احد منهم في
حياته، لكن العضوية ستنتقل الى أولادهم الماسونيين، والتي ستتجدد سنوياً. وهذا يعني ان الهيكل سيثقل
ملايين عدة من الدولارات سنوياً، مما يكفي لحراسة المعبد والاعتناء بمسجد عمر وكل المؤسسات
الخيرية التابعة لهم. وهذا يعني ان مسجداً لن يحتاج الى أية حملة تبرعات في المستقبل من الأعضاء.
إنني لا اعرف أية مؤسسة دينية تستطيع العيش من دون ان تطلب من أعضائها التبرع المادي. لكنني
أستطيع ان أؤكد لكم ان مؤسستكم إذا تعاونت معاً في إعادة بناء الهيكل فسوف تصبح أغنى مؤسسة دينية
على الارض.

إذا أبدتكم اهتماماً بهذا العرض - وليس لديكم ما تخسرونه بل كل شيء لتربحوه - فسنزودكم بالمال
لتصرفوه في بناء الهيكل من قبل المقاولين من اختياركم، مع التفاهم المسبق على ان بعض أجزاء هذا
الهيكل سيستعمل لإغراض الماسونية لما بقية المبنى فستستعمل في الأوجه التي يراها مسجداً مناسبة،

لان الهيكل سيكون ملكاً لكم. انه لكم نحن سنعيد بناءه لكم مجاناً. على كل حال، اقترح ان يستعمل جزء من الهيكل كمستشفى لأطفال القدس، عرباً ويهوداً معاً، ومجاناً للفقراء منهم. وسيأتيكم من الاموال عند انتهاء بناء الهيكل عن طريق تجديد عضوية الاخوة الماسونيين سنة بعد اخرى، اكثر مما تستطيعون استعماله. وعليكم ان تفهموا انني ساكون ضيفاً على شعب إسرائيل، وكمواطن أمريكي لا أستطيع ان أتورط في سياساتكم المحلية.

وسأقوم بتصوير فيلم سينمائي خلال إقامتي في الارض المقدسة، ليعرض في المحافل الماسونية (فيلم ديني عن الأب إبراهيم وإسماعيل ويعقوب، يصل حتى بناء المعبد) مع قصة ولادة المسيح حتى موته على الصليب. سادتي، أمل أن تأخذوا هذه القضية بعين الاعتبار، وتبحثوها مع اعضاء مجلس إدارتكم قبل ان أصل الى المدينة المقدسة. وأمل ان يمنحني أعضاء مجلس ادارة مسجد عمر الشرف العظيم لأخطابهم شخصياً أثناء إقامتي القصيرة في المدينة.

وليبارككم الله جميعاً أيها الاخوة

باخلاص

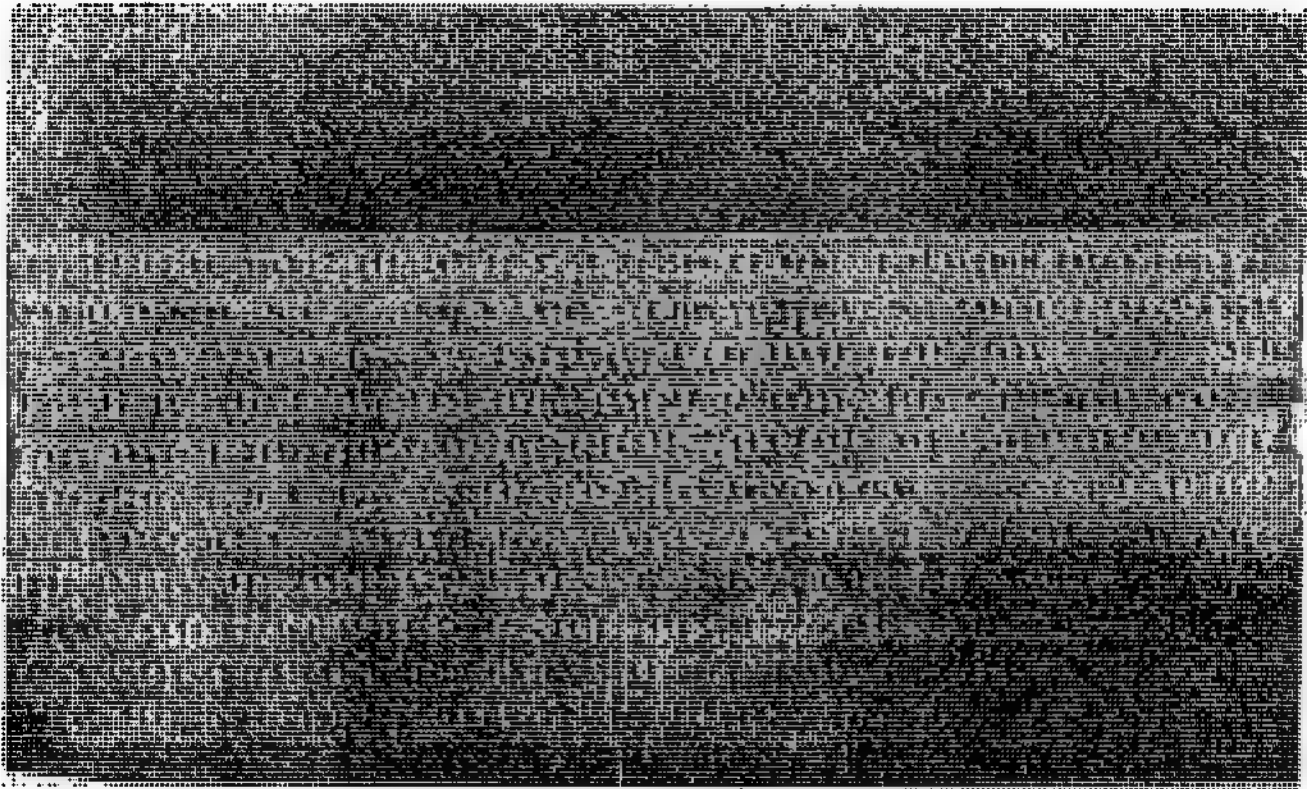
غرايڤي تيري

٥١٤، ايست هارفارد رود

بيبنانك، كاليفورنيا، القطاع ٩١٥٠١

ملحوظة: "كُتبت على وجهي الورقة لأوفر ثمن طوابع"

صورة عن الشيفرة التي كانت جمعية الاتحاد والترقي تستعملها في مراسلاتها



Fr.		Cl.	Bureau		Télégramme N°		Mots		No 2
Taxe			Gondvo	Consigné le	13	à	heures	min. du	
Réponse payée				Expédié le	13	à	heures	min. du	
Expies				au bureau de	Le Télégraphiste:				
Total			Indications éventuelles						
<p>L'Administration fédérale n'accepte aucune responsabilité à raison du service de la correspondance par le code télégraphique.</p> <p>Toutefois elle prendra toutes les mesures nécessaires pour assurer et accélérer le service, ainsi que pour sauvegarder le secret des correspondances télégraphiques.</p> <p>En outre, tout correspondant a la faculté de profiter des dispositions prises en cas d'urgence, la correspondance (collectivement, accusé de réception, recommandation)</p>			<p>Sin. Ibrahim Tahir Bey</p> <p>premier Secrétaire du Palais impérial</p> <p>Constantinople</p>						
			<p>adrijleri 13 26 1133 1169 1357 idighiin 1139</p>						
			<p>1167 1115 1167 1469 1167 1143 1139 1165 1173</p>						
			<p>1143 1167 1163 bou loundoughi hale guere</p>						

صورة عن البرقية التي أرسلها "أنور بك" إلى صحيفة الصهيونية "Neue Freie Presse"

« Très honoré Monsieur,

« C'est aujourd'hui le premier jour de la liberté. Le peuple entier (Turcs, Bulgares, Serbes, etc.) a célébré cette fête. Si le Sultan ne tient pas compte de nos revendications, nous marcherons sur Constantinople.

« Agréez, etc.

« ENVER,

« Membre du Comité Ottoman d'Union et Progrès,
« Général d'État-Major. »

سيدي المحترم.

ان هذا هو اليوم الاول للحرية. الشعب بأكمله، (أتراك، بلغار، صرب، الخ)، يحتفل بهذا العيد إذا كان السلطان لا يهتم بمطالبنا، ستقوم بالزحف الى القسطنطينية .

أنور

عضو اللجنة العثمانية للاتحاد و الترقى.

-جنرال اركان حرب-

نص البرقية التي تطالب اليهود بالقدوم الى "خادم كوي" لخلع السلطان عبد الحميد

[illegible]

تیر از غم
 ادب به مردم مستجاب او را
 فتنه به مردم نماند او را
 کرد و لایق به جا او را
 فتنه به مردم نماند او را
 کرد و لایق به جا او را
 فتنه به مردم نماند او را
 کرد و لایق به جا او را

الرجاء إبلاغ البكوات حسين جاهد وجاويد ورحمي وقرة صو إفتدي، الذين علمنا وجودهم لديكم والنواب الآخرين، بضرورة القدوم الى خادم كوي في أول قطار .

امیر الای ارکان حرب
حسن عزت

القائم مقام
صلاح الدين

القائم مقام
جمال

صورة عن النقود والنياشين والأوسمة والملصقات التي تشترك مع الماسونية في شعاراتها



1) Revue du Monde Musulman, T.5, 1908

2) Buxton. Turkey

3) V111 Turk Kongresi,

نقلًا عن :

٤) شيخو، السر المصون

٥) احمد صدقي علي شقيرات. تاريخ الإدارة العثمانية في شرق الأردن ١٨٦٤-١٩١٨ (عمان : آلاء

للطباعة والتصميم، ١٩٩٢)، ص ٧٥.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وفضل الصلاة واتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

أرفع عربضتي هذه إلى شيخ الطريقة العلوية الشاذلية، إلى مفيض الروح والحياة إلى شيخ أهل عصره، الشيخ محمود أفندي أبي الشامات وأقبل يديه المباركتين راجياً دعواته الصالحة.

بعد تقديم احترامي، أعرض انني تلقيت كتابكم المؤرخ في ٢٢ مايس من السنة الحالية وحمدت المولى وشكرته انكم بصحة وسلامة دائمين.

سيدي : انني بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد الشاذلية ليلاً ونهاراً، واعرض انني ما زلت محتاجاً لدعواتكم القلبية بصورة دائمة.

بعد هذه المقدمة اعرض لرشادتكم، وإلى أمثالكم أصحاب السماحة، والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كإمانة في ذمة التاريخ: انني لم أتخل عن الخلافة الاسلامية لسبب ما سوى أنني - بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم "جون تورك" وتهديدهم - اضطررت ولجبرت على ترك الخلافة الإسلامية. ان هؤلاء الاتحاديين قد أصروا وأصروا على بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الارض المقدسة - فلسطين - ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف. وأخيراً وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة إنجليزية ذهباً، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً ، وأجبتهم بالجواب القطعي الآتي: أنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي. لقد خدمت الملة الإسلامية والامة المحمدية ما يزيد عن ثلاثين سنة فلن أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين. لهذا لن أقبل بتكليفكم بوجه قطعي أيضاً.

وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي، وأبلغوني أنهم سيبيعونني إلى سلانيك ، فقبلت بهذا التكليف الأخير، هذا وحمدت المولى وأحمدته أنني لم أقبل بأن ألطخ الدولة العثمانية والعالم الإسلامي بهذا العار الأبدي الناشئ عن تكليفهم بإقامة دولة يهودية في الأراضي المقدسة فلسطين. وقد كان بعد ذلك ما كان ، ولذا فأنني أكرر الحمد والثناء على الله المتعال. واعتقد ان ما عرضته كاف في هذا الموضوع المهم وبه اختتم رسالتي هذه.

أثم يديكم المباركتين وأرجو واسترحم ان تتفضلوا بقبول احترامي. سلامي إلى جميع الأخوان والأصدقاء.

يا أستاذي المعظم

لقد أطلت عليكم البحث، ولكن دفعني لهذه الإطالة ان نحيط سماعتكم علماء، ونحيط جماعتكم بذلك علماً أيضاً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

في ٢٢ أيلول ١٣٢٩

خادم المسلمين

عبد الحميد بن عبد المجيد

الملحق رقم (٩)

بعض الصحف العربية والتركية المعادية للسلطان عبد الحميد الثاني

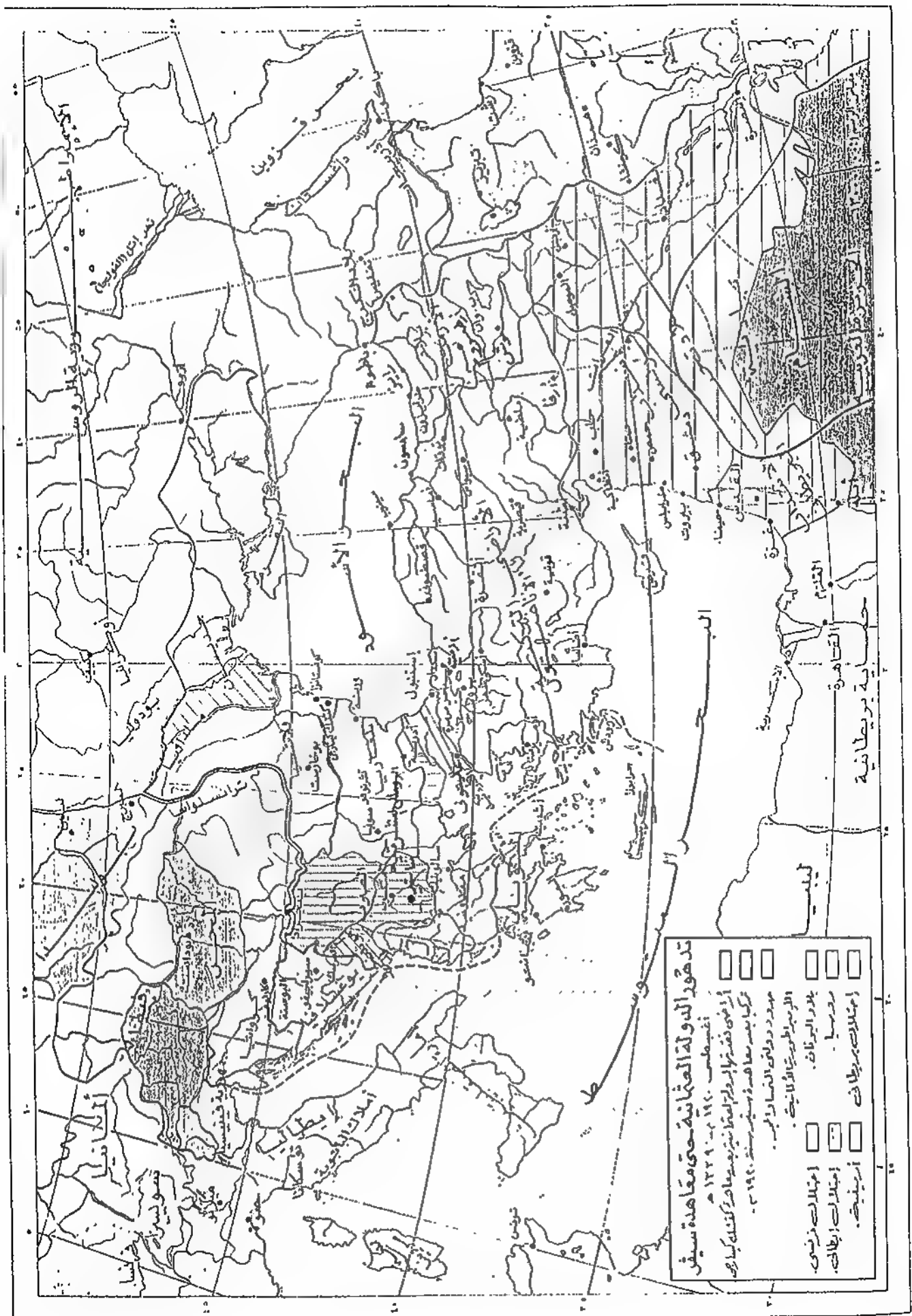
اسم الصحيفة	اللغة	صاحبها	مكان صدورها	شارك في تحريرها	ملاحظات
مشورت	التركية والفرنسية	احمد رضا	باريس وجنيف	خليل غانم	
المثبير	العربية	سليم سر كيمس	القاهرة		
عثمانلي ١٩٨٧	التركية	عبد الله جودت	جليف	اسحق سكوني ونوري احمد وطونالي حلمي	
لسان العرب	العربية	نجيب حداد			
بلتي (الابله)	التركية				
النبراس	العربية	الفاضل الجاويش			
بصير الشرق	العربية والتركية	رشيد بك		اسماعيل ابراهيم	
بيلايرم (الصاعقة)	التركية	ابراهيم ادهم			
جورجونة	التركية	التركي اشرف			
سنجق	التركية	احمد صائب			استبدلت هذه الصحيفة اسمها بعد فترة قصيرة فأصبحت تسمى شوراي امت
ميزان	التركية	مراد بك	مصر وجنيف		
أمل	العربية	حسن فهمي			
اجتهاد	اكثر من لغة	عبد الله جودت	مصر		
ترك	التركية			لجم الدين عارف المناسقيرلي وشرف الدين مغمومي	

اسم الصحيفة	اللغة	صاحبها	مكان صدرها	شارك في تحريرها	ملاحظات
قانون أساسي	التركية والعربية		مصر	محمد قنري العثماني وولي الدين يكن	
الانذار	العربية	يوسف حمدي يكن			
كشف النقاب	العربية	امين ارسلان	باريس		
كوكب امريكا	العربية		امريكا		
الايام	العربية		امريكا		
انقلاب	التركية	احمد مختار			
حرية	التركية	رفعت بك	لندن		
الهلال	العربية	خليل غلام			
انتقام	التركية	طونالي حلمي	جنيف	علي فخري و باهريالي رضا	
ملت	التركية	طونالي حلمي	جنيف	علي فخري و باهريالي رضا	
توكماك	التركية	طونالي حلمي	جنيف	علي فخري و باهريالي رضا	
ألبانيا		اسماعيل كمال الألباني	بروكسل	فائق بك كونتيزا	
تحية البانيا		اسماعيل كمال الألباني	بروكسل		
ترقي ١٩٠٦	التركية	البرنس صباح الدين	باريس	احمد فضلي بك	
إقدام - صباح	التركية	حسين جاهد بك			

الملحق رقم (١٠)

قائمة بأسماء وزارات السلطان عبد الحميد الثاني

الاسم	عدد مرات الصادرة	تاريخ توليه الصادرة	تاريخ العزل	المدة
المنترجم رشدي باشا	الرابعة	١٨٧٦/١٢/١٩	٧ أشهر و ٩ أيام	
مدحت باشا	الثانية	١٨٧٧/٣/١٩	٤٧ يوم	
أدهم باشا	الاولى	١٨٧٨/٤/١٨	شهرين و ٩ أيام	
احمد وفيق باشا	الخامسة	١٨٧٨/٥/٢٨	٤٠ يوم	
محمد صادق باشا		١٨٧٨/٦/٤	٧ أيام	
المنترجم رشدي باشا		١٨٧٨/١٢/٤	٦ أشهر	
محمد أسعد صفوت باشا		١٨٧٩/٧/٢٩	٧ أشهر و ٢٦ يوم	
خير الدين باشا التونسي		١٨٧٩/١٠/١٨	شهرين و ٢٠ يوم	
احمد عارف باشا	الاولى	١٨٨٠/٦/٩	٧ أشهر و ٢٠ يوم	
محمد سعيد باشا	الثانية	١٨٨٠/٩/١٢	٣ أشهر و ٣ أيام	
محمد قدرى باشا		١٨٨٠/٥/٢	سنة و ٧ أشهر و ٢٠ يوم	
سعيد باشا	الثالثة	١٨٨٢/٧/١١	شهرين و ١٠ أيام	
عبد الرحمن نور الدين باشا	الثانية	١٨٨٢/١٢/١	٤ أشهر و ٢١ يوم	
سعيد باشا	الرابعة	١٨٨٢/١٢/٣	يومين	
احمد وفيق باشا		١٨٨٥/٩/٢٥	سنتين و شهر ٢٣ يوما	
سعيد باشا		١٨٩١/٩/٤	٥ سنوات و ٩ أشهر و ٩ أيام	
محمد كامل باشا القبرصي	الخامسة	١٨٩٥/٦/٨	٣ سنوات و ٩ أشهر و ٤ أيام	
محمد جودت باشا	الثانية	١٨٩٥/١٠/١	٣ أشهر و ٢٣ يوماً	
سعيد باشا		١٨٩٥/١١/٧	شهر و ٦ أيام	
كامل باشا	السادسة	١٩٠١/١١/٩	٦ سنوات و يومين	
خليل رفعت باشا		١٩٠٣/١/١٤	سنة و شهرين و ٥ أيام	
سعيد باشا	السابعة	١٩٠٨/٧/٢٢	٥ سنوات و ٦ أشهر و ٨ أيام	
محمد فريد باشا		١٩٠٨/٨/٥	٩ أيام	
سعيد باشا		١٩٠٩/٤/٢٥		
كامل باشا		١٩٠٩/٤/١٣		
سعيد باشا				
توفيق باشا				



قائمة المصادر والمراجع

* الوثائق المنشورة.

- ١- أيوب، سمير. وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، بيروت: دار الحداثة للطباعة، ١٩٨٤، ج ١.
- ٢- حسين، محمد توفيق. " دور اليهود والماسونيين في الانقلاب العثماني ١٩٠٨ " مجلة آفاق عربية، بغداد، العدد ٩، السنة ٣، (أيار ١٩٧٨).

* المذكرات الشخصية.

- ٣- أوغلي، عائشة عثمان . والدي السلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة ، صالح سعادوى صالح، ط١، عمان : دار البشير للنشر والتوزيع، ١٩٩١.
- ٤- عبد الحميد الثاني، مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني، ترجمة محمد حرب ، ط٣، دمشق : دار القلم، ١٩٩١.
- ٥- _____ . مذكراتي السياسية ١٨٩١-١٩٠٨ ، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٧.
- ٦- شفيق باشا، أحمد. مذكراتي في نصف قرن، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤، ج ٢.
- ٧- ثيودور هرتزل. يوميات هرتزل، إعداد. أنيس صليخ. ترجمة، هيلدا شعبان صايغ، بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية-مركز الأبحاث، ١٩٦٨.
- ٨- مدحت باشا، مذكرات مدحت باشا، تعريب، يوسف كمال بك حتاتة ط١، مصر: مطبعة هندية، د.ت.
- ٩- نيازى الرسنة لي، أحمد. خواطر نيازى أو صحيفة من تاريخ الانقلاب العثماني الكبير، تعريب ولي الدين يكن، مصر : مطبعة على سكر أحمد، ١٩٠٩.
- ١٠- يكن، ولي الدين. المعلوم والمجهول، مصر : مطبعة الشعب، ١٩٠٩، ج ١.

* المذكرات الأجنبية.

1. Abdülhamit, Sultan. *Siyasi hatiratim*, (Istanbul: Hareket yayinlari, 1974).
2. Bozdag, Ismet. *Abdülhamid in Hatira Defteri, Belgeler ve resimlerle* (Istanbul Kervan Kitapçilik, 1975).
3. Buxton, Charles. Roden. *Turkey in Revolution* (London : Fisher Unwin , 1909).
4. Edib, Halide. *Memoirs of Halide Edib* (New York – Arno Press: Anew York Times Company, 1972).
5. Fesch, Paul. *Constantinople, aux derniers jours d Abdul Hamid* (New York : Burt Franklin, 1971).
6. Herzl, Theodor. *The Jewish State, an Attempt at Amodern Solution of the Jewish Question* , Translated by "Sylvie Davigdor (London : H. Pordes. 1967).
7. Pears, Sir Edwin . *Forty Years in Constantinople 1873-1919* (New York:1935).
8. Tahsin Paşa. *Abdülhamid Ve Yildis hatiralari* (Istanbul:1933).
9. Weizmann, Chaim. *Trail and Error* (West Port – Connecticut: Green Wood Press Publishers, 1972).

* المصادر العثمانية.

- ١١- أحمد صائب . عبد الحسيك لوائيل سلطنتي ، القاهرة : هندية مطبعة سنده طبع أولمشر ، ١٣٢٦هـ ،
هرحقي محفوظة، ايكنجي طبعي.
- ١٢- عثمان نوري . عبد الحميد ثاني ودور سلطنتي، حيات خصوصية وسياسة سى استانبول: كتانجانه
إسلام وعسكري، ابراهيم حلمي، ١٣٢٧هـ.

* المصادر العربية والمترجمة.

- ١٣- أتلخان ، جواد رفعت . اسرار الماسونية، ترجمة، نور الدين رضا الواعظ - سليمان أمين القاهلي،
الدوحة : دار للعلوم، ١٩٥٦،
- ١٤- الأسدأبادي، ميرزا لطف الله خان. حقيقة جمال الدين الأفغاني، ترجمة عبد المنعم حسين،
المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر، ١٩٨٦.
- ١٥- آصاف، يوسف بك. تاريخ سلاطين بني عثمان من اول نشأتهم حتى الآن، تقديم، محمد زينهم محمد
عزب، ط١، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٥.
- ١٦- أنطونيوس، جورج. نقطة العرب، تاريخ حركة العرب القومية ، ترجمة ناصر الدين الأسد - إحسان
عباس، ط٦، بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٨٠.
- ١٧- أوزتونا ، يلماز . تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة، عدنان محمود سلمان (ط١، استانبول:
منشورات فيصل للتمويل، ١٩٩٠)، م٢.
- ١٨- أوكه، ميم كمال. جاسوس في قصر السلطان، ترجمة، وليد العريض، وهي ترجمة مخطوطة لم
تنشر بعد.
- ١٩- _____ . السلطان عبد الحميد الثاني بين الصهيونية العالمية والمشكلة الفلسطينية ،
ترجمة إسماعيل صادق، ط١، القاهرة : الزهراء للإعلام العربي، ١٩٩٢.
- ٢٠- باتريك، ماري ملز . سلاطين بني عثمان الخمسة، تعريب، حنا غصن - كامل مروة - كامل
صموئيل مسيحة، مجلة اللطائف العصرية: مطبعة صادر، ١٩٣٣.
- ٢١- تلحوق، وديع . الصليبية الجديدة في فلسطين، دمشق : مطبعة النضال، ١٩٤٨.
- ٢٢- التونسي، محمد خليفة - العقاد، عباس محمود . الخطر اليهودي ، بروتوكولات حكماء صهيون
ط٤، بيروت: المكتب العربي - دار الكتاب العربي، د. تا.
- ٢٣- جب، هاملتون- بوون، هارولد. المجتمع الإسلامي والغرب، ترجمة ، أحمد عبد الرحيم مصطفى،
مصر : دار المعارف، ١٩٧١، ج٢.
- ٢٤- الحاج، يوسف . هيكل سليمان أو الوطن القومي لليهود، د. ب: د. نا، د. تا.
- ٢٥- حتى، فيليب. تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ترجمة، كمال اليازجي، بيروت : دار الثقافة،
١٩٥٩ ، ج٢.

- ٢٥- حسون، علي. *الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية*، ط٣، بيروت : المكتب الإسلامي، ١٩٨٣.
- ٢٦- ———. *العثمانيون والبلقان*، ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٦.
- ٢٧- الحصري، ساطع. *البلاد العربية والدولة العثمانية*، ط٢، بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٦٠.
- ٢٨- الحكيم، يوسف. *سوريا والعهد العثماني*، ط٤، بيروت : دار النهار للنشر، ١٩٩١.
- ٢٩- حليم، إبراهيم بك. *التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية*، د.ب: مطبعة ديوان عموم الأوقاف، ١٩٠٥م.
- ٣٠- حوراني، ألبرت. *الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ - ١٩٣٩*، ط٣، بيروت : دار النهار، ١٩٧٧.
- ٣١- الدجاني، حسن صدقي. *تفصيل ظلامه فلسطين، حقائق أرقام تقارير ووثائق هامة*، ط١، القدس : المطبعة التجارية، ١٩٣٦.
- ٣٢- دقاق، باسيل. *تركيا بين جبارين*، ط١، بيروت: منشورات دار المكشوف ١٩٤٧.
- ٣٣- رامزور، أرنست. *تركية الفتاة وثورة ١٩٠٨*، ترجمة، صالح أحمد العلي بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٦٠.
- ٣٤- زيدان، جرحى. *تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها إلى اليوم*، ط١، بيروت : دار الجيل، ١٩٨٢.
- ٣٥- ستودارد، لوثر. *حاضر العالم الإسلامي*، ترجمة، عجاج نويهض، ط٤ القاهرة: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٧٣، م٢، ج٣.
- ٣٦- سركيس، سليم. *سر مملكة مصر* : د.نا، ١٨٩٥، ج١.
- ٣٧- الشرقي، سعيد بن محمد. *ليلة خلع السلطان عبد الحميد الثاني، رواية شاهد عيان*، دراسة وتحقيق، محمد عيسى صالحية، دمشق: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٨.
- ٣٨- شكر، آثار إبراهيم صالح. *قلم وزير، تاريخ ما أهمله التاريخ من حوادث المسألة العربية في الحجاز وسورية والعراق*، تحقيق، خالد محسن إسماعيل، بغداد: مطبعة دار المعارف، ١٩٧٠.
- ٣٩- شيوخو اليسوعي، لويس. *السر المصون في شيعة الفرسمون*، بيروت : المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين، ١٩١٠.
- ٤٠- الصفايحي، إسماعيل أفندي. *إيقاظ الإخوان لدلائل الأعداء، وما يقتضيه حال الزمان*، استانبول: مطبعة عسكرية سليمانية، ١٣٣١هـ.
- ٤١- ضابط تركي سابق. *الرجل الصنم*، ترجمة، عبد الله عبد الرحمن، ط٤ بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٢.
- ٤٢- طوران، مصطفى، *أسرار الانقلاب العثماني*، ترجمة، كمال خوجة، ط٣، بيروت: دار السلام للطباعة، ١٩٨٠.
- ٤٣- عبد الناصر، شوقي. *بروتوكولات حكماء صهيون وتعاليم التلمود*، د.ب: د.نا، د.تا.

- ٤٤- العريسي، عبد الغني. *مختارات المفيد*، قدم لها، ناجي علوش، ط١، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨١.
- ٤٥- على، محمد كرد. *خطط الشام*، ط٢، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٠، ج٣.
- ٤٦- غلوش، أحمد. *الجمعية الماسونية حقائقها وخفاياها*، القاهرة: الدار القومية، ١٩٦٦.
- ٤٧- فردريك بيك، ج. *تاريخ شرقي الأردن وقبائلها*، ترجمة، بهاء الدين طوقان، ط١، عمان: الدار العربية، ١٩٣٥.
- ٤٨- فريد بك. *المحامي محمد. تاريخ الدولة العلية العثمانية*، تحقيق، إحسان حقى، ط٦، بيروت: دار النفائس، ١٩٨٨.
- ٤٩- كامل، مصطفى. *المسألة الشرقية، مصر*: د. نا، ١٨٩٨، ج١.
- ٥٠- كلشي، حسن. *الوجه الآخر للاتحاد والترقي*، تقديم وترجمة، محمد الأرنؤوط، إربد: قدسية للطباعة والنشر، ١٩٩٠.
- ٥١- كمال، نامق. *عهد الفتح وقائع عصرين جرت بملئى قارتين*، ترجمة عبد العزيز أمين أفندي الخانجي، د. ب: مطبعة محمود توفيق، د. ب. ت.
- ٥٢- _____ *فاتحة الفتوحات العثمانية*، تعريب عبد الله مخلص، حيفا: المطبعة الوطنية، ١٩٠٩.
- ٥٣- لبيب، حسين. *تاريخ المسألة الشرقية، مصر*: مطبعة الهلال، ١٩٢١.
- ٥٤- لورنس، ت. أ. *أعمدة الحكمة السبعة*، ط٣، بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٩.
- ٥٥- لوتسكى، فلاديمير بوريسوفيتش. *تاريخ الأقطار العربية الحديث*، ترجمة، عفيفة البستاني، ط٧، بيروت: دار الفارابي، ١٩٨٠.
- ٥٦- مجهول. *تلخيص التاريخ العثماني المصور*، تعريب، شاكر أفندي الحنبلي ط١، الشام: مطبعة الترقى، خاصة، محمد هاشم الكتبي.
- ٥٧- مجهول. *ثورة العرب مقدماتها أسبابها ونتائجها*، مصر: مطبعة المقطم، ١٩١٦.
- ٥٨- مذكور، محمد سلام. *جمال الدين الأفغاني، باعث النهضة الفكرية في الشرق*، ط١، القاهرة: مطبعة الهولوى، ١٩٣٧.
- ٥٩- معهد السياسة الخارجية. *الأزمة الأرمنية في تسع أسئلة وأجوبة*، أنقرة: جامعة حاجتية، ١٩٩٣.
- ٦٠- مكاريوس، شاهين. *الآداب الماسونية*، بيروت: دار نظير عبود، ١٩٨٨.
- ٦١- _____ *الأسرار الخفية في الجمعية الماسونية*، بيروت: دار مارون عبود، ١٩٨٥.
- ٦٢- _____ *تاريخ الماسونية العملية*، د. ب، د. نا، ١٩٨٤.
- ٦٣- النمر، إحسان. *نظرات وتحقيقات في التاريخ العثماني*، بيروت: د. نا- د. نا.
- ٦٤- نويهض، عجاج. *بروتوكولات حكماء صهيون*، نصوصها رموزها أصولها التلمودية، ط٤، بيروت: دار الاستقلال للدراسات - المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٩٦.

• المراجع العربية والمترجمة.

- ٦٦- أحمد ، إبراهيم خليل (وآخرون). تركيا المعاصرة، الموصل : جامعة الموصل، ١٩٨٧.
- ٦٧- أحمد ، ليلى عبد اللطيف . موقف الدولة العثمانية من مطاعم اليهود في فلسطين، القاهرة : دار الكتاب الجامعي، ١٩٧٨.
- ٦٨- إسماعيل ، علي محمد. تاريخ الاستيطان الصهيوني في فلسطين د. ب، د.نا: د. تا.
- ٦٩- إسماعيل، حلمي محروس. تاريخ العرب الحديث من الغزو العثماني إلى نهاية الحرب العالمية الأولى، الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٧.
- ٧٠- أندرسون، بيرى. دولة الشرق الاستبدادية، ترجمة بديع عمر نظمى، ط١، بيروت مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٣.
- ٧١- برو، توفيق. العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، ١٩٠٨-١٩١٤، ط١، دمشق: دار طلاس، ١٩٩١.
- ٧٢- بروكلمان، كارل. الأتراك العثمانيون وحضارتهم، ترجمة، نبيه أمين فارس - منير بعلبكي، ط٣، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٦١، ج٣.
- ٧٣- _____ تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة، نبيه أمين فارس - منير بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين، ١٩٥٠، ج٤+ ط٦، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٤.
- ٧٤- تايلور، آلان. مدخل إلى إسرائيل ، الأعمال التحضيرية للجريمة الدبلوماسية الصهيونية ١٨٩٧-١٩٤٧، تعريب، شكري محمود نديم، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٦٩.
- ٧٥- النل، عبد الله. الأفعى اليهودية في معازل الإسلام، ط٢، بيروت: المكتب الإسلامي، د.نا.
- ٧٦- _____ جنود البلاء، ط٢، بيروت : المكتب الإسلامي، ١٩٧٨.
- ٧٧- _____ خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية، ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي ١٩٧٩.
- ٧٨- تي، جاك، الأخوة الزائفة القصة المذهلة للمكانة الدبلوماسية الحديثة لإخضاع البشرية والسيطرة عليها، ترجمة، أحمد اليازوري، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩.
- ٧٩- تودوروف، نيكولاى. موجز تاريخ بلغاريا، ترجمة أحمد سليمان الأحمد ، دمشق: مطبوعات دار الثقافة، ١٩٨١.
- ٨٠- الجادر، عادل حامد - ردام، عزيز عبد المهدي . فلسطين والغزو الصهيوني، جامعة بغداد: مطبعة جامعة بغداد، ١٩٨٤.

- ٨١- جارودي، روجيه. *فلسطين أرض الرسالات السماوية*، ترجمة، قصي أناسي - ميشيل واكيم، ط١، دمشق: طلاس للدراسات والترجمة، ١٩٨٨.
- ٨٢- جانس، ج.هـ. *الصهيونية وإسرائيل وآسيا*، ترجمة، حميد راشد، بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث، ١٩٧٣.
- ٨٣- جريس، صبري. *تاريخ الصهيونية ١٨٦٢-١٩٤٨*، بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث، ١٩٧٧، الجزء الأول.
- ٨٤- جرينفيم، اسحق. *الحركة الصهيونية*، ترجمة، جودت السعد، ط١، إربد: دار الجاحظ، ١٩٨٤، ج٢.
- ٨٥- الجزائري، سعيد. *الماسونية مالها وما عليها*، و ماضيها وحاضرها وثائق تنشر لأول مرة، دمشق: مؤسسة النوري، ١٩٨٦.
- ٨٦- جفريز، ج.م.ن. *فلسطين إليكم الحقيقة*، ترجمة، أحمد خليل الحاج، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف النشر، ١٩٧١، ج٢.
- ٨٧- الجميل، سيار. *تكوين العرب الحديث ١٥١٦-١٩١٦*، الموصل: جامعة الموصل، ١٩٩١.
- ٨٨- _____ *العرب والأتراك، الانبعاث والتحديث من العثمانية إلى العلمنة*، ط١، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧.
- ٨٩- الجندي، أنور. *نقطة الفكر الإسلامي في مواجهة الاستعمار*، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٧١.
- ٩٠- _____ *نقطة الفكر العربي من مواجهة الاستعمار*، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، ١٩٧١.
- ٩١- حلاق، حسان علي. *موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧-١٩٠٩*، ط٢، بيروت: الدار الجامعية للطباعة والنشر، ١٩٨٠.
- ٩٢- حاطوم، نور الدين. *تاريخ القرن التاسع عشر في أوروبا والعالم*، ط١، دمشق: دار الفكر، ١٩٩٥، ج٢.
- ٩٣- حرب، محمد. *السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار ١٨٤٢-١٩١٨* دمشق: دار القلم للطباعة والنشر، ١٩٩٥، ج٢.
- ٩٤- _____ *العثمانيون في التاريخ والحضارة*، القاهرة: المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي، ١٩٩٤.
- ٩٥- حسن، عبد الباسط محمد. *جمال الدين وأثره في العالم الإسلامي الحديث*، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٢.
- ٩٦- حسين، محمد محمد. *الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر*، ط٤، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨٠.
- ٩٧- _____ *الإسلام والحضارة الغربية*، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨١.

- ٩٨- حمادة، حسين عمر. *الأنبياء الماسونية وصلاتها بالعقائد اليهودية والصهيونية وخططها لتفويض المجتمعات الإسلامية والمسيحية*، ط١، دمشق: دار الوثائق ١٩٩٥.
- ٩٩- _____ *شهادات ماسونية*، ط١، دمشق: دار قتيبة للطباعة والنشر، ١٩٨٠.
- ١٠٠- الحوت، بيان نويهض. *فلسطين القضية للشعب الحضارة، التاريخ السياسي منذ عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين ١٩١٧*، ط١، بيروت: دار الاستقلال للدراسات، ١٩٩١.
- ١٠١- الخولي، حسن صبري. *سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين*، القاهرة: دائرة المعارف، ١٩٧٣، ج١.
- ١٠٢- الدقن، السيد محمد. *سكة حديد الحجاز الحديدية، دراسة وثائقية*، ط١، القاهرة: دنا، ١٩٨٥.
- ١٠٣- دومارس، لوميان كافرو. *العار للصهيوني في مصادر الصهيونية وأعمالها التخريبية في العالم*، ترجمة، أحمد رضا محمد رضا، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢.
- ١٠٤- ذياب، محمد أحمد، *المخططات الماسونية العالمية*، ط١ القاهرة: دار المنار، ١٩٨٩.
- ١٠٥- أبو رية، محمود. *جمال الدين الأفغاني*، القاهرة: دار المعارف للطباعة، ١٩٦١.
- ١٠٦- الزعبي، محمد علي. *الماسونية في العراق*، بيروت: دار الجبل، ١٩٨٣.
- ١٠٧- _____ *الماسونية منشئة ملك إسرائيل*، بيروت: مؤسسة مطابع معنوق، ١٩٧٨.
- ١٠٨- زغروت، محمد إبراهيم. *دور يهود الدونمة في إسقاط الخلافة العثمانية*، بحث ضمن كتاب "الحياة الإدارية وبرز القوميات، ودور الأقليات في الولايات العربية أثناء العهد العثماني، زغوان: منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسيكية، ١٩٩٢.
- ١٠٩- الزين، مصطفى. *نائب الأناضول*، ط١، لندن - قبرص: رياض الريس للكتب والنشر، ١٩٩١.
- ١١٠- زين، زين نور الدين. *الصراع الدولي في الشرق الأوسط ولادة دولتي سوريا ولبنان*، بيروت: دار النهار للنشر ١٩٧١.
- ١١١- _____ *نشوء القومية العربية مع دراسة تاريخية في العلاقات العربية التركية ط٣*، بيروت: دار النهار، ١٩٧٩.
- ١١٢- زهر الدين، صالح. *الأرمن شعب وقضية*، ط١، بيروت: الدار النقدية، ١٩٨٨.
- ١١٣- _____ *اليهود في تركيا ٥٠٠ عاما*، ط١، حلب: دار الصداقة للترجمة النشر، ١٩٩٦.
- ١١٤- السامرائي، نعمان. *الماسونية اليهود والتواراة*، ط١، لندن: دار الحكمة، ١٩٩٤.
- ١١٥- سليم، محمد عبد الرؤوف. *تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٨٩٧-١٩١٨ القسم الأول*، تطور الحركة الصهيونية الحديثة حتى تصريح بلفور، جامعة الدول العربية: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٤.
- ١١٦- سنقرط، داود عبد العفو. *القوى الخفية العالمية، الماسونية، عمان*: دار الفرقان، ١٩٨٣.
- ١١٧- الشاذلي، محمود ثابت. *المسألة الشرقية، دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية ١٢٩٩-١٩٢٣م*، ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٩.

- ١١٨- شاكِر، محمود. *التاريخ الإسلامي، العهد العثماني*، ط٢، بيروت : المكتب الإسلامي، ١٩٨٧ .
- ١١٩- الشريفي، ابراهيم . *أورشليم وأرض كنعان حول مع أنبياء وملوك إسرائيل*، لندن: مؤسسة الدراسات الدولية، ١٩٨٥.
- ١٢٠- شقيرات، أحمد صدقي علي. *تاريخ الإدارة العثمانية في شرق الأردن ١٨٦٤-١٩١٨*، عمان: آلاء للطباعة و التصميم، ١٩٩٢.
- ١٢١- شلبي، أحمد . *موسوعة التاريخ الإسلامي*، ط١، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٢، ج٥.
- ١٢٢- _____ *للإيهودية*، ط٨، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٨٨.
- ١٢٣- شلش، على. *اليهود والماسون في مصر*، ط١، القاهرة : الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٦.
- ١٢٤- الشناوي، عبد العزيز. *الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها*، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٦، ج١-٤.
- ١٢٥- الشوابكة، أحمد فهد. *حركة الجامعة الإسلامية*، ط١، الأردن : مكتبة المنار، ١٩٨٤.
- ١٢٦- صبحي، حسن. *التآمر الصهيوني ضد الأمة العربية ١٨٨٢-١٩٦٧*، بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٦٨.
- ١٢٧- صفوة، نجدة فتحى. *للماسونية في الوطن العربي*، لندن: مركز الدراسات العربية، ١٩٨٠.
- ١٢٨- الطاهر، أحمد حمدي. *مؤامرات اليهود على العرب والإسلام*، عمان مطبعة شاهين، ١٩٦٩.
- ١٢٩- طعيمة، صابر عبد الرحمن. *إسرائيل بين المسير والمصير*، القاهرة: مكتبة القاهرة الحديثة، ١٩٧٣.
- ١٣٠- _____ *للماسونية ذلك العالم المجهول*، دراسة في الأسرار التنظيمية لليهودية العالمية، ط٢، بيروت : دار الجيل، ١٩٨١.
- ١٣١- _____ *للماسونية الصهيونية الشيوعية غاية وهدف*، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٧٨.
- ١٣٢- _____ *اليهود بين الدين والتاريخ*، ط١، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٢.
- ١٣٣- عبد الحميد، محسن . *جمال الدين الأفغاني المصلح المفترى عليه*، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٥.
- ١٣٤- عبد الرحمن، أسعد . *المنظمة الصهيونية العالمية وأعمالها ١٨٩٧-١٩٨٢* ، بيروت : منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث، ١٩٦٧.
- ١٣٥- عثمان، محمود عبد الحكيم. *اليهود والحركات والمذاهب الهدامة في العصر الحديث*، المنصورة: الدار الإسلامية للطباعة، ١٩٨٧.
- ١٣٦- العزاوي، قيس جواد. *الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط*، ط١ فلوريدا : مركز دراسات الإسلام والعالم، ١٩٨٤.
- ١٣٧- عمارة، محمد. *جمال الدين الأفغاني موقف الشرق وفيلسوف الإسلام*، بيروت : دار الوحدة، ١٩٨٤.

- ١٣٨- عمر، عمر عبد العزيز. دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، القضية الفلسطينية، بيروت: دار النهضة، ١٩٧٥.
- ١٣٩- عوض، عبد العزيز محمد. الإدارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤-١٩١٤، القاهرة: دار المعارف بمصر، ١٩٦٧.
- ١٤٠- _____ مقدمة في تاريخ فلسطين الحديث ١٨٣١-١٩١٤، بيروت: المؤسسة العربية، ١٩٨٣.
- ١٤١- فراي، ل. القوى الخفية في السياسة العالمية، ترجمة، محمد كمال ثابت، بيروت: دار الكاتب العربي، د.ثا.
- ١٤٢- قاسم، محمود. جمال الدين الأفغاني، حياته وفلسفته، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصرية، د. ثا.
- ١٤٣- قاسمية، خيرية. النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه ١٩٠٨-١٩١٨ بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث، ١٩٧٣.
- ١٤٤- _____ المقاومة العربية للصهيونية، بحث ضمن كتاب. "الولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني، تحرير، عبد الجليل التميمي. تونس: مركز البحوث والدراسات عن الولايات العربية في العهد للعثماني، ١٩٨٤.
- ١٤٥- قطب، محمد علي. يهود الدونمة ، ط١، بيروت: دار القلم، ١٩٨٧.
- ١٤٦- قلجى، قدرى. جمال الدين الأفغاني، بيروت: دار العلم للملايين ١٩٤٧.
- ١٤٧- محافظة ، على . العلاقات الألمانية الفلسطينية من إنشاء مطرانية القدس البروتستانتية حتى الحرب العالمية الثانية ١٨٤١-١٩٤٥، ط١، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات، ١٩٨١.
- ١٤٨- محمد علي ، أورخان. السلطان عبد الحميد الثاني حياته وأحداث عهده، ط١، العراق: مكتبة الأنبار، ١٩٨٧.
- ١٤٩- مراد، حلمي. مصطفى كمال أتاتورك، القاهرة: دار المعارف بمصر ، د. ثا.
- ١٥٠- المرجة، موفق بني. صحوة الرجل المريض أو السلطان عبد الحميد الثاني والخلافة الإسلامية، الكويت: مؤسسة صقر الخليج، ١٩٨٤.
- ١٥١- المسيرى، عبد الوهاب محمد، اليهودية للصهيونية واسرائيل دراسات في انتشار وانحسار الرؤية الصهيونية للواقع، ط١ ، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٥.
- ١٥٢- مصطفى، احمد عبد الرحيم. في أصول التاريخ العثماني، ط١، بيروت - القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٢.
- ١٥٣- مانتران، روبير (محرر). تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة، بشير السباعي، القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر، ١٩٩٣، ج٢.
- ١٥٤- مؤسسة الدراسات الفلسطينية - وزارة الدفاع الوطني - الجيش اللبناني. القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني بيروت : دنا، ١٩٧٣.

- ١٥٥- الميداني ، عبد الرحمن حنيفة. مكائد يهودية عبر التاريخ، ط١، دمشق: دار اللقلم، ١٩٧٤.
- ١٥٦- ناجي ، س. المفسدون في الأرض جرائم اليهود السياسية والاجتماعية عبر التاريخ، ط٢، دمشق: العربي للإعلان والنشر والطباعة، ١٩٧٣.
- ١٥٧- النبراوي، فتحية سمها، محمد نصر، قضايا العالم الإسلامي ومشكلاته السياسية بين الماضي والحاضر، ط١، الإسكندرية: منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٨٣.
- ١٥٨- الننتشة، رفيق شاكر. السلطان عبد الحميد وفلسطين السلطان الذي خسر عرشه من أجل فلسطين، ط٤، الرياض: شركة مطابع نجد للتجارية، ١٩٨٢.
- ١٥٩- النعيمي، أحمد نوري. يهود الدونمة دراسة في الأصول والعقائد المواقف، ط١، عمان: دار البشير، ١٩٩٥.
- ١٦٠- _____ اليهود والدولة العثمانية، ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧.
- ١٦١- نياز ملا، محمد قربان. السلطان عبد الحميد الثاني، واثره في نشر الدعوة الإسلامية، ط١، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٨.
- ١٦٢- هداوي، سامي. فلسطين بين عامي ١٩١٤-١٩٧٩، ترجمة، فخري حسين يغمور، ط١، عمان: مطبعة التوفيق، د.ت.ا.
- ١٦٣- هلسة، تهاني. أوراق في القضية الفلسطينية، جامعة الدول العربية: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٧.
- ١٦٤- هوفسيان، نوبار (وآخرون). تركيا بين الصفوة البيروقراطية والحكم العسكري ترجمة، سامي الرزاز (وآخرون)، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٥.
- ١٦٥- هيز، كارلتون. التاريخ الأوروبي الحديث ١٧٨٩-١٩١٤، ترجمة، فاضل حسين، الموصل: جامعة الموصل، ١٩٨٧.
- ١٦٦- وتلن، ألما. عبد الحميد الثاني ظل الله على الأرض، ترجمة، راسم رشدي، القاهرة: د. نا، ١٩٥٠.
- ١٦٧- يكن، فتحي. حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، ط٣، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٩.

* المصادر والمراجع الأجنبية .

7. Ahmed, Feroz. *The Making of Modern Turkey* (London – New York: Routledge, 1993).
8. _____. *The Young Turks, The Committee of Union and Progress in Turkish Politics 1908-1914*. (Oxford: at the Clarendon Press, 1969).
9. Akşin, Sina. *Jön Türk Tarih Kongresi Kongreye Sunulan Bildiriler Türk Tarih* (Ankara: Türk Tarih Kurumu Besimevi, 1983).
10. Armstrong, H.C. *Grey Wolf, Mustafa Kemal, An Intimate Study of Adictator* (London: Arthur Barker L.T.D, 1933)

11. Atilhan, Cevat Rifat. *İslâmi Saran tahlike ve Siyonizm ve Protokolar* (İstanbul: Gün Matbaası, 1955).
12. Barber, Noel. *The Sultans* (New York: Simon and Schuster, 1973).
13. Bayur, Yusuf Hikmet . *Türk İnkilâpı Tarihi* (Ankara: Türk Tarih Kurumu Basimevi, 1991). Cilt.1, Kisim 1.
14. Braude, Benjamin – Lewis, Bernard. *Christian and Jews in the Ottoman Empire The Functioning of Aplural Society* (London: Holmes & Meier Publishers INC, 1982) Vol ,1-2.
15. Childs, Timothy .W. *Italo – Turkish Diplomacy and The War Over Libya 1911-1912* (Leiden : E. G. Brill, 1990).
16. Chirol, Valentine. *The Turkish Empire* (London :1911).
17. Cohen, Aharon. *Israel and The Arab World* (New York : Funk & Wagnalls, 1970).
18. Cohen, Mitchell. *Zion and State Nation, Class and the Shaping of Modern Israel* (Oxford: Basil Black well, 1987).
19. Creasy, M.A Sir Edward.S. *History of the Ottoman Turks, Form The Beginning of Their Empire to the Present Time* (London: Richard Bentley and Son, 1877).
20. Danişmand, Ismail Hami. *Osmanlı Tarihi Kronolojisi* (İstanbul : 1972) Vol, IV.
21. Davision, Roderic .H. *Reform in the Ottoman Empire 1856-1976* (Princeton: Princeton University Press, 1963).
22. Edib, Halide. *Conflict of East and West in Turkey* (Lahore: Shaikh Muhammad Ashraf).
23. Esco Foundation for Palestine. *Palestine ,Astudy of Jewish, Arab and British policies* (New Haven Yale University Press, 1947) Vol,1.
24. Friedman, Isaiah . *Germany, Turkey and Zionism 1897-1918* (Oxford : At the Clarendon Press, 1977).
25. Grares, Philip.p. *Britan and Turkey* (London – Melbourne: Hutchinson and C.O-L.T.D).
26. Grammont, Jean Louis Bacque – Roux, Jean Paul. *Mustafa Kemal Atatürk et Turquie Nouvell* (Paris: Maisnneuve et Larose, 1982).
27. Grece, Michel de. *II Abdülhamid Yıldız Sürgünü* (İstanbul : Bayladi ,1995).
28. *Gülhane Hattı Hümayunu, 150 Yilinda Tanzimat Hakkı Dursun Yilsiz, Yayına Hazırlayan* (Ankara : Türk Tarih Kurumu Basimevi, 1992).
29. Gürün, Kamuran, *The Armenian File The Meth of Innocence Exposed* (London : K.Rustem and Brother, 1985).
30. Halpern, Ben. *The Idea of Jewish State* (Cambridge -Massachusetts : Harvard University press,1969).
31. Hanioglu, M.Şükrü . *The Young Turk in Opposition* (Oxford: Oxford University Press, 1995) .
32. Haper, Metin – Öncü, Ayşe- Kramer, Heinz (ed). *Turkey and the West, Changing Political and Cultural Identities* (London – New York; I.B. Tauris Co. L.T.D. 1993).
33. Haslip, Joan. *The Sultan, The Life of Abdul Hamid II* (London : History Book Club, 1958).
34. Hyamson, Albert. *Palestine Under the Mandate 1920-1948* (Regency: P Green Wood Press Publishers, 1976).
35. Inal, Mahinut Kemal. *Son Sadrazamlar* (İstanbul : 1982) Vol.3.
36. Kacabaş, Süleyman *Sultan II. Abdülhamit Şahsiyeti ve Politikası* (İstanbul:1995).
37. Kansu, Aykut .*The Revolution of 1908 in Turkey* (Leiden: E.J. Brill. 1997).

38. Karpas, Kemal. H. *The Ottoman State and its place in World History* (Leiden: E.J. Brill, 1974).
39. Karal, Enver ziya. *Osmanli Tarihi, Islahat Fermani Devri 1861-1876* (Ankara: Türk Tarih Kurumu Basimevi, 1993) Vol. 7.
40. Karamusal, Ziya. *Osmanli Mali Tarihi Hakkinda Tetkikler* (Ankara : Türk Tarih Kurumu Basimevi, 1989) 2 Baski
41. Kazancigil, Alic –Özbudun, Ergun (ed). *Atatürk Founder of a Modern Turkey* (London : C. Hurst & Company 1981)
42. Kedourie, Elie. *Arabic Political Memoirs and Other Studies* (London : Frank Cass, 1974).
43. Kedourie Elie – Haim, Sylvia . G (ed). *Palestine and Israel in the 19 and 20 th Centuries* (London : Frank Cass, 1982).
44. Kilic, Altemur. *Turkey and the World* , (Washington : Public Affairs Press D.C, 1959).
45. Kinross, Lord . *Atatürk The Rebirth of Nation* (London : Weiden Feld and Nicolson, 1971) .
46. ———— *The Ottoman Centuries the Rise and Fall of The Turkish Empire* (New Yourk : Morrow Quill Paper Back 1977).
47. Kologlu Orhan. *Abdülhamid Gerçek* (Istanbul : 1987).
48. Kushner, David. *The Rise of Turkish Nationalism 1876-1908* (London: Frank Cass, 1977).
49. Kuran. Ahmed Bedevi. *Inkilâp Hareketleri ve Milli Mücadele* (Istanbul : Baha Matbassi, 1956).
- *Inkilâp Tarihimiz ve Jön Türkler* (Istanbul: Tan Matbassi, 1945).
50. Laqueur, Walter. *A history of Zionism* (New York : Schochen Book, 1972).
51. Latimer, Elizabeth Normeley. *Russia and Turkey in the Nineteenth Century* (Chicago: A.C.McClurry and C.O 1967).
52. Lewis, Bernard: *The Emergence of Modern Turkey* (London : Oxford University, 1961).
53. ———— *The Jews of Islam* (London : Routledge & Kegan Paul, 1984).
54. Mandle, Neville. J. *The Arabs and Zionism before World War II* (California : University of California Press, 1976).
55. Mardin, Şerif. *The Genesis of Young Ottoman Thought, A study in the Modernization of Turkish Political Idea* (Princeton – New York: Princeton University Press, 1962).
56. Mansfield, Peter. *The Ottoman Empire and its Successors* (London: The MacMillan Press L.T.D, 1973).
57. Miller, William. *The Ottoman Empire and its Successors 1801-1927* (London : Frank Cass, Co, L.T.D, 1966).
58. Ochesnwald, William *The hijaz Railroad* (U.S.A: University Press of Virginia 1980).
59. Orga, Irfan. *Phoenix Ascendant, The Rise of Modern Turkey* (London : Robert Hale Limited, 1958).
60. Palmer, Alan. *The Decline and Fall of the Ottoman Empire* (London : John Murray, 1992).

61. Pamuk, Şevket. *The Ottoman Empire and European Capitalism 1820-1913, Trade Invest Press Ment and Production* (Cambridge : Cambridge University Press, 1987).
62. Pears, Sir Edwin .*Life of Abdul Hamid* (New York - Arno Press :Anew York Times Company, 1973).
63. Quataert, Donald – Zürcher, Erik. J (ed). *Workers and the Working Class in the Ottoman Empire and the Turkish Republic 1839 – 1950* (London : Tauris Academic Studies, 1995).
64. Shaw, Stanford & Shaw, Ezel Kural. *History of the Ottoman Empire and Modern Turkey*, (Cambridge : Cambride University Press, 1977).
65. Shaw, Stanford.J. *The Jews of The Ottoman Empire and the Turkish Republic* (London : Mac Millan , 1991).
66. Sokolow, Nahum. *History of Zionism, 1600-1918* (London : Longmans, Green and Co, 1919), Vol,1.
67. Sonyel, Salahi. *Ramsdan Minorities and the Destruction of the Ottoman Empire*, (Ankara : Turkish Historical Society Parinting House, 1993).
68. ————— *The Ottoman Armenians, Victims of Great Power Diplomacy* (London : K. Rustem & Brothers, 1982).
69. Stein, Leonard. *The Balfour Declaration* (London: Vallentine, Mitchell, 1961).
70. Super, Arthur Soul. *The Story of Theoder Herzl* (London : Vallentine, Mitchell, 1960).
71. Swallow, Charles. *The Sick Man of Europe, Ottoman Empire to Turkish Republic 1789-1923*. (London : Ernest Benn, 1973).
72. Tançay, Mete - Z ürher, Erik.J. *Socialism and Nationalism in the Ottoman Empire 1976-1923*(London : British Academic Press, 1994).
73. Taylor, A.J.P. *The Straggle for Mastery in Europe 1848-1918* (Oxford: At the Clarendon, 1957).
74. Tepedelenioglu, Nizamettin Nazif. *Sultan İkinci Abdülhmid Ve Osmanli Imparatorlugunda Komitacilar* (Istanbul: Toker Yayinlari, 1972).
75. *IX Türk Tarih Kongresi, Kongreye Sunulan Bildiriler* (Ankara: Türk Tarih Kurumu Basimevi, 1988) II cit.
76. *VII Türk Tarih Kongresi, Kongreye Sunulan Bildiriler* (Ankara: Türk Tarih Kurumu Basimevi, 1973) II Cit.
77. Ubcini, M.A. *Letters on Turkey* (New York – Arno Press : Anew York Times Company, 1973) .
78. Uzunçarşili, Ismail Hakki. *Midhat Paşa Ve Taif Mahkûmlari* (Ankara: Türk Tarih Kurumu Basimevi, 1992).
79. Villata, Gorge Blance. *Atatürk*, Translated Form Spanish by Willam Campbell, (Ankara Türk Tarish Kurumu Basimevi, 1979).
80. Volkan, Vamik. D- Itzkowitz, Norman. *The Immortal Atatürk Apsychobiography*, (Chicago: The University of Chicago Press, 1984).
81. Zürcher, Erik.J. *Turkey Amodern History* (London:I.B.Tauris 1993).
82. ————— *The Unionist Factor, The Role of the Unionist Movement in the Turkish National Movement* (London: I.B. Tauris, 1984).

* بحوث ودراسات.

١. الأفغاني، سعيد. "كانت الصهيونية هي خالعة السلطان عبد الحميد" مجلة العربي، الكويت، العدد ١٦٩ (ديسمبر ١٩٧٢).
٢. الآلاي صادق بك. "بيان الأمير الآلاي صادق بك في الدستور الجيش والسياسة العثمانية، الماسونية والاتحاد العثماني" المنار، مصر، ج ٥، م ١٤.
٣. خلف الله، محمد أحمد. "بين مرتزل والسلطان عبد الحميد" مجلة العربي، الكويت العدد ٢٢٣، (يونيو - حزيران ١٩٧٧).
٤. شيخو اليسوعي، لويس. "الصهيونية ماضيها، حاضرها، مستقبلها" صحيفة المشرق. بيروت، العدد ١٠، السنة ٦٨، م ١٨ (تشرين أول، ١٩٢٠).
٥. شيخو اليسوعي، لويس. "الكنب بضاعة الفرمسون" صحيفة المشرق، بيروت، العدد ٧، السنة ٢١، م ٢١، (١٩٢٣).
٦. عبد الحميد، محمد حرب، "يهود الدومة إلى الآن يحجون ويصومون ويدخلون المساجد" مجلة العربي، الكويت، العدد ٢٥٧ (فبراير ١٩٨٨).
٧. العريض، وليد. "تاريخ الامتيازات في الدولة العثمانية وآثارها" مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، عدد ١، م ٢٤، (١٩٩٧).
٨. العريض، وليد. "كتاب الوقائع في الدولة العثمانية في القرنين الثامن و التاسع عشر"، بحث غير منشور.
٩. العظم، رفيق. "الانقلاب الميمون" المنار، مصر، ج ٥، م ١٢.
١٠. كرومر، اللورد. "كتاب عباس حلمي" المقطف، مصر، ج ٢، م ٤٧ الفصل الخامس، (١١ أغسطس ١٩١٥).
١١. مندل، نيفيل. "مواقف العرب والأتراك من الهجرة اليهودية إلى فلسطين بين عامي ١٨٨٢-١٩١٤، ترجمة، مكى حبيب المؤمن، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، بغداد، العدد ٢٨ (أيار - حزيران ١٩٧٨).
١٢. مفاكو، محمد. "البكتاشية انتسبوا للإسلام وأغفوا أنفسهم من كل التكاليف والعبادات" مجلة العربي، الكويت، العدد ٢٢٠ (مارس ١٩٧٧).

* الصحف والمجلات (قسم التصوير الجامعة الأردنية)

- ١- صحيفة الاتحاد العثماني، بيروت ١٩٠٨ - ١٩٠٩ ميكرو فيلم رقم : ٢٣٩١.
- ٢- صحيفة البشير ، بيروت، ١٩٠٨ - ١٩٠٩ ميكرو فيلم رقم :
- ٣- صحيفة العمران، دمشق ١٩٠٩ - ١٩٠٩ ميكرو فيلم رقم : ١٢٣٣.

- ٤- صحيفة الكون، نيويورك ١٩٠٨-١٩٠٩ ميكرو فيلم رقم : ١٩٣٠.
- ٥- صحيفة المشرق، بيروت ١٩٠٨-١٩٢٣ ميكرو فيلم رقم : ١٨٧٠-١٨٧٣.
- ٦- صحيفة المقتبس، دمشق ١٩٠٨-١٩٠٩ ميكرو فيلم رقم : ٣٣٣.
- ٧- مجلة المقطف، مصر ١٩٠٨-١٩١٥.
- ٨- صحيفة المؤيد، مصر ١٩٠٨-١٩٠٩ ميكرو فيلم رقم : ١٢١٠-١٢١٤.
- ٩- صحيفة الهدى، نيويورك ١٩٠٨-١٩٠٩ ميكرو فيلم رقم : ٤٦٠-٤٦٨.
- ١٠- مجلة المنار، مصر ١٩٠٨-١٩٠٩ ميكرو فيلم رقم : ٢٨١-٢٨٩.
- ١١- مجلة النبراس، بيروت ١٩٠٩-١٩١٠ ميكرو فيلم رقم : ١١٦٦.

* الموسوعات والقواميس العربية.

- ١- موجز دائرة المعارف الإسلامية. تحرير. م. ت. هوتسما - و. ت. أرنولد - ر. باسيت - هارتمان، الشارقة: مركز الشارقة للإبداع الفكري، د. ت. ج. ٨.
- ٢- الموسوعة العربية العالمية. ط ١، الرياض: مؤسسة أعمال المؤسسة للنشر ١٩٩٦، ج ٤.
- ٣- الموسوعة الفلسطينية، ط ١، بيروت: ١٩٩٠، م ٦.
- ٤- بونوماريوف، ب. ن. القاموس السياسي، ترجمة، عبد الرزاق الصافي، ط ٣ بغداد، د. ن. ١٩٧٨.
- ٥- عطية الله، أحمد. القاموس السياسي، ط ٣، القاهرة: دار النهضة العربية ١٩٦٨.

* الموسوعات ودوائر المعارف الأجنبية.

1. *The Encyclopedia Americana*. (U.S.A: Manufactured, 1986) Vol. 1.16.
2. *Encyclopaedia Britannica*. (U.S.A : International Copyright Union, 1971). Vol.4.
3. *The Jewish Encyclopedia*. (U.S.A : Ktav Publishing House INC, 1990) Vol.1.21.
4. *Encyclopaedia Judaica* (Jerusalem : Keter Publishing House, 1978) Vol. 1,2,7,8,16.
5. *Revue du Monde Musulman*. Publiee Par, La Mission Scientifique Du Maroc, (Paris : Ernest Leroux Editeur, 1908-1909).
6. *The Encyclopaedia of Islam, A Dictionary of the Geography, Ethnography and Biography of the Muhammadan Peoples*, (Leiden: E.J.Brill - London: Luzac & Co, 1936), Vol. III.
7. *The New Encyclopaedia Britannica*. (U.S.A : International Copyright Union, 1992). Vol. 7.

Reasons of Disposing Sultan Abdul Hamid II

The importance of this study lies in its being representing the significant aspects in life of sultan Abdul Hamid II, in an attempt to know the internal and external conditions which were surrounding the sultan, especially since the emergence of the Union and Progress Committee, the internal and external activities of the committee and its relations with Europe and the world Jewish forces. This research comes to answer several questions:

- Was the Union and Progress Committee expressing the Turkish or Ottomans aspirations?
- Were the committee's resolutions pure Turkish or Ottomans resolutions?
- Were the peoples of the Ottomans Empire benefited from 1908 Revolution and the disposition of the sultan Abdul Hamid in 1909?
- How far did the Union and Progress Committee fulfil its promises, which struggled many years for them?
- What were the real reasons of disposing the sultan?

The motive of writing on this topic lies in the availability of the books written in foreign languages about the sultan, which in many cases was not void of religions and nationality fanaticism. As for the Arabic books, they only devote few pages on the sultan. Those books rarely void of nationalist fanaticism, especially those Arabic sources done at the time of the sultan's reign. Meanwhile the recent Arabic references on the sultan very few and did not write about him in particular, and not being indulged in general details about him in particular, and not being indulged in general details about his own life, and without discussing the main points and how managed the affairs of his state. Those who wrote about the Sultan in details do not exceed the fingers of one hand. Even these books are void of many important issues for example, we can not find a single Arabic reference discusses the sultan and deals with the birth and activities of the Union and progress committee, especially it's activities in Europe and the Arab countries, These references also lack the major and important sources that treat this topic.

I used in this research the descriptive and analytical method in treating the topic, which had helped in understanding the matters, and made it easier and more precise. What had encouraged me to write on this topic is the self desire to examine this important personality that had aroused controversy on the local Ottomans level, European and Arab levels. In addition to the availability of the references for this study, whether Arabic or foreign which enriched the Study with information and made the preferences between these information easier.

The study is divided into four chapters:

First chapter: Internal and external conditions of the Ottoman Empire.

In an attempt to sum up the state's conditions before and after the sultan assumed power we examined his early life and the factors that had shaped his personality as a child, then examined the institutions of the palace, and attempts made by the sultans to reform internal conditions, then dealt with the issue of

racial and religions minorities and its impact on the Ottoman policy, in addition to the problem of loans and its impact on the relation between the Ottoman Empire and Europe.

As regard to external conditions, we have discussed the foreign prerogatives, their stages, the subject of European competition and the rise of the "Eastern Question", where the origin of this name was dealt with, and with the stages that had passed through. And with the opposing policy of the sultan represented by the idea of "Islamic league", in addition to the wars with Russia and Greece.

Second chapter: The emergence and activities of The union and progress committee.

At the beginning of this chapter, we discussed the conditions through which sultan Abdul Hamid assumed power and the dramatic events that influenced his rule. As well as the beginnings of the Union and Progress Committee of the time of sultan Abdul Aziz, which was formed by Ibrahim Shinasi and Namik Kemal. And the real emergence of this committee by Ibrahim Temo with other colleagues in schools and the war academy. Sultan Abdel Aziz position toward this committee and the stages it passed through its coup detat attempts, its activity in Europe and Arab Countries, motivations and obstacles faced the founders of the committee, the positions of those states towards this activity and the disputes and spilt that had emerged within the committee.

Third chapter: The Masonry, Donma and Zionism and their relations with the Union and Progress Committee.

In this chapter we defined the Masonry and its positions towards, politics and religion, as well as the sultan's position towards its activity within his state. And its relations with the union and progress committee and the ways both adopted to achieve their goals. The donma Jews were also defined and their origins, traditions and customs, the state attitudes towards them, and the influence they achieved inside the state. Then their relation with the committee was also discussed and the size of their leadership.

The Zionist movement was also defined as well as its activity with the sultan Abdul Hamid, and his attitude towards this movement, then the movement relations with the Union and Progress Committee up to 1908.

Chapter four: This chapter deals with the preparation and the conditions that led to the revolution of 1908, the leaders of the revolution and the sultan positions towards this revolution, the European position. The success of the committee to control the situation inside the country, and how far the committee fulfilled its promises which it asked sultan Abdul Hamid to implementing them, and for them the committee raised the banner of political and military opposition, all that had happened in order to overthrow the sultan in 1908, and the condition that led to that, as regard to the anti revolution that was know as 31 mart, and the reasons that let to its out break, and resulted in

the march of the committee army and the overthrow of the sultan. Later on the real reasons of the sultan disposition, and the attitude of the European states of this matter were discussed. Then the Jewish influence inside the state was also discussed, which was completely reflected on the conditions of the Jews in Palestine as regard to establishing various associations and establishments, and the publications of newspapers and magazines.... etc and other aspects of activities.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University